



لوسي مود مونتغمري

ريلادي انجلايڤ



آن 8
مكتبة

ترجمة

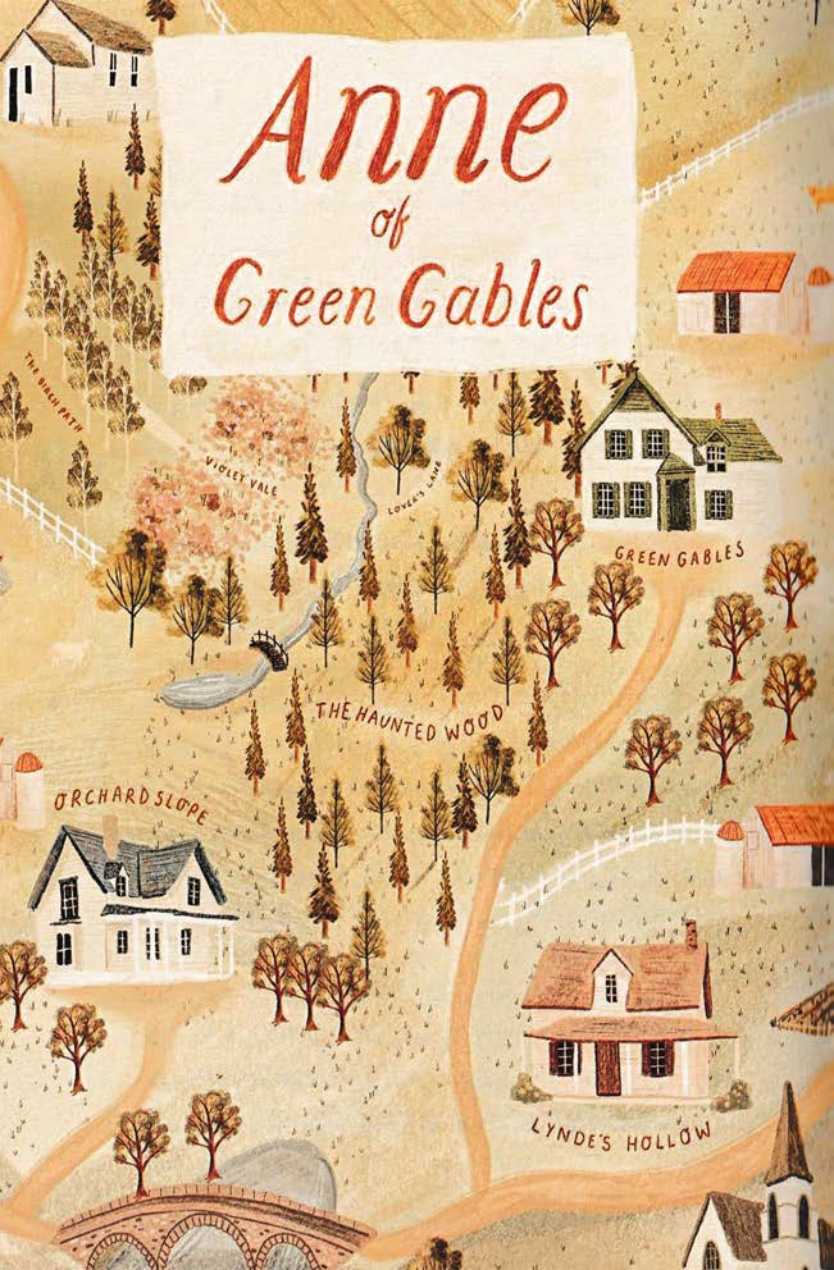
سارة زكريا

مراجعة وتدقيق

سارة شيبان







Anne of Green Gables

VIOLET VALE

LOWEY'S LAKE

GREEN GABLES

THE HAUNTED WOOD

ORCHARD SLOPE

LYNDE'S HOLLOW

إهداء لـ..

أصدقاء آن .. أهل مكتبة

رہلتنا الأخريرة مع .. آن

رہلتنا المستهرة مع .. مكتبة

کم وکم وکم .. وقفنا على لخطات

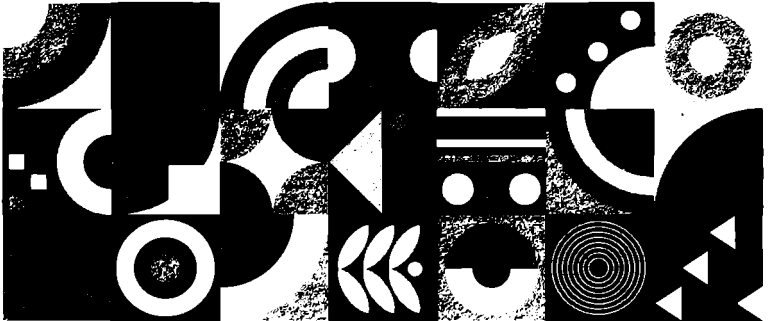
ضحکنا .. هزنا .. تعلمنا .. اعتبرنا .. وما زال

القيم أهد

ريلا في

إنجلسايد

الجزء الثامن



لوسي مود مونتغمري

ريلا في إنجلسايد

الجزء الثامن

ترجمة: سارة زكريا
مراجعة وتدقيق: شهاب شيبان

فلاهيستو

Little Puffin
Publishing house

novel

Rilla of Ingleside

Lucy Maud Montgomery

Translated by: Sarah Zakaria

Proofreading by: Shehab Sheiban

رواية

ريلا في إنجلسايد

لوسي مود مونتغمري

ترجمة: سارة زكريا

التدقيق اللغوي: شهاب شيبان

التوزيع في الخليج العربي لدى
Little Puffin

Business Center, Sharjah, Publishing City Free Zone, Sharjah,
United Arab Emirates

Littlepuffinpublishing@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

منشورات فلانكو للترجمة والتوزيع و Little Puffin

البريد الإلكتروني: info@flamingopubl.com

8 8 2024 مكتبة
t.me/soramnqraa

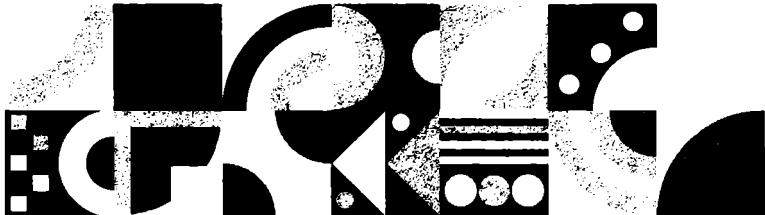
Copyright © 2023 FLAMINGO.PUBL & Little Puffin
All rights reserved.

إن منشورات فلانكو و Little Puffin غير مسؤولة عن آراء المؤلف
وأفكاره وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه .



الطبعة الأولى 2023

الرقم الدولي بدمك (ISBN)
978-9922-9289-9-9



تصميم الغلاف: ماهر عدنان
الايخراج الفني: اية نبيل

Lucy Maud Montgomery

RILLA OF INGLESIDES

Part Eighth

**Translated by:
Sarah Zakaria**

فانيسكو

Little Puffin
Publishing house

"مدونات" بلدة جلين ومسائل أخرى

مكتبة 
t.me/soramnqraa

كان عصرًا دافئًا منعّمًا بأجواء لطيفة، مُجملاً بغيوم خفيفة تعكس فيها أشعة الشمس الذهبية في منزل إنجلترا. جلست سوزان بيكر في غرفة الجلوس الكبيرة لتأخذ قسطًا من الراحة، يحوم حولها كالهالة شعورٌ من الرضا الكئيب. كانت الساعة الرابعة عصرًا، وسوزان التي كانت تعمل من السادسة صباح هذا اليوم، شعرت بأنها قد استحقت ساعةً تريح فيها رأسها من ضجيج الثرثرة والقبل والقال.

كانت سعيدةً حينها، فقد كان يومها في المطبخ يقل سوءًا عن غيره، وسار كل شيءٍ فيه على ما يرام. فلم يكن دكتور جيكل أو من يدعونه أحيانًا السيّد هايد يتنقل في الأرجاء، ولذلك لم يكن يتواجد من يحرق أعصابها ويضايقها.

من حيث جلست، كانت تنظر إلى ثمرة اهتمامها وفخر أعمالها، أزهار الفاوانيا التي زرعتها وحرثتها بدماء قلبها، كانت تراها تتورد كما لم يسبق أو يمكن لأي برعمةٍ من الفاوانيا أن تفتح في كل أرجاء بلدة جلين سانت ماري. فلم ترَ فيها قط فاوانيا قرمزية اللون كالتّي أمامها أو

ورديةً بلمعةٍ من فضةٍ أو بيضاء كركام الثلوج في أعالي الجبال. كانت سوزان ترتدي بلوزة حريرية سوداء، مُفصّلة و متقنة تمامًا مثل أي قطعة ثياب ارتدتها السيدة مارشال إليوت. وكانت تربط على خصرها مريلاً بيضاء عليها شقفةٌ من الدانتيل تُنسّقها مع ثيابها دائماً. لطالما عُرفت بأنها دائمة التنسيق لملابسها، وبُحسّن مظهرها، فقد كانت تعرف المقومات الكاملة التي تدفعها لتكون امرأةً أنيقة الملبس، إذ كانت دائماً ما تقرأ نسختها من يوميات إنتربرايز، وخاصةً قراءة قسم "مدونات" جلين التي، كما أخبرتها الأنسة كورنيليا بأنها هي من كتبت نصفها ذاكرةً تقريباً الجميع في منزل إنجلسايد.

كان كتاب إنتربرايز يُفتتح بشعرٍ خطه عريض، أسود، وبأحرفٍ كبيرةٍ في الصفحة الأولى، يصيغ بعض الأشخاص كأرشدوق فرديناند وغيره الذين اغتيلوا في مكانٍ يُدعى سرايفو.

بيد أن سوزان لم تأت بالكتاب لتقرأ مواضيع مملّة لا تهمها كهذه، كانت تبحث عن شيءٍ فيه حيويةٌ يشد انتباهها لقراءته. وها هو ذا! "مدوناتٌ من مدينة جلين سانت ماري." عدّلت سوزان جلستها، واستقرت باهتمامٍ شديد، وأخذت تقرأ كل جملةٍ بصوتٍ عالٍ لتقطف منها كل مُتعةٍ أو بهجةٍ يمكن أن تستخلصها.

كانت السيدة بلايث وزائرتها الأنسة كورنيليا (الاسم المستعار للسيدة مارشال إليوت) يتحدثان معاً بالقرب من الباب المفتوح الذي يؤدي إلى الشرفة، حيث كان نسيماً بارداً ولطيفاً يداعب جلساتهما جالباً نفحات عطرٍ خلاّبٍ من الحديقة، وساحراً بأصداء مبهجةٍ آتيةٍ من الزاوية المعلقة بالكروم حيث كانت ريلا والأنسة أوليفر ووالتر يتسامرون أطراف الحديث ويضحكون. فأينما حضرت ريلا بلايث، حضرت الفرفشة والضحك.

وهناك ساكنٌ آخر في غرفة المعيشة، ملتفٌ على الأريكة ولا يمكن

إغفاله، لأنه كان مخلوقاً ذا شخصية مميزة، كذلك يتميز بكونه الكائن الحي الوحيد الذي كرهته سوزان من صميمها.

فكل القطط لديهم شخصيات غامضة، بيد أن الدكتور جيكل الذي هو السيد هايد (يُدعى "دوك" للاختصار) كان قطعاً يعاني من انفصام في الشخصية، أو أنه ملبوسٌ من الشيطان كما أُنذرت سوزان.

لقد كانت قصة وجوده غريبةً من الأساس. فقد بدأ كل شيء قبل أربع سنوات، حيث كان لدى ريبلا بلايث قطٌ صغيرٌ عزيزٌ جداً على قلبها وتقدره بشكلٍ كبير. كان أبيضاً كالثلج، وعلى طرف ذيله بقعة سوداء اللون، وأطلقت عليه اسم جاك فروست، والغريب أنه لم يكن هناك أي سببٍ أو مرجعٍ لانتقائها لذلك الاسم.

قالت سوزان منذرةً السيدة بلايث: "خذي الكلام مني يا سيدتي العزيزة، هذا القط سوف يجلب لنا الكثير من المتاعب".

سألتها: "ولكن ما الذي يدفعك لاعتقاد ذلك؟"

أجابت: "أنا لا أعتقد، أنا على يقين".

أما من تبقى من شعب إنجلترا، فقد كان القط جاك فروست المفضل لديهم، وكان نظيفاً جداً ومعتنى به جيداً، ولم يسمح أبداً برؤية بقعة وسخٍ أو أي رقعةٍ على بدلته البيضاء الجميلة، ولديه طرقة المحببة من التغلغل والأحضان والالتفاف مع الأشخاص، وكانت نظراته غايةً في البراءة.

ثم وقعت مأساةٌ أليفة في منزل إنجلترا، فقد أصبح لدى جاك فروست أطفال!

سيكون من العبث محاولة تصوير انتصار سوزان آنذاك. ألم تصر دائماً على أن ذلك القط سيكون ضللاً وفحاً؟ الآن يمكنهم أن يروا بأنفسهم!

احتفظت ريبلا بواحدٍ من القطط فقط، وكان ذا فروٍ لامعٍ من الأصفر

الداكن يتقاطع مع خطوط برتقالية، وآذان كبيرة ناعمة ذهبية، كان جميلًا بشكلٍ مثيرٍ للشكوك. أطلقت عليه اسم "غولدي" (أي الذهبي)، وبدا هذا الاسم مناسبًا بدرجة كافية للمخلوق الصغير المرح الذي لم يعط، خلال فترة طفولته، أي إشارة إلى الطبيعة الشريرة التي يمتلكها حقًا.

وبالطبع حذرت سوزان الأسرة مرةً أخرى من أنه لا يمكن توقع أي خيرٍ من نسل ذلك جاك فروست الشيطاني، ولكن صرخات سوزان كعدمها، لم يتم الالتفات إليها على الإطلاق.

اعتادت عائلة بلايث أن تعامل القط جاك فروست على أنه أحد الأفراد الذكرية بينهم لدرجة أنهم لم يتمكنوا أبدًا من التخلص من هذه العادة. لذلك كانوا يتكلمون معه على أنه شخصٌ عاقل وليس بهر، على الرغم من أن ذلك كان الأمر يبدو تافهًا بعض الشيء.

حتى الزائرون كانوا يتعجبون بعض الشيء عندما يسمعون ريبلا تنادي جاك أو ابنه غولدي وتقول له: "هيا اذهب لأمك (أي السيدة بلايث) لكي تنظفك وتغسلك جيدًا".

حتى سوزان، كانت تشعر بالتساوي مع القط عندما تراهم ينادونه كشخصٍ عاقل، ولا حتى قلبٌ واحدٌ قد تألم عندما "تسمم" عن طريق الخطأ في الشتاء التالي. قالت بمرارةٍ موجهةً كلامها للأم: "لا يبدو الأمر لائقًا أن تعاملونه كأنه مثلنا يا سيدتي العزيزة قط

في غضون عام، كان واضحًا بأن اسم "غولدي" لم يعد ملائمًا أبدًا لذلك القط ذي الريش البرتقالي. فوالتر الذي كان يتابع قصة كتاب ستيفنسون، أطلق عليه اسم "دكتور جيكل والسيد هايد".

عندما يكون دكتور جيكل، يكون مزاجه هادئًا ودائم النوم وحنونًا وبيئيًا ويحب الوسادة ويحب المداعبة ومُجددًا في رعايته وتربيته. وكان يحب على وجه الخصوص الاستلقاء على ظهره ومداعبة نفسه عند

حلقة الناعم ذي اللون الكرمي برفقٍ بينما كان يشعر بالنعاس حتى ينام. كان يشخّر بصوتٍ واضحٍ ومسموعٍ، وفي شخيرِه رنةٌ ونشوةٌ لم يسبق لقط أن كان كذلك من قبل في إنجلسايد.

علق الدكتور بلايث ذات مرّةٍ بينما كان يستمع لشخيرِ دوك: "إن الشيء الوحيد الذي أحسد القطط عليه هو شخيرها، إنه الصوت الأكثر بعثًا للراحة في العالم".

كان دوكٌ وسيماً جدًّا، وكل حركاته كانت طلاوةً، لديه وقفاتٌ ووضعياتٌ رائعة. لا سيما عندما يطوي ذيله الطويل ذو الحلقات الداكنة حول قدميه ويجلس على الشرفة لينظر بثباتٍ إلى الفضاء لفتراتٍ طويلة، شعر الدكتور بلايث حينها أن تمثال أبو الهول المصري العظيم بنفسه لا يمكن أن يلائم بوابة الشرفة كإلهٍ أكثر وقارًا مثل دوك. أمّا عندما يتحول إلى السيد هايد، وغالبًا ما يحدث ذلك قبل المطر أو الرياح، فإن مزاجه يُصبح متعكّرًا بشدّة، حتى عينيه تتغيران وتتضح الهمجية على وجهه.

دائمًا ما يأتي التحول فجأةً، فكان ينطلق بشراسةٍ من حلمٍ ولطافةٍ إلى زمجرةٍ وحشيةٍ ويعض أي يد تحاول تهدئته أو حتى مداعبته. يزداد فروه قتامةً حينها، وعينه تتألق بنورٍ شيطاني. كان هناك حقًا أمرًا غامضًا غير طبيعيٍّ فيه.

وإن كان التغيير في الشفق، فيشعر جميع قوم إنجلسايد بالرعب منه. ففي مثل هذه الأوقات يكون وحشًا مخيفًا! ولم يدافع عنه أحدٌ إلا ريلًا، مؤكدةً أنها نزوة قطٍ عاديةٍ وهي تقول: "انظروا! يا له من قطٍ لطيفٍ، هو فقط يتصرف على طبيعته".

أحبّ دكتور جيكل الحليب الجديد كثيرًا، ولكن السيد هايد كان يقف مزمجراً لا يقبل إلا باللحوم. ينزل دكتور جيكل بنعومةٍ على الدرج لكيلا يزعج أحدًا، بيد أن السيد هايد كان يلقي بكل ثقل قدمه

على الدرج كالرجلي ضخيم حين ينزله.

في عدة أمسيات، عندما كانت سوزان بمفردها في المنزل، كان يخيفها بشدة كما قالت. فمرةً جلس في منتصف أرضية المطبخ، وعيناه الرهيبتان مثبتتان على عينيها لمدة ساعة كاملة دون رمشي واحد. فاشتدت أعصابها وارتبكت رُعبًا، ولكن سوزان المسكينة جعلته يشعر بالرهبة الشديدة لمحاولة طرده. فبمجرد أن تجرأت على رمي عصا عليه، سرعان ما قام بقفزة وحشية تجاهها. عندها هرعت لتختبئ خلف الأبواب ولم تحاول أبدًا التدخل في السيد هايد مرةً أخرى، رغم أنها كانت تأخذ بثأرها من أفعاله السيئة أحيانًا عن طريق الدكتور جيكل البريء الذي كانت تطرده بشكلٍ مخزٍ خارج حدودها كلما تجرأ على الاقتراب منها، وتحرمه من بعض الأكلات اللذيذة التي كان يتوق إليها. كانت سوزان تقرأ الأسماء في الكتاب بمتعة، مثل فتات حلاوة تحت لسانها: "كان العديد من أصدقاء ريبلا، فايت ميريديث وجيرالد ميريديث وجيم بلايث سعداء للغاية بالترحيب بهم في الوطن قبل بضعة أسابيع من كلية ريدموند. وكان جيم بلايث، الذي تخرج في الآداب عام ١٩١٣ قد أكمل للتو سنته الأولى في الطب.

علقت الأنسة كورنيليا: "لا بد أن فايت ميريديث أكثر الأشخاص جمالًا على الإطلاق. إنه لأمرٌ مدهشٌ كيف يقضي هؤلاء الأطفال حياتهم بعد أن توفت روزماري.

لقد كاد الناس ينسون ما كانت عليه آثار الأذى من قبل. آن، عزيزتي، هل تنسين يومًا الطريقة التي اعتادوا على التعامل بها؟ من المدهش حقًا مدى نجاح روزماري معهم. كانت أشبه بصديقة أكثر من كونها زوجة أب. كلهم يحبونها وأونا تعشقها. أما بالنسبة لبروس الصغير، فإن أونا تجعله عبدًا مثاليًا لها. بالطبع، إنه محبوب. لكن هل رأيت يومًا أي طفلٍ يشبه الخالة تمامًا كما يشبهه هو خالته إيلين؟ وكأن قطعةً منها

قفزت وتحولت إلى بروس، إنه غامضٌ ولافتٌ للنظر مثلها تمامًا. لا أستطيع أن أرى أمرًا من سمات روزماري فيه على الإطلاق".
يتعهد نورمان دوغلاس (زوج إيلين) دائمًا بأعلى صوته أن القلق يعني بروس بالنسبة له، وإيلين أخذته إلى بيت القسيس عن طريق الخطأ".

قالت السيدة بلايث: "إن بروس يعشق ولدي جيم، عندما يكون في مكانٍ ما قريبًا منه، يتبعه بصمتٍ أينما يذهب مثل كلبه اللطيف والحريص، ينظر إليه من تحت حاجبيه البنيّين الكثيفين، أرى أنه مستعدٌ ليفعل أي شيءٍ من أجله، أنا مُتيقنةٌ من ذلك".

"هل يمكن أن يشكل جيم وفايث زوجًا في المستقبل؟"
ابتسمت السيدة بلايث. كان من المعروف جيدًا أن الأنسة كورنيليا، التي كانت كارهةً شرسةً للرجل في وقتٍ ما، قد اتخذت في الواقع قرار التوفيق بين الاثنين في سنواتها الأخيرة.

ثم قالت: "إنهما صديقان حميمان فقط يا آنسة كورنيليا".
ردت الأنسة كورنيليا إلى حدٍ لافتٍ للنظر: "إنهما أكثر من صديقين، صدقيني! فأنا على علمٍ تامٍ بكل حركات الجيل الجديد هذا".
قالت سوزان: "لا شك أنك كذلك كما تقول ماري فانس يا سيدة مارشال إيليوت. ولكنني أعتقد أنه من غير الملائم الكلام عن الارتباط والزواج عن أشخاصٍ لا يزالون أطفالًا".

ردت الأنسة كورنيليا: "أطفال! إن عمر جيم واحدٌ وعشرون وفايث تسعة عشر! يجب ألا تنسي يا سوزان أننا نحن الكبار في السن، لسنا الوحيدين الكبار في العالم".

تكره سوزان أي إشارةٍ إلى عمرها، ليس من الغرور ولكن من الخوف المؤلم من أن الناس قد يظنون أنها أكبر من أن تعمل، وبشيءٍ من الغضب والشعور بالإهانة عادت لتكمل قراءة المدونات في الكتاب.

عاد كارل ميريديث وشيرلي بلايث إلى المنزل مساء الجمعة الماضي من أكاديمية كوينز. نحن نعرف أن كارل سيكون مدير المدرسة في هاربور هيد العام المقبل، ونحن على يقين من أنه سيكون مدرسًا مشهورًا وناجحًا.

قالت الأنسة كورنيليا: "سيعلم الأطفال كل ما يمكن معرفته عن الحشرات، على أية حال. لقد انتهى من معهد كوينز الآن، وأراده السيد ميريديث وروزماري أن يذهب مباشرةً إلى ريدموند في الخريف، ولكن كارل لديه خطأ مستقل جدًا فيه، ويريد أن يشق جزءًا من طريقه الخاص في الكلية، ويبدل ما في وسعه من أجل حلمه".

قاطعت سوزان قراءتها: "لقد استقال والتر بلايث، الذي كان يدرس في لوبريدج على مدى العامين الماضيين. إنه ينوي الذهاب إلى ريدموند هذا الخريف".

فسألتها الأنسة كورنيليا بقلق: "هل والتر متمكن بما يكفي بعد ليذهب إلى ريدموند؟"

قالت السيدة بلايث: "نأمل أن يصبح كذلك بحلول الخريف. فهو سيكون مرتاحًا في وقت الصيف، كما أن هواءه الطلق وشمسه التي تبعث الطاقة سيفيدان ويحثانه على فعل ما يطمح لأجله".

قالت الأنسة كورنيليا بشكلٍ قاطع: "من الصعب التغلب على حمى التيفوئيد التي أصابته، لا سيما عندما يكون المرء حساسًا مثل والتر. أعتقد أنه من الأفضل له البقاء خارج الكلية لعامٍ آخر. ولكنه طموحٌ للغاية!!

هل سيذهب دي ونان أيضًا؟"

"أجل. أراد كلاهما أن يدرسا عامًا آخر بعد، ولكن الدكتور جيلبرت يعتقد أنه من الأفضل لهما الذهاب إلى ريدموند هذا الخريف".

"هذا جيد جدًا، عندها سيرا قبان والتر ويتأكدان أنه لا يحتمل نفسه

أكثر مما تطيق. " ثم أكملت الأنسة كورنيليا وهي ترمق سوزان بنظرة جانبية: "حسناً، بعد الإهانة التي تلقيتها منذ قليل، لا أجرؤ على القول بإنني لا أرتاح لتلك النظرات التي ينظرها جيرى ميريديث نحو نان بلايث".

تجاهلت سوزان ما قالته تمامًا، وضحكت السيدة بلايث مرة أخرى. "عزيزتي الأنسة كورنيليا، أعتقد أنني قد اكتفيت، أليس كذلك؟ مع كل هؤلاء الأولاد والبنات المحبوبين حولي؟ إذا فكَّرت بهذا الأمر كثيرًا فسوف أُجن. لهذا أنا لا أفكّر أبدًا، فلم أستطع بعد تخطي فكرة أنهم يكبرون!! عندما أنظر هكذا إلى ولدائي وأراهما طويلًا القامة ويكبران، أتساءل ما إن كان ممكنًا أن يعودا طفلين سمينين وحلوين ويعودا اللطيفين اللذين كانا لا ينامان إلا وأنا أحضنهما وأغني لهما أغنية ما قبل النوم أو أقرأ لهما قصة ونهجع حتى اليوم الآخر.

ترين جيم!! ألم يكن الطفل الأعز في منزل الأحلام؟ أنظري له الآن وهو طالب تخرج، وليس ذلك فقط! وهو يُتهم بالمغازلة".
تنهدت الأنسة كورنيليا: "نحن جميعًا نتقدم في السن".

قالت السيدة بلايث: "الجزء الوحيد مني الذي يشعر بالشيخوخة هو كاحلي الذي كسرته عندما تجرأت جوزي باي على السير في قطب باري ريدج في أيام المرتفعات الخضراء، أشعر بألمٍ عندما يكون الطقس باردًا برياحٍ شرقيةٍ خصوصًا. لن أعترف أنه روماتيزم، ولكنه مؤلمٌ بالفعل.

أما بالنسبة للأطفال، فإنهم هم وعائلة ميريديث يخططون لصيفٍ مبهج قبل أن يُضطروا للعودة إلى الدراسة في الخريف، وهم يشكلون حشدًا صغيرًا لطيفًا ومرحًا للغاية. يحرصون على أن يحيطون هذا المنزل في دوامة فرحٍ دائمة".

"هل ستذهب ريبلا إلى معهد كوينز عندما يعود شيرلي؟"

"لم نقرر بعد! لا أعتقد بأن هذا سيحصل ... قال والدها بأنها لا تملك الوعي الكامل بعد لتذهب بمفردها إلى هناك، في الحقيقة هي فقط طويلة القامة بالنسبة لفتاةٍ تبلغ من العمر خمسة عشر، ولكن طولها لا يعني بأنها مستعدةٌ للذهاب!

كما أنني لست متلهفةٌ أو مستعدةٌ لذهابها بعد، سيكون الأمر مريعًا إن لم يتبقى معي أيُّ من أطفالي في المنزل الشتاء القادم. فسوف نقضيها نتشاجر أنا وسوزان لكسر الروتين والملل".

ابتسمت سوزان عند سماعها لتلك الكلمات. فقد راقَت لها فكرة المشاجرة مع سيدتها العزيزة!

سألت الأنسة كورنيليا: "ماذا عن رأي ريبلا بهذا الأمر؟ هل تريد هي أن تذهب؟؟"

"لا. الحقيقة هي أن ريبلا هي الوحيدة ذات الروح الفاترة في عائلتي، لا أشعر بأنها تطمح لشيءٍ ما، أتمنى حقًا أن يكون لديها المزيد من الحماس والطموح كإخوانها...

لا تملك مُثلاً جادةً على الإطلاق!! يبدو أن قضاء وقتٍ ممتعٍ هو أكثر ما تطمح إليه!"

لم تتحمل سوزان ألا تدافع على أحد بنات منزل إنجلسايد، حتى وإن كانت منهم وفيهم، وصاحت: "وما الأمر في حصولها على المتعة يا سيدتي العزيزة؟ فالفتاة الصغيرة يجب أن تقضي وقتًا ممتعًا، وسأحرص أنا على أن تفعل ذلك. سيكون هناك وقت كافٍ لها للتفكير في اللاتينية واليونانية وغيرها من الترهات".

"أودها أن تعتاد على تحمل بعض المسؤولية يا سوزان! فأنت أكثر من يعرفها، فهي مدللةٌ ولا تقوم بأي شيءٍ حتى في البيت! دائمًا بلا جدوى، وهذا ليس جيّدًا بالنسبة لها!"

ردّت سوزان: "لا بد وأن تجد شيئًا تُجدي فيه نفعًا، إنها الفتاة

الأجمل في كل مدينة جلين سانت ماري! أعتقدين أن كل شبّان عوائل
ماكاليستر وكراوفورد وإيليوت سوف يسمحون لأنفسهم بتفويت فتاة
ساحرة من الجيل الرابع مثل ريبلا؟ لا يا سيدتي العزيزة!! لن يفعلوا.
أنا أعلم حدودي جيدًا، ولكن فلتسمح لي هذه المرة، لا أريد أن
أخسر ريبلا هكذا!! فلتتكلمي شيئًا يا آنسة مارشال إيليوت".
وجدت سوزان فرصةً لتلذع الآنسة كورنيليا عن طريق أحاديث
الحب والارتباط المتعلقة بالشباب.

"لقد تراجع ميلر دوغلاس عن فكرة انتقاله للأراضي الغربية، وقرر
بأن جزيرة الأمير إدوارد القديمة مكانًا مناسبًا له بما يكفي، وسيواصل
عمل الزراعة فيها من أجل عمته السيدة أليس ديفيس".
ثم نظرت باهتمام إلى الآنسة كورنيليا: "لقد سمعت بأن ميلر يحاول
التقرب من ماري فانس يا سيدة مارشال إيليوت".
فاحمر وجه الآنسة كورنيليا التي انهالت عليها تلك الكلمات
كالملح على الجرح.

وقالت بحدّة: "لن أسمح لهذا أن يحصل! فعائلته لا تناسبنا أبدًا،
كان والده منبوذًا من عائلة دوغلاس، لم يحسبوه أبدًا منهم، وكانت
والدته واحدةً من هؤلاء عائلة ديلونز الرهيبيين من هاربور هيد".
"أعتقد أنني سمعت أن والدي ماري فانس ليسا ما يمكن أن تسميهما
أرستقراطيين يا سيدة مارشال إيليوت".

ردت الآنسة كورنيليا: "ماري فانس ترعرعت ضمن أسرة جيدة،
ومعروفةً بتربيتها اللائقة، وهي فتاة ذكية وبارعة و متمكنة. يستحيل أن
ترمي نفسها بعيدًا في أحضان ميلر دوغلاس، صدقوني! إنها تعرف
رأيي في هذا الأمر جيدًا وماري لا يمكن أن تعصني أبدًا".

"حسنًا، لا أعتقد أن هناك داعٍ للقلق في كل الأحوال يا سيدة مارشال
إيليوت. فالسيدة أليوت ديفيس معارضةً لذلك بكل جوارحها أيضًا،

تقول بأنها لن تسمح لأحد من أبناء إخوانها بالزواج من فتاة مجهولة العائلة والهوية كماري فانس .

عادت سوزان إلى جرحها تقرأ من جديد، وكانت تشعر بأنها قد كسحت الحديث الذي حدث للتو بكلامها ومشاركتها فيه، وبدأت بقراءة مدوناتٍ أخرى...

"يسعدنا أن نسمع أن الأنسة أوليفر تعمل كمدرسة لعامٍ آخر. ستقضي الأنسة أوليفر إجازتها التي حصلت عليها بجدارية في منزلها في لوبريدج ."

قالت السيدة بلايث: "أنا سعيدة للغاية لأن جيرترود ستبقى، كنا نفتقدها بشدة. ولها تأثيرٌ كبيرٌ على ريلا التي تتخذها خليلاً لها. إنهما صديقتان مقربتان على الرغم من اختلاف أعمارهما".

"بحسب ما سمعت، إن زواجها قريب!"

"أعتقد أنه تم الحديث عن ذلك لكنني حسبما فهمت أنه تم تأجيله لمدة عام. ولكن من هو سعيد الحظ؟"

"إنه روبرت غرانت. وهو محام شابٌ من مدينة شارلوت. أتمنى أن تكون جيرترود سعيدة بما يحصل معها. فلقد قضت حياتها يأساً وحزناً، ذقت الكثير من المرارة فيها، وهي تشعر بالأشياء باهتمام رهيب.

لقد رحل شبابها الأول وهي وحيدةٌ عملياً في هذا العالم. هذا الحب الجديد الذي دخل حياتها يبدو أمراً رائعاً بالنسبة لها حتى إنني أعتقد أنها بالكاد تجرؤ على تصديق استمراره.

عندما كان يجب تأجيل زواجها، دخلت في حالةٍ من اليأس على الرغم من أنه لم يكن خطأ السيد غرانت. كانت هناك تعقيداتٌ في تسوية ميراث والده الذي توفي في الشتاء الماضي. ولم يتمكن من الزواج حتى يتفكك التشابك وتوضح الأمور. لكنني أعتقد أن جيرترود شعرت بأن هذا فالٌ سيءٌ عليها، وأنه لا بد من شيءٍ يقتحم سعادتها

مهما كان وفي أي وقتٍ وزمان ...

علقت سوزان بجديّة: "ليس من الجيّد أن تكوني واضحةً بعواطفك أكثر من اللازم تجاه الرجل يا سيدتي العزيزة".

"إن السيد غرانت مغرّمٌ بجيرترود بقدر ما هي مغرمةٌ به يا سوزان، فالأمر لا يتعلق بعدم الثقة به، بل بالقدر!

إن جيرترود تملك القليل من الغموض والأفكار الخاصّة بها فقط، أفترض أن بعض الناس يصفونها بالخرافات! لديها إيمانٌ غريب بالأحلام ولم تتمكن من جعلها تتخطاها أو تستغني عنها لتعيش الواقع. يجب أن أمتلك أيضًا بعضًا من أحلامها، ولكن عندها، لن يعود من المسموح لجيلبرت أن يسمّني تلميحًا إلى مثل هذه الهرطقة.

ما الذي أثار اهتمامك في هذا الأمر يا سوزان؟"

كانت سوزان متعجبةً مما قد سمعته للتو وقالت: "اسمعي هذا يا سيدتي العزيزة، إن السيدة صوفيا كراوفورد قد تخلّت عن منزلها في لوبريدج، وانتقلت للعيش مع ابنة أختها الأنسة ألبرت كراوفورد. أتعلمين أنها تقرب لي من بعيد! ولكننا لا نتكلم مع بعضنا البعض الآن، كان ذلك عندما كنا صغارًا في المدرسة، لقد تشاجرنا عندما كنا أطفالًا حول من يجب أن يحصل على بطاقة مدرسة يوم الأحد مع عبارة "الله هو الحب"، مُزينةً ببراعم الورد، ولم نتحدث مع بعضنا البعض منذ ذلك الحين. والآن هي قادمةٌ لتعيش على الجانب الآخر من الطريق هنا!!! مكتبة سُر من قرأ

"حسنًا، يجب أن تجدي حلًا لذلك الخلاف يا سوزان، فمن غير اللائق أن تكوني على علاقةٍ سيئةٍ مع جيرانك بغض النظر عن القرابة". قالت سوزان بتعالي: "بدأت ابنة العم صوفيا الشجار، لذا يمكنها أن تبدأ في قرار الصلح أيضًا يا سيدتي العزيزة. وأتمنى أن أتمسك بمسيحتي وعقائدي، وأن أكون جيّدةً كفايةً عند مقابلتها صدفةً في

الطريق، إن استطعت ذلك طبعًا.

فهي ليست شخصًا مرحًا على الإطلاق! لطالما كانت دائمة النكد، وقاتلة للفرح.

آخر مرة رأيتها فيها، كان وجهها يحتوي على آلاف التجاعيد، ربما أكثر أو أقل، وكل ذلك من القلق والشؤم، أنا متأكدٌ من ذلك.

أنت لم ترينها وهي تبكي بشكلٍ مروّع في جنازة زوجها الأول، ولكنها لم تلبث أن تزوجت مرةً أخرى قبل أن يمرَّ عامٌ على وفاته حتى! المهم، كما أرى هنا، إن المدونة التالية تصف الخدمة المميزة في كنيسةنا ليلة الأحد الماضي وتقول إن الزخارف كانت جميلة جدًا".

قالت الأنسة كورنيليا: "الحديث عن ذلك يذكرني بأن السيد بريور لا يوافق بشدةٍ على الزهور في الكنيسة. لطالما قلت إنه ستكون هناك مشكلةٌ عندما ينتقل هذا الرجل إلى هنا من لوبريدج. ما كان يجب أن يتم تعيينه فيها أبدًا!

لقد كان ذلك خطأً وسنعيش آسفين لذلك، صدقوني! لقد سمعت بأنه قال إنه إذا واصلت الفتيات إحضار الأعشاب والزهور إلى المنبر، فلن يذهب إلى الكنيسة وقيم الصلاة أبدًا".

قالت سوزان: "كانت الكنيسة تعمل جيدًا قبل أن يأتي "المشعر القمري" إلى جلين، وأعتقد أنها ستستمر بخيرٍ بعد رحيله".

سألت السيدة بلايث وهي تضحك: "من أطلق عليه هذا اللقب المضحك بحق السماء؟"

"لا أذكر، كل ما أعرفه أن الأولاد في لوبريدج كان ينادونه بهذا اللقب منذ مجيئه إلى هناك يا سيدتي العزيزة. أفترض أن وجهه كان أحمرًا مستديرًا كقمر الغروب، وهو كثيف الشعر جدًا. ولكن لا يمكن لأي شخصٍ أن يناديه هكذا على مرأى أو مسمعٍ منه، أو أمام أي شخصٍ يقرب له بصلة.

ولكن يا سيدتي العزيزة، إن الأمر الشنيع ليس في شعره، فهو رجل غير معقولٍ للغاية، ولديه العديد من الأفكار غريبة الأطوار وغير طبيعية.

إنه شيخُ الآن، ويقولون إنه متدينٌ للغاية، ولكن لا يمكنني أن أتذكر جيدًا الوقت قبل عشرين عامًا، عندما تم القبض عليه وهو يرعى بقرته في مقبرة لوبريدج. أجل! كان يفعل ذلك حقًا، لم أنس ذلك! ودائمًا ما أفكر فيه عندما يصلي في اجتماع ما. حسنًا، هذه هي كل المدونات هنا ولا يوجد الكثير في الورقة ذا أهمية أكثر. أنا لا أهتم كثيرًا بالأجزاء الثانوية. ولكن من هو هذا الرجل أرشيدوك الذي أعتيل؟" أجابت الأنسة كورنيليا: "وما يهمنا في ذلك؟"

لم تكن مدركةً للإجابة السائنة التي تنتظرها والتي ترتبط بالمصير والقدر. وأكملت: "هناك شخصٌ ما يُقتل أو يُقتل دائمًا في دول البلقان تلك. إنها حالتهم الطبيعية ولا أعتقد حقًا أن صحفنا يجب أن تطبع مثل هذه الأشياء الصادمة. إن صحيفة إنتربرايز أصبحت غريبةً للغاية مع عناوينها الرئيسية.

حسنًا، لا بد لي أن أعود إلى المنزل الآن. لا يا عزيزتي آن، لا داعي للطلب مني البقاء لتناول العشاء. يجب على مارشال أن تفكر أنه إذا لم أكن في المنزل لتناول الوجبة معها، فهذا يعني أن الأكل لا قيمة له، تمامًا مثل الرجل.

لذا سأنتقل الآن ... يا إلهي!!! أن عزيزتي؟ ما خطب ذلك القط؟ هل يعاني من نوبةٍ ما؟"

كان دوك حينها متعلقًا بالبساط عند قدمي الأنسة كورنيليا، وملقيًا بأذنيه، ومن ثم بدا وكأنه شتمها واختفى بقفزةٍ عنيفةٍ من خلال النافذة. "أوه لا! إنه يتحول الآن إلى السيد هايد، وهذا يعني بأننا سنحظى برياح وأمطار قبل حلول الصباح، إن دوك دقيقٌ في هذا الأمر أكثر من

مقياس الضغط الجوّي حتى".

قالت سوزان: "حسنًا، الشكر للرب أنه ذهب إلى الهياج خارجًا هذه المرة وليس في مطبخي. سأذهب لأرى ما يجب أن أعد على العشاء. فمع مثل هذا الضغط الذي لدينا في إنجلترا الآن، يتعين علينا التفكير في وجباتنا مبكرًا".

2 ندى الصباح



في الخارج، كانت حديقة إنجلسايد مليئةً ببرك المياه المتلائة من أشعة الشمس التي تلونها بخيوطها الذهبية، وتعكس عليها ظلال الأشجار والنباتات الجذابة خالقةً روحًا في كلٍ منها.

كانت ريلا بلايث تتأرجح في أرجوحةٍ شبكيةٍ تحت شجرة الصنوبر الإسكتلندية الكبيرة، وجلست جيرترود أوليفر تستند على الجذع بجانبها، أما والتر فقد كان ممددًا بالكامل على العشب، غارقًا في قصصه الرومانسية عن فروسية وشهامة الأبطال القدامى وحبهم لجميلاتهم، في تلك العصور القديمة التي أعاد إحيائها بالكامل في مخيلته.

كانت ريلا آخر العنقود في عائلة بلايث، وكانت الطفلة المدللة التي يُنفذ لها ما تُريد، لأنه لا أحد من عائلتها يستوعب بعد بأنها قد كبرت وأصبحت صبيّة.

كانت في الخامسة عشرة من عمرها تقريبًا لدرجة أنها أطلقت على نفسها ذلك الاسم كلما طلب أحدٌ منها شيئًا، وكانت بطول دي ونان (توأمٌ، صبيٌّ وفتاة) تقريبًا. كما أنها كانت جميلةً كما اعتقدت سوزان تمامًا أنها ستكون.

كان لديها عيونٌ كبيرة، حاملةٌ عسليّة اللون، وبشرةٌ بيضاء بلون الكريمة مرقطَةٌ بنمشيٍّ ذهبيٍّ صغير، وحاجبان مرسومان ومقوسان بدقة ... كانت ملامحها الرائعة تلك قد أعطتها مظهرًا رزينًا يثير الدهشة والتساؤل لا سيما من الشباب المراهقين الذين يرغبون بالفعل في الحصول على جوابه.

كان شعرها متموجًا، بنيًا خشنًا بعض الشيء، وبدا القليل من الانبعاج في شفتها العلوية وكأن جنيّةً طيّبةً قد ضغطت عليها أثناء تعميدها. اعتقدت ريلا، التي لم يتمكن أصدقاؤها المقربون من إنكار نصيبها من الغرور، أن وجهها سيكون دائمًا جميلًا للغاية، لكنها كانت قلقةً على أن يصيبه أيّ مكروه، وتمنت لو أن باستطاعتها أن تقنع والدتها بارتداء فساتين أطول، فقد كانت ريلا ممتلئة الجسد ومدورةً في أيامها الخوالي، أي قبل بضعة الأعوام، أما الآن فقد غدت نحيفةً جدًّا، لا سيما عند ذراعيها وساقها.

كان جيم وشيرلي يُعذبانها معنويًا دائمًا بتلقيبها بالعنكبوت بسبب جسدها، لكنها نجت بطريقةٍ ما من الإحراج. كان هناك شيءٌ ما في تحركاتها يجعلك تعتقد أنها لا تمشي أبدًا ولكنها ترقص دائمًا. لقد كانت مغرورةً جدًّا ومدللة، ولكن المهم هو أن الرأي العام لا يزال يقول إن ريلا بلايث كانت فتاةً لطيفةً للغاية، حتى لو لم تكن ذكيةً مثل نان ودي.

كانت الأنسة أوليفر عائدةً إلى المنزل في تلك الليلة لقضاء إجازة، وقد استقلت لمدة عامٍ في إنجلترا. وكانت قد أخذتها عائلة بلايث لتمكث عندهم وذلك لإرضاء ريلا التي كانت غارقةً بعمقٍ في حب معلمتها، وكانت على استعدادٍ لمشاركتها غرفتها إذا لم يكن هناك مكانٌ آخر متاح.

جيرترود أوليفر في الثامنة والعشرين من عمرها، وقد مرّت بظروفي

صعبة في حياتها. وهي تتمتع بمظهرٍ لافتٍ للنظر، عيناها بئتان لوزيتان وحزيتان إلى حد ما، وفمها ذكيٌّ ساخر، وكتلةٌ ضخمةٌ من الشعر الأسود ملتفةٌ حول رأسها. لم تكن بذلك الجمال الأخاذ، ولكن هناك سحرٌ وغموضٌ معينٌ رادعٌ في وجهها، أما ريلا فقد وجدتْها رائعةً جدًا قلبًا وقلبًا.

حتى مزاجها المتسم بالكآبة والسخرية كان يغري ريلا. كانت هذه الحالة المزاجية فقط عندما تكون الأنسة أوليفر متعبة. أما في باقي الأوقات، فقد كانت رفيقةً محفزة، ولم يعي أيٌّ من شببية إنجلسايد أبدًا أنها كانت أكبر سنًا منهم بكثير. كان والتر وريلا التلميذين المفضلين لديها، وكانت صديقة الأمانات والتطلعات السرية لكليهما.

كانت الأنسة أوليفر على أتم العلم بما قد يجول في خاطر ريلا، وتعلم أنها تتوق إلى التسكع خارجًا، والذهاب إلى الحفلات كما يفعل نان ودي، وللحصول على فساتين سهرةً أنيقةً و... أجل، لم تكن تلقي بالآلللعشق أو الارتباط!

أما بالنسبة لوالتر، فقد عرفت الأنسة أوليفر أنه كتب سلسلةً من القصائد بعنوان: إلى روزاموند، أي أونا ميريديث، وأنه كان يهدف إلى أستاذية الأدب الإنجليزي في إحدى الكليات الكبرى. كانت تعرف حبه العاطفي للجمال وكرهيته الشديدة للقبح، وكل نقاط قوته وضعفه.

كان والتر، وما زال أوسم الأولاد في إنجلسايد. وجدت الأنسة أوليفر متعةً في النظر إليه من أجل مظهره الجذاب، لقد كان تمامًا مثلما كانت تود أن يكون عليه ابنها. شعرٌ أسود لامعٌ وعيونٌ رماديةٌ داكنةٌ متلاثلة، وتكوين وجوه لا تشوبه شائبة. هذا عدا عن شعره الذي ينبثق من أطراف أصابعه! كان تسلسل الشعر ذاك أمرًا رائعًا حقًا لطفلٍ في العشرين من عمره. لم تكن الأنسة أوليفر ناقدةً متحيزةً، وكانت تعلم أن

والتر بلايث ينعم بهبة رائعة.

لقد أحبّت ريلّا أخوها والتر من كل قلبها. فلم يضايقها أبدًا كما يفعل جيم وشيرلي، ولم يطلق عليها لقب العنكبوت قط. كان قد أطلق على اخته اللطيفة "ريلا ريلاتي" توريةً ودلعًا لاسمها الحقيقي، ماريلا، على اسم العمّة ماريلا من المرتفعات الخضراء.

ولكن العمّة ماريلا ماتت قبل أن تبلغ ريلّا من العمر ما يكفي لتعرفها جيدًا، وكانت ريلّا تكره الاسم لأنه قديم الطراز بشكلٍ مروع. فلماذا لا ينادونها باسمها الأول، بيرثا، الذي كان جميلًا ولينًا، بدلًا من اسم ريلّا السخيف؟

لم تمنع بأن يناديها والتر "ريلا ريلاتي"، ولكنها لم تسمح لأي أحدٍ آخر بذلك، ما عدا الأنسة أوليفر، وليس دائمًا إنما فقط بين الحينة والفينة.

بدأت أغنية "ريلا ريلاتي" في صوت والتر الموسيقي الشجي تبعث الرجفة في قلب ريلّا، كانت تلك الأنغام تدخل إلى أذنها وتريحها كصوت خرير مياهٍ عذبٍ في جدولٍ صغير. لقد كانت مستعدةً أن تموت من أجل والتر إن كان ذلك سيفيده، وهذا ما أخبرت به الأنسة أوليفر. كانت ريلّا مغرمةً بالخط المائل مثل معظم الفتيات في الخامسة عشرة من عمرها، ولكن ما يقهرها هو أنها وضعت نفسها في موضع شكٍ بإخبار والتر بالكثير من أسرارها فيما هو لم يخبرها سوى بالقليل جدًا.

لقد كانت تندب إلى الأنسة أوليفر بمرارة ذات مرّة: "إنه يعتقد بأنني لم أنضج بما يكفي لأفهم ما يمكن أن يقوله لي، لكنني كذلك! بيد أنهم لا يخبرونني أبدًا بأي شيء، ولا حتى أنت يا آنسة أوليفر. فأنا أقول لك كل ما لدي، ولكن لا يمكنني أن أكون سعيدةً ما لم يكن لدي أي سرٍ منك أيضًا، لا سيما أنك أعزّ ما لدي!

أنا لا يمكن أن أخون والتر أو أفشي سرّه أبدًا، فأنا أقول له كل شيء، حتى أنني أريه مذكراتي، ويؤلمني بشكل رهيب عندما لا يعاملني بالمثل. حسنًا لقد أظهر لي كل قصائده، رغم أنها رائعة يا آنسة أوليفر. أوه، أنا فقط أعيش على أمل أن أكون يومًا ما بالنسبة لوالتر كما كانت شقيقة وردزورث بالنسبة له. رغم أن وردزورث لم يكتب أي شيء مثل قصائد والتر، ولا تينيسون أيضًا".

قالت الآنسة أوليفر بجفاف: "لم أكن أودّ أن أقول ذلك. ولكن كلاهما كتب قدرًا كبيرًا من القمامة فقط." ثم ندمت على قولها إذ رأت نظرة مؤلمة في عين ريلا، فأضافت على عجل: "لكنني أعتقد أن والتر سيكون شاعرًا عظيمًا، وستستحوذين بالطبع على المزيد من ثقته كلما تكبرين".

تهدت ريلا قائلة: "عندما كان والتر في المستشفى مصابًا بالتيفوئيد العام الماضي، كنت مصابةً بالجنون عليه تقريبًا، لم يخبروني أبدًا كم كانت حالته سيئةً إلى أن خرج منها، لم يسمح لهم أبي بذلك. ولكنني سعيدةٌ لأنني لم أكن أعرف، لأنني لو عرفت لما كنت سأستطيع تحمل ذلك أبدًا. بطبيعة الحال كنت أبكي على نفسي كل ليلة حتى أنام. ولكن في بعض الأحيان..."

اختتمت ريلا حديثها بمرارة، كانت تحب التحدث بمرارة بين الحين والآخر في تقليد الآنسة أوليفر وأكملت: "في بعض الأحيان أعتقد أن والتر يهتم بكلب الإثنيين أكثر ممّا يهتم بي". إن "كلب الإثنيين" هو كلبٌ معروفٌ في جلين، وقد أُطلق عليه هذا الاسم لأنه جاء يوم الإثنيين إلى عائلة إنجلسايد عندما كان يقرأ والتر روبنسون كروزو، ومنذ ذلك الحين أصبح الجميع يعرفه بـ "كلب الإثنيين".

فعليًا، كان جيم صاحبه، ولكنه كان مرتبطًا جدًا بالتر أيضًا.

كان يرقد بجانب والتر ويضع أنفه على ذراعه ويضرب ذيله بحماسة كلما أعطاه والتر لمسةً عابرة.

لم يكن كلب الاثنيين من نوع كولي أو حارس أو كلب صيد أو من فصيلة نيوفاوندلاند. لقد كان مجرد كلب بسيط عادي، كما قال جيم "كلبٌ عادي"، وهذا ما كانت تقوله الأشخاص الحسودة أيضًا "كلبٌ عادي".

فلم تكن نظرات كلب الاثنيين هي نقطة قوته. وقد تناثرت البقع السوداء بشكلٍ عشوائيٍ على جثته الصفراء، ويبدو أن إحداها قد لطّخت عينيه. وكانت أذناه في حالةٍ يُرثى لها، فهو لم ينجح قط في شؤون الافتخار به. ولكنه كان يمتلك سحرًا واحدًا، فقد كان يعلم أنه ليس كل الكلاب يمكن أن تكون وسيمةً أو فصيحةً أو قويّةً، ولكنه يعلم بأنه كلبٌ يُحب.

وقد كان كذلك بالفعل! فهو القلب الأكثر حنانًا وإخلاصًا من أي كلبٍ منذ أن ظهرت جميعها، كان هناك شيءٌ في عينيه البنيتين قريبٌ من الروح أكثر ممّا يمكن أن يقرب العالم النفسي لها. كان الجميع في إنجلترا مغرمًا به، حتى سوزان، على الرغم من أن ميله المؤسف للتسلل إلى الغرفة الاحتياطية والنوم على السرير كان يثير غضبها بشدة.

في عصر هذا اليوم بالذات، لم يكن لدى ريبلا أي خلافٍ مع الظروف الحالية.

سألت وهي تنظر حالمّةً من بعيدٍ إلى السحب الصغيرة الهادئة المعلقة بهدوءٍ فوق وادي قوس المطر: "ألم يكن شهر حزيران ممتعًا كفاية؟ لقد مررنا بأوقاتٍ جميلةٍ وطقسٍ بديع. لقد كان رائعًا بكل تفاصيله!"

قالت الأنسة أوليفر بحسرة: "أنا لا أحب هذه الأجواء ولا حتى

قليلاً، إنه أمرٌ يندر بالسوء بطريقةٍ ما. ولكنها هدية الآلهة، ولا يمكن الحكم فيها إذ يمكن أن تكون نوعاً من التعويض عما يمكن أن يأتي بعد. لقد رأيت هذا الأمر كثيراً الدرجة أنني لا أهتم بسماع الناس يقولون إنهم قضوا وقتاً ممتعاً أو لا. ولكن على الرغم من ذلك، لا يمكن الإنكار بأن حزيران كان مبهجاً".

قالت ريلا: "بالطبع، لم يكن الأمر مثيراً للغاية، الشيء الوحيد المثير الذي حدث في جلين لمدة عامٍ هو إغماء الأنسة ميد في الكنيسة. في بعض الأحيان أتمنى أن يحدث شيءٌ درامي بين الحين والآخر".

"لا تتمني ذلك يا ريلا! فالأشياء الدرامية دائماً ما يكون لها ردة فعلٍ مريرة لشخصٍ ما. يا له من صيفٍ جميلٍ ستحظى به جميع المخلوقات المبهجة! وأنا أفكر بما يمكن أن يحصل في لوبريدج!"

"سوف يُحلّ كل شيءٍ قريباً، أليس كذلك؟ أعتقد أنه سيكون هناك الكثير من المرح هذا الصيف، على الرغم من أنني سأكون على هامش الأشياء كالمعتاد على ما أعتقد. أليس الأمر فظيلاً عندما يفكر الناس أنك فتاةٌ صغيرةٌ بينما لست كذلك؟"

"هناك متسع من الوقت لكي تكبري يا ريلا. إياك أن تتمني بأن يرحل شبابك أو يمر بسرعةٍ كبيرة. عيشي كل فترةٍ بحذافيرها، فعاجلاً أم آجلاً ستدوقين طعم الحياة بحلاوتها ومرّها حتى تكتفين..."

صاحت ريلا ضاحكة: "طعم الحياة! أجل أريد أن أكلها! أريد كل شيء، كل ما يمكن أن تحصل عليه الفتاة. سأكون في الخامسة عشرة من العمر بعد شهر، وبعد ذلك لا يمكن لأحدٍ أن يقول بإنني طفلةٌ بعد الآن. سمعتُ أحدهم يقول ذات مرةٍ إن السنوات من الخامسة عشرة إلى التاسعة عشرة هي أفضل السنوات في حياة الفتاة. سأجعلها رائعةً تماماً، سأملأها بالمرح".

"لا فائدة من التفكير فيما ستفعلينه، فأنت لا تعلمين احتمالية

حدوثه، إن كنت ستفعلينه بالتأكيد أم لا، لذلك لا تفكري لكيلا تُصابي بالإحباط!"
"ولكن أحيانًا يجد الشخص نشوة خاصة بمجرد تفكيره ببعض الأمور!"

كانت ريبلا على وشك البكاء، كان ذلك واضحًا من ثنية ذقنها حيث قطعت كلامها، فقالت الآنسة أوليفر بتساهل: "لا تفكري في شيء سوى المتعة أيها المشاكسة. حسنًا، ما الفوائد التي يعطيها سن الخامسة عشر أيضًا؟ هل لديك أي فكرة عن الذهاب إلى الكلية هذا الخريف؟" "لا، ولا أي خريفٍ آخر. لا أريد ذلك. لم أهتم أبدًا بكل تلك العقائد التي يهتم بها نان ودي. وهناك خمسة منا يذهبون إلى الكلية بالفعل، بالتأكيد هذا يكفي. لا بد أن يكون غيبٍ واحد في كل عائلة، وأنا على استعداد أن أكون ذلك الغيب إن كان بإمكانني أن أكون شخصًا جميلًا وشعبيًا وممتعًا.

فأنا لست ذكيّة جدًّا، ولا أملك أي مواهب على الإطلاق، ولكن أتخيلين مدى الراحة في ذلك؟ فلا أحد يتوقع مني فعل شيء، ولذلك لست مضطرةً لأن أقحم نفسي في أشياء أكره فعلها. كما أنني لا أملك الإمكانية لأكون ربّة منزل، أو طاهيةً أو ما شابه كما تقول سوزان.

أكره تنظيف الغبار والعمل في البيت كل يوم! وعندما لم تستطع أن تعلمني سوزان صنع البسكويت، يأس الجميع منّي تمامًا، لأنه إن كان هناك شخصٌ أستطيع التعلم منه فهي سوزان. وهكذا أنا الفتاة المدللة التي لا جدوى منها في البيت، زنبق الحقل!" ثم اختتمت ريبلا جملتها بقهقهاتٍ أخرى.

"أنتِ صغيرةٌ جدًّا لتسامي من كل تلك الأمور وتتخلي عنها يا ريبلا!!! وخاصةً دراستك".

"حسنًا، فيما يخص هذا الأمر، فأمي سوف تضعني في معهد لتعلم

القراءة الشتاء القادم، سأعمل على تحصيل درجة البكالوريوس.
لحسن الحظ أنني أحب القراءة. أوه! لا تنظري إليّ بحزنٍ شديدٍ هكذا
يا عزيزتي. فأنا هكذا! لا يمكنني أن أكون متيقظةً وجادة، كل شيء يبدو
وردّيًا جدًّا وملوثًا بألوان قوس المطر بالنسبة لي.

في الشهر المقبل سأكون في الخامسة عشر، والعام القادم ستة
عشر، والسنة التي تلي ذلك سبعة عشر. هل يمكن أن يتواجد ما هو
ساحرٌ ومبهجٌ أكثر من ذلك؟"

دندنت جيرترود أوليفر أغنية والتر نصف ضاحكة ونصف جادة:
"راب وود، راب وود، ريبلا ريبلاتي"

3 بهجة القمر



ريلا

، التي ما زالت تضغط على عينيها عندما تنام حتى تبدو دائماً كما لو كانت تضحك في سباتها وتثائب وتمدد وتبتسم لجيرترود أوليفر. كانت الأخيرة قد جاءت من لوبريدج في الليلة السابقة، وكان قد سادت وقتها للرقص في منارة فور ويندز تحت ضوء القمر في الليلة التالية.

ارتجفت الأنسة أوليفر قليلاً قائلة: "اليوم الجديد على الأبواب. ما الذي سيجلبه لنا معه يا ثرى؟ لم تكن الأنسة أوليفر تستقبل الأيام مثل حماسة ريلا قط. لقد عاشت طويلاً بما يكفي لتعلم أن يوماً ما قد يجلب شيئاً مُريعاً لأي إنسان.

قالت ريلا: "أعتقد أن أجمل شيء في الأيام هو عدم توقعها. إنه لأمرٌ ممتع أن تستيقظ على هذا النحو في صباحٍ مشرقٍ رائع! وأتساءل ما هي حزمة المفاجأة التي سيوفرها لنا اليوم. كنت دائماً أحلم أحلام اليقظة لمدة عشر دقائق قبل أن أستيقظ، وأتخيل أكوامًا من الأشياء الرائعة التي قد تحدث قبل حلول الظلام".

وقالت جيرترود: "أمل أن تحدث أشياء غير متوقعة اليوم، أمل أن

ينقل لنا البريد أخبارًا مختلفةً عن العلاقات المضطربة التي بين ألمانيا وفرنسا".

قالت ريبلا بشكلٍ غامض: "أوه، نعم. سيكون الأمر مروعًا إذا لم يكن كذلك، على ما أظن. لكنه لن يهمنا كثيرًا حقًا، أليس كذلك؟ أعتقد أن الحرب يمكن أن تكون مثيرةً للغاية. كما كانت حرب البوير، كما يقولون، لكنني لا أذكر شيئًا عنها بالطبع!

آنسة أوليفر، هل أرتدي ثوبي الأبيض الليلة أم الفستان الأخضر الجديد؟ الفستان الأخضر هو الأجمل بالطبع، ولكنني أخاف تقريبًا من ارتدائه إلى رقصة الشاطئ خشية أن يحدث شيءٌ ما. وهل أسرح شعري على الموضة؟ بطريقةٍ لا يمكن أن تفعلها أيٌّ من الفتيات الأخريات أو تعلم بها. فوجود فتاتين بنفس التسريحة أو الفستان يولد حزازيةً بينهما نوعًا ما..."

"كيف أقنعت والدتك بأن تسمح لك بالذهاب إلى الرقصة؟"

"أوه، لقد أقنعتها والتر. لقد كان يعلم أنني سأكون محطمة القلب إن لم أذهب. إنه أول حفلٍ كبيرٍ لي حقًا يا آنسة أوليفر، لقد استيقظت للتو في الليل لمدة أسبوعٍ أفكر بأن الأمر قد انتهى وفاتني. ولكن عندما رأيت الشمس تشرق هذا الصباح، أردت فقط أن أصرخ فرحًا.

سيكون الأمر فظيعةً إن هطل المطر الليلة. أعتقد أنني سأرتدي الفستان الأخضر وأخاطر به. أريد أن أبدو أطف في أول مرةٍ لي في الحفلة. كذلك فهو أطول من فستاني الأبيض وهذا ما يناسبني أكثر. وسأرتدي حذائي الفضي أيضًا. لقد أرسلته لي السيدة فورد كهديّة في عيد ميلادي الماضي، ولم تتح لي الفرصة مطلقًا لارتدائه بعد، إنهما عزيزين عليّ بالفعل.

أوه، آنسة أوليفر، أمل أن يطلب مني بعض الأولاد الرقص. سأموت من الإهانة إن لم يفعل أحدٌ ذلك، سأهان حقًا!! وعندها سأكون مضطربةً

للجلوس عالقةً بالحائط طوال المساء. بالطبع كارل وجيري لا يستطيعان الرقص لأنهما أبناء القس، وإلا لكنت اعتمدت عليهم لإنقاذي من هذا الموقف المحرج الذي يمكن أن يحدث لي".

"سيكون لديك الكثير من شركاء الرقص، سيأتي جميع الفتيان الذين يعيشون في الملاذ، لذلك فسيكون هناك عددٌ أكبر بكثير من الفتيان مقارنةً بالفتيات".

ضحكت ريلّا: "أنا سعيدةٌ لأنني لست ابنة قس، أنظري إلى فايت المسكينة، غاضبةٌ للغاية لأنها لن تجرؤ على الرقص الليلة. إن أونا لا تهتم بالطبع، فلم تُدعى أبدًا للرقص من قبل.

أتعلمين! قال أحدهم لفايت أنه سيكون هناك تملقٌ في المطبخ لأولئك الذين لا يرقصون، آه، كان يجب أن تشاهدي وجهها حينها. ستجلس هي وجيم على الصخور معظم المساء على ما أظن.

هل تعلمين أننا جميعًا يجب أن نسير حتى ذلك الخور الصغير أسفل منزل الأحلام القديم ثم نبحر إلى المنارة؟ ألن تكون لحظاتٌ وأجواء روحانية؟"

قالت الآنسة أوليفر ساخرة: "عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري لم أكن أتحدث سوى بخط الرسائل المائل وصيغ التفضيل أيضًا.

أعتقد بأن هذه الحفلة سوف تكون ممتعةً للصغار فقط، يبدو أنني سأشعر بالملل. لن يرقص أيٌّ من هؤلاء الأولاد مع امرأةٍ عجوزٍ مثلي. يمكن أن يفعل جيم ووالتر ذلك ولكن من باب الشفقة أو كعملٍ خيري، كوني مقربةً منهما. لذلك لا يمكنك توقع أن أتطلع إليها مع نشوة الطرب الشبابية المؤثرة التي تتحدثين عنها".

"ألم تستمتعي بوقتك في حفلتك الأولى يا آنسة أوليفر؟"

"لا، لقد كان وقتًا مُقيتًا. كنت رثةً وملتزمةً بعائلتي، ولم يطلب مني

أحد الرقص باستثناء صبيّ واحد أكثر رقةً ودلعًا منّي. لقد كان الأمر مُحرّجًا لدرجة أنني كرهته، وحتى هو لم يسألني مرةً أخرى. لم أعش طفولتي في حياتي ياريللا، على الأقل لا أسمىها طفولة، بل خسارةً حزينّةً ومؤلمة. ولهذا السبب أريدك أن تحظي بطفولةٍ رائعةٍ وسعيدة. وآمل أن تكون حفلتك الأولى من الأمور كذكرى ممتعةً لك تذكريها طوال حياتك!"

تهدت ريللا قائلة: "لقد رأيت كابوسًا الليلة الماضية، حلمت بأنني في منتصف الحفلة واقفةً ومرتديّةً ثوب النوم مع خفيّ، استيقظت عندها وكادت أنفاسي أن تُقطع من شهقة الرعب".

قالت الأنسة أوليفر شاردة الذهن: "بالحديث عن الأحلام، لقد رأيت حلمًا غريبًا! لقد كان واحدًا من تلك الرؤى الواضحة التي تراودني أحيانًا، أي ليس خليطًا غامضًا من الأحلام العادية غير المفهومة، بل كان واضحًا وواقعيًا مثل الحياة..."

"ماذا رأيت؟"

"كنت واقفةً هنا في إنجلترا، على شرفةٍ ما، أنظر إلى أسفل على كل حقول جلين التي كانت واضحةً لي. وفجأةً لمحت من مسافةٍ بعيدةٍ موجةً جبارةً غاضبةً تمر عبرهم وتبتلعهم واحدًا تلو الآخر، وبدأت تقترب أكثر فأكثر. في بعض الأحيان، كانت تتحول إلى مجرد سلسلةٍ متتاليةٍ من الموجات الصغيرة مثل تلك التي تنكسر على رمال الشاطئ غرقت جلين كلّها في المياه، ففكرت حينها في الحلم قائلةً لنفسني: "من المؤكد أن الأمواج لن تقترب من إنجلترا، ولكنها اقتربت أكثر فأكثر وبسرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أنني لم أقوى على التحرك أو حتى الصراخ... بدأت تصل عند قدمي تمامًا، وما هي إلا لحظاتي حتى اختفى كل شيء، ولم يتبقى هناك سوى مياهٍ عاصفةٍ ترقد في جلين. حاولت التراجع قدر ما يمكنني، ورأيت حافة ثوبي مبللةً بالدماء، وعندها

استيقظت، كنت أرتجف من ذاك الحلم وجيبي يتصبب عرقًا. لا أحب هذه الأحلام على الإطلاق، لقد كان هناك فآلاً شيئاً فيه. لم أشعر به وكأنه حلمٌ طبيعي، بل "رؤيا"، وهذا النوع يمكن أن يتحقق بطريقة ما". همست ريلا بخوف: "أمل ألا يتفسر حلمك بأن هناك عاصفة آتية من الشرق وسوف تُفسد الحفلة".

ردّت الآنسة أوليفر واضعةً يدها على رأسها: "أفكار المراهقين!! ... لا يا ريلا ريلاتي، لا أعتقد أن هناك أي خطر يُنبئ بحدوث شيء مثل هذا".

كان هناك توترٌ غامضٌ يجول كل قلوب سگان إنجلسايد لعدة أيام. وحدها ريلا، المنغمسة في حياتها الناشئة، لم تشعر بأي شيء على الإطلاق.

كان الدكتور بلايث يتصرف بغموضٍ طوال الوقت والجريدة اليومية بين يديه يقرأها من حينٍ لآخر. وكان جيم ووالتر مهتمين بشدة بالأخبار المستجدة التي تحصل. وسرعان ما بحث جيم عن والتر ليخبره بما سمعه.

"أسمعت يا رفيق؟ أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا. وهذا يعني أنه لا بد لإنجلترا أن تشارك في الحرب أيضًا. وإن فعلت ذلك ... حسنًا، فالصاروخ الذي دائمًا ما تتخيله، سوف نراه قريبًا!"

"لم يكن تخيلًا يا جيم، لقد كان شعورًا داخليًا، أو رؤيا إن أردت أن تسميها ذلك. لقد رأيتَه للحظة بالفعل وهو يحلق ذاك المساء منذ فترة، حسنًا ربما لم يكن متواجدًا بالفعل حينها، ولكنني كما قلت لك، كان نذير شؤم.

هل تعتقد بأن إنجلترا ستشارك؟"

صاح جيم مُرحبًا: "إدًا علينا جميعًا أن نحميها ونساعدنا. لن نترك أمنا القديمة تقاوم بمفردها البحر الشمالي، هل يمكننا ذلك؟"

ولكن أنت لا يمكنك الذهاب، فحمى التيفوئيد يمكن أن تتضاعف لديك، ولا نعلم ما يمكن أن يحصل حينها، يا له من خزي، أليس كذلك؟"

لم يذكر والتر ما إذا كان ذلك خزيًا بالفعل أم لا. واكتفى بجول بنظره بصمتٍ فوق جلين إلى المرفأ الأزرق الداكن خلفه.

وضع جيم يده البنية والقوية والنحيفة والحساسة (يد ابن طبيبٍ جراح، هكذا كما يقول والده) وأخذ يلعب بتجاعيد شعره، ثم تابع بمرح: "نحن أشبال هذه البلاد، يجب أن نقاتل ونهاجم بمخالبنا وأسناننا إن تعلق الأمر بأمنا، يا لها من مغامرةٍ سوف نخوضها!

لكني أفترض أن جراي أو بعض هؤلاء الفرسان القدامى الحذرين سيصلحون الأمور في غضون بعد الساعة الحادية عشر. لأنه سيكون من العار عليهم أن يتركوا فرنسا في وضعٍ صعبٍ كهذا. وإن لم يفعلوا ذلك، فكونوا مستعدين للهرج الذي سيحصل! على أي حال، أظن أن وقت إحياء السهرة قد حان قبل أن يصيبنا شيءٌ ما."

أطلق جيم صفييرًا وهم يتحدثون عن مئات الصواريخ التي تُقذف، في حين أن والتر كان واقفًا لفترةٍ طويلةٍ لا يحرك ساكنًا من مكانه وحاجباه ملتقيان لا يفترقان.

كل هذا جاء مع ظهور سحابةٍ رعديّةٍ سوداءٍ فجائيةٍ. فقبل أيامٍ قليلةٍ لم يكن ليفكر أحدٌ بحدوث مثل هذا الأمر، وكان التفكير فيه منافيًا للعقل.

لا بد من العثور على مخرج ما. فالحرب أمرٌ جهنمي، مروع، بشعٌ وفظيغٌ جدًّا، إنها شائنةٌ لدرجة أنها لا يمكن أن تحدث الآن في القرن العشرين بين الدول المتحضرة بحق.

لقد كان مجرد التفكير في الأمر مُقلقًا، ما جعل والتر كثيرًا بوجود شيءٍ كهذا يهدد جمال الحياة. لم يكن يريد التفكير حتى في ذلك، كان

يريد إخراجه بكل حزم من عقله وأفكاره...

كم كانت جلين القديمة جميلة، في حيويتها في شهر آب، بسلسلة مساكنها القديمة، ومروجها المحروثة وحدائقها الهادئة. كانت السماء الغربية فيها مثل لؤلؤة ذهبية عظيمة. وأسفلها الميناء العاكس لضوء قمر الفجر المنور. كان الهواء مليئًا بالأصوات الرائعة فيها، صفارات روبن النائمة ونسمات رياح رائعة، حزينه، ناعمة تصفر داخل أشجار التويليت، وحفيف شجر الحور يتحدث في همسات رنانة تتراقص عليها أوراقها اللطيفة التي على شكل قلب. وضحكات الفتيات من نوافذ غرفهن الصغيرة استعدادًا لحفلات رقص ليلية أو سهرة بملابس نومهن. كان العالم غارقًا في روعة الصوت واللون. كان كل ما يحتويه هي هذه الأشياء الفرحة الذي قدمها سكاانه له.

خرج والتر من شروده وقال: "على أي حال، لن يتوقع مني أحدُ الذهاب. كما يقول جيم، سوف يؤثر ذلك عليّ بسبب إصابتي بالتيفوئيد".

كانت ريبلا تنحني من نافذة غرفتها مرتدية ملابس الرقص خاصتها. فانزلت زهرة وردية وصفراء اللون من شعرها، ونزلت من فوق العتبة مثل نجمة ذهبية سقطت من السماء. لقد لحقتها لتمسك بها ولكن عبثًا، بيد أن هناك الكثير غيرها لتضعه. فقد كانت الأنسة أوليفر قد نسجت إكليلاً من الزهور لشعر صديقتها الأليفة.

"إن الأجواء هادئة بشكلٍ خلاب، أليس هذا رائعًا؟ سنحظى بليلة مثالية بالتأكيد. أسمعين يا آنسة أوليفر؟ يمكنني سماع تلك الأجراس القديمة في وادي قوس المطر بوضوح تام. لقد ظلوا معلقين هناك لأكثر من عشر سنوات".

ردت الأنسة أوليفر: "تجعلني أجراس الرياح دائمًا أفكر في الموسيقى الجوية والسماوية التي سمعها آدم وحواء وهما في

قالت ريلا بحلم وهي تستعيد ذكرياتها: "اعتدنا أن نحظى بمثل هذا المرح في وادي قوس المطر عندما كنا أطفالاً".

أما الآن، فلم يعد أحدٌ يلعب هناك في وادي قوس المطر، لقد أصبحت أمسيات الصيف فيه شديدة الهدوء. لطالما أحبّ والتر الذهاب إلى هناك والقراءة، حتى جيم وفايث كانا يتواعدان هناك كثيرًا، وجيري ونان يذهبان إلى هناك لمتابعة الخلافات والحجج المستمرة حول مواضيع عميقة، وبدا أنها طريقتهما المفضلة في فتح قلوبهما لبعضهما البعض. وكان لريلا حفرةً صغيرةً خاصة بها هناك، حيث كانت تحب الجلوس فيها وتغرق في أحلامها.

"يجب أن أذهب إلى المطبخ قبل خروجنا وأري نفسي لسوزان. لن تسامحني أبدًا إذا لم أفعل ذلك".

اندفعت ريلا إلى المطبخ، حيث كانت سوزان تنهي لمساتها الأخيرة بارتداء الجوارب الحريرية، وبدت مشعةً بجمالها. كانت ترتدي فستانها الأخضر مع أكاليل الزهور الوردية الصغيرة، وجواربها الحريرية وحذاء كعبٍ فضي. كانت تضع زهورًا ذهبيةً على شعرها ومثلها على حلقتها الكريمية. كانت تبدو رائعة الجمال ويافعةً متوهجةً لدرجة أن ابنة العم صوفيا كراوفورد اضطرت إلى أن تبين إعجابها بها. وهي التي لم يكن ليعجبها أي شيءٍ عابرٍ على الأرض.

كانت ابنة العم صوفيا وسوزان قد اختلفتا، أو تجاهلتا عداهما القديم منذ أن جاءت ابنة العم للعيش في جلين، وكثيرًا ما صادفت صوفيا في المساء وهي تتكلم مع الجيران. لم تكن سوزان ترحب بها دائمًا بحماسٍ لأن صوفيا لم تكن ما يمكن تسميته بالرفيق المرح.

قالت سوزان ذات مرة: "بعض الأحاديث هي زياراتٌ بحدّ ذاتها، وبعضها الآخر يُعد عواقب يا سيدتي العزيزة،" قالتها بطريقة تجعل

المرء بسهولة يستنتج بأنها كانت تقصد ابنة العم صوفيا بكلامها.
كانت ابنة العم صوفيا تملك وجهًا طويلًا شاحبًا لا يخلو من
التجاعيد، وأنفًا حادًا ورقيقًا، وفمًا عريضًا ورفيعًا، ويدان طويلتان
ورفيعتان وشاحبتان أيضًا. بدا كل شيء فيها طويلًا ورقيقًا وشاحبًا.

التفتت إلى ريلا بحزنٍ وسألت: "هل هذا كله شعرك؟"

صاحت ريلا بغرابةٍ من سؤالها: "بالطبع هو كذلك!!!"

تنهدت صوفيا: "آه، حسنًا! قد يكون من الأفضل لك إذا لم يكن
كذلك! فمثل هذا الشعر الكثيف يستمد من قوة صاحبه، لقد سمعت أنه
علامةٌ على الاستهلاك، لكنني آمل ألا يكون الأمر على هذا النحو في
حالتك.

أرجو أن ترقصوا جميعًا الليلة بمرح، حتى أولاد القس على الأرجح
سيرقصون. أرجو ألا تبالغ فتياته إلى حدٍّ كبير.

آه، حسنًا، لم أكن أرقص أبدًا في صباي، فقد كنت أعرف فتاةً
سقطت ميتةً ذات مرةً بينما كانت ترقص ومن وقتها وأنا أبتعد قدر
الإمكان عن ذلك. كيف يمكن لأي شخص أن يرقص بعد أن سمع
شيئًا مثل هذا؟ أنا حقًا لا أستوعب ذلك!!"

سألت ريلا: "ولم ترقص تلك الفتاة مرةً أخرى؟"

"أخبرتكم أنها ماتت، كيف سترقص مرةً أخرى؟؟ يالها من مسكينة،
لقد كانت تُدعى كليرك وهي من بلدة لوبريدج.

لن تخرجي هكذا دون أن تضعي أي شيء على رقبتك أليس
كذلك؟"

احتجت ريلا قائلة: "سوف أشعر بالحرّ هناك بالتأكيد، ولكنني
سأضع الوشاح عليّ ونحن في طريقنا إلى هناك."

قالت ابنة العم صوفيا بفظاظة: "لقد سمعت بحمولة قاربٍ من
الأشخاص الشباب الذين ذهبوا للإبحار في ذلك المرفأ قبل أربعين

عامًا في مثل هذه الليلة، تمامًا مثل هذه الليلة، وكانوا مستائين وغرقوا حتى آخر نفسٍ منهم. أمل ألا يحدث لك شيئًا من هذا القبيل الليلة. هل سبق لك تجربة أي شيءٍ للنمش الذي على وجهك؟ إن ريق لسان الحَمَلِ جيدٌ حقًا لعلاجها".

قالت سوزان مسرعةً للدفاع عن ريبلا: "بالتأكيد! فأنت خير حَكَمٍ للنمش يا ابنة العم صوفيا. فقد كنت مرقطعةً بالنمش أكثر من أي ضفدعٍ عندما كنت صغيرة. أما ريبلا، فلا تؤثر عليها إلا في الصيف، تظهر فصلًا وفصلًا تختفي. ولكن في حالتك، كانت تظل طوال كل الفصول لا تتزحزح من مكانها. كذلك لم يكن لون نمشك أرضيًا وخافيًا مثلها". ثم نظرت إلى شعر ريبلا وأكملت: "وهذه الطريقة في تصفيف شعرك بدأت تتطور. لكنك لن تمشين إلى المرفأ بهذا الحذاء العالي، أليس كذلك؟"

"أوه لا! سترتدي جميعًا أحذيتنا القديمة، وعندما نصل نستبدلها بأحذية السهرة خاصتنا.

المهم، هل أعجبك فستاني يا سوزان؟" تنهدت ابنة العم صوفيا وقالت قبل أن تنطق سوزان بكلمة: "إنه يذكرني بفستانك كنت أرتديه في صباي! كان أخضر اللون مثله ومُزهَرًا أيضًا، وكان متفتحًا من الخصر إلى الحافة. لم ترتدي الأشياء الباهتة من أعلى إلى أخمص القدم التي ترتديها فتيات هذه الأيام. آه، لقد تغيرت الأوقات ولكن ليس للأفضل، وهذا أمرٌ مخيف.

لقد علق حينها بشيءٍ ما أدى إلى إحداث بقعةٍ ممزقةٍ به، وأوقع أحدهم عليّ كوب الشاي عن طريق الخطأ فتلوث كلّه، ودُمِرَ فستاني تمامًا تلك الليلة.

أمل ألا يحدث أيُّ من هذا لفستانك، أنا فقط أتخيله لو كان أطول قليلًا لكان أجمل، فأنت تملكين ساقين طويلتين للغاية".

قالت سوزان بصلافة وهي تنوي ازدرء ابنة العم صوفيا: "سيدتي العزيزة، زوجة الدكتور بلايث لا توافق على ارتداء فتاةٍ بعمرها لملابس الكبار".

لكن ريلا كانت قد شعرت بالإهانة من ذلك، وخرجت من المطبخ بأقصى سرعتها، فمهما كان تفكيرها، لا تزال فتاةً صغيرةً تتحسس من أشياء كهذه.

وقررت ريلا ألا تذهب مرةً أخرى أبدًا لتباهى بنفسها ووعياها أمام سوزان! سوزان التي لديها قناعةٌ خاصةٌ بأن الشخص لا يحصل على الوعي الكامل حتى يبلغ الستين من عمره.

ما كان ينقص سوى كلام صوفيا المروع عن النمش والساقين، هل هذا وقته؟ ليس هذا ما يقهر، إنما انظروا من يتكلم عن الطول والنحافة المبالغ بهما!!! شخصٌ معروفٌ بطوله ونحافته كالعصا مثلها.

لم تعد ريلا تملك تلك الثقة بنفسها بعدما سمعته، وشعرت بأن الكتابة قد حلت على أمسيتها وأفسدتها. ولم تجد نفسها سوى متوترة، وشعرت بأنها تريد الجلوس والبكاء.

ولكن لاحقًا، ارتفعت معنوياتها مرةً أخرى عندما وجدت نفسها واحدةً من ذلك الحشد المبتهج والمتجه نحو سهرة فور ويندز.

وغادر آل بلايث منزلهم في ظل العواء الحزين لكلب الإثنين الذي اضطروا أن يربطوه في الحظيرة خشية أن يكون غير مرحبٍ به في الحفل.

وفي طريقهم، التقوا بعائلة ميريديث في القرية، ومشوا سويًا على طريق المرفأ بينما ينضم لهم آخرون كلما مرّ القليل من الوقت.

تألقت ماري فانس بفستانٍ أزرق من الدانتيل، وخرجت من منزل السيدة كورنيليا، وذهبت حيث تسير ريلا وأوليفر معًا واللتان لم ترحبا بها بحرارة.

لم تكن ريبلا تحب ماري فانس كثيرًا. فلم تنس أبدًا اليوم المهين عندما طاردها ماري عبر القرية بسمك القد المجفف. في الحقيقة، لم تكن ماري فانس مألوفةً تمامًا مع أيٍّ من المجموعات هناك. ومع ذلك، فقد استمتعوا بجلساتها، فقد كانت تمتلك لسانًا لاذعًا يحفز الجميع على الجلوس والاستماع لما يمكن أن تقوله. قال دي بلايث ذات مرة: "لا يمكننا الاستغناء عنها حتى وإن كنا غاضبين منها في بعض الأحيان".

وبالطبع، كل اثنين متجاذبان لبعضهما قليلًا، كانا يقفان سويًا. فسار جيم مع فايث ميريديث، وجيري ميريديث مع نان بلايث. أما والتر فقد كان يقف مع جيم ضمن محادثةٍ سرّيةٍ أثارت حسد ريبلا لجيم لوقوفه بالمكان الذي تريد هي أن تكون فيه.

كان كارل ميريديث يسير مع ميراندا بريور لئثير غيرة جو ميلجراف لا أكثر. إذ عُرف جو بشغفه الشديد تجاه ميراندا، مما منعه من الخجل من الانغماس في جميع المناسبات.

قد يستجمع جو ما يكفي من الشجاعة للتنزه بجانب ميراندا إذا كان الليل مظلمًا، ولكن هنا الآن، وفي هذا الغسق المُضاء بنور القمر، لم يستطع فعل ذلك.

لذلك تباطأ بالمشي ليتأخر عن الموكب ظنًا منه أنه يمكن أن يحظى بها ولا يترك فرصةً لكارل ميريديث.

كانت ميراندا ابنة "المشعر القمري"، لم تكن تتكلم بحديثٍ يخص والدها كثيرًا على العلن، ولكنها لم تكن تتهرب من ذلك أيضًا لكونها مخلوقًا صغيرًا شاحبًا ومحايّدًا، مدمنةً على الضحك العصبي إلى حد ما.

كان لديها شعرٌ أشقر، وعيناها كانتا من الأجرام السماوية الزرقاء الكبيرة، والتي بدت وكأنها قد مرّت بشيءٍ مرعبٍ أثناء صغرها ولم

تستطع التغلب على الأمر بعد. كانت تفضل أن تمشي مع جو بدلاً من كارل، الذي لم تشعر بالانتماء إليه كثيراً مع أنهما يقضيان الكثير من الوقت سوياً. ومع ذلك، كان من دواعي الشرف أيضاً أن يكون هناك صبيٌّ جامعيٌّ بجانبها وهو ابن القس في ذلك الوقت أيضاً.

كان شيرلي بلايث مع أوننا ميريديث وكلاهما كان صامتاً لأن هذه كانت طبيعتهما. كان شيرلي فتىً في السادسة عشرة من عمره، رزينٌ وعاقلاً ومليءٌ بروح الدعابة الهادئة. كان "الصبيّ البنيّ الصغير" لسوزان، بشعره البنيّ وعيناه البنيّتان وبشرته البنية الصافية أيضاً. كان يحب المشي مع أوننا ميريديث لأنها لم تحاول قط أن تجعله يتحدث أو تضايقه بالثرثرة.

كانت أوننا حلوةً وخجولةً كما كانت في أيام وادي قوس المطر، وكانت عيناهما الكبيرتان الزرقاوان حالمةً وحزينة. كان لديها شعورٌ سرّيٌّ مخبئٌ بعنايةٍ تجاه والتر بلايث، لم يشك بها أحدٌ سوى ريلا. تعاطفت ريلا معها قليلاً وكانت تمنى ألا يصدّها والتر. كانت تحب أوننا أكثر من فايث، التي طغى جمالها وجاذبيتها على الفتيات الأخريات، ولم تستمتع ريلا بطغيان جمالها عليها.

لكنها الآن سعيدةٌ للغاية. كان من دواعي سرورها أن تنطلق مع صديقاتها في ذلك الطريق المظلم اللامع المحاط بأشجار التنوب الصغيرة التي تبتّ بلسمها في كل نسمة هواءٍ من حولهم.

كانت مروج غروب الشمس قد اختفت خلف التلال الغربية. وكان أمامهم المرفأ البراق بنور القمر. وأجراس الكنيسة الصغيرة تُقرع فوق المرفأ، وتلاشت ملاحظات الأحلام العالقة في تلك الظلال الأرجوانية القاتمة. وكان الخليج وراءه لا يزال أزرق.

أوه، كان كل شيءٍ مجيداً، الهواء الصافي مع نفحة ملح البحر وبلسم التنوب وضحك الأصدقاء.

أحبت ريلا الحياة كثيرًا، ازدهارها وتألّفها. لقد أحبّت تموج الموسيقى وطنين الحديث المرح، وأرادت أن تمشي إلى الأبد على هذا الطريق المظل المشع.

لقد كانت حفلتها الأولى وستقضي وقتًا رائعًا. لم يكن هناك شيء في العالم يدعو للقلق، ولا حتى النمش والساقين الطويلة، لا شيء سوى خوفٍ صغيرٍ مؤلمٍ وهو ألا يطلب أحدًا الرقص معها.

غير ذلك، كان كل شيء جميلًا ومرضيًا لأن يكون المرء على قيد الحياة، أن يكون في الخامسة عشر من عمره، وأن يكون جميلًا.

سمعت ريلا نفسًا خارجًا عن نشوة الطرب، كان الصوت يخرج من منتصف الطريق إلى حد ما. لقد كان جيم يقص حكايةً لفايث، عن قصة حدثت في حرب البلقان والكل جالسٌ يستمع إليه.

وكان يقول: "فقد الدكتور ساقيه إذ تم تحطيمهما إلى اللب، وترك في الحقل ليموت. ولكنه أبى إلى أن يزحف من رجلٍ إلى آخر، إلى جميع الرجال الجرحى من حوله وهو يبذل كل جهده ليفعل كل ما بوسعه من أجل أن يخفف من معاناتهم ووجعهم، لم يفكر في نفسه أبدًا، كان يربط ضمادةً حول رجل أحد الرجال عندما خرجت روحه منه. وجدوه هناك ولا تزال أيدي الدكتور الميتة تمسك الضمادة بإحكام! وبالفعل توقف نزيف الرجل الآخر، فقد أنقذ الدكتور حياته في آخر ثانيةٍ قبل موته. بطلٌ من الأبطال، أليس كذلك يا فايث؟ أقول لك عندما قرأت هذه القصة..."

وقبل أن يكمل كلامه، التفت وفايث إلى ذاك الصوت ورائهم. كانت الأنسة أوليفر ترتجف بعد سماعها لذلك ودمعت عيناها بالفعل. فضغطت ريلا على يديها بتعاطفٍ لتهدئتها وهي تقول: "كان مروّعًا يا آنسة أوليفر، أليس كذلك؟ لا أعرف لماذا يروي جيم مثل هذه الأشياء الرهيبة في وقتٍ مثل هذا عندما نجتمع من أجل المتعة".

"هل تعتقدين أنه أمرٌ مروّعٌ يا ريليا؟ إنها قصةٌ رائعةٌ وجميلةٌ. فسماع المرء لمثل هذه القصص، تجعل المرء يخجل من الشك دائمًا في الطبيعة البشرية. كان تصرف هذا الرجل شبيهًا بتصرف الإله، ويعطي للإنسانية درسًا في أصل التضحية بالنفس، وليس الانتحار أو أي شيء آخر كما يفعل البعض.

أما بالنسبة للشعريرة، فلا أعرف سببها، الأمسية دافئةٌ بما فيه الكفاية بالتأكيد. ربما يمشي شخصٌ ما فوق البقعة المظلمة من النجوم والتي ستكون قبوري، هذا هو التفسير الذي تقدمه الخرافات القديمة. ولكن على أي حال، سأخرج تلك الأفكار من رأسي في هذه الليلة الجميلة لنستمتع بها.

أتعلمين يا ريليا؟ دائمًا ما أشعر بالسعادة لأنني أعيش في الريف لا سيما في الأوقات الليلية. نحن نعلم سحر الليل الحقيقي هنا كما لا يعرفه سكان المدينة أبدًا.

كل ليلةٍ في الريف هي ليلةٌ جميلة، حتى عواصف الريف أحبها. أحب أن أشهد عاصفةً ليليةً جامحةً على شاطئ الخليج القديم هذا. بالنسبة لي، ليلةٌ كهذه، تكاد تكون الأجمل من بين كل شيء! إنها تخص الشباب وأرض الأحلام، ولكن ذلك الجمال الساحر يخيفني إلى حدٍّ ما".

قالت ريليا: "أشعر وكأنني جزءٌ منها".

"آه نعم، أنت صغيرةٌ بما يكفي لكيلا تخافي من الأشياء المثالية. حسنًا، ها نحن هنا في بيت الأحلام. ولكن لا يبدو الجو مكتظًا هذا الصيف. ألم يأت آل فورد؟"

"السيد والسيدة فورد وبريسيس لم يأتوا. ولكن كينيث أتى، بيد أنه مكث مع أهل والدته في هاربور هيد. ولم يظهر علينا كثيرًا هذا الصيف. إنه أعرج قليلًا، لذا لم يخرج عدة مرات كعادته".

"أعرج؟ ما الذي حدث له؟"

"لقد كسر كاحله خلال لعبة لكرة القدم الخريف الماضي، وعندها أجبره الدكتور على أن يريحها كثيرًا، ولكنه الآن أكثر تحسنًا، ومن المتوقع أن يعود لحالته الطبيعية بعد زمن ليس بطويل. هو لم يأت إلى إنجلترا سوى مرتين فقط."

قالت ماري فانس: "إثيل ريس مجنونةٌ به. لم تكن تشعر بشيءٍ حولها عندما كسر كاحله. وكل ما في الأمر أنه عاد معها ذات مرة إلى المنزل من الكنيسة التي فوق الميناء في آخر ليلة اجتماع للصلاة. ومنذ ذلك الحين وهي تتكلم بالموضوع عن أمورٍ حصلت ولم تحصل، ستجعلك تشعرين بالضجر من الحياة وتكرهينها من كثرة تكرار كلامها لهذا الأمر. وكأن فتىً من تورنتو مثل كين فورد سيفكر في فتاةٍ ريفيةٍ مثل إثيل!"

احمّرت ريبلا، فهي لا يهمها أبدًا إن مشى كينيث فورد مع إثيل إلى منزلها عشرات المرّات!! لا شيء مما يفعله يهمها على الإطلاق، فهو لا يعني شيئًا لها. لقد كان يكبرها بعشرات السنين بكل الأحوال، لقد كان صديقًا فقط مع نان ودي وفايث، ولم يكن ينظر إليها إلا كطفلٍ يضايقه ويستفزه.

كانت هناك علاقة كرهٍ بين ريبلا وإثيل، كلٌ منهما تكره الأخرى! كانت الأخيرة تكرهها منذ أن ضرب والتردان في وادي قوس المطر. ولكن بكل الأحوال، لم يجب اعتبار الأمر بينه وبين إثيل مستحيلًا بسبب أنها ريفية؟

أما بالنسبة لماري فانس، فلم تكن تهتم سوى للثرثرة مهما كان الموضوع، ولم تكن تفكر بشيءٍ سوى بالمجموعة التي يمكن أن تسير معها في طريق العودة إلى البيت.

كان هناك رصيفٌ صغيرٌ على شاطئ المرفأ أسفل منزل الأحلام،

ورسا قاربان هناك. تم جلب أحد القوارب بواسطة جيم بلايث، والآخر بواسطة جو ميلجراف، وكانا أكثر من يعرفان عن القوارب، وبالطبع، بوجود جو، لم يكن هناك ما يدعو للقلق من السماح لميراندا بريور برؤية القوارب. وتسابقا من سيصل إلى الميناء أولاً، وريح قارب جو. بينما كانت المزيد من القوارب تنزل من أول الميناء وعبره من الجانب الغربي.

كانت البهجة تعم الأرجاء. كانت البرج الأبيض الكبير الواقع في فور ويندز يفيض بالضوء، بينما تومض منارته الدوارة في سماء المنطقة. وكانت عائلة مدينة شارلوت أقارب حارس المنارة، فيقضون كل الصيف بجانب أضوائها، وكانوا هم من ينظمون الحفلات ويدعون إليها جميع شباب مناطق فور ويندز وجلين سانت ماري وهاربور هيد. بينما كان قارب جيم يتأرجح أسفل المنارة، خلعت ريلا حذائها القديم بسرعة وارتدت الحذاء الفضيّ دون أن تلفت نظر الأنسة أوليفر لها.

كانت قد سمعت عن غير قصد أن الدرجات التي تؤدي إلى المنارة كانت مليئةً بالشباب، ومضاءةً بالفوانيس الصينية والأجواء كلها ساحرة. وكانت مصممةً على أنها لن تصعد تلك الدرجات في الأحذية الثقيلة التي أصرت والدتها على ارتدائها من أجل المشي على الطريق. كان حذائها الفضي معوجًا بشكلٍ بغيض، ولكن لم يشك أحدٌ في ذلك بينما كانت ريلا تتعثر مبتسمةً على الدرجات، وعيناها الداكنتان اللطيفتان تتوهجان، ولون وجنتيها المستديرتين الكريمتين يزداد حمرة.

وفي اللحظة التي وصلت فيها إلى قمة الدرجات، طلب منها صبيٌّ عبر المرفأ أن ترقص، وما هي إلا ثوانٍ حتى كانا في الجناح الذي تم بناؤه باتجاه البحر من المنارة للرقص. كانت بقعةً مبهجة، مسقوفةً

بأغصان التنوب ومُعلّقًا عليها الفوانيس في كل أنحائها. خلفها كان البحر في وهج يتلألأ، وإلى اليسار القمم المضاءة بنور القمر وجوف الكثبان الرملية، وإلى اليمين الشاطئ الصخري بظلاله الحبرية وخلجانه البلورية. تأرجحت ريلا وشريكها بين الراقصين، واستنشقت نفسًا طويلًا من البهجة التي كانت تشعر بها في قلبها.

يا لها من موسيقى فاتنة، كان نيد بور من جلين الشمالية يعزفها بكمانه، لقد كانت حقًا مثل مزامير سحرية للعصور القديمة التي أجبرت كل من سمعها على الرقص.

وكم هو باردٌ ومنعشٌ هبوب نسيم الخليج. وكم هو أبيض ورائعٌ ضوء القمر الساطع على كل شيء! كانت هذه حياةً ساحرة. شعرت ريلا كما لو أن أجنحةً قد تفتّحت عند قدميها وروحها وهي ترقص...



4

ناقوس الخطر



كان

حفل ريلا الأول بمثابة انتصارٍ لها، أو هكذا بدا في البداية. عَرَضَ عليها الكثير من الشركاء الرقص لدرجة أنها اضطرت إلى تقسيم رقصاتها بينهم. ويبدو أن نعالها الفضية ترقص حقًا من تلقاء نفسها على الرغم من استمرارها في قرص أصابع قدميها وتفرح كعبيها، وهذا ما كان على وشك نزع فرحتها تقريبًا ولكنها لم تعر أي اهتمام له.

لم تكن لتحضر إثيل ريس دون أن تنفث بسمها على ريلا، فأخذت تتكلم معها لمدة عشر دقائق تقريبًا وهي تدمّ فيها لتشعرها بأنها ناقصة، لتجعلها تخرج من جناح الرقص. وقالت لها بابتسامةٍ ساخرة بأن فستانها كان متخلفًا وأنه منفتحٌ من جانبه وهناك بقعةٌ عليه.

فهرعت ريلا بأثسَةً إلى الغرفة في المنارة التي تم تجهيزها لغرفة ملابس السيدات المؤقتة، واكتشفت أن البقعة كانت مجرد مسحةٍ عشبٍ صغيرةٍ فقط، وأن الفجوة كانت صغيرةً جدًا، حتى أنها لم تكن فجوةً بل زر الفستان كان قد فُتح قليلًا.

قامت إيرين هوارد بإغلاقه لها وقدمت لها بعض المجاملات اللطيفة والمادحة، فشعرت ريلا بالإطراء من تعاطفها. كانت إيرين فتاةً

من جلين الشمالية وتبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، ويبدو أنها تحب مجتمع الفتيات الأصغر منها سنًا، قال الأصدقاء الحاقدون لأنها يمكن أن تتغلب عليهم دون منافسة. لكن ريلا رأت أن إيرين رائعة جدًا، وأحببتها لرعايتها واهتمامها بها.

كانت إيرين جميلةً وأنيقة، وكان صوتها ساحرًا، وكانت تقضي كل شتاءٍ في مدينة شارلوت لتأخذ دروسًا في الموسيقى. كان لديها عمّة في مونتريال ترسل لها ثيابًا رائعة لتلبسها، وهذا على ما يبدو ما جعلها تعطي انطباع الأناقة عليها من أول نظرة.

كانت على علاقة حبٍ حزينّة في الماضي، ولكن لم يعرف أحدًا من هو هذا الشخص بالضبط، فالغموض كان من طبيعتها.

اتخذت ريلا مجاملات إيرين كتتويج لها في هذا المساء. وركضت مرهفّة عائدهً إلى الجناح، وتوقفت للحظة في وهج الفوانيس عند المدخل وهي تنظر إلى الراقصين.

كانت تلك اللحظة العابرة قد أعطتها نظرةً خاطفةً على كينيث فورد الذي كان يقف عند الجانب الآخر من الغرفة.

خفق قلب ريلا لمجرد رؤيتها له، أو يمكن أن تكون خفقةً طبيعيةً لعضو القلب ولكنها فكرت بأنها بسبب رؤيته. إذًا بعد كل ما حدث، هو هنا!! لقد فكرت بأنه لن يأتي، حسنًا هذا ليس مهمًا لها، ولكن ... هل يراها؟ هل يمكن أن يلاحظ أيّ شيءٍ يتعلق بها؟ بالطبع لن يسألها أن تشاركه الرقص، لا يمكن أن تأمل ذلك أبدًا. فهو يعتقد بأنها طفلة، وقد كان يناديها "العنكبوت" منذ ثلاثة أسابيع عندما كان يقضي إحدى الأمسيات في إنجلسايد.

كانت حينها، وبسبب ما قاله لها، قد صعدت الطابق العلوي وأجهشت بالبكاء، وشعرت من حينها بأنها تكرهه.

ولكن قلبها خفق مرّةً أخرى عندما رأتها يقترب باتجاهها إلى جانب

الجناح! هل كان قادمًا إليها، لقد كان، أليس كذلك؟ أوه! نعم، لقد كان! كان يبحث عنها، هنا بجانبها وهو يحدق بها بشيء من البريق في عينيه الرماديتين الداكنتين لم تره ريلا فيهما من قبل.

أوه، لقد كان الأمر أكثر من اللازم تقريبًا! في حين أن كل ما حولهما يسير كما كان من قبل، فالراقصون يدورون، والأولاد الذين لم يتمكنوا من الحصول على شركاء كانوا يتسكعون في الجناح، والعشاق يجلسون على الصخور، لا يبدو أن أحدًا يدرك هذا الحدث الرائع!

كان كينيث شابًا طويل القامة، حسن المظهر للغاية، ويتمتع بنعمة معينة من الإهمال في التحمل والبرودة التي، بطريقة ما، جعلت جميع الشباب الآخرين يبدو حادين وغير ملائمين مقارنةً به.

قيل إنه ذكيٌّ بذهول، مع بريق مدينة بعيدة وجامعة كبيرة يرتاد إليها ما جعله أكثر لفتًا للنظر. وكانت سمعته تقول بأنه مدبّر قلوب السيدات إلى حد ما. ربما لأنه يمتلك صوتًا ضاحكًا مخمليًا لا يمكن لأي فتاة أن تسمعه دون أن تشعر بخفقان قلبها. وإن أراد أن يستمع لإحداهن وهي تتكلم، كان ينظر في عينيها وكله آذانًا صاغية، كما لو كانت تقول شيئًا يتوق طوال حياته إلى سماعه.

سأل بنبرة منخفضة: "أوه! من هنا؟ ريلا ريلاتني؟"

أجابت بصوت خجل: "أجل." وتمنت أن ترمي نفسها على رأس صخرة المنارة على الفور أو أن تختفي من عالم السخرية هذا.

كانت ريلا تتلعثم كثيرًا في طفولتها المبكرة، وكانت قد تخلصت من هذه العادة مع الأيام. بيد أنها عندما ترتبك أو تتوتر، فتعود حليلة لعاداتها القديمة.

لم تتلعثم لمدة عام! والآن في هذه اللحظة بالذات، عندما كانت ترغب بشكلٍ خاصٍ في إظهار نضجها وأنها قد تغيرت، تلعثمت كطفلٍ رضيع! كان الأمر مؤلمًا للغاية، شعرت كما لو أن الدموع ستنزف في

عينها. ولم تمض دقيقة، حتى كانت تنتحب، نعم، بل تنهمر أيضًا، تمنّت لو ذهب كينيث بعيدًا، تمنّت لو لم يأت أبدًا. فسدت الحفلة كلها، في لحظةٍ اختفى كل شيءٍ مبهجٍ كانت تعيشه وتحول إلى ترابٍ ورماد.

وكان قد دعاها "ريلا ريلاتي"، وليس "عنكبوت" أو "طفلة" أو "قطة"، كما اعتاد على تسميتها بمجرد أن يلمحها من قبل.

لم تستاء من مناداته باسم والتر المفضل لها، فقد كان يخرج ملحنًا من فمه بشكلٍ جميلٍ جدًّا، لا سيما الياء المتصلة تلك التي تعطي انطباعًا بأنها "خاصته".

كان من الرائع لو لم تخدع نفسها هكذا. لم تجرؤ على النظر كيلا ترى الضحك في عينيه. لذلك نظرت إلى الأسف، كانت رموشها طويلةً للغاية وداكنةً وكثيفةً، بالإضافة إلى الماسكارا التي تضعها والتي أعطتها المزيد من الكثافة المستفزة بشكلٍ رائع! كان التأثير ساحرًا للغاية، وهذا ما أثار بكينيث الذي رأى بأن ريلا بلايث ستكون أجمل فتيات إنجلترا بعد كل شيء. لقد أراد أن يجعلها تنظر إلى الأعلى، لتلتقط تلك النظرة الرزينة المستفهمة في عينيه.

لقد كانت أجمل ما في الحفلة، لم يكن هناك شكٌ في ذلك على الإطلاق.

ماذا قال؟؟؟ لم تكن ريلا لتصدق ما سمعته أبدًا.

"هل تسمحين لي برقصة؟"

أجابت ريلا: "نعم". لقد قالت ذلك بتصميمٍ شرسي على عدم التلعثم لدرجة أنها أفسدت الكلمة إلى حدٍ ما. ثم ذهبت تتلوى بروحها مرةً أخرى.

بدا الأمر جريئًا للغاية، بدت متلهفةً جدًّا كما لو كانت تقفز إليه إلى حدٍ ما! ماذا سيفكر بها؟ أوه، لماذا حدثت مثل هذه الأشياء المروعة

فقط عندما أرادت الفتاة الظهور في أفضل حالاتها؟
جذبها كينيث بين الراقصين وقال: "أعتقد أن كاحلي سيتحمل
رقصة، لن يضره هذا بشيء".

سألت ريبلا: "كيف حال كاحلك؟" أوه، لماذا لا تفكر في شيء آخر
لتقوله؟ كانت تعلم أنه سئم من الاستفسارات حول كاحله. لقد سمعته
يقول ذلك في إنجلسايد، حيث كان يقول لـيدي أنه سيرتدي لافتة على
صدره يعلن فيها للجميع أن كاحله يتحسن و... إلخ.

والآن! ذهبت وسألته هذا السؤال الذي لا معنى له مرة أخرى.
سئم كينيث الاستفسارات حول كاحله. ولكنه لم يُسأل عنه من
شفاهٍ بمثل هذا الانحناء الساحر فوقها. ربما كان هذا هو السبب في أنه
أجاب بصبرٍ شديدٍ إنه يسير على ما يرام ولم يعد يزعجه كثيرًا إذا لم
يمشي أو يقف طويلًا في كل مرة.

"أخبروني أنها ستكون قويةً كما كانت دائمًا في الوقت المناسب،
لكنني سأضطر إلى التوقف عن لعب كرة القدم هذا الخريف".

رقصا سويًا، وعرفت ريبلا أن كل فتاةٍ في الأفق تحسدها على ذلك.
وبعد انتهاء الرقصة، نزلا على درجات السلم الصخري، ووجد
كينيث شقةً صغيرةً للجلوس عليها، فعبرا القناة المضاءة بضوء القمر،
ووصلا إلى الشاطئ الرملي. سارا على الرمال حتى احتج كاحل
كينيث، فجلسا بين الكثبان الرملية.

تحدث كينيث معها بطريقة حديثه إلى نان ودي نفسها، وليس كطفلةٍ
أو شيءٍ آخر. كان الخجل يلتهم جزءًا من ريبلا طوال جلستهما، لم تكن
تفهم سبب هذا الخجل، ولم تستطع التحدث كثيرًا.

فكرت بأنه يعتقد بأنها غبيةٌ بشكلٍ مريعٍ بالطبع، ولكن على الرغم
من ذلك، كان كل شيءٍ رائعًا للغاية... ليلةٌ مقمرةٌ رائعة، والبحر يبرق،
والموجات الصغيرة تتمايل على الرمال، والرياح الباردة والعجيبة ليلاً

تأرجح في العشب القاسي على قمة الكثبان الرملية، والموسيقى التي يصل صوتها خافتًا ولطيفًا عبر القناة.

اقتبس كينيث بهدوءٍ من إحدى قصائد والتر معلقًا على الأجواء: "يدندن القمر المضيء بهجةً لأجل احتفال حورية البحر".

هو وهي معًا فقط! يجلسان في غمرة سكون الصمت والبصر. فقط لو لم يكن حذائهما يؤلمهما! فقط لو كانت ذكيةً كفايةً لتحدث مثل الأنسة أوليفر! لا، ليس كالأنسة أوليفر، بل فقط لو بإمكانها أن تتكلم كما تفعل هي نفسها مع الشباب الآخرين! ولكن الكلمات عجزت عن الخروج، فلم تأذن لها سوى بالاستماع ونطق بعض العبارات المبتذلة والشائعة كتعليقٍ على الكلام بين الحين والآخر.

لكن ربما كانت عيناها الحالمتان وشفتها المنحنية وحلقها النحيل قد تحدثوا عنها ببلاغة.

على أي حال، بدا أن كينيث ليس في عجلةٍ من أمره لاقتراح العودة، وعندما عاد، كان العشاء قيد التقدم. وجد مقعدًا لها بالقرب من نافذة مطبخ المنارة، وجلس على العتبة بجانبها بينما كانت تأكل كعكتها وتشرب العصير.

نظرت ريبلا إلى نفسها، وفكرت كم كان حفلها الأول جميلًا. هي لن تنساه أبدًا!!! رددت الغرفة صدىً للضحك والمزح بين كل الحضور. ومن بينهم عيون شابةٍ جميلةٍ تبرق وتتألق. ومن الجناح الخارجي، دخل صوت الكمان، تبعته الخطوات الإيقاعية للراقصين على الفور. كان هناك اضطرابٌ بسيط بين مجموعةٍ من الفتيان المتجمعين حول الباب، واندفع شابٌ من خلالهم وتوقف عند العتبة، كان الحزن واضحًا عليه إلى حدٍ ما. لقد كان جاك إليوت من أوفر هاربور، طالب طبٍ في جامعة ماكجيل، وهو شابٌ هادئٌ لا يدمن كثيرًا على الأعمال الاجتماعية مثل هذه. وتمت دعوته إلى الحفلة ولكن لم يكن من

المتوقع أن يأتي لأنه اضطر إلى الذهاب إلى مدينة شارلوت في ذلك اليوم على أساس أنه لا يمكنه العودة حتى وقت متأخر. ولكن ها هو ذا، حاملاً في يده ورقة مطوية.

نظرت إليه جيرترود أوليفر من ركنها وارتعشت أوصالها مرة أخرى. لقد استمتعت بالحفل بنفسها، فقد التقت مع أحد المعارف من مدينة شارلوت والذي، لكونه غريباً وأكبر سنًا بكثير من معظم الضيوف، شعر بأنه بعيدٌ عن تلك الأجواء. وكان سعيدًا بالتعامل مع هذه الفتاة الذكية، من يمكنه التحدث عن أفعال العالم والأحداث الخارجية بحماسٍ وحيوية.

وهذا ما أفادها في نسيان بعض هواجسها في ذلك اليوم. ولكنهم الآن عادوا إليها فجأة. فما الأخبار التي جلبها جاك إليوت؟ ومضت سطورًا من قصيدة قديمة غير ممنوعة في ذهنها "كان هناك صوتٌ صاخبٌ في الليل" "اصمت! أصغ!" "صوتٌ عميقٌ يضرب مثل رفع ناقوس..."

لماذا خطرت على بالها هذه العبارات الآن؟ لماذا لم يتكلم جاك إليوت إن كان لديه ما يقوله؟ لماذا وقف هناك فقط وهو يحرق بشكلي مشير للشكوك؟

قالت بنبرة مرتعشة لألان دالي: "اسأله! اسأله." لكن شخصًا آخر سأله بالفعل. خيم الصمت على أرجاء الغرفة كلها. وفي الخارج توقف عازف الكمان للراحة، وكان هناك سكونٌ قاتلٌ أيضًا. سمعوا بعيدًا أنين الخليج المنخفض، أي نذير عاصفة في طريقها إليهم بالفعل. توقفت ضحكات الفتيات عند الصخور، ماتت وكأنها خائفةٌ من الوجود بسبب السكون المفاجئ.

قال جاك إليوت ببطء: "أعلنت إنجلترا الحرب على ألمانيا اليوم. جاءتني الأخبار عبر الأسلاك فور مغادرتي للبلدة".

هتفت جيرترود أوليفر بصوت عالٍ: "فليكن الله بعوننا. حلمي!
حلمي الذي رأيته! الموجة الأولى آتية" ثم نظرت إلى آلان دالي
وحاولت أن تبسم.

فسألت جاك: "هل يمكن أن تكون معركة هر مجدون؟"
أجاب: "أخشى أنها كذلك".

نشأت جوقة من التعجب حولهم، مفاجأة خفيفة واهتماماً خامل في
معظم الأحيان. قلة هم الذين أدركوا أهمية الرسالة، وأقل منهم أدركوا
أنها قد تعني أي شيء بالنسبة لهم أصلاً. لم يمض وقتٌ طويلٌ حتى عاد
الرقص مرةً أخرى وكان أزيز اللذة مرتفعاً أكثر من أي وقتٍ مضى.

تحدثت جيرترود وآلان دالي عن الأخبار بنبرة منخفضة ومضطربة.
أما والتر بلايث فقد شحب وغادر الغرفة، وفي الخارج التقى جيم في
عجلة من أمره ليصعد الدرج الصخري.

"هل سمعت النبأ يا جيم؟"

"نعم، دق ناقوس الخطر. مرحى! كنت أعرف أن إنجلترا لن تترك
فرنسا في موقفٍ محرج. لقد كنت أحاول إقناع الكابتن يوشيا برفع
العلم لكنه يقول بأنه ليس الوقت المناسب حتى شروق الشمس. ويقول
جاك أنهم سوف يدعون المتطوعين غدًا".

قالت ماري فانس بازدرء بينما اندفع جيم بعيداً: "يا لها من ضجة
صُنعت من لا شيء." كانت تجلس مع ميلر دوغلاس على فخ سرطان
البحر الذي لم يكن مجرد مقعدٍ غير رومانسي بل كان غير مريح أيضاً.
لكن ماري وميلر كانا سعداء للغاية بذلك. كان ميلر دوغلاس فتىً
ضحماً قوياً وغير مهذب، وكان يعتقد أن لسان ماري فانس موهوبٌ
بشكلٍ غير مألوف وأن عيون ماري فانس البيضاء كانت النجوم من
الدرجة الأولى، ولم يكن لدى أيٍّ منهما أدنى فكرة عن سبب رغبة جيم
بلايث في رفع علم المنارة.

"ما الذي يهم إن كان هناك حربٌ في أوروبا؟ أنا متأكدةٌ من أننا لسنا معنيين في الأمر".

نظر إليها والتر وقد شعر بأحد أفكاره الغريبة التي تنبئه وقال: "قبل أن تنتهي هذه الحرب" وتمتم شيئاً من بين شفثيه ثم أكمل: "سيشعر بها كل رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ في كندا، ستشعرين بها يا ماري، سوف تلمسك في صميم قلبك. ستبكين دماً مما يمكن أن يحصل. سوف يدق ناقوس الخطر، وسيطال كل شيء، كل زاويةٍ من العالم سوف تسمعين نغمته الفظيعة. ستمر سنواتٌ قبل أن تنتهي رقصة الموت هذه! سنواتٌ يا ماري. وفي تلك السنوات ستتحطم ملايين القلوب".

"تخيل الآن!" قالت ماري عبارتها التي كانت تقولها دائماً عندما لا تستطيع التفكير في أي شيءٍ آخر لتقوله.

لم تكن تعرف ما يعنيه والتر ولكنها شعرت بعدم الارتياح. كان والتر بلايث يقول دائماً أشياء غريبة. ذلك الناقوس!! لم تسمع أي شيءٍ عنه منذ أيام اللعب في وادي قوس المطر، والآن ها هو يظهر مرّةً أخرى، هي لم ترتح لذلك، ولكن هذا كل ما في الأمر برأيها.

سأل هارفي كراوفورد عند لحظة وصوله: "ألا تبالغ في الأمر قليلاً يا والتر؟ هذه الحرب لن تستمر لسنوات، ستنتهي في غضون شهرٍ أو اثنين. ستمحو إنجلترا ألمانيا من الخريطة في وقتٍ قصيرٍ للغاية".

قال والتر بثقة: "وهل تعتقد أن الحرب التي كانت ألمانيا تستعد لها منذ عشرين عاماً ستنتهي في غضون أسابيع قليلة؟ هذا ليس صراعاً تافهاً في زاوية البلقان يا هارفي، إنه صراع الموت!!! تأتي ألمانيا لتغزو أو تموت. وهل تعرف ماذا سيحدث إذا انتصرت؟ ستكون كندا مستعمرةً ألمانية".

قال هارفي وهو يهز كتفيه: "حسناً، أعتقد أن بعض الأشياء ستحدث قبل ذلك. فمثلاً يجب أن تُمحي البحرية البريطانية، ومن ناحيةٍ أخرى،

ميلر هنا، وأنا أيضًا، ننظف الغبار بعد ذلك، أليس كذلك يا ميلر؟ لا يحتاج الألمان إلى التقدم بطلب للحصول على هذا البلد القديم، أليس كذلك؟"

ثم ركض على الدرج ضاحكًا.

قالت ماري فانس باشمئزاز: "أقول! إن جميع الأولاد هنا يتحدثون بأشياء جنونية،" ثم نهضت وسحبت ميلر إلى الشاطئ الصخري. فلم يحدث في كثير من الأحيان أن يتوفر لديهما فرصة للحديث معًا، كانت ماري مصممة على أن هذا الشخص لا ينبغي أن يُفسد من قبل الثروة السخيفة التي قالها والتر بلايث عن النواقيس والألمان ومثل هذه الأشياء السخيفة. وذهب الجميع، وظل والتر واقفًا بمفرده على الصخرة، ينظر إلى جمال فور ويندز بعيون متقلبة لم تكن قد شكلتها نظرات كهذه من قبل.

كان أفضل ما في الأمسية قد انتهى بالنسبة لريلا أيضًا. منذ إعلان جاك إليوت، شعرت أن كينيث لم يعد يفكر فيها. شعرت فجأة بالوحدة والحزن. كان الأمر أسوأ مما لو لم يكن قد لاحظها على الإطلاق. هل هكذا تكون الحياة؟ شيء مبهج يحدث وبعد ذلك، كما كنت تستمتع به، يتبخر ويتعد عنك؟

أخبرت ريلا نفسها بشكلٍ مأساويٍّ بأنها شعرت بأنها أكبر سنًا مما كانت عليه عندما غادرت المنزل في ذلك المساء. ربما فعلت، ربما كانت كذلك بالفعل، من يعلم؟

لا ينبغي أن يضحك المرء على آلام الشباب. إنهم فظيعون للغاية لأن الشباب لم يتعلموا بعد أن "هذا أيضًا سيموت." تنهدت ريلا وتمنت لو كانت في المنزل، فوق فراشها، وتبكي على وسادتها.

جاء صوت كينيث: "هل تشعرين بالتعب؟"

كانت نبرة لطفٍ خارجةٍ منه ولكنه يبدو شاردًا. أوه، شاردًا جدًّا.

اعتقدت أنه لم يهتم كثيرًا بما إذا كانت متعبةً بالفعل أم لا.
غامرت بسؤالها بخجل: "كينيث! أنت لا تعتقد أن هذه الحرب
ستهم كندا كثيرًا، أليس كذلك؟"

"بلى! بالطبع ستهمها، فدول الحلفاء دائمًا ما تقف داعمةً بعضها
البعض! وكل شخصٍ محظوظٍ سيشارك فيها! ولكن للأسف لن
يمكنني بسبب كاحلي، أرى ذلك حطًا سيئًا."

صاحت ريلا: "لا أفهم لماذا يجب أن نخوض معارك إنجلترا! إنها
قادرةٌ تمامًا على محاربتهم بنفسها."

"ليس هذا هو الهدف. نحن جزءٌ من الإمبراطورية البريطانية، إنها
قضيةٌ عائلية. علينا أن نقف إلى جانب بعضنا البعض. ولكن أسوأ ما في
الأمر، أنها ستنتهي قبل أن أقدم أي خدمة."

سألت ريلا بدهشة: "هل هذا يعني أنك كنت ستطوع للذهاب لولا
كاحلك؟"

"بالطبع كنت سأفعل ذلك! فالشباب يذهبون بالآلاف للوقوف
بجانب بلدهم، جيم سوف يذهب بالتأكيد، أراهن على ذلك. أعتقد أن
والتر لن يقدر على التحمل بما يكفي بسبب التيفوئيد. وجيري ميريديث
سيذهب أيضًا بالتأكيد! كلهم يفكرون بالذهاب، وأنا كل ما كان يقلقني
هو خروجي من كرة القدم هذا العام!"

رُبط لسان ريلا من الدهول، لم تستطع أن تعلق بحرفٍ على ما
سمعتة! جيم وجيري؟؟ هراء! بالتأكيد لن يسمح السيد والسيدة
ميريديث بذلك، ولا حتى والداها. فهما لم يرتادا الجامعة بعد! أوه، يا
ليت جاك إليوت احتفظ بأخباره المروعة لنفسه!!!

جاء مارك وارين ليطلب من ريلا أن ترقص معه، وافقت ريلا وهي
تعلم أن كينيث لن يهتم إذا كانت ستذهب أو تبقى.

قبل ساعةٍ على الشاطئ الرملي كان ينظر إليها كما لو كانت الكائن

الوحيد الذي له أهمية في العالم. أما الآن، فلم تكن أحد. كان كل ما يشغل تفكيره هذه اللعبة العظيمة التي كان من المقرر خوضها في حقولٍ ملطخةٍ بالدماء، مع إمبراطورياتٍ مقسمةٍ إلى عدّة أطراف! لعبةٌ لا يمكن أن يكون للمرأة دورًا فيها.

كانت ريبلا تفكر بائسةً بما يحصل، فما يمكن للمرأة أن تفعل بهذه الحالة سوى الجلوس في المنزل والبكاء؟ ولكن كل هذا حماقةً فقط! فكيف يمكن لن يستطع الذهاب، هو اعترف بحد ذاته! والحمد لله أن والتر لن يتمكن أيضًا. ولا بد أن يكون جيم وجيري أكثر منطقية!! حسنًا إدا، لن تقلق ما دام الأمر هكذا، سوف تحاول أن تستمتع بوقتها فقط.

ولكن ما هذا الإحراج في الرقص مع مارك وارين؟ لم يخط خطوةً بمكانها، بحق السماء!! لم يطلب شابّ الرقص في حين أنه لا يعرف ذلك؟ أو أن أقدامه التي كالقوارب لا تعينه على ذلك!! لم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل صدمها بشخصٍ ما خلال الرقصة! لن ترقص معه مرةً أخرى في حياتها أبدًا.

رقصت مع آخرين، على الرغم من أن الحماس قد خرج من الأداء، وبدأت تدرك أن حذائها يؤذيها بشدة.

يبدو أن كينيث قد رحل، على الأقل لم يكن هناك شيءٌ مزعجٌ يمكن رؤيته منه. لقد كانت حفلتها الأولى فاسدةً بنظرها، رغم أنها كانت تبدو جميلةً من وقتٍ لآخر! شعرت بألمٍ ينخر رأسها، ولم تعد تشعر بأصابع قدميها. والأسوأ من ذلك لم يأت بعد.

فقد نزلت مع بعض الأصدقاء في الخارج إلى شاطئ الروك حيث ظلوا جميعًا يرقصون بعد أن استمر الرقص فوقهم في المنارة. كان الجو رائعًا وممتعًا وكان التعب ظاهرًا عليهم. ثم جلست ريبلا بسكون، لم تقوى حتى على المشاركة في الأحاديث والأفعال المبهجة التي حولها. كانت سعيدةً عندما نادى أحدهم بأن القوارب فوق المرفأ

كانت تغادر، إذ أحست بالفعل بأنها ترغب في العودة للمنزل. تبع ذلك صخب ضحكاتٍ فوق صخرة المنارة. لا يزال عددٌ قليل من العشاق يتجولون في الجناح، ولكن الحشد خف. بحثت ريبلا عن مجموعة جلين لتذهب معهم، ولكنها لم تستطع رؤية أحدٍ منهم.

ركضت إلى المنارة، نفس الأمر، لا يوجد أثرٌ لأحدهم على الإطلاق. ركضت في فزعٍ إلى الدرج الصخري، حيث كان الضيوف الذين عبروا المرفأ يسارعون إليه. استطاعت أن ترى القوارب أدناه، ولكن أين قاربا جيم وجو؟؟

"أوه ريبلا بلايث! اعتقدت أنك عدت إلى المنزل منذ فترةٍ طويلة،" قالت ماري فانس التي كانت تلوح بوشاحها في قاربٍ يبحر فوق القناة، بقيادة ميلر دوغلاس.

لهت ريبلا بخوف: "أين البقية؟"

"لقد رحلوا! ذهب جيم منذ ساعةٍ إذ كانت أونا تعاني من صداع. وذهب الباقي مع جو منذ حوالي خمسة عشر دقيقة. انظري إنهم يتجولون في بيرش بوينت هناك. لم أذهب لأن الأمر سيكون صعبًا عليّ، وعرفت أنني سأصاب بدوار البحر.

لا أمانع في العودة إلى المنزل من هنا، مسافة ميلٍ ونصف فقط. ولكنني اعتقدت بأنك ذهبت معهم، أين كنت؟"

قالت بحزن: "أوه، ولماذا لم يبحثوا عني؟"

"لقد فعلوا ذلك، لكنهم لم يعثروا عليك. ثم خلصوا إلى أنه لا بد من أنك ذهبت في القارب الآخر. لا تقلقي! يمكنك البقاء طوال الليل معي، وسنقوم بالاتصال هاتفياً إلى إنجلترا حيث تعيشين لنطمئنهم."

أدركت ريبلا أنه ليس باليد حيلة! ارتجفت شفتاها وتغلغلت الدموع في عينيها. رمشت عينيها بوحشيةٍ لتخفيهم، فلم تكن لتسمح لماري فانس برؤيتها وهي تبكي. ولكن أن يتم نسيانها هكذا! أن تشعر بأن

أحدًا لم يهتم حتى من التأكد من مكانها، ولا حتى والتر!! وعلى غفلة، بدأت الذكريات الحزينة تراودها.

ثم صاحت فجأة: "حذائي!! لقد تركته في القارب".

قالت ماري: "حسنًا من يفعل ذلك!! أنت أكثر فتاة طائشة رأيتها في حياتي. سيكون عليك استعارة زوج من الأحذية من هازيل لويسون الآن".

بكت ريلا، التي لم تحب تلك المسماة هازيل أبدًا: "لن أفعل أبدًا! أفضل أن أمشي حافية القدمين".

هزت ماري كتفيها بلا اهتمام: "هذا شأنك! فالكرامة تولد الألم أحيانًا. ولكنه سيعلمك أن تكونين أكثر حرصًا. على كل حال، دعينا نتنزه قليلاً".

وهكذا، أخذت الفتاتان تتنزهان باتجاه طريق المرفأ. ولكن التنزه على ممرٍ مليءٍ بالحصى مرتديًا حذاءً هشا بكعبٍ فرنسيٍّ عالٍ ليس بالفكرة اللائقة، فظلت ريلا تعرج وتترنح حتى وصلتنا بخيرٍ إلى طريق المرفأ. ولكنها لم تكن قادرةً على أن تتحمل خطوةً واحدةً إضافيةً بذلك الكعب البغيض، فتوقفت قليلاً، وخلعته هو وجواربها الحريرية، وحملته بيدها واستمرت حافية القدمين.

لم يكن ذلك مريحًا أيضًا، فكانت قدماها طريتين، وقد تأذيا إذ كانت تشعر بكل وخيزٍ لحصى أو شقٍ على الطريق.

كانت كعبها المقترح يلذعها بشدة، ولكن الألم الجسدي لم يكن شيئًا أمام لدغة الإذلال التي شعرت بها آنذاك! فقط لو يراها كينيث فورد في حالتها هذه، وهي تعرج مثل فتاةٍ صغيرةٍ وقدماها تعانيان من الكدمات الحجرية! لكانت ورطةً حلوة!

أوه، يا لها من طريقةٍ مروعةٍ انتهت بها حفلتها الجميلة! لم تكن تريد إلا أن تنفجر بالبكاء، أوه! يا لهذا الموقف العسير المريع الذي وضعت

نفسها فيه.

لم يهتم بها أحد، لم يزعج أحدٌ نفسه حتى في السؤال عنها على الإطلاق. حسناً، إذا أصيبت بالبرد من المشي إلى المنزل حافية القدمين على طريق الندى الرطب وذهبت وتدهورت ومرضت، فربما يصبحون أسفين حينها ويشعرون بالذنب لتركها هكذا.

كانت تمسح دموعها خفيةً بوشاحها، إذ يبدو أن مناديلها قد اختفت مثل الأحذية! كانت بالكاد تستطيع التنفس من شهقات بكائها المتتالية، والتي بدت تغدو أسوأ دون توقف!

قالت ماري: "يبدو أنك أصبت بنزلة برد! بالطبع هذا ما سيحصل عندما تجلسين على تلك الصخور في مهب الريح! لن تسمح لك والدتك بالذهاب إلى أي حفلةٍ أخرى عندما ستراك هكذا، أقول لك لتحضري نفسك للأمر مسبقاً.

ولكن يا لها من حفلة! إن آل لويسون يعرفون تمامًا كيف ينظمونها ويحيونها! على الرغم من أن هازيل لويسون لا تعجبني كثيرًا. آه! فقط لو ترين وجهها القاتم عندما رأتك ترقصين مع كينيث فورد، كذلك تلك الوقحة إثيل ريس، آه! يا لها من حركات غزلٍ لديه!

قالت ريبلا وهي تتغلب على شهقتين من الظهور: "لا أعتقد أنه مغازل".

قالت ماري بسماحة: "ستعرفين المزيد عن الرجال عندما تكونين في عمري. ضعي في اعتبارك دائمًا أن تصديق كل ما يخبرونك به الرجال ليس مفيدًا لك بشيء. لا تدعي كين فورد يعتقد أن كل ما عليه فعله ليحصل عليك هو نظرة أو اهتمامٍ صغيرٍ منه فقط. يجب أن تمتلكي حيويةً وتكوني صعبة المنال أكثر أيها الطفلة".

أن يتم مواساتك ورعايتك من قبل غطرسة ماري فانس على هذا النحو كان أمرًا لا يُحتمل! وكان المشي على طريقٍ صخريةٍ بكعبٍ

متفرح وأقدام حافية لا يطاق! وكان البكاء بلا منديل دون أن يمكنك التوقف عنه يجعل المرء مبغضًا لحياته!

كانت ريلا تبكي بقهرٍ من قلبها: "أنا لا أهتم" (وتشهى شهقة) "بأمر" (وشهقةٌ أخرى) "كينيث" (وشهقة) "فورد" (وشهقتين) "على الإطلاق".

"لا داعي لأن تفقدي أعصابك هكذا يا فتاة! يجب أن تعتادي على أخذ نصيحة من هم أكبر منك سنًا. لقد رأيتك وأنت تذهبين معه وتجلسان بين الكثبان الرملية على الشاطئ، إن عرفت والدتك بذلك، فلن يُعجبها الأمر بتاتًا".

ردت ريلا بين شهقاتها: "سأخبر أُمي ... بكل ... شيء ... والآنسة أوليفر ... ووالتر أيضًا. ثم استجمعت قواها وقالت: "ماذا عنك؟ لقد جلست لساعاتٍ مع ميلر دوغلاس في فحّ سرطان البحر يا ماري فانس، ماذا سيكون رأي السيدة إليوت إن عرفت بالأمر؟"

قالت ماري وهي تبتعد عن حفرة كادت أن تقع بسببها: "أوه، لن أجادلك في هذا الموضوع أبدًا. ولكن كل ما أعنيه هو أنك ما زلت صغيرةً قليلًا على هذه الأفعال".

تخلت ريلا عن محاولتها إخفاء حقيقة أنها كانت تبكي. كل شيء كان فاسدًا في تلك الحفلة، حتى تلك الساعة الجميلة والحالمة والرومانسية المقمرة مع كينيث على الرمال كانت مبتدلةً ورخيصة، وأبغضت ماري فانس أكثر بعد كلامها.

صرخت ماري في حيرة: "ما الأمر؟؟؟ ما الذي يبكيك هكذا؟" أجابت ريلا باكيةً وهي تتشبث بأخر كرامتها: "قدماي! إنهما تؤلمانني للغاية".

كان الاعتراف بالبكاء بسبب قدميها أقل إهانةً من كل ما تعرضت له، من شخصٍ ما كان يسلي نفسه معها، وأنساها أصدقاءها، وجعل

آخرين مثل ماري تقوم برعايتها!

قالت ماري بلطفٍ على غير العادة: "أستطيع أن أرى ذلك بالفعل! ولكن لا عليك! أعرف أين يوجد قدر من دهن الإوز في مخزن كورنيليا، وهو يتفوق على جميع الكريزمات الفاخرة في العالم. سأضع بعضًا منها على كعبيك قبل أن تذهبين إلى الفراش".

دهن الإوز؟ إذاً هل هذا ما انتهت به حفلتك الأولى يا ريليا! هل هذا ما انتهت به أول ليلةٍ مقمرةٍ رومنسيةٍ وأول سهرةٍ وأول قصةٍ حبٍ وأول عاشقٍ!!!

توقفت ريليا عن البكاء، فقد تخلت عن بكائها باشمئزازٍ من كل ما قد حصل معها وبدون جدوى! ولم تصدق أن وصلت إلى البيت حتى ذهبت للنوم على سرير ماري، دافئةً وجهها بيأسٍ في بطانيتهما. في الخارج، حلّ الفجر محملاً على أكفّ عاصفةٍ رمادية! كان الكابتن جوزاي وفيًا لكلمته، وذهب راکضًا حيث العلم البريطاني عند منارة فور ويندز، متحديًا العاصفة الوحشية بكل شجاعةٍ مثل منارةٍ عنيدةٍ لا تنطفئ مهما كلف الأمر.

5

"صوت الرحيل"



ركضت

ريلا عبر بستان القيقب المضاء بنور الشمس المجيد خلف إنجلسايد، إلى ركنها المفضل في وادي قوس المطر. جلست على حجرٍ من الطحالب الخضراء بين أوراق السرخس، ووضعت ذقنها على يديها وحدقت بشكلٍ غير مرئي في السماء الزرقاء المبهرة بعد ظهر شهر آب، كانت سماء زرقاء جدًّا، هادئةً جدًّا، غير متلبدة، تمامًا كما كانت تتقوس فوق الوادي في أيام أواخر الصيف بقدر ما تذكر.

لقد أرادت أن تنفرد بوحدها، لتصفى رأسها من الأفكار، وترى ما إن كانت قادرةً على التكيف مع عالمها الجديد الذي انتقلت إليه على حين غرة، مما أثار حيرتها في تحديد هويتها وشخصيتها.

هل يمكن أن تكون ريلا بلايث نفسها التي كانت ترقص قبل ستة أيام فقط في منارة فور ويندز؟

بدا لريلا أنها عاشت في تلك الأيام الستة بقدر ما عاشت طوال حياتها السابقة، وعلى وجه الدقة، يبدو أن الوقت الذي تقضيه ريلا في نموها يجب أن يُحتسب من خلال خفقان القلب الذي قد تتعرض له،

وليس الأيام والأشهر.

تلك الليلة التي قضتها، بأملها ومخاوفها وانتصاراتها وإذلالها، بدت الآن وكأنها تاريخًا قديمًا لها. هل يمكن أن تبكي حقًا لمجرد أنه قد تم نسيانها واضطرت إلى العودة إلى المنزل مع ماري فانس؟ آه، فكرت ريبلا بحزن، فمثل هذا السبب جعلها تبكي دما قبل ستة أيام، كيف بدا لها الآن تافهاً وعبثياً!!

يمكنها أن تبكي الآن بحسن نية بإرادتها، ولكنها لن تفعل، لا يجب أن تبكي أبدًا. فقد كانت تفكر بكلام والدتها، حيث كانت تنظر بشفتيها البيضاء وعينيها المنكوبة، كما لم تر والدتها من قبل وقالت:

"وراء كل رجلٍ عظيم ... امرأة؟"

أجل! هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر، يجب أن تتحلى بالشجاعة، والصلابة، مثل أمها ونان وفايث التي صاحت بعيون وامضة: "يا ليتني كنت رجلاً، لأذهب وأتطوع معكم!"

فقط عندما تتألم عيناها، ويحترق حلقها هكذا، ويضيق صدرها، تذهب لتنفرد في وادي قوس المطر لبعضي من الوقت، فقط لتفكر في جلّ الأمور التي حدثت، وتذكر نفسها بأنها لم تعد طفلة، لقد كبرت الآن وأصبحت امرأة، وللنساء الكثير من الأمور لمواجهةها.

لكن كان من المُرِيع أن تتعد بمفردها بين الحين والآخر، حيث لا يمكن لأحد رؤيتها، وحيث تحتاج أن تشعر بأن الناس لا يعتقدون بأنها جبانة لمجرد تسرب بعض الدموع منها رغماً عنها.

كم هي حلوة رائحة السرخس من حولها كرائحة الخشب الطازج! كم هي رخوة أغصان التنوب الريشية الشاهقة التي تلوح لها وتغمغم عليها! وكم هي رنانة أجراس شجرة العشاق التي تدندن بين حين وآخر متأثرةً بالنسيم! وكم كان ضباباً أرجوانياً متملصاً من حيث كان البخور يُقدم من هياكل التلال! وكم كانت أوراق القيقب البيضاء تتطاير في

مهيب الريح حتى بدا البستان مغطاً بأزهارٍ شاحبة!

كان كل شيءٍ تمامًا كما رأيته مئات المرات من قبل، ومع ذلك، بدا أن وجه العالم كله قد تغير بالنسبة لها.

وأخذت تفكر في سرّها: "كم كنت خبيثةً في تمنّي حدوث شيءٍ درامي من قبل. آه، لو كان بإمكاننا فقط استعادة تلك الأيام العزيزة والرتيبة والممتعة! لن أتدمر منها أبدًا مرةً أخرى".

انهار عالم ريلا في اليوم التالي للحفل. وبينما كانوا يجلسون على مائدة العشاء في إنجلترا، يتحدثون عن الحرب، رنّ الهاتف. كانت مكالمةً بعيدة من مدينة شارلوت لجيم. عندما انتهى من الكلام، أغلق السماعة، واستدار بوجهٍ متورد وعيون متوهجة. وقبل أن ينطق بكلمة واحدة، شحبت والدته ونان ودي. أما ريلا، فلأول مرة في حياتها شعرت بأن كل شخصٍ هنا يمكنه سماع دقات قلبها وأن شيئًا ما قد قبض بإحكامٍ على حلقتها.

قال جيم: "إنهم يطالبون بالمتطوعين في المدينة يا أبي، انضم العشرات بالفعل. أنا ذاهبٌ الليلة للتجنيد".

صاحت السيدة بلايث بانكسار: "أو يا جيم الصغير!! لا، لا!! ليس جيم الصغير." لم تكن قد نادته بهذا الاسم لسنواتٍ عديدة، منذ اليوم الذي عصاها فيه مرة.

قال جيم: "لا بد لي أن أذهب يا أمي. أنا على حق، أليس كذلك يا أبي؟"

قام الدكتور بلايث، كان شاحبًا جدًا أيضًا، وكان صوته أجشّ فيه بحّة وغمّة. ولكنه لم يتردد وقال: "أجل يا جيم، أجل! إن كنت تشعر بأن هذا ما يجب أن تفعله، فعليك فعله..."

غطت السيّد بلايث وجهها حزناً، حدّق والتر بشروء في صحنه، أمسك نان ودي أيدي بعضهما البعض بقوة، حاول شيرلي أن يبدو

مطمئنًا ولا يبالي ... حتى سوزان، جلست وكأنها مشلولة لا تقدر على الحراك، لم تستطع إكمال نصف فطيرتها التي تركتها في الطبق، وهي مثالٌ للمرأة التي تعارض أن يُبقي شخصٌ بقايا الطعام في صحنه، تعتبرها جريمةً بحق المجتمع الذي نعيشه، إما أن يأكله كله، أو لا يأكل أبدًا.

التفت جيم إلى الهاتف مجددًا لاستخدامه وقال: "لا بد لي أن أكلم القس، فقد كان جيرري يريد الذهاب أيضًا".
صاحت نان كما لو أن سكينًا قد عُرسَتْ بها "لا!!!"، وخرجت مسرعةً من الغرفة، وتبعها دي.

لجأت ريلا إلى والتر من أجل أن يريحها قليلًا، لكن والتر كان قد فقد تلك الراحة في بعض رؤياه وأحلامه التي لم يستطع مشاركتها.
كان جيم يقول وقتها في الهاتف وكأنه يخطط لنزهة ما وليس للتطوع: "حسنًا،" اعتقدت أنك ستقابلني ... نعم، الليلة ... الساعة السابعة، في المحطة. حسنًا ... أراك هناك".

قالت سوزان: "سيدي العزيزة، أتمنى أن توقظيني، هل أنا في حلمٍ أو حقيقة؟ هل يدرك ذلك الفتى المبارك ما يقوله؟ هل يقصد أنه سيتجند كجندي؟ أنت لا تقصدين أن تخبريني بأنهم يريدون أطفالًا مثله ليجندوهم أليس كذلك؟ هذه إساءة!! بالتأكيد لن تسمح لي له أنت والدكتور بفعل ذلك!"

قالت السيدة بلايث مع غصّة قهرٍ في نبرتها: "لا يمكننا منعه ... أو يا جيلبرت!"

جاء الدكتور بلايث من خلف زوجته وأخذ يدها بلطف، ناظرًا إلى عينيها الرمادية اللطيفة التي لم يرها إلا مرةً واحدةً من قبل مليئةً بالكرب الشديد كما هو الحال الآن. فكلاهما يفكر في ذلك الوقت الماضي، في اليوم الذي مضى في بيت الأحلام عندما ماتت جويس الصغيرة.

"هل ستجعلينه يبقى يا آن؟ في حين أن الآخرون يذهبون، هل سنجعله أنانيًا للغاية وذو نفسٍ دنيةٍ بينما يعتقد أن من واجبه فعل ذلك؟" "لا، لا! ولكن ... آه ... ابنا البكر!! إنه مجرد فتى يا جيلبرت، سأحاول أن أتمسك بصبري بعد فترة، ولكنني الآن لا أستطيع. لقد وقع كل ذلك فجأةً فوق رأسي، أحتاج الوقت لأتقبل ما يحدث".

خرج الدكتور وزوجته من الغرفة. ذهب جيم، وذهب والتر ونهض شيرلي ليذهب أيضًا. ظلت ريلا وسوزان تحدقان ببعضهما عبر الطاولة المهجورة. لم تكن ريلا قد بكت بعد، لقد كانت صدمة لها لدرجة أنها لم تبك. ثم رأت الدموع تُذرف على خدي سوزان، سوزان التي لم ترها تذرف دموعًا واحدةً من قبل.

سألته بـ "هل سيذهب حقًا يا سوزان؟"

قالت سوزان وهي تمسح دموعها، وتبتلع لقمتهما غضبًا عنها: "إنه ... إنه ... إنه لأمرٌ سخيفٌ يحدث فقط!! أنا سأذهب لأغسل الأطباق. يجب أن يتم ذلك، حتى لو أصيب الجميع بالجنون.

الآن يا عزيزتي، لا تبكي. سيذهب جيم، ولكن على الأرجح ستنتهي الحرب قبل أن يصل إلى أي مكانٍ بالقرب منها حتى. دعينا نأخذ جرعة تفاعلٍ هكذا ولا نُقلق أمك المسكينة".

قالت ريلا بشكلٍ مشكوكٍ فيه: "في صحيفة إنتربرايز اليوم، أفادت الأنباء أن اللورد كيتشينر يقول إن الحرب ستستمر ثلاث سنوات".

قالت سوزان بهدوء: "أنا لست على درايةٍ بما يقوله اللورد كيتشينر، لكنني أجزؤ على القول إنه ليس معصومًا من الخطأ، فطبيعي أن يخفق في كثيرٍ من الأحيان مثل الآخرين.

يقول والدك إن الأمر سينتهي في غضون بضعة أشهر وأنا أو من برأيه كما يؤمن آخرون برأي اللورد كيتشينر تمامًا. لذلك دعينا فقط نهدأ ونثق في الرب ونتوكل عليه، ونقوم بترتيب هذا المكان. لقد انتهيت من

البكاء الذي هو مضيعةٌ للوقت ولا يفعل شيئًا لنا سوى إحباط عزيمة الجميع".

تلك الليلة، ذهب جيم وجيري إلى مدينة شارلوت للتدريب، ثم عادا بعد يومين بزيهما العسكري. كانت الإثارة تحيط جلين من كل جوانبها. أما إنجلسايد، فقد كانت أجواء التوتر والتشنج قد خيمت عليها فجأة.

كانت السيدة بلايث ونان تتمثلان بالشجاعة ومبتسمتين دائمًا بروعة. وكانت الأنسة كورنيليا تساعد السيدة بلايث للتنظيم للصليب الأحمر ليكون متأهبًا دائمًا في حال حدوث أي شيء، كذلك الدكتور والسيد ميريديث كانا يجمعان الرجال من أجل جمعية وطنية مُساعدة. أما ريبلا، بعد صدمتها الأولى، تفاعلت مع كل ما يحدث على الرغم من أن قلبها يحترق.

لا شك أن جيم كان يبدو رائعًا في زيّه العسكري، لقد كان فخرًا ورؤية شباب كندا يلبّون نداء بلدهم بسرعة دون خوفٍ أو ترددٍ أو حساب. فقد شعرت ريبلا بفخر هذا الأمر عندما كانت ترفع رأسها لا إراديًا وسط الفتيات اللواتي لم يذهب إخوانهن إلى التجنيد في سبيل الوطن. وكتبت مرةً في مذكراتها كلماتٍ شعريّة تعبر فيها عن الحال: "يذهب لفعل ما أردتُ فعله... لخدمة وطنه، يخاطر لأجله".

وكانت تعني ذلك بكل جوارحها، فلو كانت شابًا لكانت بالطبع ستذهب أيضًا! لم يكن لديها أدنى شكٍ في ذلك. تساءلت عما إذا كان من المروع جدًّا أن تشعر بالسعادة لأن والتر لم يكن قويًا بقدر ما تمنى بعد أن أصيب بالحمى.

وانغمس قلمها في الكتابة، وبدأت بالتدوين: "لا أعتقد أنه يمكنني تحمل فكرة أن يذهب والتر معهم. إنني أحب جيم كثيرًا، ولكن لا شيء يعلو على حبي لوالتر، فهو يعني لي أكثر من أي شخصٍ في

العالم! كان يمكن أن أموت إن اضطر للرحيل!

يبدو أنه تغير كثيرًا هذه الأيام، نادرًا ما يتحدث معي. أعتقد أنه يشعر بالسوء لأنه لا يستطيع الذهاب بينما تدفعه روحه الوطنية لفعل ذلك. إنه حتى لا يلتفت إلى جيم وجيري على الإطلاق.

عندما أتى جيم ببذلة إلى البيت، لا أنسى وجه سوزان المتبلل بالدموع وابتسامتها وهي تقول له: "تبدو رجلًا حقًا في الزي يا جيم." ضحك جيم حينها. لم يعلق كثيرًا على الأمر لأنه يعرف بأن سوزان ما زالت تراه كولدٍ صغير. مكتبة سر من قرأ

الجميع مشغولٌ سواي! أتمنى لو كان هناك شيءٌ يمكنني فعله لأنفعهم، ولكن لا يبدو الأمر أنه كذلك. دائمًا ما تكون أمي ونان ودي مشغولين، وكل ما أفعله هو التساؤل عما يحدث كالشبح الوحيد.

ما يُفطر قلبي حقًا، هو أن ابتسامة أمي ونان لم تكونا من القلب، كانت كرسمةٍ وُضع عليهما من الخارج، فلم تكن عينا أمي تمت للضحك بصلة، وهذا ما يجعلني أشعر بأنه عليّ ألا أضحك بتاتا أيضًا، إن الضحك في مثل هذه الحال شيءٌ شريئٌ من الأساس! ولكن تمرّ عليّ أوقاتٌ لا أتمالك نفسي بها، أشعر بأن عليّ أن أضحك، أو أن أظهر ابتسامة ما، ولكن حتى وإن فعلت ذلك، من المستحيل أن أشعر بالنشوة كما كنت أفعل من قبل.

هناك شيءٌ ما وراء كل ذلك يؤذيني، أشعر به يحرقني في الصميم، لا سيما عندما أستيقظ في الليل! ثم أبكي ... أبكي وأنا أتخيل ما إن كان كلام اللورد على حق، وأن الحرب ستظل لسنوات، وأن جيم يمكن أن ... لا! لن أكتب ذلك أبدًا، سيجعلني أشعر كما لو أن ذلك سيحدث حقًا. في ذلك اليوم قالت نان "لا شيء يمكن أن يكون على حاله تمامًا لأيّ منّا مرةً أخرى"، جعلتني أشعر بالتمرد حينها. لما لا؟ لما لا يجب أن تكون الأمور على ما هي عليه عندما ينتهي كل شيء

ويعود جيم وجيري؟ سنكون جميعًا سعداء ومرحين مرةً أخرى، وستبدو هذه الأيام وكأنها حلم سيءٍ ومضى".

"إن الحدث الأكبر في كل بيتٍ الآن هو مجيء البريد كل يوم، يذهب أبي ويخطفها بلمح البصر، لم أرى أبي يخطف صحيفةً أو يهتم لقراءتها هكذا من قبل! ونتجمع كلنا حوله، نستند على كتفيه وهو يفتحها ويقرأ العناوين الرئيسية المُستجدة.

تعهد سوزان بأن لا تفعل ذلك أبدًا، وألا تصدق كلمةً واحدةً تقولها هذه الأوراق، لكنها تأتي دائمًا إلى باب المطبخ، وتستمع لما نقرأه، ثم تعود وهي تهز رأسها بحسرة. إنها غاضبةٌ بشكلٍ رهيبٍ طوال الوقت، وتطبخ كل الأشياء التي يحبها جيم على وجه الخصوص، ولم تحدث أيّ ضجةٍ أو عصبيةٍ عندما وجدت كلب الاثنين نائمًا على سرير الغرفة الاحتياطية بالأمس مباشرةً فوق بطانية ورقة التفاح الخاصة بالسيدة راشيل ليندي. قالت وهي تطرده بلطف: "إن الله وحده يعلم أين سيضطر سيدك للنوم لفترةٍ طويلة (وهي تقصد جيم)، أيها الحيوان الغبي المسكين".

ولكنها لم تستسلم أو تتساهل تجاه "دوك" أبدًا، تقول إنه تحول للسيد هايد بمجرد رؤيته لجيم بالبدلة، وهذا دليلٌ كافٍ على حقيقته المتوحشة.

إن سوزان مُضحكةٌ أحيانًا، وهي عزيزةٌ علينا جدًّا. يقول شيرلي أنها نصف ملائكةٌ والنصف الآخر طبَّاحٌ ماهر، ولكن بعد كل شيء، فإن شيرلي الوحيد من بيننا الذي لم ينل أيّ توبيخٍ منها قط".

إن فايت ميريديث فتاةٌ رائعة! أعتقد أنها وجيم مخطوبان بحقٍ الآن، هناك دائمًا بريق خوفٍ في عينيها، ولكن ابتسامهً متصلبةً لا تفارق وجهها، كأمي تمامًا. أتساءل ما إن كان بإمكانني أن أمتلك نفس صلابتها وشهامتها إن كان لديّ حبيبٌ قد ذهب إلى الحرب! إنه أمرٌ سيءٌ بما فيه

الكفاية عندما يكون أخوك.

لقد بكى بروس ميريديث الصغير طوال الليل، كما تقول السيدة ميريديث، عندما سمع أن جيم وجيري سيذهبان. وأراد أن يعرف إذا كان "ميم الميم" كان والده الذي تحدث عنه وهو يعني "ملك الملوك". إنه طفلٌ عزيزٌ بالفعل. أنا أحبه، على الرغم من أنني لا أهتم كثيرًا بالأطفال. لا أحب الأطفال ولو قليلًا، وعندما أقول ذلك للناس، ينظرون إليّ كما لو قلت شيئًا صادمًا تمامًا. حسنًا، أنا لا أحبهم، ويجب أن أكون صريحة بشأن هذا الأمر. لا أمانع النظر إلى طفلٍ لطيفٍ ونظيفٍ إذا كان شخصٌ آخر يحمله، ولكنني لن ألمسه لأي شيء، ولا أشعر بشيء واحدٍ حقيقيٍ من الاهتمام به.

تقول جيرترود أوليفر إنها تشعر بنفس الشعور. (إنها أكثر شخصٍ صادقٍ وصريحٍ عرفته. لا تتظاهر أبدًا بأي شيء) تقول إن الأطفال يعذبون كثيرًا حتى يبلغوا من العمر ما يكفي للتحدث، عندها تحبهم، حسنًا، لا تزال ليست مثلي تمامًا.

أمي ونان ودي جميعهم يعشقون الأطفال، ويبدو أنهم يعتقدون أنني غير طبيعيةٍ لأنني لا أفعل ذلك.

لم أر كينيث منذ ليلة الحفلة. كان هنا ذات مساءً بعد عودة جيم، ولكنني كنت بعيدةً عنه. لا أعتقد أنه ذكرني على الإطلاق، على الأقل، لم يخبرني أحدٌ أنه فعل ذلك، وأنا كنت مصممةً على أني لن أسأل، أصبحت لا أهتم كثيرًا على الأقل.

لا شيء يهمني الآن حرفيًا، سوى جيم، أخي الشجاع الذي تطوع للخدمة العسكرية، وسيذهب إلى فالكارتير في غضون أيام، أخي الكبير الرائع جيم. آه! أنا فخورةٌ جدًا به!

أعتقد أن كينيث كان سيتجند أيضًا لولا كاحله، ولكن العناية الإلهية قد تدخلت في هذا الأمر، فهو وحيد أمه، أتخيل الرعب والحزن الذي

كان من الممكن أن تعيشه طيلة فترة غيابه، لا يجب على الأبناء الذهاب بعيدًا عن عائلاتهم، إنهم يكسرون جناحًا فيها لا يعوّض!"
جاء والتر متجولاً في الوادي بينما كانت ريلا جالسةً هناك، ورأسه منحني ويداها مشدودتين خلفه. عندما رأى ريلا استدار فجأة، ثم استدار تجاهها وذهب صوبها.

"ريلا ريلاتي! ما الذي يأخذ أفكارك بعيدةً هكذا؟"
قالت ريلا بحزن: "كل شيء قد تغير يا والتر، حتى أنت تغيرت. قبل أسبوعٍ كنا جميعًا سعداء جدًّا، والآن! أنا ضائعة، لقد ضللت الطريق المؤدية إليّ"

جلس والتر مجاورًا إياها، وأخذ يد ريلا الجذابة الصغيرة وقال: "أخشى أن عالمنا القديم قد انتهى يا ريلا. علينا أن نواجه هذه الحقيقة".
قالت ريلا: "إنه لأمرٌ فظيغٌ للغاية التفكير في جيم. أحيانًا أنسى لفترةٍ وجيزة ما يعنيه ذلك حقًا وأشعر بالإثارة والفخر، ثم سرعان ما ينتابني مرةً أخرى، شعورٌ يقرصني مثل ريحٍ باردة".

قال والتر بضيق: "أنا أحسد جيم على شجاعته".
"تحسد جيم؟ أوه والتر أنت، ألا تريد أن تذهب أيضًا".
قال والتر، وهو يحدق أمامه مباشرةً عبر آفاق اللوادي: "لا، لا! لا أريد أن أذهب. هذه هي المشكلة يا ريلا، أنا أخشى الذهاب، أنا جبان".
انفجرت ريلا بغضب: "أنت لست جبانًا! أي شخصٍ قد يخاف من الذهاب. إنها حرب، قد... قد تُقتل!!!"

تمتم والتر: "ما كنت لأمانع ذلك إذا لم يكن ذلك مؤلمًا. لا أعتقد أنني خائفٌ من الموت نفسه، إنه الألم الذي قد يأتي قبل الموت، لن يكون الأمر سيئًا للغاية أن تموت وينتهي الأمر، ولكن السوء هو أن أستمر في الموت! لطالما كنت خائفًا من الألم، أنت تعلمين ذلك يا ريلا.

لا يمكنني تخطي هذا الأمر! أرتجف عندما أفكر في إمكانية أن أكون مشوهًا أو ... أو أعمى. لا يمكنني مواجهة هذا الفكر على الإطلاق يا ريبلا. أن أكون أعمى!!! ولا أرى أبدًا جمال العالم مرةً أخرى، لا أبصر ضوء القمر في فور ويندز، ولا النجوم المتلألئة عبر أشجار التنوب ولا الضباب على الخليج. يجب أن أذهب يا ريبلا، عليّ أن أذهب إلى الحرب، ولكنني لا أفعل ذلك! أكره التفكير في ذلك ... إنني وصمة عار! وصمة عار!"

قالت ريبلا بحنق، وكان قد أصابها الرعب من أن يذهب والتر بعد كل شيء: "لكن يا والتر، لا يمكنك الذهاب بأي حال، أنت لست قويًا بما فيه الكفاية بسبب الحمى".

"بلى، أنا كذلك. إنني أشعر بلياقةً بدنيةً كما العادة يا ريبلا. كنت سأجتاز أي امتحانٍ أمتحن به! أنا أعلم أن الجميع يعتقد بأنني لست قويًا كفايةً بعد، وأنا بحد ذاتي أتخلى عن هذا الاعتقاد" ثم اختتم والتر جملته في موجةٍ من المرارة العاطفية: "كان يجب أن أكون فتاة" ...

بكت ريبلا: "حتى وإن كنت قويًا بما فيه الكفاية، لا يجب أن تذهب. ماذا سيحلّ بأمي حينها؟ ألا يكفيها قلبها المحطّم على جيم!! سيقتلها أمر رؤيتكما كلاكما تذهبان معًا".

"أوه، لن أذهب، لا تقلقي. أقول لك إنني أخشى الذهاب، أنا خائف. أنا لا أفكر في الأمر حتى بيني وبين نفسي. إنه لمن دواعي الارتياح أن أفكر به معك الآن يا ريبلا. لا أعترف بذلك لأي شخص آخر، نان ودي سوف يحتقرانني بالتأكيد. لكنني أكره الأمر برمته، الرعب والألم والقبح.

الحرب ليست زياً عسكرياً أو عرض تدريباتٍ فقط، كل ما قرأته في قديم التاريخ يطاردني، أستلقي مستيقظاً في الليل وأرى الأشياء التي حدثت والتي يمكن أن تحدث! أرى دماءً وقذاراً وبؤساً، أرى كل

ذلك. وأرى هجوم حربية أيضًا! فإذا كان بإمكانني مواجهة الأشياء الأولى، فلن أقدر على مواجهة الهجوم أبدًا...

إن التفكير في الأمر يصيبيني بدوار، التفكير في دفع حربية من خلال رجلٍ آخر (بدأ والتر يتلوى ويرتجف). أفكر في هذه الأشياء طوال الوقت، ولا يبدو لي أن جيم وجيري يفكران بها أبدًا. يضحكان ويتحدثان عن "الطبخ في القدر هناك!" يحزنني رؤيتهما في الزي العسكري! وهما يعتقدان بأنني غاضبٌ لأنني لا أقوى على الذهاب..."

ضحك والتر بمرارة: "ليس من الجيد أن تشعر أنك جبان". لكن ريبلا أحاطت ذراعيها حوله، وأسندت رأسها على كتفه. كانت سعيدة للغاية لأنه لا يريد الذهاب، فلو هلوة كانت خائفةً من ذلك بشكل رهيب. وكان من اللطيف أن يخبرها والتر عن متاعبه، وليس دي. لم تعد تشعر بالوحدة الشديدة، وأنه لا لزوم لها بعد الآن.

سأل والتر بحزن: "ألا تحتقريني يا ريبلا ريبلاتي؟" بطريقة ما، كان يؤلمه أن يعتقد أن ريبلا قد تحتقره، كان ذلك سيؤذيهِ بنفس قدر احتقار دي له. أدرك فجأةً كم كان مغرمًا بهذه الأخت الصغيرة المحببة، بعيونها الجذابة ووجهها الأنثوي المهموم.

"لا، لا أفعل. لما سأحتقرك يا والتر؟ يشعر المئات من الناس تمامًا كما تشعر أنت. أنت على الأقل تعترف، وتعرف ما يقوله شكسبير في القارئ الخامس القديم "ليس الرجل الشجاع من لا يشعر بالخوف! لا، إنما هو الذي يكبح خوفه بروحه النبيلة".

"أنا لا أفعل ذلك! لا يمكننا إخفاء الأمر يا ريبلا، أنا جبان".

"أنت لست كذلك! فكر في الطريقة التي قاتلت بها دان ريس منذ فترة طويلة. دفعةً واحدةً من الشجاعة لا تكفي مدى الحياة..."

والتر، سمعت أبي ذات مرة يقول إن مشكلتك كانت طبيعتك

الحساسية، وخيالك الحي. تشعر بالأشياء قبل أن تأتي بحق، تشعر بها جميعها بمفردك عندما لا يكون هناك أي شيء يساعدك على تحملها، لتأخذها بعيدًا. مع كل ذلك، ليس هناك ما تخجل منه أو تشعر بأنه عازٍ على الإطلاق.

عندما أحرقت يدك أنت وجيم عندما تم إطلاق العشب على التلال الرملية قبل عامين، أثار جيم ضجةً مضاعفةً بسبب الألم الذي تسببت به. أما بالنسبة للشيء المروع الذي يُدعى حربًا، سيكون هناك الكثير ممن يذهبون إليها دونك، وهم لا يملكون ما تملكه! ولن يستمر الأمر طويلاً على أي حال."

"أتمنى أن أصدق كلامك هذا يا ريبلا. حسنًا، حان وقت العشاء، من الأفضل أن تذهبي، فأنا لا أريد شيئًا، لست جائعًا."

"ولا أنا كذلك! لم أستطع تناول الطعام. دعني أبقى هنا معك يا والتر. إنه لمن دواعي الراحة أن أتحدث مع شخصٍ ما. إذ يعتقد الباقون أنني طفلةٌ لأفهم ما يجري."

وجلس الاثنان هناك في الوادي القديم حتى طلع نجم المساء عبر سحابة رمادية شاحبة تمرّ فوق بستان القيقب، وملاً الظلام نديّ واديهم الصغير. كانت إحدى الأمسيات التي تحييها في ذكرى حياتها، أول أمسيةٍ تحدّث معها والتر كأنها امرأةٌ ناضجةٌ وليست طفلة.

كانا يريحان ويعززان معنويات بعضهما البعض. وشعر والتر، في الوقت الحالي على الأقل، أن الخوف من خوض الحرب لم يكن شيئًا حقيرًا على الإطلاق. وكانت ريبلا سعيدةً لأن تكون الدواء المريح لمعاناته، وأن تشعر به وتشجعه، كانت ذات أهميةٍ لشخصي ما.

وعندما عادا إلى إنجلترا، وجدوا أن هناك زائرين في بيتهما، ويجلسون جميعًا على الشرفة، كان السيد والسيدة ميريديث آتين من منزل القس، وكان السيد والسيدة نورمان دوغلاس قد أتيا من المزرعة،

كانت هناك أيضًا ابنة العم صوفيا تجلس مع سوزان في خلفية الشرفة المظلمة.

لم تكن السيدة بلايث ونان ودي متواجدين، ولكن الدكتور بلايث كان في المنزل، وكذلك الدكتور جيكل (القط دوك)، يمتد بعظمته على أعلى درجة من الدرج. وبالطبع كان الجميع يتحدث عن الحرب، باستثناء الدكتور جيكل الذي احتفظ بنصائحه وهو ينظر باحتقارٍ إلى الحديث القائم، كما يفعل قطًّا تمامًا.

لم يكن ليلتقي شخصان في تلك الأيام دون التحدث عن الحرب وحتى إن كان محض صدفة! وحتى العجوز هايلاند ساندي من هاربور هيد تحدث عنها عندما كان بمفرده، ورشق القيصر بمسباتٍ عبر جميع الأفدنة من مزرعته.

انسحب والتر بعيدًا، غير مهتم برؤية أحدٍ أو أن يراه أحدًا ما، لكن ريلا جلست على الدرج، حيث كان النعناع في الحديقة نديًا ولاذعًا. كانت أمسية هادئة للغاية مع ضوءٍ ذهبي خافت بعد اضاءة وهج شوارع جلين. شعرت بسعادة أكبر من أي وقتٍ مضى في الأسبوع الرهيب الذي مر عليها. فلم يعد يطاردها هاجس رحيل والتر.

كان نورمان دوغلاس يصيح بكل قوته، دائمًا ما يصرخ عندما يكون متحمسًا: "سأذهب بنفسي لو كنت أصغر بعشرين عامًا. كنت سأري القيصر ما يمكن فعله! هل قلت يومًا ما أنه ليس هناك جحيم؟ بالطبع، هناك جحيم، بل عشرة، بل المئات منها، أُعدت للقيصر ولكل من معه".

قالت السيدة نورمان بانتصار: "كنت أعلم أن هناك حربًا قادمة، كان كل ما يحدث حولنا يتنبأ بذلك، كان بإمكانني إخبار كل هؤلاء الإنجليز الأغبياء بما كان ينتظرهم.

لقد أخبرتك عندها يا سيد جون ميريديث! قلت لك بما ينوي

القيصر فعله ولكنك لم تصدقني، وقلت لي أنه يستحيل أن يُغرق العالم في الحرب. أنظر إلى ما يحدث الآن، من كان محققًا ها؟ أنا أم أنت؟؟؟
هيا قل لي " ...

قال السيد ميريديث: "حسنًا أعترف! لقد كنت محقة تمامًا".

قالت السيدة نورمان: "لقد فات الأوان للاعتراف بذلك الآن".

قاطع الدكتور الحديث قائلاً: "الحمد لله، القوات البحرية الإنجليزية جاهزة".

أومأت السيدة نورمان رأسها: "آمين! يا لبصيرتهم العمياء! لم يكن من بينهم شخصٌ واحدٌ حتى بعيد النظر كفايةً لرؤية ما يحدث".

قالت ابنة العم صوفيا بحزن: "لا بد أن تجد إنجلترا طريقةً ما لتسوية الأمر دون أن تورط نفسها، لا أعلم! ولكنني خائفةٌ جدًا".

قالت سوزان: "يجب على المرء أن يفترض بأن إنجلترا غارقةٌ في المشاكل بالفعل! ولكن طرق تفكيرك بعيدةٌ كل البعد عني، ولطالما كانت هكذا من قبل. سوف تستوطن البحرية الإنجليزية شواطئ ألمانيا في لمح البصر، وقلقنا هذا سيكون من أجل لا شيء".

أفرغت سوزان كلماتها وكأنها تريد إقناع نفسها بهذا الأمر أكثر من أي شخصٍ آخر. كان لديها مخزونها الصغير من الفلسفات المنزلية لإرشادها خلال الحياة، ولكن لم يكن لديها ما يربكها ضد المواقف التي حصلت خلال الأسبوع الماضي كلّه.

فما الذي يمكن أن تفعله خادمةٌ عجوز شيخخةً صادقةً تعمل بجهد واجتهادٍ في جلين سانت ماري في حربٍ على بعد آلاف الأميال؟ لذلك شعرت سوزان أنه من غير اللائق أن تؤثر تلك الحرب عليها أو تصيبها بالاضطراب.

صاح نورمان: "أجل الجيش البريطاني سوف يستوطن ألمانيا، فقط انتظروا حتى تبدأ الأمور بجديّة، وسيجد القيصر أن الحرب الحقيقية

هي شيءٌ مختلفٌ عن الاستعراض حول برلين بشواربه الشنيعة المرفوعة".

قالت السيدة نورمان بشكل قاطع: "لم تحضّر بريطانيا جيشها. لا تحملق في وجهي هكذا يا نورمان، فحملقتك هذه لن تنقذ جنودنا مثل الشعرة من العجينة. مئة ألف رجلٍ فقط؟ سيكونون لقمةً لملايين الألمانين المهيشين".

أصرّ السيد نورمان على كلامه ببسالة: "ولكن هناك لقماتٍ لا تُمضغ يا سيدة! سوف تنكسر أسنان الألمانين وهم يمضغون. لا يمكنك أن تنفي بأن إنجليزيًا واحدًا يساوي قوة عشرة ألمانيين. فحتى أنا يمكنني أن أبيد عشرةً منهم بسهولةٍ وكلتا يديّ مربوطتان إلى الخلف".

قالت سوزان: "سمعت أن السيد بريور العجوز لا يؤمن بهذه الحرب على الإطلاق. وقال بأن إنجلترا شاركت بها فقط نتيجة غيرّة من مشاركة ألمانيا وليس لأنها تهتم ولا بقدر ذرّةٍ لما يمكن أن يحدث لبلجيكا".

قال نورمان: "انا متأكدٌ من أنه كان ينطق ببعض الهراء والحماقة فقط، أنا لم أسمعهُ يقول ذلك، ولكن إن فعلت، فالمشعر القمري لن يعرف ما يمكن أن يحلّ به".

لديّ قريبٌ عزيزٌ اسمه كيتي أليك، وهو أيضًا لديه تلك الأفكار التي تتكلمين عنها، ولكنه لا ينطق بها أمامي. إن الله يحبه فعلاً، يبدو أن حسًا داخليًا يراودهم بعدم التكلم به أمامي لأن ذلك لن يكون صحيحًا لهم إن جاز التعبير".

قالت ابنة العم صوفيا، وهي تخرج يديها الشاحبتين من حجرها وتضعهما على بطنها: "أخشى كثيرًا أن تكون هذه الحرب بمثابة عقابٍ على خطايانا، فالعالم شريرٌ للغاية".

ضحك نورمان في سرّه: "أظن أن القس لديه شيء من هذا التفكير أيضًا، أليس كذلك أيها القس؟ كنت تلقي خطابًا ومواعظ تلك الليلة وأنت تقول: "بدون إراقة دماء لا توجد مغفرة للخطايا"، لم أتفق معك في ذلك، أردت أن أنهض من مقعدي وأصرخ في وجهك لأقول لك بأنه ليس هناك منطق في أي كلمة تقولها، ولكن إيلين زوجتي منعتني من فعل ذلك. لم أستطع خوض أي نقاش مع أي قس منذ أن تزوجت".

قال السيد ميريديث بطريقة حالمة لطيفة كانت لها حيلة غير متوقعة لإقناع مستمعيه: "بدون إراقة دماء، لا يوجد شيء! بالنسبة لي، يبدو أن كل شيء في الحياة يحتاج إلى التضحية للحصول عليه. إن كل خطوة مؤلمة مسؤولة عن ارتقاء عرقنا وجنسنا مليئة بالدم.

والآن نحتاج نحن إلى حملة ارتقاء أخرى. لا يا سيدة كراوفورد، لا أعتقد أن الحرب قد تم إرسالها كعقاب على خطايانا، أعتقد أن هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه الإنسانية مقابل بعض البركة في الحياة، وبعض التقدم الكبير بما يكفي ليكون مُستحقًا، والذي قد لا نعيش لنراه، ولكن سيرته نسلنا من الجيل الجديد بالتأكيد".

سأله نورمان، الذي كان يسأل أشياء من هذا القبيل طوال حياته ولم يكن من الممكن جعله يرى أي سبب يمنعه من ذلك: "إذا قُتل جيرى، فهل ستشعر بالرضا حيال ذلك؟ الآن، كقّي عن ركلي بساقي لتسكتيني يا إيلين. أريد أن أرى ما إذا كان القس يعني ما قاله أو إن كان مجرد هدب الواعظين".

ارتعش وجه السيد ميريديث، فقد مرّ بساعة عصيبة بمفرده في مكتبه في الليلة التي ذهب فيها جيم وجيري إلى المدينة، لكنه أجاب بهدوء: "مهما شعرت، لا يمكن أن يغير ذلك إيماني، أنا مؤمنٌ بأن الدولة التي أبنّاها مستعدون للتضحية بأرواحهم في الدفاع عنها ستفوز برؤية جديدة بسبب تضحياتهم".

"حسنًا، أنت تعني ما تقوله! دائمًا ما أعرف متى يعني الناس ما يقولون ومتى لا. وهذا ما يجعلني أخالف معظم القسيسين، فأراهم يقولون ما لا يفعلونه، أما أنت فمن القلّة التي تعي ما تقوله، لم أمسك بك قط تقول شيئًا لا تعنيه. وآمل دائمًا أن أفعل ذلك، فهذا يحثني للذهاب إلى الكنيسة. سيكون ذلك من دواعي راحتي، وأيضًا كسلاح أواجه به إيلين عندما تحاول أن تؤدبني. حسنًا، يجب أن أخرج الآن لأرى الأب كراوفورد، لترعاكم الآلهة جميعًا".

تمت سوزان بينما سار نورمان بعيدًا: "الوثني العجوز!"

لم تهتم إن سمعتها إيلين دوغلاس. لم تستطع سوزان أن تفهم أبدًا لماذا لم تنزل النار من السماء على نورمان دوغلاس عندما أهان القسيسين بالطريقة التي فعلها. لكن الشيء المذهل هو أن السيد ميريديث بدا حقًا وكأنه يحب صهره.

تمنت ريلا لو يكون الحديث عن غير الحرب. لم تسمع أي شيء آخر لمدة أسبوع، وقد سئمت منه بحق. فبعد أن تم إعفاؤها من خوفها المؤلم من أن والتر قد يرغب في الذهاب، بدأ صبرها ينفذ، ولكنها افترضت بحسرة أن هذه الأجواء ستستمر بعد لثلاثة أو أربعة أشهر.

6

سوزان وريلا و كلب الاثنين يتخذون قرارًا



كان

البياض يملأ غرفة المعيشة الكبيرة بسبب تراكم القطن الأبيض فيها، فقد أتى بيانٌ من الصليب الأحمر يقول بأن القطن والشاشات ستكون مطلوبةً بكثرة، ولذلك كان نان ودي وريلا يعملون بجِدٍ لتأمينها.

أما سوزان والسيدة بلايث فقد كانتا في الطابق العلوي في غرفة جيم، تقومان بمهمة حساسة أكثر، فبعيونٍ جافةٍ ومؤلمةٍ كانتا تحزمان أمتعة جيم، إذ كان يجب أن يغادر إلى فالكارتير في صباح اليوم التالي. كان الكل يتوقع مدى صعوبة هذا اليوم، ولكنهم لم يشعروا فعلاً برعبه حتى حان وقته.

كانت ريلا تثبت الملاءات لأول مرة في حياتها. فعندما جاءها الخبر بأن على جيم أن يذهب، ذهبت لتصرخ بين أشجار الصنوبر في وادي قوس المطر، ثم عادت إلى والدتها، وقالت: "أمي، أريد أن أفعل شيئًا. أنا مجرد فتاةٍ لا يمكنني فعل أي شيءٍ للفوز بالحرب، ولكن يجب أن أفعل شيئًا للمساعدة في المنزل."

قالت السيدة بلايث: "لقد جهز القطن من أجل الملاءات. ساعدوني في صنعها يا نان ودي. وريلا!! ما رأيك أن تنظمي صليبًا أحمر بين الفتيات الصغيرات؟ أعتقد أنهن سيرغبن في ذلك، ويقمن بعملٍ بأنفسهن أفضل مما لو اختلطن مع العجزة".

"لكن يا أمي، لم أفعل شيئًا كهذا من قبل".

"سيتعين علينا جميعًا القيام بأشياء كثيرة جدًا في الأشهر المقبلة والتي لم نقم بها من قبل يا ريلا".

أخذت ريلا زمام المبادرة: "حسنًا، سأحاول يا أمي، فقط أخبريني كيف أبدأ. لقد كنت أفكر في الأمر بالكامل وقررت أنه يجب أن أكون شجاعةً وبطوليةً وغير أنانية كما يمكن أن أكون أحيانًا".

لم تبتسم السيدة بلايث عندما قرأت خط ريلا المائل، ربما لم تشعر برغبة في الابتسام بسبب الظروف، أو أنها اكتشفت دليلًا حقيقيًا من الهدف الجاد في وضع ريلا الرومانسي.

في هذا الوقت، كانت ريلا تطوق الملاءات وتفكر ما يمكن أن تفعله في تنظيم الصليب الأحمر للصغيرات، وكانت مستمتعةً إذ اكتشفت ريلا استعدادًا كبيرًا في نفسها لذلك، ما جعل الأمر ممتعًا.

ولكن بينما تغوص في تفكيرها، طرق رأسها السؤال المهم، من ستكون الرئيسة؟ ليست هي لأن الفتيات الأكبر سنًا منها لن يقبلوا بذلك، إيرين هوارد؟ لا، بطريقة ما لم تكن إيرين مشهورةً كما تستحق أن تكون. مارجوري درو؟ لا، لا تملك مارجوري الدعم الكافي. حسنًا! كانت تميل إلى الاتفاق مع الأخيرة التي خطرت ببالها. بيتي ميد، الهادئة، القادرة، اللبقة، هي نفسها! وأونا ميريديث أمينة الصندوق، وإن كنّ مهماتٌ بالأمر ومتحمساتٌ له، فقد يجعلنها هي السكرتيرة.

أما فيما يخصّ تقسيم اللجان، فيجب أن يتم اختيارها بعد تنظيم الصغار، ولكن ريلا عرفت من يجب أن يتم وضعه في كل لجنة. بدايةً

يجب أن يلتقي الجميع مع بعضهنّ، ويجب ألا يكون هناك أي طعام، ما سيجعل ريلا تخوض معركةً ضاريةً مع أوليف كيرك بسبب ذلك ... ويجب أن يكون كل شيءٍ يخصّ العمل فقط بشكلٍ صارم، ويجب أن يكون كتابها الذي تنظم عليه مغطى باللون الأبيض مع وجود صليبٍ أحمر على الغلاف، وبالطبع لن يكون من اللطيف أن يرتدين نوعًا من البدلات التي يمكن أن يرتدينها جميعًا في الحفلات الموسيقية حيث أنهم سيضطرون إلى الحركة بها طوال الوقت لجمع الأموال والتبرعات، لذلك يجب أن يكون اللباس شيئًا بسيطًا وملائمًا للوضع. قال دي وهو يرى ريلا تثبت الملاءات: "لقد ثبتني أعلى هذه الملاءة من جهة، وأسفلها من جهةٍ أخرى".

التقطتها ريلا من جديد وهي نوعًا ما كارهةٌ لهذه الحياكة، سيكون العمل على الصليب الأحمر للصغار أكثر إثارةً ومتعةً بكثيرٍ بالنسبة لها. كانت السيدة بلايث تقول في الطابق العلوي: "سوزان، هل تذكرين ذلك اليوم الأول عندما رفع جيم ذراعيه الصغيرتين إليّ ونادى عليّ "أمّاي!!" كانت أول كلمةٍ حاول أن يقولها على الإطلاق".

قالت سوزان في كآبة: "يستحيل أن أنسى أي شيءٍ متعلقٍ بهذا الطفل المبارك، بالتأكيد أتذكر، وسأظل أتذكره حتى يوم وفاتي".

"سوزان، ما زلت أذكر اليوم الذي بكى فيه لأجلي في الليل. كان عمره بضعة أشهرٍ فقط. لم يرغب جيلبرت أن أذهب إليه، قال إن الطفل كان جيدًا ودافئًا وأنها عادةً سيئةٌ أن أذهب إليه كلما بكى. لكنني ذهبتُ وحملته بين ذراعي، يمكنني أن أشعر بذراعيه الصغيرتين ملتصقتين برقبتي حتى الآن. لو لم أذهب في تلك الليلة يا سوزان، قبل واحدٍ وعشرين عامًا، ولو لم استيقظ عندما بكى من أجلي، لم أكن لأقدر على مواجهة صباح اليوم التالي ..."

"لا أعلم كيف سنحتمل ما يحلّ بنا يا سيدتي العزيزة، لكن لا

تخبريني بأنه الوداع الأخير ... سيأتي إلينا لنراه قبل أن يعبر البحار إلى خارج البلاد، أليس كذلك؟"

"لنأمل ذلك، ولكنني لست متأكدةً تمامًا. أنا دائمًا ما أضع في اعتباري بأنه لن يعود قبل مغادرته، لا أريد أن أصاب بخيبة أملٍ أصعب من أتحملها. أنا مصممةٌ على أن أودع ابني بابتسامةٍ غدًا يا سوزان، لا أريده أن يحمل ذكرى أمٍّ ضعيفةٍ لم تقوى على إرسال ابنها إلى خدمة الوطن عندما كان متشجعًا للذهاب، أتمنى ألا يبكي أحدٌ منّا غدًا."

"لن أبكي أو ما شابه يا سيدتي العزيزة، أما فيما يتعلق بالابتسامة، فسأترك الأمر لوقتها، هذا متعلقٌ بالتدبير الإلهي للأمر غدًا، وبالهوة التي أشعر بها في معدتي. هل لديك مكانٌ هناك من أجل كعكة الفاكهة هذه؟ وكعكة الغريبة؟ وفطيرة اللحم المفروم؟ لن يموت ذلك الفتى المبارك من الجوع، سواء كان لديه أي شيءٍ يأكله في ذلك المكان أم لا. يبدو أن كل شيءٍ يتغير دفعةً واحدة، أليس كذلك؟ حتى القط العجوز عند القس قد فارق الحياة. لقد لفظ أنفاسه الأخيرة عند الساعة العاشرة مساءً أمس، وكان قلب بروس مفطورًا للغاية كما سمعت."

"إنه وقت بوسي ليذهب حيث تذهب القطط الصالحة! كان على الأقل في الخامسة عشر من عمره، كما أنه كان يبدو وحيدًا وحزينًا منذ أن فارقت مارثا الحياة."

"لا أعتقد أنني سأتحسر يا سيدتي العزيزة إن مات السيد هايد، فمنذ عودة جيم بالزيّ إلى البيت ونادراً ما أراه الدكتور جيكل، وهذا ما يوحى بمعنى واحدٍ فقط أنا غنيةٌ عن ذكره."

لا أعلم ماذا يمكن أن يحلّ بكلب الإثنين عند مغادرة جيم، فهو يمضي مع نظرةٍ بشريةٍ حزينةٍ في عينيه تأسرنني كلما أراه.

اعتادت إيلين ويست أن توبّخ وتذم القيصر دائماً، وكنا نظن أنها مجنونة، لكنني أرى ما كان يدفعها لذلك الآن.

سوف أنزل الآن يا سيدتي العزيزة، وأضع أفضل لمساتي لتحضير العشاء. كنت أتمنى أن أعرف متى سأطهو عشاءً آخر لجيم، ولكن لا علم بالغيب لنا" ...

غادر جيم بلايث وجيري ميريديث صباح اليوم التالي. كان يومًا كثيبًا، تملؤه الأمطار، وتغطيه الغيوم الرمادية، كان كل شيء فيه يلمح للكآبة.

كل من يسكن جلين وفور ويندز وهاربور هيد وجلين الشمالية وأوفر هاربور ما عدا "المشعر القمري"، جاء واليودعوها.

كانت وجوه عائلتي بلايث وميريديث مرتسمةً بالابتسامة. حتى سوزان، التي قالت بأنها ستركها لمشيئة اليوم، رسمت ابتسامةً على وجهها، إذ كان الألم الذي تشعر به أكبر بكثير من أن توافيه الدموع.

أما نان وفايث، فكانتا تقفان إلى جانب بعضهما البعض، ويعلوه وجهيهما الشحوب والبسالة. أما ريبلا، فاعتقدت أنها على ما يرام، فقط لو لم تشعر بهذا الشيء الذي يخنق حلقتها، ويجعل شفيتها ترتعدان.

حتى كلب الإثنين كان هناك، حاول جيم أن يودّعه في إنجلسايد، ولكن كلب الإثنين كان يناشد جيم بالبقاء معه، وأبى إلا أن يوصله إلى المحطة. كان الصديق الصغير يتبع حركات سيده بكل حبٍ وشغف، وهو ملتصقٌ بقدمه طوال الطريق.

قالت السيدة ميريديث مشفقةً عليه: "لا أستطيع التفريط بعيني هذا الكلب ونظراته" ...

قالت ماري فانس: "إن الحيوانات تمتلك أحاسيسًا أكثر من البشر. هل تُخيل لأحدكم أننا سنعيش يومًا كهذا في حياتنا؟ بت أنتحب طوال الليل وأنا أتخيل مشهد جيم وجيري وهما يرحلان، إنهما مضطربان للغاية.

لقد طرقت الفكرة رأس ميلر أيضًا، ولكنني سرعان ما تكلمت إليه

وأقنعته بأنه عليه البقاء، كذلك فعلت عمتي بقول بعض الأشياء المؤثرة.
إنها المرة الأولى التي نتفق فيها أنا وكيّتي إليك على شيء ما. معجزة
من غير المحتمل أن تحصل مرةً أخرى.
أوه أنظري يا ريبلا، كينيث هنا".

كانت ريبلا تعلم بأنه هناك، فقد رآته منذ اللحظة الأولى عندما نزل
من العربة التي تجرّها دواب ليو ويست. وهو الآن يقترب منها مبتسمًا.
"أرى أنك تؤدين دور الأخت الشجاعة المبتسمة! يا له من حشد
تجمع في جلين. على كل، أنا عائذٌ إلى بيتي في غضون أيام".
عصفت تلك الكلمات رياح خرابٍ في روح ريبلا، أسى لم تشعر به
حتى لذهاب جيم، وقالت: "لماذا؟ ما زال لديك شهر إجازة".

"أجل، ولكن لن يمكنني التسكع هنا في فور ويندز بينما العالم في
حرب هكذا. أما في تورونتو فكيفما كان، سأجد طريقةً ما للمساعدة
على الرغم من كاحلي. أنا لا أنظر إلى جيم وجيري لأن ذلك يجعلني
أموت من الحسد، ولكنني أنظر إليك، أنتن الفتيات الرائعات، اللواتي
لا تبكين مع أنكُن لا تحتملن ما يحدث. سيذهب هذان الشابان بذكرى
رائعة تعلق في رؤوسهم. أتمنى أن تتصرف أُمي برسيس هكذا عندما
يحين دوري".

"ستتتهي الحرب قبل أن يحين دورك - ك يا كينيث - ث ...
وهنا، تلعثمت مرةً أخرى، أفسدت لحظةً عظيمةً أخرى من الحياة.
حسنًا، هذا مصيرها، ماذا يمكن أن تفعل مثلًا؟ بكل الأحوال، كان
كينيث قد ذهب بالفعل، رآته يتحدث مع إثيل ريس، كانت ترتدي كل
ما عليها في هذا الصباح الباكر وكأنها ذاهبةٌ إلى حفلة، وكانت تبكي!!!
ما الذي تبكي عليه إثيل بحق السماء؟ فلا أحد من آل ريس ذهب
للتجنيد!

شعرت ريبلا بأنها تريد البكاء، ولكنها لم تكن لتفعل ذلك! ما الذي

كانت تقوله السيدة درو العجوز الفظيعة لأمها في ظل ذلك النحيب الحزين لها؟

"لا أعرف كيف يمكنك تحمل ذلك يا سيدة بلايث، لا أظن بأني سأكون هكذا لو كان ابني المسكين هو الذي يرحل".

أمي!! أو لأمي المسكينة! هي مصدر القوّة والسند! لم ترّ وجهها الشاحب أبدًا، ولم ترّ بريق عينيها الحزبتين خلف ابتسامتها المزيفة تلك!

وقالت: "ربما كان الأمر أسوأ من ذلك يا سيدة درو، ربما اضطررت إلى حثّه على الذهاب".

لم تفهم السيدة درو ما تقوله الأم من هذه الكلمات، ولكن ريلا فهمت، فشقيقها لم يتم حثّه على الذهاب!!

وجدت ريلا نفسها تقف بمفردها وتستمع إلى أشلاء من الأحاديث المتفرقة بينما كان الناس يمشون ذهابًا وإيابًا أمامها.

قالت السيدة بالمربور: "طلبت من مارك الانتظار ومعرفة ما إذا كانوا قد طلبوا مجموعة ثانية من الرجال. إذا فعلوا ذلك، فسأدعه يذهب، ولكن يبدو أنهم لن يفعلوا".

قالت العروس الجديدة من هاربور: "أخشى أن أنظر إلى وجه زوجي خوفًا من أن أرى فيه أنه يريد الذهاب أيضًا".

قالت السيدة جيم هوارد شيئًا غريبًا: "أنا خائفة جدًا، أنا خائفة من أن يتجند جيم، وأنا خائفة من ألا يفعل ذلك أيضًا".

قال جو فيكرز: "الحرب ستنتهي بحلول عيد الميلاد".

قال أبنير ريس: "دعهم، الدول الأوروبية تقاتل بعضها البعض". ثم جاء صوت نورمان دوغلاس وهو يصرخ كالعادة، ويبدو أنه يشير إلى شخصٍ رفيع المستوى في الدوائر العسكرية في مدينة شارلوت: "لقد هزمت شرّ هزيمة عندما كان لا يزال صبيًا، أجل يا

سيدي! لقد احتفظت به، مسدسٌ كبيرٌ كما هو الآن".
قال القس ميثوديست: "إن بقاء الامبراطورية البريطانية على
المحك".

تنهدت إيرين هوارد: "هناك بالتأكيد شيءٌ يتعلق بالزني".
قال شخصٌ غريبٌ من فندق الشاطئ: "إنها حربٌ تجارية، وكل
شيءٍ قد قيل وخطط له من قبل، ولا تستحق قطرةً واحدةً من الدم
الكندي الطيب".

قالت كيت درو: "إن عائلة بلايث تأخذ الأمر ببساطة".
قالت ناثان كراوفورد متذمرة: "هؤلاء الشباب الحمقى يذهبون
للمغامرة".

قال الدكتور من المرفأ: "لدي ثقةٌ مطلقةٌ في كيتشيز".
في هذه الدقائق العشر، مرّت ريبلا بسلسلةٍ من مشاعر الغضب
والضحك والازدراء والاكئاب والإلهام. أوه، لقد كان الناس! القليل
قد فهموا الأمر فقط!! "أخذ الأمر ببساطة؟؟؟ في الواقع - حتى سوزان
لم تنم طوال الليل! ما هو الذي يُؤخذ ببساطة؟ لطالما كانت كيت درو
فتاةً وقحة.

شعرت ريبلا وكأنها في كابوسٍ خياليٍّ مريع، هل هؤلاء هم
الأشخاص أنفسهم الذين كانوا يتحدثون قبل ثلاثة أسابيع عن
المحاصيل والأسعار والشائعات المحلية؟

هناك ... كان القطار قادمًا إلى المحطة ... كانت السيدة بلايث
تمسك بيد جيم بإحكام ... كان كلب الاثنين يلحقها دون توقف ... كان
الجميع يقول وداعًا ... وصل القطار ... ! قبل جيم فايت قبل الجميع
... السيدة درو العجوز تصرخ بشكلٍ هستيري ... الرجال يهللون
بقيادة كينيث ... شعرت ريبلا بجيم يمسك يدها: "وداعا يا عنكبوت". ..
قبل أحدهم خدها ... اعتقدت أنه كان جيرري ولكنها لم تكن متأكدةً من

ذلك ... ركبا القطار ... كان القطار ينسحب ... كان جيم وجيري يلوحان للجميع ... وكان الجميع يلوحون للوراء ... كانت الأم ونان يتسلمان، ولكن كما لو أنهما نسيا الابتسامة كيف تكون ... كان كلب الإثنيين يعوي بشدة وبالكد استطاع القس ميثوديست تقييده بقوة عن اللحاق بالقطار ... كانت سوزان تلوح بحجابها وتهلل مثل الرجال ... هل أصيبت بالجنون؟ استدار القطار في منحنى ... واختفيا...

أخذت ريلا نفسًا عميقًا، كل شيء حصل بلمح البصر! كان هناك هدوءٌ مميّتٌ يخيم على الجميع، ما كان باليد حيلةً سوى العودة إلى المنزل ... وانتظار المجهول!

عاد الدكتور والسيدة بلايث سويًا، وكذلك فعلت نان وفايث، وجون ميريديث وروزماري سويًا. ومشى والتر وأونا وشيرلي ودي وكارل وريلا في مجموعة.

كانت سوزان قد أعادت حجابها إلى رأسها قبل كل شيء، ومشت بمفردها أولًا.

لم يشعر أحد بغياب كلب الإثنيين في البداية، وعندما لاحظوا الأمر، عاد شيرلي من أجله. وجده ملتفًا على نفسه في أرضية أحد المواقف حيث يتم الشحن. أخذ يقنعه في الرجوع إلى المنزل، ولكن كلب الإثنيين كان مصرًا على بقاءه في مكانه، ولم يتزحزح. لقد هز ذيله ليُظهر أنه لم يكن لديه مشاعر قاسية، ولكن كل الإغراءات لم تنفع معه.

عاد شيرلي إلى البقية، وقال وهو يحاول أن يضحك: "يبدو أن كلب الإثنيين مصرًا على البقاء هناك حتى رجوع جيم. وبالفعل، هذا تمامًا ما فعله كلب الإثنيين، فسيده العزيز قد رحل، وكان كلب الإثنيين يتصرف وكأنه قد تمّ منعه عمدًا من اللحاق به من شيطانٍ خبيثٍ متلبسٍ باسم القس ميثوديست.

لذلك كان كلب الإثنيين ينتظر هناك حتى يعود ذلك الوحش الكبير

الذي يصعد الدخان والصفير منه، والذي حمل بطله بعيدًا عنه.
آه أيها الكلب المخلص الصغير ذو العيون الناعمة الحزينة
والمحيرة. انتظر صاحبك، ولكنه سيكون يومًا طويلًا ومريرًا قبل أن
يعود زميلك الصياني إليك.

كان الدكتور خارج البيت في تلك الليلة لأمرٍ طبي عاجل، فمّرت
سوزان وهي في طريقها إلى سريرها، على غرفة السيدة بلايث، لترى ما
إن كانت سيدتها العزيزة على ما يُرام.

ووقفت عند قدم السرير أمامها بشكلٍ رسميٍّ وقالت: "سيدتي
العزيزة، لقد قررت أن أكون بطلة".

وجدت السيدة العزيزة نفسها تميل إلى الضحك دون أن تتحكم في
نفسها، وهو أمرٌ غير عادلٍ بوضوح، لأنها لم تضحك عندما أعلنت ريبلا
عن عزمٍ بطوليٍّ مماثل. لنكون منصفين، ريبلا فتاةٌ نحيلةٌ وكانت ترتدي
ثيابًا بيضاء، بوجهٍ يشبه الزهرة وعينان صغيرتان مرصعتان بالنجوم
متوهجةً بالإحساس، كانت تبدو بريئةً جدًا ... بينما سوزان، فكانت
ترتدي ثوب نومٍ رماديٍّ مع مشلحٍ من الأعلى إلى الأسفل، وكان لديها
شريطٌ من الصوف الأحمر ملفوفٌ حول شعرها الرمادي كتعويذةٍ ضد
الألم العصبي. حسنًا، هذا لا ينبغي أن يُحدث المظهر الخارجي أي
فرقٍ جوهري. أليست الروح هي التي تحسب؟ ومع ذلك، كان من
الصعب على السيدة بلايث ألا تضحك.

تابعت سوزان بحزم: "أنا لن أرثي أو أتذمر، ولن أندب حظي حول
ما قد حصل أو سيحصل معنا. لن أشكك في حكمة الله كما كنت أفعل
مؤخرًا، فالتذمر والتشكيك في العناية الإلهية يقوداننا إلى الفراغ.

علينا فقط أن نتعامل مع كل ما يجري من حولنا، ونبذل ما بوسعنا
للتأقلم، سواءً كانت أمورًا صغيرةً كجز العشب السام، أو كبيرةً كالقضايا
الدولية. سأصارع يا سيدتي، هؤلاء الأولاد المباركين ذهبوا إلى

الحرب، ويتعين علينا نحن النساء يا سيدتي العزيزة، أن نتوانى عن الأشياء، وأن نُبقي ساعدنا صلبًا، وبُقى السند لهم".

طفل حربٍ في سلطنة حساء

مكتبة

t.me/soramnqraa



هزّ

الدكتور رأسه بأسف: "ليج ونامور ... والآن انضمت بروكسل؟؟ إن هذا لا يعجبني أبدًا" ...

قالت سوزان ببهجةٍ لتريح الأنف: "لا تفقد إيمانك أيها الدكتور العزيز! انتظر حتى يأتي الألمان ضد البريطانيين، ستقلب الأمور تمامًا، وسيكون هناك كلامٌ آخر حينها".

هزّ الدكتور رأسه مرةً أخرى ولكن بقلبي أقل، ربما شاركوا جميعًا لا شعوريًا في إيمان سوزان بأن "الخط الرمادي الرفيع" (حاجز الحدود) غير قابلٍ للكسر، حتى من خلال اندفاع ملايين الألمان المجهزين.

على أي حال، عندما جاء اليوم المريع، الأول من عدة أيامٍ مريعةٍ لحقته، حاملًا أخبارًا تُفيد بأن الجيش البريطاني قد عاد إلى الوراء، كانا يحدقان في بعضهما البعض برعبٍ فارغ، حدّق الجميع ببعضهم البعض بفرعٍ أجوف.

قالت نان وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، محاولةً أن تخلص نفسها من شكوكها بصحة ما سمعته: "هذا ... هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا!"

قالت سوزان: "شعرت بأن هناك أخبارًا سيئة اليوم، لأن هذا الحيوان القبط تحول إلى السيد هايد هذا الصباح بدون سابق إنذار، أو وجود سبب لذلك، ولم يكن ذلك فآلاً جيداً على الإطلاق".

تمتم الدكتور بجملة أحد المراسلين في لندن: "جيشٌ محطّمٌ ومهزومٌ ولكنه ليس محبطاً! هل يمكن أن يُقال شيئاً كهذا على جيش إنجلترا؟"

قالت السيدة بلايث بيأس: "سوف تطول فترة الحرب كثيرًا الآن". عاد إيمان سوزان، الذي كان مغمورًا مؤقتًا لبعض الوقت، إلى الظهور. وقالت: "ولكن لا تنسي يا سيدتي العزيمة بأنهم يتكلمون عن الجيش البريطاني وليس القوات البحرية البريطانية! كما أن الروس في طريقهم للمساعدة أيضًا، على الرغم من أنني لا أعرف الكثير عنهم وبالتالي لن أحكم عليهم".

قال والتر بحزن: "لن يأتي الروس في الوقت المناسب لإنقاذ باريس، فباريس هي قلب فرنسا، والطريق إليها مفتوح. آه، أتمنى ... " وتوقف فجأة عن كلامه وخرج.

وبعد يومٍ كاملٍ من القلق والعجز، استخلص شعب إنجلسايد أنهم سيقدرّون على التحمل والاستمرار مع كل هذه الأخبار التي تزداد سوءًا وقتامةً في كلّ مرّة.

عملت سوزان بضراوة في مطبخها، وخرج الدكتور في جولة زيارته، وعاد دي ونان إلى أنشطة الصليب الأحمر، وذهبت السيدة بلايث إلى مدينة شارلوت لحضور مؤتمر للصليب الأحمر.

أما ريبلا، فبعد أن أفرغت ما كانت تشعر به بنوبة من الدموع الحارة في وادي قوس المطر، وبعد أن انفجر قلمها مفرغًا كل ما فيه على دفتر يومياتها، تذكّرت بأنها اختارت أن تكون شجاعةً وقويةً وبطوليةً.

وفكّرت، بأن ما تريد أن تفعله بأمر التطوع للصليب الأحمر في

جلين وفور ويندز بالانتقال بين المنازل وجمع لوازم الصليب الأحمر على حصان أبنر كراوفورد الرمادي ... هو أمرٌ بطوليٌّ بحق.

كان أحد الخيول في إنجلترا أعرج، والآخر مع الدكتور، لذلك لم يكن يوجد سوى مهر كراوفورد وهو مخلوقٌ هادئٌ وغير متسرعٍ وذو بشرةٍ غليظةٍ ولديه عادةٌ لطيفةٌ تتمثل في التوقف كل بضعة أمتارٍ ليركل ذبابةً على ساقه بقدمه الأخرى. شعرت ريبلا أن هذا، إلى جانب حقيقة أن الألمان كانوا على بعد خمسين ميلاً فقط من باريس، يصعب تحمله. ولكنها بدأت بشجاعةٍ في مهمةٍ محفوفةٍ بتائج مذهلة.

في وقتٍ متأخرٍ من بعد الظهر، وجدت ريبلا نفسها مع عربةٍ مليئةٍ بالطرود، عند مدخل ممرٍ عشبيٍّ عميقٍ يؤدي إلى شاطئ الميناء. كانت تتساءل عما إذا كان الأمر يستحق المرور بمنزل أندرسون. إذ كانت عائلة أندرسون فقيرةً للغاية، ولم يكن من المحتمل أن يكون لدى السيدة أندرسون أي شيءٍ لتقدمه.

من ناحيةٍ أخرى، زوجها الذي كان رجلاً إنجليزيًا بالدم وكان يعمل في كينجسبورت عندما اندلعت الحرب، أبحر على الفور إلى إنجلترا للتجنيد هناك، دون العودة إلى المنزل أو إرسال الكثير من النقود الصعبة كما يُقال. ولكن ربما تشعر السيدة أندرسون بالأذى إذا تم تجاهلها، لذلك قررت ريبلا المرور عليها.

وبسبب بعض المواقف لاحقًا تمت لو أنها لم تمر، ولكن على المدى الطويل، كانت تحمد الله أنها قد فعلت ذلك.

كان منزل أندرسون صغيرًا ومتهاكًا نوعًا ما، يتربع في بستانٍ من أشجار التنوب المكسرة بالقرب من الشاطئ، كما لو كان يخجل من نفسه ويتوق للاختباء. ربطت ريبلا ناغها الرمادي بالسياج المتهاك وذهبت إلى الباب، وكان مفتوحًا. والمنظر الذي رآته ... أعجزها مؤقتًا عن قوة الكلام أو الحركة.

من خلال الباب المفتوح لغرفة النوم الصغيرة المقابلة لها، رأت ريلا السيدة أندرسون مستلقيةً على السرير غير المرتب، وكانت ... مية. لم يكن هناك شكٌ في ذلك. وأيضًا لم يكن هناك أي شكٍ في أن المرأة الكبيرة، المهووسة، ذات الرأس والوجه الأحمر والبدينة التي كانت تجلس بالقرب من طريق الباب، وتدخن الغليون بشكلٍ مريح، كانت على قيد الحياة ومرتاحةً أيضًا.

كانت تتأرجح ذهابًا وإيابًا وسط محيطها المليء بالاضطراب المزري، ويبدو أنها لم تهتم على الإطلاق بالعويل الثاقب الذي انبعث من ذلك المهد في منتصف الغرفة.

عرفت ريلا المرأة مذ رأتها بسبب صيتها وشمعتها، كان اسمها السيدة كونوفر، وعاشت في قرية الصيد وتكون عمّة السيدة أندرسون. وكانت ثملةً من السكر، وتدخن أيضًا.

كان الدافع الأول لريلا هو الاستدارة والفرار. لكن هذا لن ينجح أبدًا، ربما هذه المرأة، وإن كانت مثيرةً للاشمئزاز، بحاجةٍ إلى المساعدة ... رغم أنها بالتأكيد لا تبدو كما لو كانت قلقةً بشأن ذلك على الإطلاق. قالت السيدة كونوفر وهي تزيل غليونها وتحقق في ريلا بعيونها الصغيرة الشبيهة بالجرذان: "تعالى".

سألت ريلا بخوفٍ وهي تتخطى العتبة: "هل ... هل السيدة أندرسون ميةٌ حقًا؟"

ردت السيدة كونوفر: "ميتةٌ مثل جثةٍ يابسة، صعدت روحها للسماء منذ نصف ساعة. لقد أرسلت جين كونوفر ليهاتف أحدهم من أجل متعهد دفن الموتى والحصول على بعض المساعدة من الشاطئ. أنت مساعدة الدكتور، أليس كذلك؟ هل فُرِجت وأخيرًا؟"

لم يكن هناك أي كرسيٍ غير مليءٍ بالأشياء لتجلس ريلا عليه، وقالت: "ألم يكن الأمر مفاجئًا؟"

"حسنًا، لقد كانت تتألم منذ أن ذهب ذاك عديم الجدوى زوجها جيم أندرسون من أجل إنجلترا، وهو أمر مؤسفٌ أنه غادر. أعتقد أن سكرات الموت جاءتْها عندما سمعت بالأخبار. لقد وُلدت منذ أسبوعين، وكانت بحالٍ جيّدة. بيد أنها عندما سمعت الأخبار، بدأت حالتها بالتدهور شيئًا فشيئًا، حتى وافتها المنيّة".

سألت ريبلا بتردد: "هل ... هل هناك أي شيء ... يمكنني القيام به ... للمساعدة؟"

"بارك الله بك، ولكن ليس هناك ما تساعدني به طالما لا تجدني التعامل مع الأطفال. فطفلها الرضيع هناك لا يسمح أبدًا بالتسكع، ليلاً أو نهارًا. لقد علمت للتو أنك لم تلاحظي ذلك".

مشّت ريبلا بحذرٍ شديدٍ بأطراف أصابعها إلى المهد، وبحذرٍ شديدٍ أيضًا سحبت البطانية المتسخة من فوقه. لم تكن تنوي لمس الطفل، كما أنها لم تكن تجد التعامل مع الأطفال، عدا عن أنها لا تحبهم. رأت قزمًا قبيحًا بوجهٍ صغيرٍ أحمر مشوه، ملفوفًا في قطعة قطنية قديمة، لم ترَ طفلًا أقبح منه من قبل. ومع ذلك، فإن الشعور بالشفقة على العث المقفر اليتيم، الذي ترك كل الأماكن وخرج إلى مثل هذا المكان المشكوك فيه، استحوز عليها فجأة.

سألت: "ماذا سيحلّ بالطفل؟"

قالت السيدة كونوفر بصراحة: "الله وحده يعلم، لقد كانت "مين" قلقةً للغاية بشأن ذلك قبل وفاتها. لقد ظلت تقول "أوه، ما الذي سيحدث لطفلي المسكين" حتى أثار ذلك أعصابي حقًا. ولكن يمكنني أن أخبرك بأنني لن أزعج نفسي به، فقد سبق وريت ولدًا كانت قد تركته لي أختي، ولكنه لم يعترف بي حتى لاحقًا، ولن يقدم لي المساعدة في شيخوختي، والنسل النافر للجميل والقرابة لا يتغير.

قلت لمين أن علينا إرساله إلى ملجأ الأيتام، وعندما يُقرر جيم

العودة، فليفعل به ما يشاء، هو ولده. أتصدقين بأنها لم ترحب بهذه الفكرة أبدًا! وهذا كل ما في الأمر".

استمرت ريبلا في أسئلتها، فبطريقة ما، كان مصير الطفل مصدر قلبي لها: "ولكن من الذي سيهتم به إلى أن يُنقل إلى دار الأيتام؟" سخرت السيدة كونوفر قائلة: "سأضطر إلى ذلك على ما أعتقد!" ثم وضعت سيجارتها بعيدًا وأخذت جرعة كبيرة من زجاجة سوداء كانت على الرف القريب منها وأكملت: "رأيت أن الطفل لن يعيش طويلًا... إنه مريض. لم يكن لدى مين أبدًا أي مرضٍ وأعتقد أنه لم يكن كذلك. من المحتمل أنه لن يزعج أي شخصٍ لفترةٍ طويلة، وتكون نهايته على خير".

سحبت ريبلا البطانية إلى أسفل مسافةً أبعد قليلًا. وصاحت بنبرة صادمة: "لما لا يرتدي شيئًا؟؟"

سألت السيدة كونوفر بصدق: "ماذا وكيف ومتى سألبسه؟ لم يكن لدي متسعٌ من الوقت لأنظر إليه حتى، إذ قضيته كله وأنا أعتني بمين. إلى جانب ذلك، كما أخبرتك، لا أعرف شيئًا عن الأطفال.

السيدة العجوز بيلى كراوفورد، كانت هنا عندما وُلدت، فهي من غسلته ولفته في تلك الفانيلة، ومين كانت تعتني به قليلًا منذ ذلك الحين. المخلوق دافئٌ بدرجة كافية، لا تقلقي، هذا الطقس كفيلاً بإذابة جليد القطب".

كانت ريبلا صامتةً تنظر إلى الطفل الباكي. لم تكن قد واجهت أيًا من مآسي الحياة من قبل، وهذه كانت ضربةً موجهةً لها في الصميم. إن فكرة ذهاب الأم المسكينة إلى دنيا الآخرة، وهي قلقةٌ على طفلها، ولا أحد بالقرب منه سوى هذه المرأة العجوز البغيضة، أوجعها بشكلٍ رهيب.

فقط لو أتت قبل وقتها بقليل! ومع ذلك، ما الذي كان يمكنها فعله؟

ماذا يمكنها أن تفعل الآن أصلاً؟ لم تكن تعرف، ولكن كل ما تفكر به هو أنه يجب عليها فعل شيء ما.

كانت تكره الأطفال، حسناً!! ولكنها ببساطة لم تستطع المغادرة وترك هذا المخلوق الصغير المسكين مع السيدة كونوفر، التي كانت تأخذ جرعة وراء أخرى من زجاجتها السوداء، وربما تكون في حالة سكرٍ بلا حولٍ ولا قوة قبل أن يأتي أي شخصٍ للمساعدة.

أخذت ريلا تفكر بما يمكن فعله: "لا أستطيع البقاء!! فالسيد كراوفورد قال إنني يجب أن أعيد مهره بحلول وقت العشاء، يا إلهي ماذا أفعل؟؟"

وعندها، أخذت قرارًا مفاجئًا وبائسًا و مندفعًا وقالت بسرعة: "هل يمكن أن آخذ الطفل معي إلى المنزل؟"

قالت السيدة كونوفر وديًا: "بالطبع! إن أردت، ليس لدي أي اعتراضٍ على الأمر. خذيه، وبكل رحابة".

قالت ريلا: "أنا ... أنا لا أستطيع أن أحمله. إذ يجب أن أقود الحصان وأخشى أن أسقطه. هل توجد سلة في أي مكانٍ يمكنني وضعه فيها؟"

"إلى حدّ علمي، لا يوجد أي شيء هنا! فقد كانت مين فقيرةً وبلا حيلةٍ كزوجها جيم تمامًا. ولكن لا أعلم إن كنتِ ستجدين شيئًا إن فتحت هذا الدُرج، ربما ستجدين بعض ثياب الطفل أيضًا، خذهم معك أيضًا".

حصلت ريلا على الملابس، تلك الملابس الرخيصة الرديئة التي أعدتها الأم المسكينة بأفضل ما تستطيع. لكن هذا لم يحل المشكلة الملحة لنقل الطفل، بدت ريلا تنظر حولها عاجزة! آه! فقط لو كانت أمي أو سوزان هنا، لحلّ الأمر فورًا! حينها، سقطت عيناها على سلطانية حساءٍ ضخمةٍ زرقاء في الجزء الخلفي من الخزانة.

فسألت: "هل لي أن أضعه فيها؟"

"حسنًا! إنها ليست لي، ولكن أعتقد أن بإمكانك أخذها، واحذري أن تحطميها بكل الأحوال! قد يثير جيم ضجةً حول هذا الأمر إذا عاد حيًا، وهو أمرٌ سيفعله بالتأكيد، رغم أنها بلا فائدة على الإطلاق.

لقد جلب تلك الحلة القديمة من إنجلترا معه، وقال إنها تراثٌ في العائلة. لم يستخدمها هو ومين أبدًا، فلم يكن لديهم ما يكفي من الحساء لوضعه فيها أساسًا! ولكن هكذا هو تفكير جيم، شديد القلق بشأن بعض الأشياء الخارجية، ولكن لا يقلقه عدم وجود الأشياء الأساسية التي من المفترض أن توضع بها"!!!

ولأول مرة في حياتها، قامت ريلا بلايث بلمس طفل، ورفعته، ولفته في بطانية، وهي ترتعش من التوتر خشية أن تسقطه أو ... أو ... تكسره مثلًا. ثم وضعته في سلطانية الحساء.

سألت بقلق "هل يمكن أن يخنق هكذا؟"

قالت السيدة كونوفر: "لا أعتقد ذلك".

فزعت ريلا، فأزاحت الغطاء قليلًا عن وجه الطفل. فتوقف عن البكاء وأخذ يرمش في وجهها. كانت لديه عينان قاتمتان كبيرتان في وجهه الصغير القبيح.

حذرتها السيدة كونوفر قائلة: "من الأفضل ألا تدع الرياح تهب عليه. ستحبس أنفاسه إن فعلت ذلك".

لقت ريلا اللحاف الصغير الممزق حول السلطانية وقالت: "هل يمكن أن تناوليني إياه بعد أن أصعد من فضلك؟"

قالت السيدة كونوفر وهي تنهض بنخر: "بالتأكيد سأفعل".

وهكذا انطلقت ريلا بلايث، تلك الفتاة التي أتت إلى منزل السيد أندرسون كارهةً للأطفال، ها هي ترجع منه وتحمل طفلًا في سلطانية حساء عند حجرها.

اعتقدت ريبلا أنها لن تصل إلى إنجلترا بخير أبدًا. فقد كان هناك صمتٌ غريبٌ في سلطانية الحساء. بطريقةٍ ما كانت ممتنةً لأن الطفل لم يبك، لكنها كانت تتمنى أن يُصدر صوتًا بين الحين والآخر لإثبات أنه على قيد الحياة.

هل يمكن أن يكون قد اختنق! لم تجرؤ ريبلا على فك غلافه لترى ما إن كان على ما يرام خشية أن تقطع الرياح أنفاسه، والتي كانت تهب الآن كالإعصار. إن الأمر مروّعٌ بكل أحواله، ولكنها حمدت الله عندما وصلت أخيرًا إلى بوابة إنجلترا.

حملت ريبلا السلطانية ودخلت بها إلى المطبخ، ووضعتها على المنضدة تحت عيني سوزان. نظرت سوزان إلى ما بداخلها، ولأول مرةً تصلبت كالصخرة في مكانها، لم تكن قادرةً على نطق أي كلمة. كان الدكتور داخلًا المطبخ ورأهما فسأل: "ما هذا بحق السماء؟" أخبرته ريبلا بالقصة كاملة، وأنهت حديثها قائلة: "كان عليّ إحضاره يا أبي، لم أستطع تركه هناك".

سأل الدكتور ببرود: "وماذا ستفعلين به الآن؟" ولكن ريبلا لم تتوقع هذا النوع من الأسئلة على الإطلاق... فتلعثمت وهي في حيرةٍ من أمرها ثم أجابت: "يمكن... يمكن أن نتركه هنا لبعض... لبعض الوقت! حتى نرى ما يمكن... ما يمكن أن نفعله".

أخذ الدكتور يجول ذهابًا وإيابًا في المطبخ وهو يفكر في الأمر، بينما كان الطفل يحدّق بالجدران البيضاء للسلطانية التي هو فيها. وسوزان تنظر بقلقٍ لترى ما يمكن أن يحدث.

وأخيرًا، واجه الدكتور ريبلا قائلاً: "الرضيع الصغير يعني قدرًا كبيرًا من العمل الإضافي والمتاعب في الأسرة يا ريبلا. سيغادر نان ودي إلى ريدموند الأسبوع المقبل، ولا تستطيع والدتك ولا سوزان تحمل

الكثير من الرعاية الإضافية في ظل الظروف الحالية. إذا كنت ترغبين في الاحتفاظ بهذا الطفل هنا، فيجب أن تعتني به بنفسك " فرعت ريلا من كلماته، إذ وجدت بأن ذلك غير منطقيّ أبدًا: "أنا؟؟؟ ولكن يا أبي! أنا ... لا ... لا أستطيع".

"هناك فتياتٌ أصغر منك كنّ يعتنين بأطفالهن. هذه نصيحتي، وسوزان تحت تصرفك إن أردت أن تعرفي شيئًا ما. وإن كان ذلك أكبر من قدرة تحملك، فيجب أن يعود هذا الطفل إلى كونوفر. ستكون مدة حياته قصيرة إذا حدث ذلك، لأنه من الواضح أنه طفلٌ حساسٌ ويتطلب رعايةً خاصة. أشك في أنه سيستمر بشكلٍ طبيعي حتى لو تم إرساله إلى ملجأ أيتام. ولكن لا يمكنني فرض مسؤوليات زائدة على والدتك وسوزان".

وخرج الدكتور من المطبخ بعدها، بدا صارمًا جدًّا وثابتًا في موقفه. كان يعرف جيدًا في قلبه أن الساكن الصغير في سلطانية الحساء الكبيرة سيبقى في إنجلترا، لكنه كان يقصد معرفة ما إذا كانت ريلا قادرة على تحمل الأمر الواقع.

جلست ريلا تنظر بهدوءٍ إلى الطفل، كان من السخف التفكير في أنها يمكن أن تهتم بالأمر. ولكن، ماذا عن تلك الأم الصغيرة المسكينة، الضعيفة، الميتة ... التي كانت قلقةً بشأن ابنها قبل موتها، وماذا عن تلك العجوز المخيفة كونوفر؟

عندها استسلمت للأمر الواقع، وسألت سوزان بعدوبة: "ما الذي يمكن أن يُفعل من أجل طفلٍ يا سوزان؟"

قالت سوزان وهي تشعر إلى حدٍ ما بحالتها: "يجب أن تبقيه دافئًا، وأن يستحم كل يومٍ مع التأكد من أن الماء ليس ساخنًا جدًّا ولا شديد البرودة، ويجب أن تطعميه كل ساعتين. وإن كان لديه مغص، ضعني أشياء دافئةً على بطنه".

بدأ الطفل يبكي مرة أخرى.

قالت ريلا بيأس: "لا بدّ أنه جائع، يجب إطعامه بأية طريقة. قولي لي ماذا أفعل وما يجب أن أحضره يا سوزان".

بتوجيهات سوزان تم تحضير زجاجة من الحليب والماء، تم الحصول عليها من عيادة الدكتور. ثم أخرجت ريلا الطفل من سلطانيته وبدأت تُطعمه. وأنزلت السلة القديمة لطفلها الصغير من العلية ووضعت فيها بعد أن غفى، ووضعت السلطانية في المخزن، ثم جلست لتفكر في كل الأمور التي حصلت وتحصل معها...

كانت نتيجة تفكيرها أنها ذهبت إلى سوزان عندما استيقظ الطفل. "سأرى ما يمكنني فعله يا سوزان. لا يمكنني السماح لهذا الشيء الصغير المسكين بالعودة إلى السيدة كونوفر. أخبريني كيف أغسله وألبسه".

تحت إشراف سوزان قامت ريلا بتحميم الطفل. لم تجرؤ سوزان على المساعدة إلا بالكلام والتوجيهات، لأن الدكتور كان في غرفة المعيشة وقد يبرز في أي لحظة. لقد تعلّمت سوزان من خلال التجربة أنه عندما يريد الدكتور التدخل في شيء ما، يقول له كن فيكون. تحمّلت ريلا كل ما يحصل، واستمرت في المضي قُدماً مع هذا الطفل. هيا! فليكن خيرًا!

يا إلهي كم عدد التجاعيد والمنعطفات التي يملكها الطفل في جسده؟ لم يكن هناك ما يكفي للتحكم به. أوه، على فرض أنه انزلق في الماء!! كان ناعمًا جدًّا! فقط لو يتوقف عن عويله هذا! كيف يمكن أن تُحدث مثل هذه اللقمة الصغيرة مثل هذا الضجيج الهائل؟؟

كان يمكن سماع صرخاته عبر إنجلسايد كلّها.

سألت آن بشفقة: "هل يمكن أن أكون قد آذيته يا آن؟"

"لا يا عزيزتي. معظم الأطفال يكرهون الاغتسال. أنت ماهرة حقًا

كمبتدئة. أبقى يدك تحت ظهره دائماً، وحافظي على هدوئك عندما تتعاملين معه".

"اهداً!" كانت ريلا تنضح الماء في كل مسامٍ له، وعندما تم تجفيف الطفل وارتداء ملابسه وتهدئته مؤقتاً بزجاجةٍ أخرى من الحليب، كانت ريلا متعبةً ومترهلةً مثل قطعة قماش.

"ماذا عليّ أن أفعل به الليلة يا سوزان؟"

كان الطفل في النهار مُتعباً بدرجةٍ كافية، أما في الليل فلا يمكن تصوره.

قالت سوزان: "ضعي السلة على كرسيٍّ بجوار سريرك وغطيه جيداً. ستحتاجين أن تستيقظي مرةً أو اثنتين في الليل لإطعامه، لذلك من الأفضل أن تأخذي سخّان الزيت في الطابق العلوي ليكون قريباً منك. وإن لم تتمكني من التعامل مع الأمر، فقط نادني، وسأتي إليك على الفور بوجود الدكتور أو بغيابه".

"ولكن يا سوزان، ماذا إن بكى؟"

ومع ذلك، لم يبكي الطفل. كان ذلك مدهشاً بشكلٍ جيّد، ربما لأن معدته الصغيرة المسكينة كانت مليئةً بالطعام المناسب. نام معظم الليل، ولكن ريلا لم تنم، فقد كانت تخشى أن تغفى خوفاً من حدوث شيءٍ ما للطفل.

حضرت زجاجة حليبٍ في الساعة الثالثة، مصممةً أنها لن تنادي سوزان مهما حصل.

لم تكن تصدق ما يحدث معها قط، هل هذه هي فعلاً؟ هل ريلا بلايث المتهربة من المسؤولية قد أقحمت نفسها في هذا الأمر؟

لم تعد تهتم للألمان ووجودهم في باريس أو خارجها، كل ما كانت تهتم به هو الطفل. هل يبكي؟ هل يتوجع؟ هل يمكن أن يصاب بصدعٍ أو بتشنجاتٍ معينة؟ الأطفال يعانون من تشنجات، أليس كذلك؟ أوه،

لماذا نسيت أن تسأل سوزان ماذا يجب أن تفعل إذا كان الطفل يعاني من تشنجات؟

شعرت بمرارة أن الأب كان مراعيًا جدًا لصحة الأم وسوزان، ولكن ماذا عن حالتها؟ هل كان يعتقد أنها يمكن أن تستمر في الوجود إذا لم تنم أبدًا؟

لن تتراجع الآن، ليست ريبلا من تتراجع عن أمرٍ اتخذته. فلو كان لها حيوانٌ أليفٌ لكانت قد رعته وحتى إن قتلها تعبًا. يجب الآن أن تشتري كتابًا يعلمها كيفية التعامل مع الأطفال، وعن نظافتهم وكل شيء، ولن تدين بالفضل لأحد. لم تكن لتذهب إلى والدها أبدًا للحصول على المشورة، فهي لن تزعج والدتها كما يقول، يمكن أن تتنازل لسوزان ولكن ماذا إن بلغ الأمر أقصى حدّه. سيرون جميعًا! وهكذا حدث، عندما عادت السيدة بلايث إلى المنزل بعد ليلتين، وسألت سوزان عن مكان ريبلا، شعرت بالصدمة من رد سوزان الهادئ: "إنها في الطابق العلوي يا سيدتي العزيزة، تضع طفلها في الفراش."

8

قرار ريبلا



سرعان

ما تعتاد العائلات والأفراد على حِدٍ سواء على الظروف الجديدة ويتقبلونها دون أدنى شك. وبحلول الوقت الذي انقضى فيه الأسبوع، بدا الأمر كما لو أن طفل أندرسون كان دائمًا في إنجلسايد.

لقد بدأت ريبلا في النوم جيّدًا مرةً أخرى بعد أول ثلاث ليالٍ مشتتة، واستيقظت تلقائيًا لتتولى مهمتها في الوقت المحدد. كانت تحممه وتغذّيه وتلبسه بمهارةٍ كما لو كانت تفعل ذلك طوال حياتها. لم يزد حبها لوظيفتها أو للطفل كثيرًا، فما زالت تتعامل معه بحذرٍ شديدٍ كما لو كان نوعًا من السحلية الصغيرة، وسحليةً قابلةً للكسر في ذلك الوقت. لكنها قامت بعملها على أتم وجه، ولم يكن هناك طفلٌ رضيعٌ أكثر نظافةً ورعايةً منه في جميع أنحاء جلين سانت ماري.

حتى أنها أخذت تزن المخلوق كل يوم، وتدون النتيجة في مذكراتها، لكنها في بعض الأحيان كانت تسأل نفسها بشفقة، لماذا قادها القدر غير اللطيف إلى ممر أندرسون في ذلك اليوم المصيري؟ لم يضايقها شيرلي ونان ودي بالقدر الذي توقعته، لقد بدوا جميعًا

مندهشين من مجرد حقيقة تبني ريلا لطفل حرب. ربما يكون الدكتور قد أصدر تعليماتٍ أيضًا. أما والتر، فبالطبع لم يكن يضايقها بسبب أي شيء، وذات يوم قال لها بأنها إنسانةٌ رائعةٌ حلوة المعشر.

قال بأسف: "لقد تطلب الأمر شجاعةً أكبر بالنسبة لك للتعامل مع هذا الرضيع الجديد الذي يبلغ وزنه خمسة أرطال، أكثر من مواجهة جيم لميلٍ من الألمان يا ريلا ريلاتي. أتمنى لو كنت أملك نصف عزمك هذا فقط".

كانت ريلا فخورةً جدًا بما قاله والتر لها، ومع ذلك، كتبت بشكلٍ قاتم في مذكراتها في تلك الليلة:

أتمنى أن أحب الطفل قليلاً. هذا سيجعل الأمور أسهل. لكنني لا أفعل ذلك. سمعت الناس يقولون إنك عندما تعتنين بطفلٍ تصبحين مغرمةً به ويقولون "لكنك لست كذلك"، أنا لست كذلك بالفعل على أي حال.

كما أنه مصدر إزعاج، إنه يمنعني من فعل الكثير من الأشياء! يكتبني فقط! وخاصةً في هذا الوقت من بين كل الأوقات، عندما كنت أعمل على بدء الصليب الأحمر للصغار. ولم أستطع الذهاب إلى حفلة أليس كلو الليلة الماضية وكنت أتوق لذلك أيضًا.

إن الأمر لا يتعلق بأبي كثيرًا في هذا الأمر، فهو عقلائيٌّ ولن يمانع أن أخرج مساءً لساعةٍ أو ساعتين إن كان الأمر ضروريًا، ولكن السبب كان في أنني لا أستطيع الخروج وترك الطفل لأمي وسوزان لتعتنيا به.

أفترض أنه كان كذلك لأن الطفل كان لديه مغصٌ أو ما شابه حوالي الساعة الواحدة تقريبًا. لم يكن هناك شيءٌ يزعجه، لذلك علمت، وفقًا لكتاب مورغان، أنه لم يكن يبكي لأنه غاضبٌ من شيءٍ ما، ولم يكن جائعًا ولم يكن هناك دبابيس ملتصقةٌ به تزعجه.

كان يصرخ بشدةٍ حتى صار وجهه أسود. فنهضت وسخنت الماء

ووضعت زجاجة الماء الساخن على بطنه، فغدى يعوي أسوأ من أي وقت مضى وهو يلفت أرجله الرفيعة من شدة الألم. كنت أخشى أن أحرقه لكنني لا أصدق أنني فعلت ذلك.

ثم أخذت أتمشى وأنا أحمله، على الرغم من أن كتاب مورغان يقول إنه لا ينبغي فعل ذلك أبدًا. سرت لأميال، وكنت متعبهً للغاية ومحبطة العزيمة ومجنونة، أجل، كنت كذلك.

كان بإمكانني هز المخلوق لو كان كبيرًا بما يكفي ليُهز، لكنه لم يكن كذلك. كان أبي خارجًا في حالة مرضية، وأمي تعاني من صداع، وكانت سوزان متقلبة لأنها تخالف أكثر ما تقوله مورغان، وأنا كنت مصرةً على متابعة كلام الأخيرة، لذلك كنت مصممةً على ألا أناديها إلا إذا اضطررت لذلك.

أخيرًا، حضرت الأنسة أوليفر. ولكنها تتشارك الغرفة مع نان الآن وليس أنا، وكل ذلك بسبب الطفل، وأنا أشعر بالحزن حيال ذلك. أفتقد كثيرًا محادثاتنا الطويلة بعد أن نجلس في فراشنا. كان ذلك الوقت الوحيد الذي أشعر به بوجودي وبنفسي وبشخصيتي.

كرهت فكرة أنها قد استيقظت بسبب بكاء الطفل، فيكفيها ما لديها من المتاعب...

السيد غرانت موجود في فالكارثير أيضًا، ولدى الأنسة أوليفر احساسٌ مخيفٌ بشأن ذلك، رغم أنها فخورةٌ بهذا الأمر. هي تعتقد أنه لن يعود أبدًا وعيناها تحطمان قلبي عندما تفكر هكذا، إنهما مأساويتان للغاية. قالت إنه لم يكن الطفل هو من أيقظها، فلم تكن قادرةً على النوم لأن الألمان قريبون جدًا من باريس.

أخذت البائس الصغير ووضعت على بطنه على ركبته، وضربت ظهره برفقٍ عدة مرات، فتوقف عن الصراخ وذهب فورًا إلى النوم، ونمتُ مثل حملٍ بقية الليل، لقد كنت منهكةً جدًا.

لقد عانيت كثيرًا حتى ابتدأت صليب أحمر الصغار. لقد نجحت في تعيين بيتي ميد كرئيسة، وأنا سكرتيرة، لكنهم وضعوا جين فيكرز في منصب أمين الصندوق وأنا احتقرها. إنها نوع الفتاة التي تفضل أي شخص ذكي أو وسيم أو مميز تعرفه قليلًا، وهي خبيثة وذات وجهين. لا تُمانع أونا أن تكون هي الأمانة بالطبع، إنها على استعداد لفعل أي شيء في تناول اليد، ولم يهمها أبدًا فيما إذا كانت تملك مكتبًا أم لا، إنها مجرد ملاك مثالي، بينما أنا فملائكية تارةً وشيطانية تارةً أخرى، بحسب الموقع والشخص.

أتمنى أن يقع والتر بحبها، لكنه لا يبدو أنه يفكر بها بهذه الطريقة أبدًا، على الرغم من أنني سمعته يقول ذات مرة أنها كانت مثل وردة الشاي، إنها كذلك بالفعل. يتم فرض الكثير من الأمور عليها لمجرد أنها لطيفة للغاية وراغبة في المساعدة، ولكنني لن أسمح للناس أن يفرضوا على ريبلا بلايث وما شابه كما تقول سوزان.

وتمامًا كما توقعت، كانت أوليف مصممةً على وجود الغداء في كل اجتماعٍ نعقده، وبرز نقاشٌ حادٌ حول ذلك، فمنهم من كان يؤيدها، والأغلبية منهم كانوا يعارضونها ومن ضمنهم أنا، مما جعل الأقلية ينزعجون ويستأؤون.

كانت إيرين هوارد من ضمن المؤيدين، وكانت شديدةً بقراراتها، وعنيدةً جدًّا، ولكنها كانت تعاملني بلطفٍ كثيرًا وهذا ما جعلني أحتار. أتساءل ما إن كانت أمي والسيدة إليوت قد مررن في اجتماعهن بنفس ما نمر به الآن، أعتقد أن ذلك قد حصل، وتم حلها بالنقاش والهدوء ليستمررن دون التأثير على الهدف الأساسي.

وأنا سأستمر، ولكن ليس بهدوء، أنا لا يمكنني ضبط نفسي بقدر أمي، فأنا أصرخ وأبكي وأفرغ كل ما بي في دفتر المذكرات هذا، ولكن على انفراد ... وعندما أنتهي، سأريهم جميعًا...

أنا لا أنزعج ولا أستاذ، وأكره الناس الذين يستأثرون. على كل حال، عملنا الاجتماعي قد بدأ، وقررنا الالتقاء مرة كل أسبوع، وسنتعلم الترابط فيما بيننا وأن نبقي يدًا واحدةً جميعًا...

نزلنا أنا وشيرلي مرةً أخرى إلى المحطة من أجل حث كلب الإثنين على العودة إلى المنزل، ولكنه أبى أن يتزحزح من مكانه، جميع من في العائلة حاول معه وفشل. حتى ذهب والتر، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من ذهاب جيم، وأجبره على الرجوع بجزءه بعربة الحيوانات رغمًا عنه، وربطه كي لا يعود.

عندها دخل يوم الإثنين في نوبة إضرابٍ عن الطعام، وبدأ يعوي بشكوى ليلاً نهارًا، فاضطررنا إلى إطلاق سراحه ثانيةً وإلا كان سيموت من الجوع.

لذلك تركناه وشأنه، وقد تكلم أبي مع الجزار القريب من المحطة لإطعامه بالعظام وما يفضل عنه من لحومٍ لا تُباع. كما أن أحدنا ينزل كل يوم تقريبًا ليأخذ له شيئًا. دائمًا ما يكون راقداً ملتويًا تحت سقيفة الشحن، وفي كل مرة يأتي قطارًا ما، يندفع إلى جانبه، ويهز ذيله بترقبٍ وهو يحملق ويتودد حول كل فردٍ ينزل منه. وعندما يذهب القطار ويدرك أن جيم لم يكن بينهم، يزحف مكتئبًا عائداً إلى سقيفته، بعينه المحبطين، ويستلقي بصبرٍ في انتظار القطار التالي...

يقول السيد جراي، مدير المحطة، إن هناك أوقاتٍ يصعب فيها عليه المساعدة في البكاء بسبب التعاطف المطلق. في أحد الأيام، قام بعض الأولاد باللقاء الحجارة على يوم الإثنين، وقام جوني ميد، الذي لا يُعرف عنه أنه لم يلاحظ شيئًا من قبل، بخطف فأس لحمٍ في دكان الجزار فطاردهم عبر القرية. لم يتحرش أحد يوم الإثنين منذ ذلك الحين.

عاد كينيث فورد إلى تورنتو. لقد جاء قبل ليلتين ليودعنا، بيد أنني لم

أكن في المنزل حينها، كان لابد من حياكة بعض الملابس للطفل، وعرضت السيدة ميريديث مساعدتي، لذلك كنت في منزل القس معها، ولم أركبنيث. لا يهم... لقد أخبرنا أن يوصل سلامه لـ "العنكبوت"، وأنه يخبرني ألا أنساه تمامًا في ظل واجباتي الممتعة للأومومة. إذا كان بإمكانه ترك مثل هذا الهراء، فهي كرسالة مهينة بالنسبة لي، تُظهر لي بوضوح أن ساعتنا الجميلة على الشاطئ لم تكن تعني شيئًا له، لذلك، قررت أن لن أفكر فيه الآن، ولا في أي وقتٍ آخر...

كان فريد أنولد هناك في منزل القس، وسار معي ليوصلني إلى المنزل عند عودتي. إنه ابن القس الميثودي الجديد، وكان لطيفًا للغاية وذكيا، كان سيبدو وسيما جدًا لولا أنفه فقط، لديه أنفٌ مروءٌ حقًا. لا يؤثر عليه عندما يتحدث عن الأشياء الشائعة، ولكن عندما يتحدث عن الشعر والمثل العليا، فإن التناقض يكون شاسعًا بين أنفه ومحادثاته بالنسبة لي، ولا أشعر سوى أنني أريد أن أضحك. ليس عدلًا، لأن كل ما قاله كان مثاليًا وساحرًا، وإذا قالها شخصٌ مثل كينيث مثلاً، كنت سأشعر بالبهجة التامة حينها.

كنت مفتونةً تمامًا بحديثه طالما أنني أسمعُه وعيناي بعيدتين عنه، ولكن بمجرد أن أنظر إليه وأرى أنفه، ينفك هذا السحر بلمح البصر. يريد أن يذهب للتجنيد أيضًا، لكن لا يمكنه ذلك لأنه يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا فقط.

قابلتنا السيدة إليوت بينما كنا نسير في القرية، ولم يكن بوسعها أن تبدو أكثر رعبًا بعينها المحدقتين تلك عندما أمسكتني وأنا أسير مع القيصر بنفسه كما تدعوه. السيدة إليوت تكره الميثوديين وجميع أعمالهم. يقول أبي إنه هاجسٌ عندها منذ زمن."

بحلول الأول من شهر أيلول، كان هناك نزوحًا جماعيًا من منزل إنجلسايد، كلٌ إلى عمله أو جامعته أو معهده. غادر دي ووالتر وفايث

ونان إلى ريدموند، ذهب كارل إلى مدرسة هاربور هيد الخاصة به وشيرلي إلى معهد كوينز.

بقيت ريلا وحيدةً في إنجلترا، وكانت لتبقى وحيدةً جدًا، فقط لو كان لديها وقت فراغ لذلك. افتقدت والتر بشدة، فمنذ حديثهما في وادي قوس المطر، أصبحا قريبين جدًا من بعضهما البعض، وكانت تخبره بكل المشاكل التي لم تذكرها للآخرين مطلقًا. ولكنها كانت مشغولةً للغاية مع صليب أحمر الصغار وطفلها، لدرجة أنه نادرًا ما كانت تتفرغ لدقيقة إضافية لتشعر بالوحدة المريرة فيها.

في بعض الأحيان، وبعد أن تذهب إلى فراشها، كانت تبكي قليلاً على وسادتها وهي تتذكر غياب والتر، ووجود جيم في الحرب، ورسالة كينيث غير الرومانسية، ولكنها غالبًا ما كانت تغفو قبل أن تتبلل وسادتها بالدموع.

بعد أسبوعين من مجيء الطفل إلى إنجلترا، سأل الدكتور: "هل يجب عليّ أخذ الترتيبات اللازمة لإرسال الطفل إلى مدينة هوب؟" للحظة شعرت ريلا بأنها ستقول "نعم" على الفور. يمكن إرسال الطفل إلى مدينة هوب، سيتم الاعتناء به بشكلٍ لائق، ويمكن أن تستعيد أيام فراغها ولياليها غير المقيمة مرةً أخرى.

ولكن ... ماذا عن تلك الأم الشابة المسكينة التي لم ترغب في ذهاب ابنها إلى الملجأ؟ لم تستطع ريلا إخراج ذلك من تفكيرها على الإطلاق. وفي ذلك الصباح بالذات، اكتشفت أن الطفل قد اكتسب ثمان أونصاتٍ من وزنه منذ قدومه إلى إنجلترا، فشعرت بتلك الإثارة والفخر تجاه هذا الأمر...

وقالت: "ولكنك... ولكنك قلت بأنه لن يعيش طويلًا إن ذهب إلى هناك!"

"ويمكن ألا يحصل ذلك، فرعاية الملاجئ تُعتبر جيدةً مهما كان،

الفكرة هي أنها لا تنجح كثيرًا مع الأطفال الرضع. ولكنك تعرفين ما سيكون عليه الوضع إن أبقيته هنا يا ريليا أليس كذلك؟"
صرخت ريليا: "لقد اعتنيت به لمدة أسبوعين، وازداد نصف رطل تقريبًا، أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظر حتى نسمع من والده خبرًا على أية حال. قد لا يرغب في إرساله إلى ملجأ الأيتام، بينما يخوض هو معاركًا للدفاع عن بلاده".

تبادل الدكتور والسيدة بلايث الابتسامات الممتعة والارتياح وراء ظهر ريليا. ولم يتلفظا بعدها بشيء عن مدينة هوب أبدًا.
ولكن سرعان ما تلاشت تلك الابتسامات عندما سمعوا خبرًا أن الألمان على بعد عشرين ميلًا فقط من مدينة باريس. وبدأت الأخبار المروعة بالظهور في صحف بلجيكا الشهيدة. كانت الأجواء متوترة للغاية لكل من في إنجلترا.

قالت جيرترود أوليفر للسيدة ميريديث محاولة الضحك ولكن بيأس: "إننا نلتهم أخبار الحرب، ندرس الخرائط ونقضي على جيش المغول بأكمله في بضع تحركات استراتيجية جيدة التوجيه. لكن بابا جوفري لم يستفد من نصيحتنا، ولذا يجب أن تسقط باريس".
غمغم جون ميريديث: "هل سيصلون إليها، ألم تبقى أي يد قوية لتتدخل بعد؟"

تابعت جيرترود: "أنا أدرّس في المدرسة مثل الحلم، ثم أعود إلى المنزل وأغلق على نفسي في غرفتي وأمشي على الأرض. نحن قريبون جدًا من هذه الحرب".

صاحت ابنة العم صوفيا: "إنهم الرجال الألمان في سنليس، لا شيء ولا أحد يستطيع إنقاذ باريس منهم الآن".

كانت ابنة العم صوفيا قد اعتادت قراءة الصحف وتعلمت المزيد عن جغرافية شمال فرنسا، واعتادت حتى نطق الأسماء الفرنسية أيضًا

وهي في عامها الحادي والسبعين أكثر مما كانت تعرفه في أيام دراستها. قالت سوزان بعناد: "ليس لدي مثل هذا الأمل السيئ بالرب القدير أو بدولنا ... أرى أن هناك رجلاً من بيرنستوف في الولايات المتحدة يقول إن الحرب قد انتهت وأن ألمانيا قد انتصرت، وأخبروني أن "المشعر القمري" يقول الشيء نفسه ويسعدني ذلك تمامًا، لكن يمكنني أن أقول بأنهم يستبقون الأمور قبل حدوثها، ولكن من يدري، فالسهم يحتاج أن نرجعه للوراء كي يتقدم بقوة!"

استأنفت صوفيا كلامها: "لماذا لا تبذل البحرية البريطانية المزيد من الجهود؟"

قالت سوزان: "حتى البحرية البريطانية لا يمكنها أن ترسو على برّ يا صوفيا كراوفورد. أنا لن أفقد أملي، ولن أتخلى عنه أبدًا، على رغم من علّة وجود كل تلك الأسماء البربرية مثل توماسكو وموبادج. وتلك التي يدعونها ب ... يا سيدتي العزيزة، هل يمكن أن تخبريني بلفظ اسمها مرةً أخرى؟ هل رايم أو ريم أو ريام أو أي شيء من هذا القبيل!!"

قالت السيدة بلايث: "أعتقد أنك تقصدين رانج" تأوهت سوزان: "آه! تلك الأسماء الفرنسية ..."

تنهدت ابنة العم صوفيا: "أخبروني أن الألمان قد حطموا الكنيسة هناك، لطالما اعتقدت أن الألمان مسيحيون!!"

قالت سوزان: "إن هذا الفعل شنيعٌ للغاية، ولكن ما قد فعلوه في بلجيكا أسوأ بكثير. لقد سمعت الدكتور وهو يقرأ عن أنهم يقتلون الأطفال بالرماح هناك. أو يا سيدتي العزيزة، من وقتها وأنا أتخيل جيم الصغير يتعرض لشيء ما، راودتني تلك الأفكار وأنا أطبخ الحساء، وأحسست بأن حياتي ما كانت عبثًا لو أنه بإمكانني فقط أن أقلب هذا القدر المغليّ كله على القيصر ونرتاح منه ومن أفعاله."

قالت جيرترود أوليفر من خلال شفيتها المتوترتين: "غداً، غداً! ستنقل الأخبار عن وجود الألمان في باريس".

كان لديها واحدة من تلك المقولات التي تضرب دائماً على وتر الحساس، لا سيما أنها تحترق ألماً لمعاناة العالم من حولها. بصرف النظر عن اهتمامها الشخصي بالحرب، فقد صدمتها فكرة سقوط باريس في أيدي الحشود القاسية التي أحرقت لوفان ودمرت عجيبة رايم.

ولكن بعد يومين، جاءت أنباء معجزة مارن. هرعت ريلا إلى المنزل بجنون من المكتب ملوحةً بصحيفة إنتربرايز بعناوينها الحمراء الكبيرة. ركضت سوزان بيديها المرتعشتين لرفع علم النصر، ومشى الدكتور بفخر وهو يتمتم "الحمد لله، الحمد لله"، وبكت السيدة بلايث ثم ضحكت ثم بكت مرةً أخرى.

قال السيد ميريديث ذلك المساء: "مد الله يد العون لهم وساعدهم... يُمهّل ولا يُمهّل".

كانت ريلا تغني في الطابق العلوي وهي تضع الطفل في الفراش. تم إنقاذ باريس ... انتهت الحرب ... خسرت ألمانيا ... وسرعان ما ستنتهي الآن ... سيعود جيم وجيري. كانت الغمامة السوداء تحمل نفسها بعيداً...

قالت للطفل: "لا تجرؤ على المغص في هذه الليلة السعيدة، حسناً!! إذا قمت بذلك، فسأصفقك في سلطانية الحساء تلك وأشحنك إلى مدينة هوب عند أول قطار. لديك عيون جميلة، ولم تُعد أحمر تماماً ومتجعداً كما كنت، ولكن ليس لديك ذرة من الشعر، ويديك مثل المخالب الصغيرة، وأنا ما زلت على شعوري نفسه لك، لم أحبك أكثر مما فعلت في أي وقت مضى.

ولكن أمل أن تكون والدتك المسكينة على علم أنك بأمان،

موضوعًا في سلة دافئة، وتحصل على حصص الحليب اللازمة كل يوم، وأن وزنك يزداد أيضًا، أفضل من أن تهلك في البرد القارص هناك مع ميغ كونوفر العجوز.

وآمل أنها لا تعلم بأنني كدت أغرقك في الماء في ذلك اليوم، ولكنك كنت زلّاقًا جدًّا ولم أكن أعرف التعامل مع الأمر من دون سوزان.

أنا لا أحبك، ولن أفعل ذلك أبدًا، ولكن مع كل ذلك سأجعل منك رضيعًا لائقًا ومستقيمًا. ستصبح سمينًا مثل الأطفال المحترمة لسبب واحد. وهو أنني لا أقبل لأي شخص بأن يقول: "يال له من شيء صغير بائس، ذلك طفل ريبلا بلايث" كما قالت السيدة درو العجوز في مركز الصليب الأحمر البارحة. "فإذا لم أستطع أن أحبك، هذا لا يعني ألا أكون فخورةً بك على الأقل".

9

مغامرات دوك الشقيّة



عندما

أصبح من الواضح أن معركة أيسن الطويلة قد أدت إلى طريق مسدود، قال الدكتور بلايث: "لن تنتهي الحرب قبل الربيع المقبل الآن".

كانت ريلا تهمس بنغمة في أنفاسها وهي تحاول جعل الطفل ينام "هيا نم، هيا نم،" وتهزّ مهد الطفل بقدم واحدة وهي تحيك شيئاً ما. مع أن مورغان كانت ضد المهد تماماً، على عكس سوزان التي تعتبره مهمّاً. ولذلك كان لا بدّ من التضحية في بعض الأمور للمحافظة على مزاج سوزان الجيّد.

وضعت حياكتها للحظة جانباً وأخذت تفكّر: "آه! كيف ستحمل كل ما يحصل معنا!!" ثم ما لبثت أن تابعت عملها من جديد. كانت تلك ريلا، قبل شهرين من ذهابها إلى وادي قوس المطر، والانفجار بالبكاء.

كانت الآنسة أوليفر تجلس وتتنهد بين حين وحين، والسيدة بلايث شابكةً يديها. فقالت سوزان بحماس: "حسناً، يجب علينا فقط أن نشد عزمنا ونبدأ في المشاركة. فالعمل كالمعتاد هو شعار إنجلترا كما قيل

لي يا سيدتي العزيزة، وسأطبق هذا الشعار على نفسي، لن أقف مكتوفة اليدين منتظرةً وأنا أقول لا بد أن يحدث الأفضل.

سأصنع نفس النوع من الحلوى اليوم الذي أصنعه دائمًا يوم السبت، إنه جيّدٌ في مساعدتي على حلّ المشاكل ويعطيني الراحة، لأن ذلك سيصفي أفكاري وينعشها.

سأذكر نفسي بأن كيتشيز هو قائد المعركة، وأن جوفي يبلي بلاءً حسنًا بالنسبة لجنديّ فرنسي. سأحضّر هذا الصندوق من الكعك لجيم الصغير، وسأنهي حياكة جواربه اليوم، جوربٌ في اليوم هو قدرتي.

حسنًا هناك السيدة ألبرت ميد من هاربور، تصنع في اليوم زوج جواربٍ ونصف، ولكن لا يوجد شيءٌ لتفعله في يومها سوى الحياكة. كما تعلمين يا سيدتي العزيزة، فقد ظلت طريحة فراشها لسنوات، وكانت مُزعجةً للجميع لأنها كانت تعاملهم بجفاء، وكانت نفقاتها كثيرةً. وما زالت لم تمت لترتاح وتُريح غيرها. لقد قيل لي أنها أصبحت أكثر تسامحًا الآن، وقد استسلمت لحياتها وهي تقعد ليلاً نهارًا على الحياكة والنسيج.

حتى ابنة العم صوفيا تعلمت الحياكة يا سيدتي العزيزة، وهذا أمرٌ جيّدٌ جدًّا، فهكذا لن يكون لديها الوقت لتلقي بخطبها وكلامها الكئيب بينما هي مشغولةٌ بإبرها وخيطها، هكذا أفضل من أن تجلس مشبكةً يديها عند بطنها. إنها تعتقد بأننا جميعًا سنكون من الألمان في غضون سنة، ولكنني أخبرتها بأنني أحتاج لأكثر من سنةٍ بكثيرٍ ليبرز مني أي شيءٍ يمت لهم بصلة.

هل علمتِ بأن ريك ماكاليستر قد ذهب للتجنيد يا سيدتي العزيزة؟ وبحسب ما سمعت أن جو ميلجراف سيفعل ذلك أيضًا. ولكنه يخشى بأن يمنعه المشعر القمري بالحصول على ميرندا إن فعل ذلك.

يقول المشعر أنه سيصدق قصص الفظائع الألمانية عندما يراها بأفم

عينيه، وأنه لأمرٌ جيدٌ أن يتم تدمير كاتدرائية رانج لأنها كانت كنيسةً رومانيةً كاثوليكيةً.

أنا لست من الروم الكاثوليك يا سيدتي العزيزة، لأنني وُلدت وترعرعت على يد قس، وسأموت هكذا كما ولدت. ولكنني مؤمنةٌ بأن الكاثوليك لديهم الحق في المحافظة على كنائسهم كما نملك نحن الحق بكنائسنا، ومهما يكن، هذا لا يعني بأن المغول يملكون الحق في تدميرها على الإطلاق".

واختتمت سوزان كلامها بحزن: "ما الذي سيصيب شعورنا إن أطاحت قذيفةٌ ألمانيةٌ ودمرت كنائسنا هنا في جلين يا سيدتي العزيزة؟ أنا متأكدةٌ من أنه أصعب بكثيرٍ من مجرد التفكير في أن كاتدرائية رانج قد تحولت إلى أشلاء..."

وفي غضون تلك الظروف، وفي كل رقعةٍ من تلك الأراضي المحاربة، هناك الفقير والغني، والصغير والكبير، والأبيض والأسمر، والرؤساء والعامّة، كلهم يعلقون آمالهم، يتبعون إشارة ناقوس الخطر فقط...

قالت السيدة بلايث: "حتى ابن بيلى أندرو سيذهب للتجنيد وابن جين الوحيد، وابن ديانا جاك الصغير. لقد ذهب ابن بريسيلا من اليابان وستيلا من فانكوفر، وكلاهما من أبناء القس جو. قالت فيليبا أن أولادها ذهبوا على الفور، دون أن ينكبوا لحيرتها وتردها في الأمر". قال الدكتور وهو يمرر رسالة جيم لزوجته: "يقول جيم إنه يعتقد أنهم سيغادرون قريبًا جدًا الآن، وأنه لن يتمكن من الحصول على إجازةٍ تخوله من قطع هذه المسافة البعيدة حتى يلتحق قبل ذهابهم، حيث سيتعين عليهم البدء في غضون ساعاتٍ قليلةً".

قالت سوزان بسخط: "هذا ليس عدلاً!! ألا يكنّ القائد سام هوز أي اعتبارٍ لمشاعرنا؟ فكرة نقل هذا الفتى المبارك بعيدًا إلى أوروبا دون

السماح لنا حتى بإلقاء نظرةٍ أخيرةٍ عليه! لو كنت مكانك أيها الدكتور العزيز، كنت سأكتب إلى الصحف حول هذا الموضوع".

قالت السيدة بلايث محبطة: "ربما هذا أفضل ... لا أعتقد أنني سأتحمل وداعه مرّةً أخرى، لا سيما أننا نعلم بأن الحرب لن تنتهي قريبًا كما كنّا نأمل أن يحدث عند ذهابه أولاً. آه! أخشى أن ... لا، أنا لن أقولها كما تفعل سوزان وريلا" ...

ثم اختتمت كلماتها بضحكةٍ مؤلمة: "أنا عازمةٌ على أن أكون بطلة!" قال الدكتور: "أنتم نعمةٌ بعثها الرب لي، أنا فخورٌ بما ينطق لسان زوجتي، حتى ريلا، آخر العنقود، تقود الآن مركز صليبٍ أحمرٍ بأكمله، وأنقذت طفلاً كنديًا، هذه هي ريلا ابنة أن. أخبريني ماذا ستسمي طفلك الحربي؟"

قالت ريلا: "أنا أنتظر أن يأتي خبرًا ما عن جيم أندرسون، ربما يرغب في تسمية طفله بنفسه".

ولكن مع مرور أسابيع الخريف، لم ترد أي كلمةٍ من جيم أندرسون، الذي لم يُسمع عنه قط منذ إبحاره من هاليفاكس، والذي بدا له مصير زوجته وطفله مسألة لا مبالاة.

في النهاية، قررت ريلا أن تطلق على الطفل اسم "جايمس"، ورأت سوزان أنه يجب إضافة كيتشينو إليه. لذلك أصبح اسمه جايمس كيتشينو أندرسون، كان اسمه يوحى بهيبةٍ وفرضٍ لنفسه أكثر من الطفل بحد ذاته. قامت عائلة إنجلسايد على الفور باختصاره ومناداته بـ "جايمس"، لكن سوزان أصرت بعنادٍ على مناداته بـ "كيتشينو الصغير" ولا شيء غير ذلك.

قالت باستنكار: "جايمس ليس اسمًا لطفلٍ مسيحي يا سيدتي العزيزة، تقول ابنة العم صوفيا أن هذا أمرٌ زائفٌ للغاية، ولأول مرةٍ أعتبر أنها على حق، على الرغم من أنني لن أرضيها بالاتفاق معها صراحة.

أما بالنسبة للطفل، فقد بدأ يبدو وكأنه طفلٌ طبيعي، يجب أن أعترف بأن ريبلا رائعةٌ في التعامل معه، لن أقول ذلك في وجهها، لكيلا أدلل كبريائها يا سيدتي العزيزة، لن أنسى أبدًا، أبدًا، الحالة الأولى لذلك الرضيع عندما رأيته مستلقيًا في سلطانية الحساء الكبيرة تلك وملفوفٌ في فانيلا قدرة. وأنا سوزان، التي نادرًا ما تشعر بالذهول من أي شيء، لقد شعرت به حينها وما شابه له، لقد خُيِّل لي للحظة بأنها رؤيا أو حلم، وأني لا أرى واقعًا، ولكن ما هي هذه الرؤيا التي أرى سلطانية زرقاء من خلالها! لذلك عرفت أنها حقيقة.

وعندما سمعت الدكتور وهو يخبر ريبلا بأن عليها أن تعتني بالطفل، ظننت أنه يمزح أيضًا، وحتى إن لم يكن كذلك، لم يُخيِّل لي أبدًا بأن ريبلا ستوافق، أو أنها قادرةٌ على ذلك على الإطلاق. ولكن رأيت ما حدث، لقد جعلها هذا الطفل امرأةً واعيةً وليست فتاةً مُراهقةً عادية. أنا أو من يا سيدتي العزيزة بأن المرء عندما يضع في رأسه أمرًا ليفعله، فسوف يفعله بالتأكيد، لا شيء مستحيل " ...

أضافت سوزان دليلًا آخر على هذا القول المأثور لها في ذات يوم في أكتوبر. كان الدكتور وزوجته خارج المنزل حينها. وكانت ريبلا في الطابق العلوي تطلّ على طفلها لتتأكد من أنه لا يزال في قيلولته، وهي تجلس إلى جانبه تستمر بحياتها وتطريزها بكل بهجة.

كانت سوزان تجلس في الشرفة الخلفية، تقشّر الفاصولياء، وابنة العم صوفيا تساعدها. كان السلام والهدوء يملأ جليلين بأسرها، فالسماء مغطاةً بالغيوم البيضاء المتلاشية، وكان وادي قوس المطر يكمن في ضبابٍ خريفيٍّ خفيفٍ من اللون الأرجواني الخيالي، منعكسًا من بستان القيقب الذي تزينه شجيرةٌ من الألوان الخريفية المحترقة، وتحيط الشجيرات الحلوة ساحته برسمٍ مدهشةٍ في ظلاله الدقيقة.

لم تكن الأجواء تمتّ للصراعات الخارجية في العالم بصلة، وقد

هدأ قلب سوزان المخلص في نسيانٍ لبعض الوقت، على الرغم من أنها استيقظت معظم الليل السابق وهي تفكر في جيم الصغير وهو بعيدٌ خلف المحيط الأطلسي، حيث كان الأسطول العظيم يحمل أول جيشٍ كندي عبر المحيط. حتى ابنة العم صوفيا بدت أقل شؤماً من المعتاد، واعترفت بأنه لم يكن هناك الكثير من الأخطاء التي يمكن العثور عليها في ذلك اليوم، على الرغم من أنه لم يكن هناك شكٌ في أن الطقس سيتحول عما قريب، وستكون هناك عاصفةٌ مروعة في أعقابه.

وقالت: "إن الأمور هادئةٌ جدًا على أن تبقى كذلك لوقتٍ طويل". وكما لو كان تأكيدًا لكلامها، ظهر ضجيجٌ مفاجئٌ غامضٌ من خلفهم، كان من المستحيل تمامًا وصف المزيج المرتبك من الانفجارات والخشخشات والصراخ المكتوم والصيحات التي انطلقت من المطبخ، مصحوبةٌ بأصوات تكسير. حدقت سوزان وابنة العم صوفيا ببعضهما في فرع.

لهتت ابنة العم صوفيا بفرع: "ما هذا الذي يحصل في الداخل؟" قالت سوزان: "لا بد أن القط هايد قد أُصيب بالجنون وأخيرًا، لطالما توقع حدث ذلك".

جاءت ريبلا بأسرع ما يمكنها من غرفة المعيشة وسألت: "ماذا؟ ما الذي حصل؟"

قالت سوزان: "ليس من شأني التحدث في هذا، ولكن من الواضح أنه وحشك الذي تمتلكينه هنا، لا تقتربي منه، سأفتح الباب وألقي نظرة خاطفة. هناك المزيد من الأواني الفخارية. لقد قلت دائمًا أن الشيطان كان بداخله وأنا مصرةٌ على كلامي".

قالت ابنة العم صوفيا جديًا: "رأيت أن القط يعاني من رهاب الماء. سمعت ذات مرة عن قطٍ أُصيب بالجنون، وعصّ ثلاثة أشخاص، وماتوا جميعًا موتةً رهيبَةً بعد أن تحولوا إلى اللون الأسود كالحبر".

تشجعت ريلا، وفتحت سوزان الباب ونظرت إلى الداخل، كانت الأرض مليئة بشظايا من الأطباق المكسورة، حيث بدا أن المأساة القاتلة قد وقعت على الخزانة الطويلة حيث تعبت سوزان لفترة طويلة وهي ترتبها وتنظفها حتى أصبحت لامعة.

ومن بين هذا الحطام، كان القط المسعور جالسًا ورأسه مثبتًا بإحكام في علبة سلمون قديمة. لا بد أنه كان يختبئ من الأصوات والمشاجرات التي سمعها خارجًا، والآن يضربها بجنونٍ بكل شيء يراه أمامه، وعبثًا يحاول كل ما في جهده لينتزعها بقدميه.

كان المشهد مُضحكًا لدرجة أن ريلا لم تستطع اكتتام صوت ضحكتها، فنظرت إليها سوزان بتوبيخ.

"لا أرى ما يُضحك، لقد كسر وعاء خلط سيدتي الأزرق الذي أحضرته معها من المرتفعات الخضراء. هذه ليست كارثة صغيرة في رأيي. ولكن يجب أن نفكر الآن، كيف يمكننا انتزاع هذا الشيء من رأسه!"

صاحت ابنة العم صوفيا التي كانت تراقب ما يحدث أمامها: "لا! إياك أن تلمسيه، يمكن أن تلقي حتفك بسببه. أغلقي باب المطبخ لكيلا يخرج، واستدع ألبرت".

قالت سوزان بصوتٍ عالٍ: "أنا لست معتادةً على استدعاء ألبرت أثناء الصعوبات العائلية مثل هذه، هذا الحيوان في حالة عذاب، ومهما كان رأيي عنه، لا يمكنني تحمل رؤيته وهو يعاني من الألم. اذهبي أنت يا ريلا من أجل كيتشينز الصغير، وسأرى ما يمكنني فعله هنا".

سارعت سوزان بلا هوادة إلى المطبخ، واستولت على معطفٍ قديمٍ للطبيب، وبعد مطاردةٍ جامحةٍ والعديد من القفزات غير المثمرة، تمكنت من رميها على القط أخيرًا. ثم شرعت في فتح العلبة بفتاحة علب، بينما حملت ريلا الحيوان الملتوي وثبته جيدًا وهو ملفوفٌ في

لم يتم سماع أي شيء من قبل مثل صرخات دوك أثناء سير العملية في إنجلسايد بأكملها. كانت سوزان في حالة خوف شديد من أن يسمعها ألبرت كراوفورد ويستنتج أنها كانت تعذب المخلوق حتى الموت.

كان دوك قطعًا همجيًا وغازبًا عندما تم إطلاق سراحه، ومن الواضح أنه كان يعتقد أن الأمر برمته كان عملاً محضراً لإهانتته. ألقت سوزان نظرة حزينّة على سبيل الامتنان فيما اندفع هو خارج المطبخ ليأخذ ملاذًا عند السياج في الغابة حيث كان يغرق لبقية اليوم. أما سوزان المسكينة، فأخذت تجرف الأطباق المكسورة وكلها غضبًا وقامة. قالت بمرارة: "حتى المغول أنفسهم لا يُحدثون مثل هذا الخراب! ولكن عندما يحتفظ الناس بحيوان شيطاني مثل هذا، على الرغم من كل التحذيرات، لا يمكنهم الشكوى عندما ينكسر جهاز زفافهم. لا ينقص إلا امرأة مثلي لا تستطيع أن تخرج من المطبخ بضع دقائق دون أن تعود إليه وترى أطباقًا محطمةً وقطعًا عالقًا في علبة سلمون".

10 اضطرابات ريلا



مد شهر تشرين الأول، ومرت الأيام الكثيرة لشهر تشرين الثاني وكانون الأول. اهتز العالم برعد الجيوش المتحاربة، أنتويرب قد سقطت، وأعلنت تركيا الحرب، وجمعت صربيا الصغيرة الشجاعة نفسها ووجهت ضربة قاتلة إلى مضطهدها. وفي جلين سانت ماري، تلك البلدة الهادئة والمحددة بالتلال، والتي تقبع على بعد آلاف الأميال، هناك قلوبٌ تنبض بالأمل والخوف كلما وصلتهم رسائلٌ أو أخبارٌ متفاوتةٌ من يومٍ لآخر.

قالت الأنسة أوليفر: "قبل بضعة أشهر، لم يكن حديثنا يتخطى ما يحدث في جلين سانت ماري. أما الآن، فنحن نفكر ونتحدث ونحلل التكتيكات العسكرية والمؤامرات الدبلوماسية في العالم".

كان هناك حدثٌ واحدٌ عظيمٌ يحدث ويُرتقب كل يوم، وهو وصول البريد. حتى سوزان اعترفت بأنه منذ الوقت الذي توغلت فيه عربة البريد على الجسر الصغير بين المحطة والقرية، وإحضار الأوراق إلى المنزل وقراءتها، لم تتمكن من العمل بشكلٍ صحيح.

وكانت تتكلم مع السيدة بلايث: "يجب أن أهتم بالحياكة وأظلم

أطرز حتى تأتي أوراق البريد يا سيدتي العزيزة. فالحياكة شيء يمكنك القيام به، حتى عندما يكون قلبك مثل مطرقة توجعك من الداخل، أو حتى عندما تشعرين بوخز أو أن حفرة معدتك قد اختفت تمامًا. ثم عندما أرى عناوين الأخبار، سواءً كانت جيدة أو سيئة، أهدأ وأستطيع متابعة عملي مرةً أخرى.

إنه لأمرٌ مؤسفٌ أن يأتي البريد فقط عند وقت العشاء لدينا، وأعتقد أن الحكومة يمكن أن ترتب الأمور بشكلٍ أفضل. ولكن القيادة في كاليه فشلت، كنت متأكدةً تمامًا من أنها ستفشل، ولن يأكل القيصر عشاء عيد الميلاد في لندن هذا العام. هل تعلمين يا سيدتي العزيزة "... خفضت سوزان صوتها لأنها كانت ستنقل معلوماتٍ مروعةٍ للغاية، وأكملت: "لقد قيل لي بناءً على أخبارٍ موثوقة، وإلا فكوني متأكدةً من أنني لن أكررها عندما يتعلق الأمر بقس، المهم، لقد قيل لي أن القس السيد أرنولد يذهب إلى مدينة شارلوت كل أسبوع، ويأخذ حمامًا تركيًّا بسبب الروماتيزم. الفكرة هي أنه يفعل ذلك ونحن في حالة حربٍ مع تركيا!!! لطالما أصر أحد أعوانه على أن لاهوت السيد أرنولد لم يكن سليمًا وبدأت أعتقد أن هناك سببًا للخوف منه. حسنًا، يجب أن أتحدى بنفسي هذا المساء، وأحصل على كعكة عيد الميلاد الخاصة بجيم الصغير وأضعها في طرد له. سيستمع بها كثيرًا إذا ما كان مُغرَقًا بالطين قبل ذلك الوقت".

كان جيم في معسكر في سالزبورج بلين وكان يكتب رسائل مبهجة على الرغم من الطين. كان والتر في ريدموند وكانت رسائله إلى ريبلا غير مبهجة على الإطلاق، لم تفتح واحدةً أبدًا دون خوفٍ من التجاذب في قلبها من أنه سيخبرها أنه ذهب للتجنيد، لقد جعلتها تعاسته غير سعيدةً أبدًا. أرادت أن تضع ذراعها حوله وتریحه كما فعلت ذلك اليوم في وادي قوس المطر. وكرهت كل من كان مسؤولًا عن تعاسة والتر.

تمت على نفسها بعد ظهر أحد الأيام، وهي جالسة بمفردها في وادي قوس المطر تقرأ رسالةً منه: "يبدو أنه ينوي الذهاب! يبدو أنه سوف يذهب! وإن فعل، أنا لن أستطيع تحمل ذلك أبدًا".

كتب والتر أن شخصًا ما أرسل إليه ظرفًا يحتوي على ريشة بيضاء (علامة على الجبن والخوف).

وقال: "لقد استحققت يا ريبلا، شعرت أنني يجب أن ألبس بهذه الريشة، وأعلن لجميع ريدموند هذا الجبان. كل الشباب في سني يذهبون يا ريبلا، كلهم... كل يوم ينضم اثنان أو ثلاثة منهم. أنا لا أخفي عليك، في بعض الأيام، كنت أقرر أن الأمر وصل حدّه وأنه عليّ الذهاب، ثم أتخيل نفسي أقوم بدفع حربة في قلب رجلٍ آخر، ربما يكون زوج امرأة ما تنتظره، أو حبيبها أو ابنها، ربما والدٌ لأطفالٍ صغار يتحرقون شوقًا لرجوعه.

أرى نفسي ممددًا وحدي ممزقًا ومشوهًا، أتحرق عطشًا في حقلٍ باردٍ مبللٍ بالدماء، محاطًا برجالٍ ميتين يحتضرون، وأنا أعلم أنني لا أستطيع أن أتحمّل هذا أبدًا يا ريبلا، لا يسعني حتى التفكير في الأمر. كيف يمكنني مواجهة الواقع إذًا؟ هناك أوقاتٌ كنت أتمنى لو لم أولد فيها، لقد بدت الحياة دائمًا شيئًا جميلًا بالنسبة لي، والآن أصبحت بشعةً جدًّا. أعتقد أنني سأستسلم...

وأونا! أونا هي في الحقيقة فتاةٌ صغيرةٌ رائعةٌ حلوة المعشر، أليس كذلك؟ هناك نعومةٌ وصلابةٌ رائعةٌ تحت كل ذلك الخجل الذي يظهر منها. لم تكن موهبتها في كتابة الرسائل المثيرة للضحك، ولكن هناك شيئًا في رسائلها، لا أعرف ما هو، يحرك مشاعري عند قراءتها، تجعلني أفكر بأنني سأذهب وأقاتل حتى في المقدمة، وليس مجرد ذهابٍ فقط... ليس لأنها تقول كلمةً واحدةً عن ذهابي، أو تلمح لذلك، على الإطلاق... فهي ليست من هذا النوع. إنها فقط روحها، الشخصية التي

تمتلكها. حسنًا، ولكن لا يمكنني الذهاب.

لديك أخ أنت يا ريبلا، أما أونا، فلديها صديقٌ جبانٌ ...

تنهدت ريبلا بعد قراءتها للرسالة قائلة: "آه، يا ليت والتر يكف عن كتابة مثل هذه الأشياء ... إنه يؤلمني من الداخل ... إنه ليس جبانًا - هو ليس كذلك - ليس كذلك!"

سرحت ريبلا بحزنٍ في كل ما حولها، إلى ذلك الوادي الصغير الذي تجلس فيه، وإلى الأحراش التي تعقبه من بعيد، كان كل شبرٍ منها يذكّرُها بوالتر، لا تزال الأوراق الحمراء تثبت بالأعشاب البرية الحلوة التي تعلو منحني الجدول، كانت سيقانها مليئةً بلألئ المطر اللطيف الذي سقط قبل ذلك بقليل. وتذكّرت القصيدة التي كتبها والتر ذات مرّة في وصفهم.

كانت الريح تنهد بين أوراق نبات السرخس البنية المكسوة بالجليد، تطلق حفيقًا حزينًا، ثم تنسحب بعيدًا عند أسفل النهر. قال والتر حينًا أنه يحب ترانيم رياح الخريف الحزينة، لا سيما في شهر تشرين الثاني.

كانت أغصان شجرة العشّاق القديمة لا تزال مشبوكةً تُعانق بعضها في حُضنٍ وفيٍّ ومخلص ... والسيدة البيضاء، أصبحت شجرةً كبيرةً ذات تشعباتٍ بيضاء، برزت بشكلٍ لافتٍ مقابل السماء المخملية الرمادية. كانت تلك مسميات والتر لها جميعها.

وفي تشرين الثاني الماضي، بينما كان يسير معها والآنسة أوليفر في الوادي، وهو ينظر إلى السيدة الخالية من الأوراق، مع قمرٍ فضيٍّ صغيرٍ يتدلى فوقها، أدلى بشعرٍ يصفها قائلاً: "تلك البتول البيضاء عذراء وثنية، لم تفقد أبدًا روح جنّةٍ عذبة، وهذا سرّها في بقائها بغير عارٍ أزلية ..."

علّقت الآنسة أوليفر قائلة: "ضع هذا في شعرك يا والتر".

وهذا ما فعله، وقرأه لهم في اليوم التالي، كان شعراً قصيراً يضم خيالاً أخاذاً في كل سطرٍ من سطره ... آه! كم كانوا سعداء حينها.. سارعت ريلا بالرجوع إلى البيت، فوقت راحتها انتهى، وقد حان وقت استيقاظ جيمس ... يجب أن تحضر الغداء له، ولديها أيضاً اجتماع في صليب أحمر الصغار هذه الليلة، ولديها حقيبة كانت تحيكتها يجب أن تنتهيها اليوم، وستكون الحقيبة الأكثر أناقة في مجتمع الفتيات، أجمل حتى من حقيبة إيرين هوارد. لذلك يجب أن تذهب إلى البيت اليوم لتنتهي ما عليها، ثم في طريقها إلى العمل.

كانت تشغل هذه الأيام نهاراً ليلاً، كان جيمس يحتاج إلى عناية كاملة تأخذ كل وقتها تقريباً، ولكن هذا كان واضحاً، إذ كان يكبر وينمو بالفعل، وكانت هناك أوقاتٍ شعرت فيها ريلا أنها على يقينٍ من أنه لم يكن مجرد أملٍ تقوى به، بل حقيقةً مطلقةً أن مظهره كان يتحسن بلا ريب. في بعض الأحيان كانت تشعر بالفخر به، وأحياناً أخرى كانت تتوق إلى صفعه، ولكنها لم تقبله ولم ترغب في تقبيله أبداً.

ذات مساءً من شهر كانون الأول، كان الجميع يجلس في غرفة المعيشة، والسيدة بلايث وسوزان تقومان بالحياكة والتطريز، قالت الآنسة أوليفر: "لقد استولى الألمان على لودز اليوم ... على الأقل هذه الحرب توسع معلوماتي الجغرافية، على الرغم من أنني معلمة مدرسة، إلا أنني لم أكن أعرف بأن هناك مكاناً على الأرض يُدعى لودز، وحتى إن سمعت عنها، فلم أكن لألقي بالآل للأمر أو أكثرث إلى ما هي بالفعل ... أما الآن، فأنا على درايةً بكل شيءٍ يخصها، حجمها ومكانتها وأهميتها العسكرية.

إن الأخبار في الأمس التي تفيد بأن الألمان استولوا عليها في اندفاعهم الثاني إلى وارسو جعلت قلبي ينبض بشدة. استيقظت في الليل قلقاً جداً، لا عجب أن يبكي الأطفال دائماً أثناء استيقاظهم في

الليل. كل شيء يعصر روعي عصراً، ولا يوجد خبرٌ يريح القلب قليلاً".

علقت سوزان التي كانت تُحك وتقرأ في الوقت نفسه: "عندما أستيقظ في الليل، ويصيني الأرق، أفضي وقتي كله وأنا أدعو على القيصر بكل سوء، قضيت الليلة الماضية أدعو عليه أن يُقلَى بالزيت المغلي نأراً لهؤلاء الأطفال البلجيكين".

ضحكت الأنسة أوليفر قائلة: "أنظروا من يتكلم، فلو كان القيصر هنا، وكان يُعاني من ألم في كتفه، لكنت أول شخص يركض ليحضر المرهم له".

صرخت سوزان غاضبة: "هل هذا ما تعتقدينه؟؟ هل سأفعل هكذا يا آنسة أوليفر؟ سوف أفركه بزيت الفحم يا آنسة أوليفر، وأتركه حتى ينتفخ. هذا ما سأفعله... ألم في كتفه! حقاً! سيكون لديه آلام في كل مكان قبل أن يمر بذلك".

قال الدكتور بجديّة: "يخبرنا ديننا أن نحبّ أعداءنا يا سوزان". ردت سوزان بسحق: "نعم أعداؤنا، لكن ليس أعداء الملك جورج أيها الدكتور العزيز." لقد كانت مسرورةً جدّاً بنفسها بسبب هذا الشطح من الدكتور، حتى أنها ابتسمت وانتزعت نظاراتها. لم تستسلم سوزان أبداً للنظارات من قبل، لكنها فعلت ذلك أخيراً للتمكن من قراءة أخبار الحرب، ولكنها لم تستطع أن تقرأ شيئاً ثم قالت: "هل يمكن أن تخبريني يا آنسة أوليفر كيف تُنطق م-لا-و-ة وب-ز-ر-عاب-ر-ز-ي-مي-ل؟" (أسماء مناطق)

"هذا الاسم الأخير هو معضلة لا يبدو أن أحداً قد حلها بعد يا سوزان. ولا يمكنني سوى تخمين الآخرين".

فقالت سوزان وهي تشعر بالاشمئزاز: "هذه الأسماء الأجنبية بعيدة كل البعد عن كونها لائقة في رأيي".

قالت الأنسة أوليفر: "أجرؤ على القول إن النمساويين والروس سيعتقدون أن ساسكاتشوان وموسكودوبويت صعبتين يا سوزان، فالصرب تصرفوا بشكلٍ رائعٍ في الآونة الأخيرة، لقد استولوا على بلجراد".

قالت سوزان باستمتاع، بينما استقرت لتفحص خريطة أوروبا الشرقية، وحثت كل منطقةٍ بإبرة الحياكة على وسمها في ذاكرتها: "وأرسلت القوات النمساوية تعبئتها عبر نهر الدانوب، قالت ابنة العم صوفيا منذ فترة، إن صربيا قد استسلمت، لكنني أخبرتها أنه لا يزال هناك شيءٌ مثل العناية الإلهية المفرطة في الحكم، وأنا أشك بمن هم يؤمنون... تقول إن المذبحة كانت مروعة، على الرغم من أنهم كانوا أجنب. من المروع التفكير في مقتل الكثير من الرجال يا سيدتي العزيزة، فهم نادرون بما يكفي".

كانت ريبلا في الطابق العلوي، تجلس في غرفتها وتفرغ جام مشاعرها المشحونة في كتابة يومياتها في دفتر المذكرات:

كانت الأمور تسير معي بشكلٍ عشوائي هذا الأسبوع، جزءٌ منه كان بغير إرادتي، والآخر بسببي أنا، غير أنني لم أكن راضيةً عن كلا الجزأين. ذهبت إلى المدينة في ذلك اليوم لشراء قبعةٍ شتويةٍ جديدة. كانت هذه هي المرة الأولى التي لم يصرّ فيها أحدٌ على المجيء معي لمساعدتي في اختيارها، وشعرت أن أُمِّي قد تخلت حقًا عن التفكير بي كطفلة. كانت القبعة التي اخترتها الأعلى سعرًا في المكان، ولكنها كانت ساحرةً بكل بساطة. كانت قبعةً مخملية، بإحدى درجات اللون الأخضر الجميل الذي يناسبني تمامًا، فهذا اللون ينسجم مع لون شعري وبشرتي بشكلٍ لافت، وتبرز انعكاس ذلك اللون القرميدي الذي يمثلني أو "كياني" تمامًا.

كنت أملك مثل هذه الدرجة الخضراء مرةً واحدةً في حياتي كلها،

كان ذلك عندما كنتُ في الثانية عشر من عمري، كنت أملك قبعة سمور وكان جميع رفاقي ينظرون بعين الغرابة والجموح. ولذلك، بمجرد أن رأيت هذه القبعة، شعرت بأن عليّ شراءها، وهذا ما فعلته. كان سعرها خياليًا مقارنةً بالقبعات الأخرى، لذلك لن أضعها على رأسي الآن، فلا أريد لأحد أن يعرف بأنني قد بدّرت كل هذا المال مقابل قبعة، لا سيما في هذه الظروف وتحت الأجواء الحربية حيث يحاول الجميع التقشف وأن يكونوا مقتصدين قدر الإمكان.

عندما عدت إلى المنزل، وارتديت قبعتي أمام المرأة لأجرها مجددًا، أحسست بالذنب ... بدأت الهواجس تنخر عقلي. بالطبع كانت تبدو جذابة، ولكنني شعرتُ وبطريقة ما، بأنها لن تتناسب مع الذهاب إلى الكنيسة مثلًا في هذه الأحوال، أو مع كل ما يجري في جلين من أعمالٍ صغيرة وهادئة، كانت ملفتةً، وغير ملائمةً على أن تُلبس في مثل هذه الأوقات.

لم أفكر بالأمر على هذا النحو عند بائع القبعات، أما في غرفتي البيضاء الصغيرة هذه، فقد رأيت أنها كذلك بالفعل. ماذا عن سعرها الباهظ!! ماذا عن البلجيكيون الذين يموتون جوعًا!!!

عندما رأت أمي القبعة والعلامة التجارية التي عليها، اكتفت بالنظر إلي. لم تكن نظرةً عادية، لدى أمي هذه الموهبة في أن تطال مشاعرك بما تريد أن توصله بنظرةٍ واحدة! هكذا سار الأمر مع أبي عندما كانا في مدرسة أفونليا منذ سنواتٍ عديدة، قال لي بأن نظراتها كانت توحى بالنداء للوقوع في حبّها، لا أشك في ذلك أبدًا، على الرغم من أنني سمعت حكايةً غريبةً عن ضربها له بلوح على رأسه في بداية تعارفهم. يبدو أن أمي كانت تتصرف بطريقةٍ عكسيةٍ وهي صغيرة، إنني أرى ذلك جيدًا، فحتى الآن، منذ أن غادر جيم وهي تتصرف بحيوية.

ولكن لأعود إلى لبّ الموضوع، أي، قبعتي الخضراء المخملية

قالت لي أمي بعد نظرتها تلك: "هل تعتقدين أنه من الصواب صرف كل هذا المبلغ مقابل قبة، والعالم كله في حاجة ماسة للقرش الواحد؟"

قلتُ مبررة: "ولكنني اشتريتها من مصاريفي الخاصة يا أمي".
 "ليس هذا ما قصدته، يجب أن تقسمي ما لديك على أساس احتياجاتك وأولوياتك، وإن أنفقت كل هذا المبلغ على قبة واحدة، فهذا يعني أنك ستضطرين إلى إلغاء أشياء أخرى أكثر أهمية. كما أن المرء يتبع مبدأ معيناً بصرف النظر عن كمية النقود التي معه. ولكن إذا كنتِ تعتقدين بأنك فعلت الصواب يا ريتا، ليس لدي المزيد لأقوله، أترك الأمر لضميرك".

أتمنى لو لم تترك أمي الأمر لضميري، ولكن بكل الأحوال ... لم يكن يوجد ما يمكنني فعله! لم يكن بإمكانني إرجاع تلك القبة، وقد لبستها في إحدى الحفلات في المنطقة، كان عليّ الاحتفاظ بها كيفما كان. بيد أن شيئاً كان يعدم راحتي، مزيجٌ من أحاسيس هادئة وباردة و ... قاتلة.

قلت بغطرسة وبرود: "أنا آسفة لأنها لم تعجبك يا أمي" ...
 ردت: "ليس الأمر أنها لا تناسبك أو لم تعجبني، رغم أنني أعتقد بأنه ذوقٌ غريبٌ لفتاةٍ صغيرةٍ مثلك، ولكن ما لم يعجبني هو الثمن الذي دفعته مقابلها".

لم تؤثر مقاطعة أمي لي على ما كنت أشعر به من برود، لذلك واصلت، أكثر بروداً وهدوءً وفتكاً من أي وقتٍ مضى، تماماً كما لو أن والدتي لم تتحدث: "حسناً ليس باليد حيلة الآن، أنا مضطرةٌ للاحتفاظ بها، ولكن يمكن أن أعدك بأنني لن أشتري قبةً طيلة فترة ثلاث سنوات، أو طيلة فترة الحرب إن استمرت أكثر من ذلك، وحتى أنتِ ...

"لقد كانت الكلمة "أنت" مليئةً بالاستهزاء والسخرية، يا إلهي!! لقد قلت لها: "حتى أنت، لا يمكنك أن تقولي بأن ما دفعته سيكون كثيرًا إن قسمته على ثلاث سنوات".

قالت بابتسامة: "سوف يصيبك الملل من هذه القبعة قبل حلول ثلاث سنوات يا ريللا." وهي تعني بأنها تعرف بأني لن ألتزم بكلمتي. قلت: "سواءً مللت أم لا، سوف أرتديها كل هذه الفترة." ثم صعدت بلمح البصر إلى غرفتي، وصرت أبكي دون توقف وأنا أتذكر ما قلته من سخرية تجاه أمي.

إنني أكره هذه القبعة، أمقتها، ولكنني لن أشتري غيرها، سوف تظل معي ثلاث سنواتٍ أو طيلة فترة الحرب مهما كانت، لقد نذرت نذرًا، وأقسمت على ذلك، وسأحافظ على نذري مهما كلف الأمر.

كانت تلك إحدى الاضطرابات التي تعرضتُ لها في هذه الفترة، أما الأخرى، فقد كانت مع إيرين هوارد، حيث تشاجرت معها، أو هي التي كانت السبب بادئ الأمر، أو يمكن القول إنه كلانا...

بالأمس كان هناك اجتماعٌ هنا لصليب أحمر الصغار، كان من المفترض أن يكون عند الساعة الثانية والنصف ظهرًا، ولكن إيرين وصلت مبكرةً بساعة، فهي المرّة الوحيدة التي نالت بها منصب قيادة ما في كل أنحاء جلين.

لم تكن إيرين لطيفةً جدًّا منذ المشاجرات التي حصلت بسبب طعام الغداء، كما أنها مستاءةٌ لعدم توليها رئاسة صليب أحمر الصغار. لكنني مصممةٌ على أن الأمور يجب أن تسير بسلاسة، لذلك لم أعلّق على أي شيء، وعندما جاءت بالأمس، بدت لطيفةً جدًّا وحلوةً مرّةً أخرى، أمل أن تكون قد تجاوزت بغضها ذاك، وأن نكون الأصدقاء الذين اعتدنا أن نكون من قبل.

ولكن بمجرد أن جلسنا بدأت إيرين في السخرية والنظر إليّ بطريقةٍ

غريبة. رأيتها تلقي نظرةً على حقيبة الحياة الجديدة الخاصة بي. لطالما قالت الفتيات إن إيرين كانت غيورةً جدًّا، بيد أنني لم أصدقهم من قبل. لكنني الآن أشعر أنها ربما تكون كذلك بالفعل".

أول شيء قامت به كان الانقضاض على جيمس، تتظاهر إيرين بعشق الأطفال، سحبتة من مهده وقبّلتة على وجهه بالكامل. هي تعرف حق المعرفة أنني لا أحب أن يُقبّل أحدٌ جيمس بهذا الشكل، فهو غير صحي. ظلّت تفعل هكذا حتى بدأ بالبكاء، عندها نظرت إلي وضحكت بغیظ، لكنها قالت بلطفٍ مصطنعٍ شديد:

"ما الأمر يا عزيزتي ريبلا، تنظرين إليّ كما لو كنتِ تعتقدين أنني أسمع الطفل".

قلت وأنا أحاول أن أكون لطيفةً: "أوه لا، أنا لا أفعل يا إيرين! ولكنك تعرفين تعاليم مورغان التي تقول بأن الطفل يجب تقييله على جبهته فقط لحمايته من الجراثيم، وهذا ما أتبعه مع جيمس".

قالت إيرين بحزنٍ مُصطنعٍ: "أوه! هل أنا مليئةٌ بالجراثيم يا عزيزتي؟" كنت أعلم أنها كانت تسخر مني وبدأت في الغليان من الداخل، لكنني لم يظهر عليّ ما يشير إلى ذلك. فقد كنت مصممةً على ألا أستاذ من قبل إيرين.

بعد ذلك، بدأت بهزّه أعلى وأسفل بكلتا يديها، تقول التعليمات أنه لا يوجد ما هو أسوء من خضّ الطفل الرضيع بهذه الطريقة. لا أسمح بأن يفعل أحدٌ هذا مع جيمس على الإطلاق. ولكن إيرين فعلت، وما يقهر أن الطفل الذي كان غاضبًا من حركاتها منذ قليل، قد أعجبه الأمر، وابتسم للأمر، كانت تلك المرّة الأولى التي يبتسم فيها. فهو يبلغ أربعة أشهرٍ من عمره، ولم يبتسم من قبل قط، على الرغم من كل محاولات أمي وسوزان لإضحাকে. والآن، هذا الشيء يضحك مع إيرين، الآن! ناكر الجميل!!

أعترف أن الابتسامة أحدثت فرقًا كبيرًا فيه. فقد ظهرت اثنان من الغمّازات في وجنتيه وبدت عيناه البنيّان الكبيرتان مليئتان بالبهجة. كانت الطريقة التي تهتف بها إيرين متحدثّةً عن تلك الغمّازات، سخيفةً على ما أعتقد. تجعلك تفترض وكأنها هي من خلقتهما فيه. لكنني تابعت خياطتي بثباتٍ ولم أتحمس، وسرعان ما سئمت إيرين من خضخضة جيمس، وأعادته إلى مهده. لم يعجبه ذلك بعد أن كان يلعب كل هذا الوقت بالطبع، وبدأ في البكاء وكان صعبًا ومتطلبًا بقية فترة ما بعد الظهر ... فقط لو تركته إيرين وشأنه من البداية، فلم تكن لتسبب بمشكلةٍ كهذه.

نظرت إليه إيرين وقالت وكأنها لم تسمع طفلًا يبكي من قبل: "هل يبكي في كثيرٍ من الأحيان هكذا؟"
شرحت بصبرٍ أن على الأطفال البكاء عدة دقائق في اليوم لتوسيع رئتيهم، كما تقول مورغان.

قلت: "إذا لم يبكي جيمس على الإطلاق، سأضطر إلى جعله يبكي لمدة عشرين دقيقة على الأقل".
قالت إيرين ضاحكةً كما لو أنها لا تصدقني: "أوه، حقًا! (حضانة مورغان) الذي تتكلمين عنه ها؟"

ثم قالت إن جيمس ليس لديه الكثير من الشعر، وأنها لم ترَ طفلًا أصلع ذو أربعة أشهرٍ من قبل.

بالطبع، كنت أعلم أن جيمس ليس لديه شعرٌ كثيرٌ حتى الآن، ولكن إيرين قالت ذلك بنبرةٍ وكأنها تدل على أنه خطئي أنا أنه ليس لديه أي شعر.

قلت إنني رأيت عشرات الأطفال هكذا مثل جيمس.
فردت عليّ بأنها لم تقصد الإهانة بذلك، في حين لم أشعر بالإهانة من الأساس.

استمر الأمر على هذا النحو طوال الساعة، ظلت إيرين تُظهر نقصًا بكل ما يحيطني طوال الوقت. لطالما قالت الفتيات أن انتقامها من أحد يُزعجها أو تغار منه يكون من هذا القبيل، ولكنني لم أصدق ذلك من قبل، وكنت أفكر أن إيرين هي ذلك الشخص المثالي، وقد آلمني بشكل رهيب أن أجد أنها يمكن أن تتصرف بهذه الطريقة، لكنني كبت مشاعري، وتابعت تطريز لباس نوم الطفل بعيدًا دون أن أنبس ببنت شفة.

ثم أخبرتني إيرين أسوأ وأحقر ما يمكن أن يقوله شخصٌ ما عن والتر. لن أكتبه بالطبع، لا أستطيع. قالت إن سماعها لذلك جعلها غاضبةً ومن هذا القبيل، ولكن لم يكن هناك داعٍ لأن تخبرني بمثل هذا الشيء حتى لو سمعته من بعض الأشخاص، لقد فعلت ذلك ببساطة لتجرحني.

عندها انفجرت، وأخذت أصرخ عليها قائلة: "كيف تتجرئين على المجيء إلى هنا وقول مثل هذا الشيء عن أخي يا إيرين هوارد؟ لن أسامحك أبدًا أبدًا... أنظري إلى أخيك أولاً، لم يتجند، ولا يملك أي فكرة عن التجنيد أصلاً!!"

قالت إيرين: "لا، ريبلا عزيزتي، أنا لم أقل ذلك، إن السيدة جورج بور هي من قالت، وأنا قلت لها..."

قاطعتها قائلة: "لا يهمني ما هذيت به لها، لا أريد أن أسمع منك شيئاً، ولا تتحدثي معي مرّة ثانية يا إيرين هوارد".

أنا أعلم أنه لم يكن عليّ قول ذلك... ولكنني لم أتمالك نفسي. ثم جاءت الفتيات الأخريات في وقت الاجتماع، وكان عليّ أن أهدأ وأقوم بدور المضيفة بقدر استطاعتي.

كانت إيرين مع أوليف كيرك طوال فترة ما بعد الظهر ومن ثم ذهبت دون أن تنطق حرفاً. أعتقد أن هذا يعني أنها التزمت بما قلته لها بعدم

التحدث معي، ولكنني لا أهتم، فلا أريد أن أكون صديقةً لفتاةٍ يمكنها تكرار مثل هذا الهراء عن والتر. لكنني أشعر بالحزن بسبب كل ذلك، فقد كنا دائمًا أصدقاءً جيدين، وحتى مؤخرًا كانت إيرين تلك الصديقة الصدوقة بالنسبة لي... والآن تم تجريد وهم آخر من عيني وأشعر كما لو لم يكن هناك شيء يُدعى صداقةً وفيّة حقيقيّة في العالم.

طلب أبي من جو ميد أن يبني بيتًا للكلب الاثنين حيث يمكن تحت السقيفة. لقد كنا على أمل أن يرجع يوم الإثنين بسبب أجواءه الباردة والقارسة، بيد أنه لم يعد، وظل متمسكًا في مكانه يتمعن بكل قطارٍ يمرّ من هناك. لا يمكن لأي قوة أن تقنع كلب الاثنين من الترحل من مكانه ولو لدقيقة واحدة حتى، لذلك كان علينا أن نفعل شيئًا ما للحفاظ على راحته. وبني جو بيت الكلب بطريقةٍ يمكنه الاستلقاء فيه ورؤية المحطة في الوقت نفسه، نأمل فقط أن يشغله ولا يظل عنيديًا في مكوثه ببقعته تلك.

أصبح كلب الاثنين مشهورًا للغاية، فقد خرج مراسلٌ من صحيفة إنتربرايز من المدينة وقام بتصويره وكتب القصة الكاملة عن وقفته الاحتجاجية تلك. وتم نشرها في إنتربرايز ونسخها في جميع أنحاء كندا. لكن هذا كله لا يهم الكلب المسكين... فجميع قد رحل، لا يعرف إلى أين أو لماذا، ولكنه سينتظره حتى يعود.

بطريقةٍ ما تُريحني أفعاله تلك، يمكن أن يكون تفكيرًا أحمق على ما أظن، ولكنه يعطيني شعورًا بأن جيم سيعود، وإلا لما استمر كلب الاثنين في انتظاره هكذا...

إن جيمس يشخر بجانبني في مهده الآن، إنها مجرد نزلة بردٍ تجعله يشخر... وليس الزوائد الأنفية. أصيبت إيرين بنزلة بردٍ أمس ولا بد أنها قد نقلتها له بسبب قبلاتها تلك.

لم يعد مصدر إزعاج بالنسبة لي كما كان، فقد أصبح قادرًا على

الجلوس بلطفٍ قليلاً، وبدأ يحب الاستحمام، فيجلس ويرش الماء بابتسامة بدلاً من الالتواء والصراخ كما كان يفعل أولاً!
أوه، هل أنسى أول شهرين! لا أعرف كيف أمضيتهما. ولكن ها أنا ذا هنا وها هو جيمس وكلانا سوف "يستمر." دغدغته قليلاً الليلة عندما كنت أبدّل ملابس، لم أخضخضه، ولكن تعليمات. مورغان لم تذكر أن الدغدغة غير مناسبة، كنت فقط أرغب في رؤية ما إن كان سيبتسم لي مثل إيرين. وقد فعل ذلك، وفرقت غمازاته في وجنتيه، يا للأسف أن والدته لم تستطع رؤيتهما!

لقد صنعت زوجًا سادسًا من الجرابات اليوم، كنت أستعين بسوزان في الثلاثة الأولى، بيد أنني لاحظت أنها أصبحت تتهرب قليلاً من الأمر، فاعتمدت على نفسي في صنعها. أكره ذلك، لكنني فعلت الكثير من الأشياء التي أكرهها منذ الرابع من آب، لدرجة أن شيئًا واحدًا أو أكثر لن يهم. إنني أفكر فقط في جيم وهو يلقي بدعابته حول الطين في سالزبوري بلين، فيحثني هذا على إكمالها...

مظلمٌ ومشرق



في عيد الميلاد، عاد طلاب الجامعات إلى منزلهم، ولفترة قصيرة عادت إنجلسايد سعيدةً كما كانت عليه. ولكن حول مائدة الميلاد، كان شخصٌ ما مفقودًا، ولم يكن سوى جيم، ذو الشفتين القاسيتين والعينين الشجاعتين. شعرت ريبلا بأنها لن تستطيع احتمال مشهد كرسيه الشاغر. لقد أصرت سوزان بغرابة أفعالها على أن تضع أمام مكان جيم الشاغر، منديلًا صغيرًا كان يمتلكه منذ الصغر، وكأس المرتفعات الخضراء الغريب الذي أعطته له العمّة ماريبلا ذات مرة، والذي دائمًا ما كان يحتسي به شرابه.

قالت سوزان بحزم: "سيظل هذا المكان مخصصٌ للفتى المبارك يا سيدتي العزيزة، ولن شعري بغيبابه أبدًا. إنه متواجدٌ معنا هنا بروحه، وعيد الميلاد القادم سيكون أمامك بلحمه وعظمه. انتظري حتى يأتي التعزيز الكبير في الربيع وستنتهي الحرب في لمح البصر".

لقد حاول الجميع التفكير بما قالته، ولكن أرواح الحزن بقيت تراودهم. كان والتر هادئًا، ومكتئبًا طوال مدة الإجازة. أظهر لريبلا رسالة قاسيةً ومجهولة المصدر تلقاها في ريدموند، مضمونها أشد

حقداً وخبثاً من السخط الوطني.

"ومع ذلك، إن ما بداخلها صحيحٌ جدًّا يا ريبلا".
أمسكتها ريبلا منه، وألقته في النار.

صرخت بحرارة: "ليس بها ما يدل على الصحة أبداً. والتر، أنت متشائمٌ جدًّا كما تقول الآنسة أوليفر، عندما تحصر تفكيرك ضمن شيء واحد".

"لا أستطيع تخطي الأمر في ريدموند يا ريبلا. الكلية بأكملها مشتعلة بالحرب. يُنظر إلى الزميل المناسب الذي تفوته سنه ليدخل الجيش ولا ينضم إليه، على أنه متهربٌ ويعامل وفقاً لذلك. د. ميلن، أستاذ اللغة الإنجليزية، الذي لطالما كان يعاملني بلطفٍ ولين، لديه ولدين تزينوا بالبدلة العسكرية تطوعاً في الجيش، ودائماً ما أشعر بتغيير في أسلوبه اتجاهي".

"هذا ليس عدلاً، فأنت لست الشخص المناسب أبداً لهذه المهمة".
"أنا أتمتع بصحةٍ جسديةٍ سليمةٍ يا ريبلا، ولكن روحي هي من تعاني. إنها تشكل عاراً لي. هيا، لا تبكي يا ريبلا. لن أذهب إن كان هذا ما تخافين منه. إن موسيقى ناقوس الخطر ترن داخل عقلي ليلاً ونهاراً، ولكنني لا أستطيع المتابعة هكذا..."

بكت ريبلا: "سوف تحطم قلب أمي وقلبي إن فعلت. أوه يا والتر، ذهاب واحدٍ من العائلة يكفي".

لم تسعد ريبلا بهذه العطلة أبداً. ولكن وجود نان ودي ووالتر وشيرلي معها ساعدها بالاستمرار في تخطي الأمور. لقد تلقت كتاباً ورسالةً من كينيث فورد، وقد جعلت بعض الجمل التي خطت في الرسالة وجنتيها تحمران خجلاً، وقلبها ينبض بشدةٍ حتى وصلت للفقرة الأخيرة، والتي جعلت أطرافها تتجمد.

"كاحلي على مشارف الشتاء. وسأتمكن من الانضمام في غضون

شهرين آخرين يا عزيزتي ريلا ريلاتي. وأنا متحمسٌ للانضمام إلى الجيش. سيكون كين الصغير هذا قادرًا على النظر للعالم بوجهٍ شامخٍ دون أن يدين لأحدهم بشيء. لقد تعبت كثيرًا وتشاءمت قبل أن أصبح قادرًا على المشي دون أن أعرج. الأشخاص الذين لا يعرفون ما حدث يلقبوني بالأفصح. حسنًا، لن يكون باستطاعتهم تلقيبي بذلك من بعد الآن".

قالت ريلا بمرارةٍ وهي تنظر إلى بستان القيقب الذي كان يتألق باللون الوردى والذهبي أسفل أشعة غروب الشتاء: "أنا أكره هذه الحرب".

قال الدكتور بلايث ليلة رأس السنة الجديدة: "لقد ذهب سنة ١٩١٤، التي أشرقت شمسها بدفءٍ وغربت ببحرٍ من الدماء. لنرى ما ستجلبه لنا سنة ١٩١٥".

قالت سوزان مرةً واحدةً بصوتٍ مقتضب: "الفوز!"
قالت الأنسة أوليفر بنبرةٍ كثيية: "هل تعتقدين حقًا بأننا سننتصر في الحرب يا سوزان؟"

لقد جاءت من لوبريدج لقضاء اليوم، ورؤية والتر والفتيات قبل عودتهن إلى ريدموند. كانت غارقةً في بحور الكآبة، والشؤم يحيطها من كل جانب.

صاحت سوزان: "لا يا عزيزتي الأنسة أوليفر أنا لا أعتقد ذلك، بل أنا متأكدةٌ من أننا سننتصر في الحرب! إن ذلك لا يقلقني، ما يقلقني حقًا هم الأشخاص الأبرياء الذين سيدفعون الثمن. ولكن لا فوز دون تضحية، لذلك علينا أن نثق فقط بالرب وبالأسلحة الكبيرة".

قالت الأنسة أوليفر بتحدٍ: "أعتقد أحيانًا أن الوثوق بالأسلحة الكبيرة أفضل من الوثوق بالرب".

"لا، لا يا عزيزتي، أنت مخطئة بذلك. فالألمان رغم امتلاكهم

للأسلحة الكبيرة في معركة المارن، إلا أن سكان البروفيندس قد انتصروا عليهم. لا تنسي ذلك أبدًا. وتمسكي بما قلته لك كلما شعرت بالضعف والشؤم، واجلسي على كرسيك ورددي "الأسلحة الكبيرة جيدة ولكن الرب هو الأفضل في كل شيء، وإنه إلى جانبنا، بغض النظر عما قاله القيصر".

كنت سأصاب بالجنون كثيرًا في الآونة الأخيرة يا عزيزتي الأنسة أوليفر، لو لم أجلس وأكرر ما قلته لك. ابنة عمي صوفيا، مثلك تمامًا، يكاد اليأس يملكها، لقد قالت لي ليلة أمس "أوه يا عزيزتي، ماذا سنفعل، إذا جاء الألمان إلى هنا في يوم من الأيام." فأجبتها "سأدفعهم، هناك العديد من القبور التي تنتظرهم." قالت ابنة العم صوفيا بأن كلامي قذرٌ وإجرامي، ولكنه ليس كذلك يا عزيزتي الأنسة أوليفر. فأنا قلت ذلك لأنني مطمئنةٌ وواثقةٌ من القوات البحرية البريطانية وأبناءنا الكنديين.

أنا كالسيد ويليام بولوك من هاربور هيد. إنه كبيرٌ في السن وقد أصيب بالمرض لفترةٍ طويلة. وفي إحدى الليالي الماضية، مرض بشدةٍ لدرجة أن زوجة ابنه همست لشخصٍ ما أنها اعتقدت بأنه قد توفي. فقال بصوتٍ عالٍ عندها: "خسئتُ أنا لم أمت." وأنا هكذا، لا أنوي الموت حتى يرى القيصر حتفه. والآن يا عزيزتي الأنسة أوليفر، هذه هي الروح الحماسية التي أهواها".

تنهدت جيرترود: "أنا معجبةٌ بها، ولكن لا يمكنني تقليدها. لطالما استطعت الهروب إلى أرض الأحلام، من قبل، عندما تواجهني المصائب في الحياة، والعودة كعملاقٍ شهيمٍ لمواجهتها. ولكنني الآن لا أستطيع فعل ذلك".

قالت السيدة بلايث: "وأنا أيضًا. أصبحت أكره الذهاب إلى الفراش. لطالما أحببت أن أخلد إلى فراشي، وأن أحظى بنصف ساعةٍ

من السعادة والمرح، والجنون، والخيال قبل أن أنام. لا زلت أتخيل الأشياء ولكنها ليست بالجميلة أبدًا".

قالت الآنسة أوليفر: "أنا أكون في قمة سعادتي عندما أدخل إلى الفراش. أنا أحب الظلام لأنني أستطيع فيه أن أكون على سجيتي، دون أن أتصنع الابتسام، أو أن أتحدث بشجاعة. ولكنني أحيانًا أفقد السيطرة على مخيلتي، وأرى الحوادث المروعة، والرهيبة الممتدة لسنوات".

قالت سوزان: "أنا ممتنة للغاية لأنني لا أمتلك خيالًا لأتحدث عنه، لقد نجوت من ذلك. أرى في هذه الورقة أن ولي العهد يُقتل مرةً أخرى. هل تعتقدين بأنه سيموت حقًا هذه المرة؟ وأرى أيضًا أن وودرو ويلسون سيكتب ملاحظةً أخرى." واختتمت بالمفارقة المريرة التي بدأت مؤخرًا في استخدامها عند الإشارة إلى الرئيس المسكين "أتساءل عما إذا كان مدير المدرسة ذاك على قيد الحياة".

وفي شهر كانون الثاني، أصبح جيمس يبلغ من العمر خمسة أشهر، وقد احتفلت ريبلا بتلك المناسبة.

قالت بابتهاج: "إنه يزن أربعة عشر رطلًا. هذا هو الوزن الذي يتناسب مع عمره الآن، تمامًا كتعاليم مورغان"

لم يكن هناك أي شكٍ من أن جيمس قد أصبح وسيما جدًا. كانت وجنتاه الصغيرتان الممتلئتان ورديتين، وعيناه كبيرتين ومشرقتين، وكفاه صغيرين بغمازاتٍ عند مفصل كل إصبع، وشعره يزداد طولًا الأمر الذي أراح ريبلا، أما خصلات شعره فكانت ذهبيةً تلمع تحت أشعة الشمس. كان رضيعًا لطيفًا، ينام كالمعتاد، ويهضم الطعام جيدًا كما يجب. كان يبتسم أحيانًا دون أن يضحك رغم جهود الآخرين لجعله يضحك. وهذا أثار قلق ريبلا، لأن تعاليم مورغان تقول بأن الأطفال عادةً ما يضحكون بصوتٍ عالٍ بين الشهر الثالث والخامس. كان جيمس يبلغ من العمر خمسة أشهر، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن

الضحك. لماذا لا يضحك؟ أليس طفلًا طبيعيًا؟

ذات ليلة عادت ريبلا إلى المنزل في وقت متأخر من اجتماع تجديد في جلين حيث كانت تقدم تلاواتٍ وطنية. لم تكن ريبلا أبدًا على استعدادٍ للتلاوة علنًا من قبل، لطالما كانت خائفةً من تلعثمها، والذي يزداد عندما تتوتر. وعندما طُلب منها أن تتلو لأول مرة في اجتماع جلين الشمالية، رفضت.

ولكنها بدأت تقلق من تسرعها ورفضها. أكانت جبانة؟ ماذا سيقول عنها جيم عندما يعلم بالأمر؟ وبعد يومين من الأفكار المقلقة، اتصلت ريبلا برئيسة الجمعية الوطنية لتتلو الصلاة.

وقد فعلتها، لا يخفى أنها قد تلعثمت العديد من المرات وأمضت لياليها وهي محرجةٌ مما حدث. وبعد ليلتين تلت مرةً أخرى صلاةً في هاربور هيد. ومنذ أن كانت في لوبريدج وأوفر هاربور استسلمت للعثمتها تلك. لم يكن هناك من يمانع ذلك سواها. لقد كانت جادةً وجذابةً للغاية بعينيها المشرقتين! لقد انضم أكثر من مجنّد بسبب عيني ريبلا التي بدت وكأنها تنظر بعمقٍ ترتل بشغفٍ كيف يمكن أن يموت الرجال من القتال من أجل رماد آبائهم ومعابد آلهتهم، كان كلامها مطمئنًا لجمهورها بشكلٍ كبير في تلك الساعة المزدحمة من الحياة المجيدة.

حتى ميلر دوغلاس تأثر لدرجة أن ماري فانس استغرقت ساعةً بأكملها للتحدث معه وإرجاعه لحدسه الطبيعي. قالت ماري فانس بمرارةٍ أن ريبلا بلايث إن أظهرت مدى شعورها بالسوء على ذهاب جيم، فلن يحث ذلك أيًا من إخوة وأصدقاء الفتيات الأخريات على الذهاب.

في تلك الليلة تحديداً، كانت ريبلا متعبةً وترتجف بردًا، ولا تريد سوى الخلود لفراسها الدافئ، واحتضان بطانيتها. رغم أنها دائمًا ما

تساءل إن كان جيم وجيري يرتجفان من البرد أيضًا. كانت تشعر بالدفء والنعاس، عندما بدأ جيمس في البكاء فجأة، دون أن يتوقف. دفنت ريلا نفسها في سريرها، وقررت أن تتركه يبكي، مبررة ذلك بتعاليم مورغان. كان جيمس يشعر بالدفء، ولا يشتكي من أي ألم جسدي، فصراخه لم يكن أبدًا صراخ ألم. وكانت معدته الصغيرة ممتلئة بالطعام بما فيه الكفاية. وتبعًا لذلك، فإنه يبكي ويثير الضجة ليتدلل فقط. لقد تركته يبكي حتى يتعب، وينعس فينام مجددًا.

ثم بدأ خيال ريلا برسم المشاهد الكثيرة لها. فأخذت تتخيل ... "أنا مخلوقة صغيرة عاجزة لا يتجاوز عمرها الخمسة أشهر، والذي يعيش في مكان ما في فرنسا، ووالدتي اليافعة المسكينة، التي كانت قلقة للغاية عليّ، قد وافتها المنية. لنفترض بأنني كنت مستلقية في سلة صغيرة في غرفة سوداء كبيرة يعمها الظلام، لا أحد فيها أستطيع أن أراه أو أن أعرفه، وأن لا أحد يحبني في هذا العالم. فالأب الذي لم يرني من قبل لا يستطيع أن يحبني، وخاصةً إن لم يذكرني أو يكتب عني بعض الذكريات. ألن يجعلني ذلك أبكي؟ ألن يشعرني بالوحدة الشديدة، والحرمان، والخوف لدرجة البكاء؟"

قفزت ريلا، وأخرجت جيمس من مهده، وأخذته إلى سريرها. كانت يدها باردتين بشدة. يا للمسكين! ولكنه توقف عن البكاء فور أن حملته. وعندما قربته إليها في ظلمة الليل، ضحك جيمس فجأة ضحكاتٍ حقيقية، تنم عن سعادته.

صاحت ريلا: "أوه، أيها الطفل الصغير العزيز! هل أنت سعيدٌ لأنك رأيتني، ولم تعد وحيدًا تائهاً في غرفة سوداء كبيرة؟"

ثم شعرت بأنها تريد تقبيله، وهذا ما فعلته. فقبلت رأسه الصغير الناعم كالحرير والمعطر، وقبلت خده الصغير السمين، وقبلت يديه الصغيرتين الباردتين. وأرادت أن تضغط عليه وتحضنه، فتدخله داخل

أضلعها، تمامًا كما اعتادت أن تفعل مع قطها الصغير. يبدو أن شيئًا ممتعًا ولطيفًا وحماسيًا قد استحوذ عليها. فهي لم يسبق لها أن شعرت بتلك الطريقة.

وفي غضون بضعة دقائق، نام جيمس. وعندما استمعت ريبلا إلى تنفسه الهادئ والمنتظم، وشعرت بالدفء ينعم جسده، أدركت أنها، وأخيرًا، قد أحبت طفلها الحربي.

فكرت في نعاس، وهي تنجرف إلى أرض الأحلام: "لا يمكن لحبّك أن يُقاوم".

وفي شهر شباط، كان جيم وجيري وروبرت غرانت في الخنادق، الأمر الذي أضاف حالة من التوتر والرغبة في حياة إنجلسايد. وفي آذار، اكتسب بيريز، كما أسمته سوزان، أهمية مريرة. بدأت القائمة اليومية للضحايا في الظهور في الصحف، ولم يستطع أحدٌ من سكان إنجلسايد أن يجيب على الهاتف دون أن تتجمد الدماء في عروقه، خائفين من أن يكون مدير المحطة قد اتصل بهم ليقول إن بريقة قد جاءت من الخارج إليهم، حاملّة أبناء سيئة. لم يستيقظ أحدٌ في إنجلسايد في الصباح دون أن يتساءل عما إن كان اليوم يحمل له إحدى المفاجعات.

فكرت ريبلا: "وهكذا اعتدنا أن نبدأ صباحنا".

ومع ذلك، استمرت جولة الحياة والواجبات بثبات. وفي كل أسبوعٍ أو نحو ذلك، كان أحد فتيان جلين، الذين كانوا يومًا ما مجرد تلامذةٍ متهورين، قد ذهبوا إلى الجيش.

قالت سوزان، وهي تنظر إلى النجوم المرصعة في شفق الشتاء الكندي: "الجو قارس البرودة الليلة يا سيدتي العزيزة. أتساءل ما إن كان الأولاد في الخنادق يشعرون بالدفء".

صرخت جيرترود أوليفر: "كل شيءٍ من حولنا يتعلق بالحرب.

فنحن حتى وإن تحدثنا عن الطقس، ننطق الحرب في موضوعنا. كلما أخرج لأتمشى في هذه الليالي الباردة المظلمة أتذكر الرجال الذين في الخنادق، جميعهم دون استثناء. كنت سأشعر بالشيء نفسه حتى وإن لم أكن أعرف أحدهم في الطليعة. عندما استلقي في سريري المريح، أشعر بالخجل الشديد من الراحة التي تغمرني. أبدو وكأنني شريرة جدًا، في حين أن العديد من الناس ليسوا كذلك".

قالت سوزان: "لقد رأيت السيدة ميريديث في المتجر، وأخبرتني أنهم منزعجون حقًا من بروس، إذ أنه يأخذ الأمور على محمل الجد. لقد أبكى نفسه قصدًا لينام لمدة أسبوعٍ حُزنًا على البلجيكين الجائعين. قال لها "آه يا أمي! أخبريني بأن الأطفال ليسوا جائعين أبدًا، إلا الأطفال يا أمي! فقط قولي بأن لا أطفال جائعين هناك"،

وهي لا تستطيع أن تقول ذلك لأن هذا لن يكون صحيحًا، وهم يحاولون منع مثل هذه الأشياء من الظهور أمامه لكنه يكتشفها ثم لا يستطيعون مواساته.

يُحطم قلبي بالقراءة عنهم بنفسه يا سيدتي العزيزة، ولا أستطيع أن أعزي نفسي بفكرة أن ما يحصل غير حقيقي. فعندما أقرأ روايةً عاديةً تجعلني أرغب في البكاء، ثم أقول لنفسي حينها "الآن يا سوزان بيكر، أنت تعلمين أن هذا كله مجموعةٌ من الأكاذيب".

لكن يجب أن نستمر يا سيدتي العزيزة، جاك كراوفورد يقول إنه ذاهبٌ للحرب لأنه سئم الزراعة، أتمنى أن يجدها تغييرًا لطيفًا ... والسيدة ريتشارد إليوت من هاربور، تقلق نفسها مريضة لأنها اعتادت أن تقوم دائمًا بتوبيخ زوجها بشأن التدخين في الصالون والتأثير على ستائره. أما الآن بعد أن جُنِّد، تتمنى لو لم تقل له كلمةً واحدة.

أنت تعرفين جوشيا كوبر وويليام دالي يا سيدتي العزيزة، لقد اعتادا أن يكونا أصدقاء، لكنهما تشاجرا منذ عشرين عامًا ولم يتحدثا منذ

ذلك الحين. حسنًا، ذهب يوشيا في ذلك اليوم إلى ويليام وقال له: "لنكن أصدقاء." لم يحن الوقت بعد أن نحمل ضغائن على بعضنا. كان ويليام سعيدًا جدًا ومد يده، وجلسا يتحدثان... وفي أقل من نصف ساعة تشاجرا مرةً أخرى، حول كيف كان يجب خوض الحرب، ورأى يوشيا أن حملة الدردنيل كانت حماقة، وأكد ويليام أنها كانت الشيء الوحيد المعقول الذي فعله الحلفاء. والآن أصبحت أكثر جنونًا من أي وقت مضى، ويقول ويليام إن يوشيا مؤيدٌ للألمان مثل المشعر القمري. إن المشعر القمري ليس مؤيدًا لألمانيا، ولكنه يطلق على نفسه مسالمًا، مهما كان ذلك. هذا ليس شيئًا لائقًا وإلا فلن تكون المشعر أو ما شابه.

يقول إن الانتصار البريطاني الكبير في نيو تشابيل كلف أكثر مما يستحق وقد منع جو ميلجراف من الاقتراب من المنزل لأن جو رفع علم والده عندما جاء الخبر. هل لاحظت يا سيدتي العزيزة أن القيصر قد غير اسم بريش هذا إلى بريمسل، مما يثبت أن الرجل كان يتمتع بحسبٍ جيد، رغم أنه روسي!!! أخبرني جو فيكرز في المتجر أنه رأى شيئًا غريبًا جدًا في السماء الليلة فوق طريق لوبريدج. هل تفترضين أنه يمكن أن يكون منطادًا يا سيدتي العزيزة؟

"لا أعتقد أنه من المحتمل أن يكون ذلك يا سوزان."

"حسنًا، سأشعر بالراحة لو لم يكن المشعر القمري يعيش في جلين. يقولون إنه شوهد يمر بمناوراتٍ غريبةٍ وبيده مصباحٌ في فناء منزله الخلفي ذات ليلة. يعتقد بعض الناس أنه كان يشير..."

"على من... أو على ماذا؟"

"آه، هذا هو اللغز أيتها السيدة الدكتورة العزيزة. في رأيي، من الأفضل للحكومة أن تراقب هذا الرجل إن لم ترد أن تُقتل جميعًا في أسرتنا ذات يوم. الآن سأبحث فقط عن الأوراق قبل أن أذهب لكتابة

رسالة إلى جيم الصغير. شيئان لم أفعلهما في حياتي مطلقًا يا سيدتي العزيزة، ألا وهما كتابة الرسائل وقراءة السياسة. ومع ذلك، فأنا أقوم بكتابة الرسائل بشكلٍ منتظمٍ، وأجد أن هناك شيئًا ما في السياسة بعد كل شيء. كل ما يقوله وودرو ويلسون لا يمكنني فهمه، ولكنني آمل أن أحل الأمر".

وجدت سوزان في سعيها وراء ويلسون والسياسة، شيئًا أزعجها وجعلها تدخل في خيبة أملٍ مريرة.

"ذلك القيصر الشيطاني، كيف يصاب بالدمل بعد كل شيء؟"

قالت السيدة بلايث وهي تشد وجهها: "لا تشتمني يا سوزان".

"أنا لا أشتم يا سيدتي العزيزة. أنا أعلم بأن الشتائم تعني اتخاذ اسم الرب هزواً".

قال الدكتور وهو يغمز في وجه الأنسة أوليفر: "حسنًا، امممم، إنه ليس بالكلام الجيد".

"لا أيها الدكتور العزيز، إن كان الشيطان والقيصر شخصين مختلفين، فكلاهما ليسا بالطيبين أبدًا. ولا يمكنك أن تقول بأنهما ملاكين أبدًا. وأنا مصرةٌ على ما قلته، رغم أنك قد تلاحظ بأنني حريصةٌ على ألا أستخدم مثل هذه التعبيرات أمام ريبلا.

وليس من الحق أن يُكتب على الأوراق بأن القيصر مصابٌ بالتهابٍ رئوي، وتُرفع آمال الناس، ومن ثم يخرج ويقول بأنه لم يصب سوى بالدمل. أحقًا؟ الدمّل! أتمنى لو كان مغطى بها".

خرجت سوزان إلى المطبخ وجلست لتكتب إلى جيم، قاصدةً كتابة بعض المقاطع التي تتعلق بأحداث المنزل لتريحه.

كتب جيم في رسالته: "نحن في قبو نبيذٍ قديمٍ الليلة يا أبي، والماء يصل لركبنا. وفئرانٌ في كل مكان، لا حريق... فقط المطر يتساقط بشكلٍ كثيب، وقد يصبح أسوأ بكثير. لقد حصلت على صندوق سوزان

اليوم، وكان كل شيء على أعلى مستوى وكان لدينا وليمة. كان جيرري في الطابور في مكان ما، ويقول بأن الحصص الغذائية أسوأ من تلك التي اعتادت أن تقدمها العمة مارثا. إنها رتيبة فقط وليست سيئة. أخبر سوزان أنها ستُمنح أجرًا لمدة عام مقابل مجموعة جيدة من كعكة وجوه القرد التي أرسلتها لي، لكن لا تدع ذلك يلهمها لإرسال أي منها مقابل عدم الاحتفاظ بها.

لقد تعرضنا لإطلاق نارٍ منذ آخر أسبوعٍ في شهر شباط. قُتل صبي، كان من سكان نونافا سكوشا، قُتل بجانب ليلة أمس، انفجرت قذيفة بالقرب منا، وعندما تلاشت الفوضى، كان جثة هامة، لا يعي شيئًا، لقد بدا خائفًا جدًا.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أخوض فيها موقفًا كهذا، وقد غمرني شعور الرعب بشدة. ولكن سرعان ما اعتدنا الأمر. نحن في عالمٍ مختلفٍ تمامًا. الأشياء الوحيدة التي ظلت نفسها، هي النجوم، والتي بطريقة ما لم تكن أبدًا في مكانها الصحيح.

أخبر والدتي بالأقلق، أنا بخير، وبأحسن حال، وبأنني سعيدٌ لأنني جئت إلى هنا. هناك شيء ما هنا يجب محوه من هذا العالم، وهو الشر الذي جعل أرشيف الحياة سمًا قاتلًا. يجب أن يحدث ذلك، مهما طال الوقت يا أبي، ومهما كان الثمن. أخبر شعب جلين بهذا من أجلي ... إنهم لا يدركون حتى ما الذي يحدث الآن، فأنا حتى لم أدرك ذلك في أيامي الأولى. لقد اعتقدت بأن الأمر ممتعٌ ولكنه ليس كذلك أبدًا يا أبي. ولكنني متأكدٌ الآن بأنني في المكان الصحيح.

عندما رأيت ما تم القيام به هنا للمنازل، والحدائق والناس، حسنًا يا أبي، بدالي الأمر وكأنني رأيت مجموعة من المغول يسرون عبر وادي قوس المطر وجلين، والحديقة في إنجلسايد. كانت هناك العديد من الحدائق الجميلة بجمال القرون، ولكن ماذا أصبحت الآن؟ لقد

أصبحت فاسدة ومدنسة. نحن نكافح لجعل تلك الأماكن القديمة العزيزة التي لعبنا فيها كالأطفال، آمنةً للأولاد والبنات القادمين. نحن نكافح من أجل الحفاظ على جميع الأشياء الجميلة، على الصحة، والسلامة.

عندما يذهب أيٌّ منكم إلى المحطة، فليتأكد من أن يربت على فرو كلب الإثنين. أتخيل المتسول الصغير المؤمن بعودتي الذي ينتظرني هناك هكذا! بصراحةٍ يا أبي، في بعض هذه الليالي الباردة المظلمة في الخنادق، إنه يبعث الشجاعة في قلبي ويقويني بلا نهاية للاعتقاد بأنه على بعد آلاف الأميال في محطة جلين القديمة، هناك كلبٌ صغيرٌ مرقطٌ يشاركني ما أمرّ به.

أخبر ريبلا أنني مسرورٌ بأن طفلها الحربي بأحسن حال، وأخبر سوزان أنني أخوض معركةً جيدةً ضد كلِّ من المغول وأمراض الإيدز". همست سوزان بجديّة: "ماذا يقصد بأمراض الإيدز يا سيدتي العزيزة؟"

همست السيدة بلايث مرةً أخرى ردًا على القذف المروع لسوزان: "أشياء يمكن أن تحدث دائمًا في الخنادق يا سوزان". هزت سوزان رأسها، وغرقت في صمتٍ قائمٍ لإعادة فتح طردٍ كانت قد وضعت داخله قطعةً قد خيَّطتها لجيم، وفرشاة أسنانٍ ناعمة.

12

أحداث قرية لانجمارك



كتبت

ريلا في مذكراتها:

كيف يمكن أن يأتي الربيع ويكون جميلاً في ظل هذا الرعب!! كيف تشرق الشمس وتلهو القطط الصفراء الرقيقة على أشجار الصفصاف بالقرب من الجدول!! وكيف تُخلق روح الحدائق من جديد!! لا أستطيع استيعاب أن مثل هذه الأشياء المروعة تحدث في منطقة فلاندرز... ولكنها كذلك!

كان الأسبوع الماضي عسيرًا بالنسبة لنا جميعًا، منذ ورود أنباء عن القتال حول إيبرس ومعارك لانجمارك وسانت جوليان. لقد كان أداء أولادنا الكنديين رائعا، كما يقول الجنرال فرينش إنهم "أنقذوا الموقف" عندما كان الألمان على وشك اختراقها بالكامل. ولكن لا يمكنني الشعور بالفخر أو الابتهاج أو أي شيء سوى القلق الشديد على جيم وجيري والسيد غرانت.

تظهر قوائم الضحايا في الصحف كل يوم. آه! هناك الكثير منهم. لا أتحمّل قراءتها خوفاً من أن أجد اسم ... جيم ... من بينهم. فقد كانت هناك حالاتٌ رأى فيها الناس أسماء أولادهم في قوائم الضحايا قبل

وصول البرقية الرسمية. أما بالنسبة للهاتف، فقط رفضت الإجابة عليه لمدة يومٍ أو اثنين، لأنني لم أستطع تحمل اللحظة الرهيبة التي تأتي بين قول "مرحبًا" وسماع الرد التالي. بدت تلك اللحظة مئة عام، لأنني كنت أخشى دائمًا سماع "هناك برقيةٌ للدكتور بلايث".

بعد ذلك، عندما كنت قد هربت لفترةٍ من الوقت، شعرت بالخجل لترك كل شيءٍ لأمي أو لسوزان، والآن أجعل نفسي أرحل عنهما. لكن الأمر أصبح أصعب من أي وقتٍ مضى...

تُدّرّس جيرترود أوليفر في المدرسة الآن بالطبع، وتقرأ المقطوعات الموسيقية وتضع أوراق الامتحان كما فعلت دائمًا، لكنني أوقن أن أفكارها تصبّ جميعها في فلاندرز طوال الوقت، عيناها القلقتان اللتان لا تريان أي جانبٍ جيّدٍ بالأمر تطارداني.

وكينيث على وشك التجنيد الآن أيضًا. لديه تفويض الملازم ويتوقع السفر إلى الخارج في منتصف الصيف، لذلك كتب لي رسالة. لم يكن هناك الكثير في الرسالة، بدا أنه لا يفكر في شيءٍ سوى السفر إلى الخارج. لن أراه مرةً أخرى قبل رحيله، ربما لن أراه مرةً أخرى أبدًا. أحيانًا أسأل نفسي إذا كان ذلك المساء في فور ويندز بمثابة حلم. قد يكون كذلك، يبدو كما لو أنه حدث في حياة فتاةٍ أخرى قبل سنوات، وقد نسيها الجميع سواي.

عاد والتر ونان ودي إلى المنزل الليلة الماضية من ريدموند. عندما نزل والتر من القطار، هرع كلب الاثنين لمقابلته، وهو شديد الاحتياج من الفرح. أفترض أنه اعتقد أن جيم سيكون هناك أيضًا.

عند اللحظة الأولى، لم يعرف لوالتر رأي انتباهه، كان يقف هناك، يهز ذيله بعصبية وينظر إلى ما يخلف والتر من الأشخاص الآخرين الخارجين من القطار، بعيونٍ تواقّة جعلتني أختنق، لم أستطع حتى أن أفكر في أن كلب الاثنين قد لا يرى جيم ينزل من هذا القطار مرةً أخرى أبدًا.

بعد ذلك، عندما خرج كل الناس، نظر كلب الإثنين إلى والتر، وأعطاه يده قليلاً كما لو كان يقول "أعلم أنه ليس خطأك بأنه لم يأت، أعذرني لشعوري بخيبة أمل،" ثم عاد إلى سقيفته، مع ذلك التذبذب الجانبي الخفيف الذي يجعله يبدو دائماً أن رجليه الخلفيتين تبتعدان مباشرةً عن النقطة التي تستهدفها ذراعيه.

لقد حاولنا إقناعه بالعودة إلى المنزل معنا، حتى نزل دي وقبّله بين عينيه وقال: "كلب الإثنين، أيها البطل العجوز، ألا تأتي معنا في المساء فقط؟" فقال يوم الإثنين، بل لقد تصرّف! وكأنه يقول: "أنا آسفٌ جدًّا ولكنني لا أستطيع. لدي موعدٌ لمقابلة جيم هنا، كما تعلمون، وهناك قطارٌ يمر عند الثامنة يجب ألا أفوته."

من الجميل عودة والتر مرةً أخرى على الرغم من أنه يبدو هادئًا وحزينًا، تمامًا كما كان في عيد الميلاد. لكنني سأحبه بشدة وأبتهج له وأجعله يضحك كما كان يفعل. يبدو لي أن كل يوم يمر من حياتي، يزداد اعتبار والتر في داخلي ويعني لي أكثر بكثير.

في أمسية ما، قالت سوزان إن أزهار أيار قد تفتحت في وادي قوس المطر. صادف أن نظرت إلى والدتي عندما تحدثت سوزان. تغير وجهها وأطلقت صرخةً مخنوقةً قليلاً.

في معظم الأوقات، تكون أُمي شجاعةً ومثاليةً لدرجة أنك لن تخمن أبدًا ما تشعر به في الداخل، ولكن بين الحين والآخر بعض الأشياء الصغيرة أكثر من اللازم تجعلنا نرى ما في قلبها وقالت بغصة: "أزهاري!! ... جيم أحضر لي أزهار أيار العام الماضي!" وقامت وخرجت من الغرفة بسرعة.

كنت سأهرع إلى وادي قوس المطر وأحضر لها حفنةً من تلك الأزهار، لكنني كنت أعرف أن هذا لم يكن ما تريده. وبعد أن عاد والتر إلى المنزل الليلة الماضية، انزلت بعيدًا إلى الوادي وجلب إلى المنزل

كل الأزهار التي يمكن أن يجدها.

لم يقل له أحد كلمة واحدة حول هذا الموضوع، لقد ذكّر نفسه فقط أن جيم اعتاد إحصار الأم أول أزهار أيار، ولذلك أحضرها مكان جيم. كيف هو رقيقٌ وحنونٌ بالفعل ... ومع ذلك هناك من يرسل له رسائل قاسية!!!

يبدو من الغريب أن تتمكن من الدخول في الحياة العادية كما لو أنه لا يحدث في الخارج شيءٌ يثير قلقنا، تمامًا كما لو أن أي يومٍ قد لا يجلب لنا أخبارًا مروعة.

لكن يمكننا القيام به. سوزان تستعد للحديقة، وأمي تقوم بتنظيف المنزل، ونحن، صليب أحمر الصغار، سنقيم حفلةً موسيقية لمساعدة البلجيكيين. نتدرب عليها منذ شهر، وطبعًا لا بد من وجود المشاكل، وازعاج بعض الناس غربيي الأطوار.

وَعَدت ميراندا بريور بمساعدتنا، وعندما كان لها دورها الخاص، علمتُ أن والدها تدخل ورفض السماح لها بالمساعدة على الإطلاق. أنا لا أضع كل اللوم على ميرندا، لكنني أعتقد أنها يمكنها التحلي بالمزيد من الشجاعة في بعض الأحيان.

وأنا متأكدةٌ أنها إن استخدمت أساليب معينة بحسب ما يتماشى مع والدها، سوف يتم الأمر. فهي من تدبر كل أموره وأمور منزله، كيف سيعيش من دونها، إن حصل لها شيءٌ ما لا سمح الله؟

لو كنت مكان ميراندا، لوجدت طريقةً ما لتدبر أمر ذاك المشعر القمري. كنت سأضربه بالجلد أو أعضه إن لم ينفع معه أي شيءٍ آخر. لكن ميراندا ابنةٌ وديعةٌ ومطبعةٌ، وطويلة البال.

لم أتمكن من إقناع أي شخصٍ آخر بالمشاركة، لأنه لم يعجبني أحد، لذلك اضطررت أخيرًا أن آخذ الدور بنفسني.

كانت أوليف كيرك في لجنة الحفل، وتعارضني في كل شيء.

لكنني حصلت على طريقي في مطالبة السيدة تشاينج بالغناء لنا. على أية حال، إنها مغنية جميلةٌ وسوف تجذب مثل هذا الحشد الذي سنجنى منه أكثر مما يجب أن ندفعه لها.

اعتقدت أوليف كيرك أن موهبتنا المحلية جيدة بما فيه الكفاية ولن تغني ميني كلو على الإطلاق الآن في الجوقات لأنها ستكون متوترةً للغاية قبل السيدة تشاينج. وميني هي الشيء الجيد الوحيد الذي لدينا! هناك أوقاتٌ أشعر فيها بالغضب الشديد لدرجة أنني أشعر بأنني سأتخلى عن الأمر برمته، ولكن بعد أن أرقص حول غرفتي عدة مراتٍ لأفرغ جام غضبي، أهدأ وأتغلب على الأمر وأعاود العمل مرّةً أخرى. في الوقت الحالي، أشعر بالقلق الممزوج بالخوف من أن يتعاطى إسحاق ريسيس السعال الديكي. لقد أصيبوا جميعًا بنزلة بردٍ مروعةٍ وهناك خمسةٌ منهم لديهم أدوار مهمة في البرنامج، وإذا أصيبوا بالسعال الديكي، ماذا سأفعل حينها؟ وتملك الفتيات الثلاث الصغيرات أفضل تدريبٍ على العلم، لقد كنت أعاني لأسابيع في تدريبهم عليه، والآن يبدو من المحتمل أن كل تعبي سيذهب سداً.

ظهر سن جيمس الأول... أنا سعيدةٌ جدًّا، لأنه يبلغ من العمر تسعة أشهرٍ تقريبًا وكانت ماري فانس تلمح إلى أنه متأخرٌ بشدّةٍ بشأن أسنانه. لقد بدأ في الزحف لكنه لا يزحف كما يفعل معظم الأطفال. يدب في كل مكانٍ ويحمل الأشياء في فمه مثل جروٍ صغير. لا أحد يمكن أن يقول إنه غير قادرٍ على الزحف على أي حال.

في الواقع، بما أن عشرة أشهرٍ هو متوسط العمر للتسلل بحسب مورغان. فإنه جيّدٌ للغاية، سيكون من المؤسف إن لم يره والده أبدًا. كما أن شعره يتدفق بشكلٍ جيّدٍ أيضًا، وأنا لا أخلو من الأمل في أن يكون مجعدًا.

لقد انشغلت بالكتابة عن جيمس والحفل، ونسيت أن أذكر معركة

بيرس البليجيكية، والقنابل السامة، وقوائم الضحايا...

لا شيء يوحى بتحسن الأحوال على الإطلاق، بل على العكس
تزداد سوءاً في كل مرة، أسوأ من أي وقت مضى.

آه! فقط لو كان بإمكاننا أن نعرف أحوال جيم في كل دقيقة تمرّ
علينا، اعتدت أن أكون غاضبةً جداً منه عندما يناديني بالـ "العنكبوت".
ولكن الآن، إذا جاء للتو وهو يصفر في الساحة ويهتف بأعلى صوته
قائلاً: "مرحبا أيتها العنكبوت"، كنت سأرى ذلك وكأنه الاسم الأجمَل
في العالم كله.

وضعت ريلا دفتر يومياتها بعيداً، وخرجت إلى الحديقة. كانت
أمسيةً بأجواء ربيعية خلابة. كان الوادي الطويل والأخضر المطل على
البحر يمتد مع الغسق، تخلفه مروج غروب الشمس. كان المرفأ مشعاً،
أرجواني هنا، سماويّ هناك، كالأحجار الملونة مكان آخر.

بدأ بستان القيقب يتحول إلى ضبابية خضراء. نظرت ريلا إليها
بعيون حزينة. من قال إن الربيع كان فرحة العام؟ كان مفجع القلب هذا
العام...

وكان الصباح الباهت ونجوم النرجس البري والرياح في خشب
الصنوبر القديم قد حملت الكثير من الآلام المنفصلة لانكسار القلب.
هل تراها تكون الحياة خاليةً من الرهبة مرةً أخرى؟

قال والتر وهو ينضم إليها: "من الجيد أن ترى شفق جزيرة الأمير
إدوارد مرةً أخرى. لم أتذكر حقاً أن البحر كان أزرق اللون، والطرق
شديدة الاحمرار هكذا، والأركان الخشبية شديدة الوحشية، والجنيات
تسكنه. نعم، لا تزال الجنيات باقيةً هنا. أقسم أنني يمكن أن أجد
العشرات منها تحت البنفسج في وادي قوس المطر".

كانت ريلا سعيدةً للحظات، فقد بدا هذا مثل والتر الماضي. كانت
تأمل أن ينسى بعض الأشياء التي كانت تزعجه.

وقالت مستجيبةً لمزاجه: "أليست السماء زرقاء فوق وادي قوس المطر؟ أزرق - أزرق - يجب أن تقول "أزرق" مائة مرة قبل أن تتمكن من التعبير عن مدى عمق اللون الأزرق".

كانت سوزان تتجول، رأسها مقيدٌ بوشاح، ويدها مليئةٌ بأدوات الحديقة. وكان دوك متخفيًا وعينه تترصد خطواتها بين شجيرات سبيريا.

قالت سوزان: "قد تكون السماء زرقاء، لكن ذلك القط كان السيد هايد طوال اليوم، لذلك من المحتمل أن تمطر الليلة، ويبدو أن لدي روماتيزم في كتفي".

قال والتر بمرح، بل مبتهجًا للغاية، كما اعتقدت ريلا: "قد تمطر، ولكن لا تفكري في الروماتيزم يا سوزان، فكري في البنفسج"

اعتبرته سوزان غير متعاطفٍ معها... وردت بصرامة: "لا أعرف ما تقصده بالبنفسج يا عزيزي والتر، ولكن الروماتيزم ليس مزحة، ستدرك ذلك يومًا ما بنفسك. أتمنى ألا أكون من النوع الذي يشكو دائمًا من أوجاعهم وآلامهم، لا سيما في أيامنا هذه التي لا تخلو من الأخبار والأجواء المروعة والمُقلقة.

حسنًا، إن الروماتيزم سيءٌ بما يكفي، لكنني مُدركةٌ تمامًا أنه لا يمكن مقارنته بقنابل الغاز من قبل المغول".

صاح والتر بنفاذ صبر: "يا إلهي!!! كفى!"
ثم استدار داخلًا المنزل.

هزت سوزان رأسها غير متقبلةً تمامًا لهذه النبوة. وفكرت وهي تكدس المعاول وتنطلق بعيدًا: "أمل ألا يدع والدته تسمعه وهو يتحدث بهذا الشكل".

كانت ريلا واقفةً بين أزهار النرجس الناشئ بعينين مملوءتين بالدموع، وقد فسد مساءها. كرهت سوزان، التي آذت والتر بطريقة ما.

وجيم!! ماذا عنه؟ هل تم قتل جيم بالغاز؟ هل مات تحت التعذيب؟
قالت ريلا بيأس: "لا يمكنني تحمل هذا القلق أكثر من ذلك".
ولكنها تحملت الأمر كما فعل الآخرون لمدة أسبوعٍ آخر. ثم
جاءت رسالةً من جيم. لقد كان بخير...

"خرجت من المعركة دون أن أصاب بخدشٍ واحدٍ يا أبي، لا أعرف
كيف خرجنا هكذا أنا أو أي أحدٍ ما زال على قيد الحياة هنا ... لا
يمكنني أن أخبرك بتفاصيل ما حدث، ستقرأها في الصحف على أي
حال. ولكن يمكنني إخبارك بأن الألمان لم ينجحوا بالعبور، ولن
ينجحوا.

أصيب جيرى بقذيفة رهيبه مرة، لكنها كانت مجرد صدمة له،
وأصبح على ما يرام في غضون أيام قليلة، وغرانت بخير أيضًا".
تلقت نان رسالةً من جيرى ميريديث كتب فيها: "عدت إلى وعيي
عند الفجر. لم أستطع معرفة ما حدث لي ولكنني اعتقدت أنني لم أعد
في الخدمة، وقد أنهيت ما جئت من أجله. كنت وحيدًا وخائفًا ...
خائفًا للغاية. كان الرجال القتلى في كل مكانٍ حولي، مستلقين على
الحقول الرمادية المهيبه. كنت أموت ظمًا، وفكرت في ديفيد ومياه
دارنا، والنبع القديم في وادي قوس المطر تحت القيقب. خُيِّل لي أنني
أراها أمامي مباشرة، وأنت تقفين ضاحكةً على الجانب الآخر منها ...
اعتقدت حينها أن أمري قد انتهى.

أتعلمين؟ لم يكن يهمني ما يحدث لي حينها، فعلاً، لم يعني لي أمر
أن أموت شيئًا. ولكنني كنت أشعر بخوفٍ طفوليٍّ مروعٍ من الوحدة بين
هؤلاء الرجال القتلى من حولي، وأنا أتساءل ما يمكن أن يحدث لي!
كيف يمكن أن تكون آخرتي من بينهم!! ثم وجدني زملائي، وأخذوني
بعيدًا، وسرعان ما اكتشفت أنه لم يكن هناك أي شيءٍ يستدعي موتي
بعد...

أنا بخير الآن، وسأعود إلى الخنادق غدًا. فهم بحاجة إلى كل نفسٍ منّا هناك.

قالت فايت ميريديث التي حضرت بعد أن قرأت ما وصلها من رسائل: "الكآبة!! إن الكآبة تخيم على العالم... أتذكر أنني أخبرتك السيدة تايلور العجوز منذ فترةٍ طويلةٍ أن العالم هو محض بهجة، ولكن ليس بعد الآن".

قالت جيرترود أوليفر: "إنها صرخة ألم".
قالت السيدة بلايث: "يجب أن نضحك قليلاً يا فتيات." وأضافت وهي تتنفس قائلة: "الضحكة الجيدة تولد أملاً مثل الصلاة أحياناً... أحياناً فقط".

لقد وجدت صعوبةً بالغةً في الضحك خلال الأسابيع الثلاثة التي مرت بها للتو... من يصدّق، أن آن بلايث المرحّة، ضاحكة الشدق دائماً، قد أصابها ذلك!!

وأكثر ما يؤلم هو حال ريبلا، بالكاد تتسع شفتاها لبسمّة صفراء، ريبلا... تلك الفتاة ذات الخمسة عشر عامًا التي كانت تعتقد أن الحياة حلوةٌ ومليئةٌ بالمرح.

هل غدت طفولتها مظلمةً للغاية؟ ومع ذلك، كم كانت قويةً وذكيةً وأثوية! ما مدى صبرها في الحياكة والخياطة؟ وما مدى اهتمامها وتأمينها كل ما يلزم صليب أحمر الصغار؟ وكم كانت حاضنةً رائعةً مع جيمس!

صرّحت سوزان بجديّة: "إنها ماهرةٌ في ذلك وكأنها قضت حياتها في تربية اثني عشر طفلاً مشاكساً. لم أتوقع حدوث ذلك أبدًا في اليوم الذي دخلت به البيت ومعها تلك السلطانية".

13

تواضعٌ مزيفٌ



كانت

سوزان في رحلة اطمئنان على كلب الاثنين في المحطة،
حاملةً معها بعض العظام التي خصصتها وجمعتها لتأخذها له.
قالت عند عودتها للسيدة بلايث: "أخشى أن شيئًا غير مطمئنًا
يحدث يا سيدتي العزيزة، فقد رأيت المشعر القمري في المحطة وهو
عائدٌ من مدينة شارلوت، وكانت ابتسامته تطال كلا أذنيه. لم يرتح قلبي
للأمر على الإطلاق، فلا أذكر أنني قد رأيتُه بابتسامةٍ علنيةٍ كهذه من
قبل.

حسنًا، ربما يكون السبب بأنه قد حظي بصفقةٍ جيّدةٍ في بازار مواشي
أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن شعورٌ بالاستياء المريع يخبرني بأن
المغول قد اخترقوا مكانًا ما".

ربما لم تكن سوزان عادلةً بربط ابتسامة السيد بريور بغرق سفينة
لوسيتيانا البريطانية، التي انتشرت أخبارها بعد ساعةٍ عندما تم توزيع
البريد. لكن في تلك الليلة، خرج الكثير من الأولاد في جلين، وبدأوا
بتكسير كل نوافذ بيته بجنون، كردّة فعلٍ أو انتقامٍ لما يفعله القيصر.
قالت سوزان عندما سمعت بالأمر: "لن أقول إنهم فعلوا الصواب

ولن أقول إنهم أخطأوا أيضًا... لكنني سأقول إنني لم أكن أفكر في إلقاء بعض الحجارة بنفسني. هناك شيء واحد مؤكد، قال المشعر القمري في مكتب البريد في اليوم الذي جاء فيه الخبر، في حضور شهود، أن الأشخاص الذين لم يتمكنوا من التزام منازلهم بالرغم من تحذيرهم، لا يستحقون مصيرًا أفضل.

نفذ صبر نورمان دوغلاس آنذاك، كان يصرخ في متجر كارتر الليلة الماضية: "إذا لم يغوي الشيطان هؤلاء الرجال الذين أغرقوا لوسيتانيا، فلا فائدة من أن يكون هناك شيطان." لطالما اعتقد نورمان دوغلاس أن أي شخص يعارضه هو في صف الشيطان، لكن رجلًا كهذا لا بد أن يكون محققًا بين الحين والآخر.

يشعر بروس ميريديث الصغير بالقلق على الأطفال الذين غرقوا. ويبدو أنه صلى من أجل شيء مميز للغاية ليلة الجمعة الماضية ولكنه لم يحصل عليه، وكان يشعر بالاستياء الشديد من ذلك.

ولكن عندما سمع عن لوسيتانيا، أخبر والدته أنه فهم الآن لماذا لم يستجب الله صلاته، وهذا لأن الله كان مشغولًا جدًا في رعاية أرواح جميع الأشخاص الذين نزلوا في لوسيتانيا.

إن دماغ ذلك الطفل أكبر من عمره بمئة عام يا سيدتي العزيزة. أما بالنسبة إلى لوسيتانيا، فلا ضير أنها حادثة مروعة، مهما كانت الطريقة التي تُنظر بها إليها. لكن وودرو ويلسون سيكتب ملاحظة عنها، فلم القلق؟ هه!!!! رئيسٌ ظريف!"

ثم خبطت أوانيها بغضبٍ بعد كلمتها الأخيرة. سرعان ما أصبح الرئيس ويلسون لعنةً في مطبخ سوزان...

أذاعت ماري فانس لأهالي إنجلسايد كلها بأنها قد تخلت عن معارضتها لتجنيد ميلر دوغلاس.

وقالت: "إن حادثة لوسيتانيا هذه تفوق قدرتي على التحمل، فعندما

يتجرأ القيصر بالتضحية بأطفال أبرياء، يحين وقت ظهور أحدهم ليقفه عند حده. هذا الشيء، ولن أقول هذا الإنسان لأن الإنسان لديه شعور، هذا الشيء يجب أن يُحارب حتى الموت.

لقد كان الأمر ينخر عقلي وتفكيري ببطء، وأنا أفكر ما إن كان يجب ذهاب ميلر أم لا، ولكني أقول الآن، أنا أحتّ ميلر على التجنيد، فليذهب، وليخض أعمق مما كنت أعنيه، على الرغم من معرفتي أن كيتي أليك العجوز لن تتأقلم مع الأمر، ولكنها لن تصنع تغييرًا عندما تنقلب سفينة ما، ويلقى الأولاد والأطفال حتفهم غرقًا.

ولكني أشعر بالفخر لقدرتي على إبقاء ميلر طوال هذا الوقت، وليست كيتي من فعلت ذلك. يمكن أن أكون قد خدعت نفسي، لكن سنرى..."

يوم الأحد التالي، شوهد ميلر دوغلاس يسير إلى كنيسة جلين بجانب ماري فانس مرتديًا زيّه العسكري. وكانت ماري فخورة جدًا به لدرجة أن نيرانًا مشتعلة كانت تهبّ من عينيها.

نظر جو ميلجراف مرةً أخرى إلى ميلر وماري، ثم أزاح نظره نحو ميراندا بريور، وتهد بشدة حتى أن كل شخص في حدود المئة مترٍ بعدًا عنه، قد سمع تنهداته وعرف ما هي مشكلته.

لم يتنهد والتر بلايث. لكن ريبلا، وهي تتفحص وجهه بقلق، رأت نظرةً قد قطعت أوصال قلبها. نظرةً ظلت تطاردها طوال الأسبوع التالي وأثارت وجعًا خفيًا في روحها.

تلك الروح التي حملت قلقًا وفزعًا بما فيه الكفاية، لا سيما مع اقتراب حفل صليب أحمر الصغار، مع مخاوف من احتمالية حدوث أشياء خارجة عن السيطرة أو غير لائقة أو مرغوبٍ فيها.

نظرت عضوات لجنة الحفل إلى بعضهم البعض بذهولٍ فارغ. ما الذي ينبغي فعله الآن؟

قالت أوليف كيرك معارضةً ما حدث: "أجل! هذا ما نحصل عليه عندما نعتمد على المساعدة الخارجية".

قالت ريلا وقد أصابها اليأس والضجر من أسلوب أوليف هذا: "لا بد أن نقوم بشيء ما، لقد أعلنّا عن الحفلة الموسيقية في كل مكان، والجماهير قادمة، حتى أن هناك حفلةً كبيرةً قادمةً من المدينة، ونحن نفتقر إلى الموسيقى. يجب أن نحصل على شخصي يغني مكان السيدة تشانينج".

قالت أوليف: "لا أعرف من يمكنك الحصول عليه في هذا الوقت المتأخر".

يمكن أن تفعل إيرين هوارد ذلك، لكن من غير المحتمل موافقتها بعد الطريقة التي أهانها بها مجتمعنا".

سألت ريلا، فيما سمّته "النبرة الباردة الشاحبة." مع برودها وشحوبها الذي لم يخف أوليف: "كيف ذلك؟"

أجابت بحدة: "أنت أهنتها! أخبرني إيرين بكل شيء حدث في ذلك اليوم، لقد كانت مكسورة القلب حرفياً.

قلت لها ألا تتحدث معك مرةً أخرى أبدًا، وأخبرتني إيرين أنها ببساطة لا تستطيع أن تتخيل ما قالته أو فعلته حتى تستحق مثل هذه المعاملة. ولهذا السبب لم تكن تنضم أبدًا إلى اجتماعاتنا مرةً أخرى.

لقد انضمت إلى صليب أحمر لوبريدج. أنا لا ألومها على الأقل، وأنا مثلاً، لن أطلب منها أن تُحبط نفسها مرةً أخرى لمجرد أن تساعدنا في الخروج من هذه المصيبة".

علّقت إيمي ماكاليستر بسخرية (وهي عضوٌ في اللجنة أيضًا): "إدًا من سيسألها، أنا؟؟؟ إيرين وأنا لم نتحدث منذ مئة عام. وهي تتعرض دائمًا للإهانة من قبل شخصي ما. لكن الحق يُقال، إنها مغنيةٌ جذّابة، أعترف بذلك، وسيسمعها الناس كما كانوا سيفعلون مع الأنسة تشانينج تمامًا".

قالت أوليف بشكلٍ ملحوظ: "لن يجدي نفعًا إن طلبت منها ذلك، فبعد فترةٍ وجيزةٍ من بدء التخطيط لهذه الحفلة الموسيقية، في نيسان، قابلتُ إيرين في المدينة ذات يومٍ وسألتها عما إذا كانت ستساعدنا. ريلا بلايث كانت تدير البرنامج، وبعد الطريقة الغربية التي تعاملت بها ريلا معها ... هي هناك ونحن هنا، والفشل الذريع سيكون مصير حفلنا".

عادت ريلا إلى المنزل، وأغلقت على نفسها في غرفتها، وروحها في اضطراب. إنها لن تهين نفسها بالاعتذار لإيرين هوارد! كانت إيرين مخطئةٌ بقدر ما كانت هي، وقد أخبرت مثل هذه الروايات المشوهة اللئيمة عن نزاعهما في كل مكان، متكررةً بزيّ المظلوم والحيرة ممّا فعلته ريلا معها.

لم تكن ريلا لتعترف بأنها المُلامة فيما حصل، أو أن تخضع لإيرين في هذا الأمر. فحقيقة أنها أهانت والتر قد اختلطت بداخلها وأدت إلى تقييد لسانها. لذلك اعتقد معظم الناس أن إيرين قد تم استغلالها بشكلٍ سيء، باستثناء عددٍ قليلٍ من الفتيات اللواتي لا تعجبهن إيرين على الإطلاق، وانحازن لطرف ريلا. لكن هذا لا يُلغي فكرة أن الحفلة الموسيقية التي عملت بجدٍ من أجلها ستكون فاشلة. فكانت المعزوفات المنفردة الأربعة للسيدة شانينج سمة الحفلة بأكملها.

سألت ريلا بيأس: "ما رأيك بما حصل يا آنسة أوليفر؟"

قالت الأنسة أوليفر: "للأسف لن يقدم رأبي أو يؤخر في إنقاذ برنامجكم، ولكن بالنسبة لك ولإيرين، فأعتقد أنها من يجب أن تعتذر".

تهددت ريلا قائلة: "إذا ذهبت واعتذرت بخنوع لإيرين، فإنها ستغني، أنا متأكدةٌ من ذلك. فهي تحب حقًا الغناء في الأماكن العامة. ولكنني أعلم أن غرورها سيزداد آنذاك، وستزداد نفسيتهَا سوءًا.

أنا مستعدة لأفعل أي شيء بدلاً من الذهاب! ولكن يجب عليّ ذلك ... إذا كان بإمكان جيم وجيري مواجهة مغول الألمان، فبالأكيد يمكنني مواجهة إيرين هاورد، وأن أضغط على كبريائي لأطلب منها معروفًا لأجل البلجيكيين فقط.

أشعر أنني لا أستطيع فعل ذلك في الوقت الحالي، لكن يبدو أنك سترينني بعد العشاء أنسحب بخنوع عبر وادي قوس المطر في طريقي إلى جلين الشمالية حيث إيرين."

وصدق قول ريبلا، فبعد العشاء، ارتدت ملابسها بعناية من الكريب الأزرق المزيّن بالخرز، إذ من الصعب إخماد غرور الكبرياء، لا سيما أمام إيرين التي تلتقط فورًا أي عيبٍ أو قصورٍ في مظهر الفتيات الخارجي.

علاوةً على ذلك، كما أخبرت ريبلا والدتها ذات يوم عندما كانت في التاسعة من عمرها: "من السهل التصرف بلطفٍ عندما ترتدي ملابس جيدة".

قامت ريبلا بتصفيف شعرها بشكلٍ عصريٍّ للغاية، وارتدت معطفًا طويلًا من النايلون خوفًا من المطر. ولكن طوال الوقت كانت أفكارها تتزاحم بتلك المقابلة المقيّمة بعد قليل.

وظلت تتدرب ذهنيًا على دورها فيها. كانت تتمنى لو ينتهي الأمر، تمنّت لو لم تحاول أبدًا إقامة حفلٍ موسيقي لإغاثة البلجيكيين! تمنّت لو لم تتشاجر مع إيرين!

ورغم كل ما حدث، كان الصمت المهين أكثر فاعليّةً في مواجهة الافتراء على والتر. لقد كان من الغباء والطفولي أن تفيض كالبركان الهائج كما فعلت ... حسنًا، ستكون أكثر حكمةً في المستقبل، ولكن في غضون ذلك، كان لا بد من تناول شريحة كبيرة وغير مستساغة من الفطيرة المتواضعة، إذ لم تكن ريبلا بلايث تلك الفتاة المولعة بنظامها

الغذائي أو الأكل الصحي كما يفعل بقيتنا.

بحلول غروب الشمس، وصلت ريلا عند باب منزل هوارد، وهو منزل طنان، مع لفائف بيضاء من الجبس حول قرميده، والدرازين على النوافذ الكبيرة المنتشرة في جميع جوانبه.

قابلت ريلا السيدة هوارد، وكانت سيده ممتلئة الجسم ظاهرًا الشراء عليها. استقبلت ريلا برفقٍ وتركتها في الردهة بينما ذهبت لمناداة إيرين.

خلعت ريلا معطف النايلون، ونظرت إلى نفسها بعين ناقدٍ في المرأة فوق الرف. كان الشعر والقبعة واللباس مرضيًا، ليس هناك ما تسخر منه الأنسة إيرين. تذكرت ريلا كيف كانت صديقتها ذكيةً ومسلية، وأخذت تستعيد تعليقات إيرين الصغيرة القاتلة عن الفتيات الأخريات بينما كانتا تجلسان سويًا. حسنًا، يبدو أن الدور قد حلَّ عليها الآن.

نزلت إيرين من على الدرج، مرتديّة ملابس أنيقة، ومسرحةً شعرها المصبوغ في أطرافه على أحدث صيحات الموضة. وعطرٌ فواحٌ يسبقها.

قالت بلطف: "كيف حالك يا آنسة بلايث، يا لها من متعةٍ غير متوقعة".

نهضت ريلا لتأخذ أطراف أصابع إيرين الباردة لتسلم عليها، وما إن جلست مرةً أخرى، رأت شيئًا ردها. رأت إيرين ذلك أيضًا، وظهرت ابتسامَةٌ صغيرةٌ ساخرةٌ ووقحةٌ على شفيتها وبقيت تحدق هناك بقية المقابلة.

في إحدى قدمي ريلا كان هناك حذاءٌ صغيرٌ ذو إيزيم معدني وجوربٌ حريريٌّ أزرق، أما قدمها الأخرى، فكان الحذاء رسميًا ورتبًا إلى حدٍ ما مع جوارب طويلة سوداء!

يا لريلا المسكينة! لقد غيّرت أو بدأت في تغيير حداثها وجواربها بعد أن ارتدت ثوبها. كان هذا نتيجة فعل شيءٍ بيديك وآخر بدماغك. أوه، يا له من موقفٍ سخيفٍ ومحرجٍ أن تكون فيه، وأمام من؟ إيرين هوارد... من بين جميع الناس، إيرين، التي كانت تحدق في قدمي ريلا كما لو أنها لم ترقدًا من قبل! وبمجرد أن فكرت ريلا في سلوك إيرين! كل ما أعدته لتقوله اختفى من ذاكرتها. حاولت عبثًا أن تضع قدمها غير المحظوظة تحت كرسيها، لقد طمست نفسها الآن بتصريح متبلد الذهن من غير شعور!!

"جئت، لقد، معروفًا، أريده، منك، إيرين".

عاد التلعثم لها من جديد... حسنًا، لقد كانت مستعدةً لإذلال نفسها ولكن ليس إلى هذا الحد. حقًا!! للصبر حدود!

"نعم؟" قالت إيرين بنبرة استجوابٍ باردة، وهي ترفع عينيها الضحلتين والوقحتين إلى وجه ريلا القرمزي للحظة ثم أسقطتهما مرةً أخرى كما لو أنها لا تستطيع تمزيقهما من نظراتهما الفاتنة إلى الحذاء المتهالك والحذاء الآخر الجميل.

استجمعت ريلا شجاعتهما، ما ستقوله مهم! يجب أن تتمتع برباطة جأشٍ وهدوء...

"لا يمكن للسيدة شانينج الحضور لأن ابنها مريضٌ في كينجسبورت، وقد جئت نيابةً عن اللجنة لأطلب منك الغناء لنا في مكانها لو سمحت".

لفظت ريلا كل كلمة بدقةٍ شديدةٍ لدرجة أنها بدت وكأنها تقرأ درسًا.

قالت إيرين راسمةً إحدى ابتساماتها البغيضة: "إنه شيءٌ من دعوة الاحتياط أو الاستهزاء، أليس كذلك؟"

قالت ريلا: "طلبت أوليف كيرك منك المساعدة عندما فكرنا لأول

مرة في الحفلة الموسيقية ورفضت".

سألت إيرين بحزن: "هذا طبيعي! فهل يمكنني ذلك بعد أن أمرتني بعدم التحدث إليك مرة أخرى؟ كان من الممكن أن يكون الأمر محرّجًا للغاية بالنسبة لكلينا، ألا تعتقدين ذلك؟"

ها هو دور المتواضعة قد بدأ!!

قالت ريلا بثبات: "أريد أن أعتذر لك لقول ذلك يا إيرين. ما كان يجب أن أقول ذلك وأنا آسفة جدًا. هل ستسامحينني؟"

قالت إيرين بلطفٍ ومهانة: "وأغني في حفلتك؟"

قالت ريلا بشكلي بائس: "إذا كنت تقصدين بأنني لم أكن لأعتذر لك لولا الحفلة الموسيقية، فربما تكونين على حق. ولكن يجب أن تعرفي أيضًا أنني شعرت منذ حدوث ذلك بأنه ما كان يجب أن أقول ما بدر مني، وأنتي كنت آسفةً لذلك طوال فصل الشتاء. هذا كل ما يمكنني قوله، إن كنت تشعرين أنك لا تستطيعين مسامحتي، فلا أملك أي شيء آخر يمكن قوله".

ناشدت إيرين: "أوه ريلا عزيزتي، لا تقلقي هكذا. بالطبع سوف أسامحك، على الرغم من أنني شعرت بإهانةٍ فظيعةٍ حينها، أتمنى ألا تعرفي أبدًا إلى أي مدى شعرت بذلك. لقد بكيت لأسابيع، ولم أقل أو أفعل شيئًا!"

كان ردّها خانقًا لريلا، وأحسّسها بالذنب نوعًا ما. فبكل الأحوال، لم يكن هناك جدوى من تخاصمها مع إيرين، لا سيما والبلجيكيون يتضورون جوعًا.

أجبرت نفسها على القول: "ألا تعتقدين أنه يمكنك مساعدتنا في الحفلة الموسيقية!"

فكرت في سرّها: "أوه! فقط لو تتوقف إيرين عن النظر إلى الحذاء!" استطاعت ريلا أن تسمعها وهي تعطي أوليف كيرك سردًا مفصلاً

عن ذلك.

احتجت إيرين على ذلك قائلة: "لا أرى كيف يمكنني أن أفعل ذلك في اللحظة الأخيرة. ليس هناك وقت لتعلم أي شيء جديد".
قالت ريلا: "أوه، لديك الكثير من الأغاني الجميلة التي لم يسمعها أحدٌ من قبل في جلين".

فهي على علمٍ أن إيرين كانت تذهب إلى المدينة طوال الشتاء لتلقي الدروس، وأن هذه كانت مجرد ذريعة، وأكملت: "سيكونون جميعًا جدًّا هناك".

فاحتجت إيرين مجددًا قائلة: "لكن ليس لدي مُرافق".

قالت ريلا: "يمكن لأونا ميريديث مرافقتك".

تنهدت إيرين: "أوه، لن أطلب منها أبدًا. لم نتحدث منذ الخريف الماضي. لقد كانت مكروهةً للغاية بالنسبة لي وقت حفلتنا الموسيقية في مدرسة الأحد لدرجة أنني اضطررت ببساطةٍ إلى التخلي عنها".
يا إلهي! هل هذه الفتاة في نزاعٍ مع الجميع؟ إذ بالطبع لن تكون أونا هي التي تكره الجميع، حتى التفكير في الأمر يبدو سخيفًا لدرجة أن ريلا توقفت عن التفكير في الأمر لكيلا تضحك بسخريةٍ في وجه إيرين.

قالت ريلا بيأس: "الآنسة أوليفر عازفة بيانو جميلة ويمكنها عزف أي أغنيةٍ تسمعها، ستعزف من أجلك ويمكنك تشغيل أغانيك بسهولةٍ مساء الغد في إنجلسايد للتدرب على الأمر قبل الحفلة الموسيقية".
"لكن ليس لدي أي شيءٍ أردتديه. ففستان السهرة الجديد لم يصل من مدينة شارلوت بعد، ولا يمكنني ببساطةٍ ارتداء الفستان القديم في مثل هذا الحدث الكبير. إنه رثٌ وقديم الطراز".

قالت ريلا ببطء: "حفلتنا الموسيقية لمساعدة الأطفال البلجيكيين الذين يتضورون جوعًا حتى الموت. ألا تعتقدن بأنه يمكنك ارتداء

فستانٍ رثٍّ مرةً واحدةً من أجلهم يا إيرين؟"

قالت إيرين: "أوه، ألا تعتقدين أن هذه الروايات التي نحصل عليها عن أوضاع البلجيكيين مبالغٌ فيها للغاية؟ أنا متأكدةٌ من أنهم لا يمكن أن يكونوا يتضورون جوعًا في الواقع، كما تعلمين، نحن في القرن العشرين. الصحف دائماً تبالغ في الأمور".

خلصت ريبلا إلى أنها قد أذلت نفسها بما فيه الكفاية. كان هناك شيءٌ مثل احترام الذات. لا مزيد من الإقناع أو الحفلة الموسيقية أو عدم وجود حفلة موسيقية. ونهضت.

"أنا آسفةٌ لأنك لا تستطيعين مساعدتنا يا إيرين، وبما أنك كذلك، أمامي حفلةٌ عليّ أن أبذل قصارى جهدي من أجلها".

الآن هذا لم يناسب إيرين على الإطلاق. كانت ترغب بشدة في الغناء في تلك الحفلة الموسيقية، وكل تردد لها كان مجرد وسيلةٍ لتعزيز نعمة موافقتها النهائية. إلى جانب ذلك، أرادت حقًا أن تكون صديقةً لريبلا مرةً أخرى. كان عشق ريبلا الصادق الذي لا يحسد على مضى بمثابة بخورٍ حلٍو للغاية بالنسبة لها. وكان منزل إنجلسايد ساحرًا للغاية لزيارته، خاصةً لوجود طالبٍ جامعيٍّ وسيمٍ مثل والتر في المنزل. توقفت عن النظر إلى قدمي ريبلا...

"ريبلا حبيبي، لا تستعجلي هكذا. أريد حقًا مساعدتك، بقدر ما يمكنني. فقط اجلسي ودعينا نتحدث عن الأمر".

"أنا آسفة، لكن لا يمكنني ذلك. يجب أن أعود إلى المنزل قريبًا، يجب أن أكون بجانب جيمس طوال الليل، كما تعلمين".

"أوه، نعم، الطفل الذي تربيته من خلال الكتاب. إنه لطفٌ منك أن تفعلي ذلك في ظلّ كرهك للأطفال. كم كنت متصلبةً لمجرد أنني قبلته! لكننا سننسى كل ذلك وسنكون أصدقاء مرةً أخرى، أليس كذلك؟

الآن، لتتكلّم عن الحفلة الموسيقية، أعتقد أنني أستطيع الذهاب إلى المدينة في القطار الصباحي، والخروج مرةً أخرى في فترة ما بعد الظهر.

هل تمانعين أن تطلبي من الأنسة أوليفر أن تعزف من أجلي. فأنا لا أستطيع التحدث معها، إنها متغطّسةٌ بشكلٍ مخيفٍ لدرجة أنها تعجزني بكل بساطة".

لم تضيّع ريلا الوقت أو تنبس ببنت شفةٍ في الدفاع عن الأنسة أوليفر. شكرت إيرين ببرود، والتي أصبحت فجأةً ودودةً للغاية، وذهبت بسرعة.

كانت ممتنةً للغاية لأن المقابلة انتهت. لكنها عرفت الآن أنها وإيرين لا يمكن أن تكونا صديقتين كما كانتا عليه من قبل. يمكن أن تُسمى وديّةً أجل، ولكن ليس صداقة. كما أنها لم تكن ترغب بذلك على الإطلاق.

كانت تشعر طوال فصل الشتاء بقلق، شعورٌ بسيطٌ بالندم على صديقتها المفقودة. الآن، كل ذلك ذهب فجأةً. لم تكن إيرين كما تقول السيدة إليوت، من العرق الذي يعرف الأصول.

لم تقل ريلا أو تعتقد أنها تجاوزت إيرين. ولو خطرت لها الفكرة لكانت قد اعتبرتها سخيّة، وهي لم تتم السابعة عشر من عمرها في حين أن إيرين كانت في العشرين.

لكنها كانت الحقيقة! هي إيرين نفسها الفتاة التي كانت عليها قبل عام، تمامًا كما ستظل دائمًا أيضًا. تغيرت طبيعة ريلا بلايث في ذلك العام ونضجت وتعمقت. ووجدت نفسها ترى من خلال إيرين بوضوح مقلق، مدركةٌ تحت كل حلاوتها السطحية، تفاهتها ونزعها الانتقامية ونفاقها ورخصها. لقد فقدت إيرين إلى الأبد وفقدت إيمانها بالأصدقاء.

ولكن ما إن اجتازت ريلا طريق جلين العلوي، ووجدت نفسها في
عزلة القمر في وادي قوس المطر، استعادت رباطة جأشها تمامًا. ثم
توقفت تحت البرقوق البري الطويل الذي كان أبيض شبحيًا وعادلاً في
إزهار الربيع الضبابي، وأخذت تضحك. مكتبة سر من قرأ
قالت بصوت عالٍ: "هناك شيء واحد فقط مهم الآن، وهو أن
الحلفاء ينتصرون في الحرب. لذلك، وبلا جدال، إن حقيقة ذهابي
لرؤية إيرين هوارد بأحذية غريبة وجوارب مختلفة، ليست ذات أهمية
على الإطلاق.

ومع ذلك، أنا، بيرثا ماريلا بلايث، أقسم رسميًا بالقمر كشاهد...
رفعت ريلا يدها للقمر المذكور بشكلٍ مثيرٍ وأكملت: "أقسم أنني
لن أغادر غرفتي مرةً أخرى أبدًا دون النظر بعناية إلى قدمي".



أبقت

سوزان العلم مرفوعًا في إنجلترا في إنجلسايد طوال اليوم التالي، على شرف إعلان إيطاليا دخولها الحرب.

قالت سوزان وهي تضرب وتعجن خبزها بأكبر قدرٍ من الطاقة الشرسة التي كانت ستستنزفها في لكم فرانسيس جوزيف نفسه إذا كان سيء الحظ وسقط في برائنها: "وليس قبل ذلك الوقت يا سيدتي العزيزة، مع الأخذ بعين الاعتبار الطريقة التي بدأت بها الأمور على الجبهة الروسية. لك أن تقولي ما شئت، ولكن هؤلاء الروس هم ماشيةٌ صغيرة، أما الدوق الأكبر نيكولاس فهو على عكسهم. إنه لمن حسن حظ إيطاليا أنها قد اتخذت هذه الخطوة، ولكن لا أعلم إذا كان ذلك من حظ الحلفاء، ولن أستطيع التنبؤ بشيءٍ عن الإيطاليين حتى أعرف أكثر عما سيحدث.

ومع ذلك، فإنها ستمنح ذلك المعتدي القديم فرانسيس جوزيف فخًا لن ينساه طوال حياته. يا له من امبراطور، فهو واقفٌ على حقّة قبره، ومع ذلك يواصل القتال"

كان والتر قد ذهب إلى المدينة في قطار الصباح، وعرضت نان على

ريلا أن تعتني بجيمس هذا اليوم عوضًا عنها. كانت ريلا مشغولة طوال اليوم، حيث ساعدت في تزيين قاعة جلين، وأشرفت على العديد من الإعدادات. كانت الأمسية جميلة، على الرغم من حقيقة أن السيد بريور (المشعر القمري) قال إنه يأمل أن تمطر شوكات الملعب إلى أسفل، وأنه ركل كلب ميراندا عن قصد كما قال.

ذهبت ريلا إلى المنزل، وارتدت ملابسها على عجل. كان كل شيء يسير على ما يرام بشكل مفاجئ، حتى أن إيرين كانت في ذلك الوقت في الطابق السفلي تغني مع الأنسة أوليفر.

كانت ريلا متحمسة وسعيدة، لدرجة أنستها الجبهة الغربية. لقد غمرها شعورٌ بالنصر، بعد أن حصرت كامل جهودها، التي امتدت لأسابيع، على تحضيرات القاعة والتي أثمرت في النهاية نجاحًا كبيرًا. كانت القاعة تضم بعض الأشخاص الذين كانوا يرون ويعتقدون بأن ريلا بلايث لم تكن تملك قدرًا من اللباقة والصبر لتصمم برنامج حفلٍ موسيقي. ولكنها قد أرتهم! كانت تدندن مقطعًا من أغنية ما، وهي ترتدي ملابسها. لقد اعتقدت بأنها تبدو جميلة المظهر، وكاد أن يغمى عليها من شدة الحماس.

فقد كانت وجتها قد اصطبغت باللون الوردي حتى لم يعد للنمش أي أثر، وكان شعرها الناري يلمع كأشعة الشمس.

هل تزيين بأزهار التفاح أم بحبات اللؤلؤ الصغيرة؟ وبعد تفكيرٍ دام قليلًا قررت اختيار أزهار التفاح، ووضعت حلقة أبيض كبيرًا خلف أذنها اليسرى. وأخيرًا ألقَت نظرةً حاسمة على قدميها. نعم، وها قد أصبحت جاهزةً بكعبها ذاك. وقبل أن تذهب، أعطت جيمس النائِم قبلةً على وجته الدافئة الوردية، وهرعت إلى أسفل التل مباشرةً نحو القاعة. كانت القاعة بالفعل ممتلئةً بالعديد من الأشخاص، وكان من المؤكد بأن حفلتها الموسيقية ستحقق نجاحًا باهرًا.

تم تجاوز العروض الثلاثة الأولى بنجاح. كانت ريلا في غرفة الملابس الصغيرة خلف المنصة، التي تطل على الميناء المضاء بشعاع القمر، تتدرب على تلاواتها الخاصة. كانت بمفردها، بينما كان الفنانون الآخرون في غرفة الأداء الكبيرة على الجانب الآخر. وفجأة، شعرت بذراعين عاريتين ناعمتين تحيطان خصرها، ولم تكن إلا إيرين هوارد التي ألقّت قبلةً خفيفةً على خدها.

"ريلا، أيتها اللطيفة تبدين كملاكٍ نزل من السماء. أنت تتمتعين حقًا بشجاعةٍ كبرى، لقد اعتقدت بأنك ستخافين وتقلقين بعد تجنيد والتر، وأنت لن تتمكني من تحمل الأمر. ولكنك خالفت توقعاتي. أتمنى لو كنت أمتلك نصف هدوءك وثباتك".

وقفت ريلا مكانها ساكنة، ولم تشعر بأي شيءٍ على الإطلاق، لا أفكار، ولا مشاعر. فقد أصبح عالم مشاعرها فارغًا. رددت لنفسها: "والتر... التجنيد"، ثم سمعت ضحكة إيرين الصغيرة المتأثرة.

"ماذا، ألم تعرفي؟ اعتقدت بأنك تعلمين، أم أنا التي لم تذكر الأمر. أظن بأنني أفسدت الأمر، أليس كذلك؟ لقد ذهب اليوم إلى المدينة من أجل ذلك، وأخبرني بأنه سيأتي ليلاً على متن القطار. أنا أول من علم بذلك. لم يرتدي الزي العسكري، ولكنه سيفعل في غضون يومٍ أو اثنين. دائماً ما كنت أقول بأن والتر يمتلك الشجاعة كغيره من الرجال تماماً. أنا أوكد لك يا ريلا بأنني شعرت بالفخر عندما أخبرني بما فعله. أوه، هناك نتيجةٌ جراء قراءة كتاب ريك ماكاليستر. عليّ الذهاب الآن، لقد وعدت بأن أغني عوضاً عن أليس كلو لأنها تعاني من الصداع".

لقد ذهبت، أوه، الشكر للرب أنها قد ذهبت.

تركت ريلا بمفردها مرةً أخرى، وأخذت تحديق في الجمال الأزلي، الذي يشبه الحلم، كليلية قمرية ترقص فيها الرياح. كان شعور الألم

يستحوذ عليها مجددًا، لدرجة أصبح يمزقها.

قالت: "لم يعد باستطاعتي تحمل الأمر." ثم فكرت بأنها ستعتاد ذلك مع مرور السنوات التي ستحمل لها كمًا هائلًا من المعاناة.

يجب أن تهرب، يجب عليها العودة للمنزل والاختلاء بنفسها. لم يكن بإمكانها الخروج والمشاركة في التدريبات والحوارات، أو اتخاذ القرارات. قد تفسد بذلك الحفل الموسيقي، ولكنها لا تهتم، فقد خسرت كل الأشياء أهميتها في تلك اللحظة. هل هذه هي ريلا بلايث البريئة، التي كانت سعيدة منذ بضع دقائق؟ وفي الخارج، كانت الجوقة تغني "لن نترك العلم القديم يسقط أبدًا." بدت الموسيقى وكأنها قادمة من الأفق البعيد. لم تستطع ريلا البكاء، كما فعلت عندما أخبرها جيم بذهابه. ربما لو استطاعت أن تذرِف الدموع، للملم الإحساس الرهيب شتات نفسه وفر هاربًا. ولكنها لم تستطع أن تذرِف ولا حتى دمعَةً واحدة! أين وشاحها ومعطفها؟ عليها الهروب والاختباء كمخلوق صغير يداوي جراحه.

أستكون جبانةً بهروبها؟ رنّ السؤال داخل عقلها، كما لو أن أحدًا قد همس ذلك في أذنها. فكرت في الفوضى في جبهة فلاندرز، وفكرت في شقيقها وزميله الذي يساعده في إطفاء النيران التي اجتاحت الفنادق. ماذا سيفكرون بها إن تهربت من واجبها الصغير الذي يكمن هنا؟ الواجب المتواضع المتمثل في تنفيذ البرنامج المرتبط بالصليب الأحمر!! ولكنها لم تستطع البقاء... لم تستطع ذلك... وفجأةً تذكرت حديث والدتها عندما ذهب جيم "وراء كل رجلٍ عظيمٍ امرأة" ولكنها لم تستطع أن تتحمل الأمر أكثر.

ومع ذلك، توقفت في منتصف الطريق، وعادت أدراجها إلى الباب، ونظرت من خلال النافذة. كان دور إيلين في الغناء حينها، وكان صوتها الجميل، الذي يميزها، لطيفًا ويملاً أرجاء القاعة. عرفت ريلا بأن

عرضها قد حان. أستطيع الذهاب والقيام بذلك؟ لقد شعرت بألم في رأسها، وبنار تحرق حلقها.

أوه، لماذا أخبرتها إيرين ذلك الآن، رغم صعوبة الأمر؟ كان ذلك عملاً قاسياً من إيرين. لقد تذكرت ريلا الآن، ذلك اليوم الذي نظرت فيه والدتها إليها بنظراتٍ غريبة. لقد كانت مشغولةً كثيراً للدرجة لم تهتم للأمر أبداً. وها قد فهمت الآن. كانت والدتها تعرف بذهاب والتر إلى المدينة، ولكنها قررت ألا تخبرها بالأمر حتى نهاية الحفل. يا لقوة التحمل التي تتميز بها الأم!

قالت ريلا وهي تشبك يديها الباردتين معاً: "يجب أن أبقى هنا وأرى ما سيحدث".

كانت بقية الأمسية تبدو كحلمٍ غريبٍ عنها. كان جسدها محاطاً بالعديد من الأشخاص، ولكن روحها وحيدةٌ تتعذب وتحترق حزناً. ولكنها رغم ذلك، أدت دورها، وألقت التلاوات دون أن تتلعثم. حتى أنها ارتدت زي امرأةٍ أيرلنديةٍ عجوزٍ ذات ملامح بشعةٍ، وأدت المشهد الحوارية الذي لم تأخذه ميراندا بريور. لكنها لم تعطها "حقها"، ذاك الالتواء الفريد الذي أعطته له في الممارسات، وكانت قراءاتها تفتقر إلى نيرانها المعتادة وجاذبيتها.

وبينما كانت تقف أمام الجمهور، رأت وجهًا واحدًا فقط، وجه ذلك الفتى الوسيم ذي الشعر الداكن الجالس بجانب والدتها، نفس الشخص الذي رآته في الخنادق ملقى على الأرض متجمداً من البرد وميتاً أسفل ضوء النجوم، ونفسه الذي شعت من أعينه نظرات الوهن في السجن. لقد رأت مئات الأشياء المروعة وهي تقف هناك على منصة قاعة جلين، ووجهها قد شحب بشدةٍ وأصبح يفوق لون زهور التفاح الموضوعة في شعرها. بعيداً عن الجموع، كانت تمشي بلا كللٍ ذهاباً وإياباً في غرفة الملابس الصغيرة، وهي تردد متى سينتهي الحفل.

وها قد انتهى أخيراً. هرعت أوليف كيرك إليها، وأخبرتها ببهجة أنهم كسبوا مائة دولار. قالت ريلا بعملية: "هذا جيد".
كان والتر ينتظرها عند الباب. وعندما أتت، شبك ذراعه بذراعها، وسارا بصمتٍ على طول الطريق المضاء عائدين إلى المنزل. كانت الضفادع تغني في المستنقعات، والحقول التي تحيط المنازل تستمع بصمتٍ إليها. كانت ليلة الربيع تلك جميلةً وجذابة، لدرجة أشعرت ريلا بأن جمالها ذاك كان يسخر من ألمها العميق. لقد كرهت يومها ضوء القمر الفضي.

قال والتر "أعتقد بأنك أصبحت تعرفين؟"

أجابت ريلا بغصة: "نعم، لقد أخبرتني إيرين".

"لم نكن نريدك أن تعرفي حتى انتهاء حفل الليلة. علمت عندما خرجت من أجل التدريبات بأنك قد علمت بالأمر. كان عليّ أن أفعل ذلك يا אחتي الصغيرة. بعد أن سقطت لوسيتانيا، لم أعد أستطيع العيش كما كنت سابقًا. عندما تخيلت هؤلاء النساء والأطفال الجرحى يسبحون في ذلك الماء البارد... حسنًا، شعرت للوهلة الأولى بالنفور من الحياة... وأردت الهروب من هذا العالم المروع، والابتعاد عن كل هذا الأذى. عندها اتخذت قرار الذهاب".
"هناك العديد غيرك ليذهب".

"أنا لا أهتم لذلك يا ريلا ريلاتي... أنا ذاهبٌ من تلقاء نفسي لأنقذ روحي وأرواح الناس الأبرياء. وإن لم أذهب سأكون حينها جبانًا صغيرًا، لا يستحق العيش. وسيكون ذلك أسوأ من أن أفقد بصري، أو أن أتشوه، أو أن أصاب بتلك الأشياء الأخرى التي أخافها".
كرهت ريلا نفسها عندما قالت "ربما تُقتل" كانت تعلم بأن ما قالته جبنًا وضعفًا منها، وكم تمنّت أن تتمزق إربًا بعد أجواء تلك الأمسية الكئيبة.

قال والتر: "اليوم أو غدًا... سيأتي الموت ليقبض روحك لا محالة".

وتابع: "لقد أخبرتك منذ فترةٍ طويلةٍ بأنني لا أخشى الموت... كل ما في الأمر أن على المرء أن يرد جميل عيشه لهذه الحياة أيتها الصغيرة. الحروب تخلق العديد من المآسي. يجب أن أذهب وأخمدها.

سأقاتل من أجل جمال الحياة يا ريليا ريلاتي، فهذا هو واجبي. ربما يكون هناك واجبٌ أسمى من هذا، ولكن كل ما أراه الآن أن واجبي يقتصر على الذهاب. أنا مدينٌ للحياة ولكندا، وعليّ أن أرد لهما الدين. أتعلمين يا ريليا، هذه هي الليلة الأولى التي أستعيد بها احترامي لذاتي منذ مغادرة جيم. "وأكمل ضاحكًا: "كان بإمكانني كتابة الشعر، ولكنني لم أتمكن من كتابة سطرٍ واحدٍ منذ شهر آب. أما الآن فأبيات الشعر تتوغل داخلي. أختي الصغيرة، أريدك أن تتحلي بالشجاعة كما كنت تمامًا عندما ذهب جيم".

"هذا... هذا... مختلف" كان على ريليا أن تتوقف بعد كل كلمةٍ لمحاربة نوبة التنهدات الشديدة، "ولكن الأمر يختلف الآن... لطالما أحببت جيم... لقد ظننا بأن الحرب ستنتهي عند ذهابه... ولكن ها أنت أيضًا ذاهبٌ يا والتر... ستذهب وستأخذ معك روحي يا والتر".

"عليك أن تكوني شجاعةً لتقويني ريليا ريلاتي. فأنا اليوم أشعر بلذة النصر، وأفتخر بنفسني، ولكن عندما ستحيطني الأوقات المأساوية، حينها سأكون بحاجةٍ إلى من يدعمني ويكون بجانبني".

"متى ستذهب؟" سألت، وهي تريد أن تعرف كل الأمور السيئة في آنٍ واحد.

"في أقل من أسبوع، ومن ثم سنذهب إلى كينجسبورت للتدريب. أعتقد بأننا سنسافر إلى الخارج في منتصف شهر تموز تقريبًا... ولكنني لست متأكدًا من ذلك".

أسبوعٌ واحد... أسبوعٌ واحدٌ فقط مع والتر! تجهل القلوب كيف ستستطيع الآن أن تعيش بعيداً عنه.

عندما وصلا عند بوابة إنجلترا، توقف والتر أسفل ظلال أشجار الصنوبر القديمة، واقترب من ريلا، وقال:

"ريلا ريلا، أنت تعرفين بأن هناك العديد من الفتيات الجميلات والنقيات مثلك تمامًا في بلجيكا وفلاندرز، وأنت مدركةٌ تمامًا لمصيرهن. لذلك، علينا أن نوقف تلك الحرب كي لا ينهدم العالم. ستساعديني في ذلك، أليس كذلك؟"

قالت: "سأحاول يا والتر... آه! سأحاول".

عندما تشبثت به، واستندت برأسها على كتفه، علمت بأن عليها ذلك. وتقبلت الحقيقة التي لا مفر منها. والتي تكمن بذهاب والتر الوسيم، بأحلامه الجميلة، وروحه السامية. فهي كانت تعلم بأن ذلك سيحدث عاجلاً أم آجلاً. لقد رأت الأمر كما لو أن سحابةً مظلمةً تسبح في السماء فوق الحقول المشعة لتخفيها بظلامها بسرعةٍ محتمة.

ووسط كل الآمها، راودها شعورٌ غريبٌ براحة البال في جزءٍ من روحها، رغم الألم الخفيف الذي كان يقرع باب قلبها طيلة فصل الشتاء. لن يستطيع أحدٌ الآن أن يلقب والتر بالمتهرب أو الجبان كما دُكر في تلك الرسائل المجهولة.

لم تنم ريلا تلك الليلة، كما حال الجميع ما عدا جيمس. كان الجسد ينمو ببطءٍ وثبات، بينما كانت الروح تكبر وتضعف بسرعةٍ فائقة. وقد تصل إلى نهايتها في غضون ساعةٍ واحدة. كانت روح ريلا بلايث منذ تلك اللحظة متشعبةً بقوة الاحتمال، وبقدرتها على إخفاء الألم.

وعندما بزغ الفجر المرير، نهضت وذهبت إلى نافذتها. كانت شجرة التفاح الكبيرة، النامية أسفل النافذة، قد تفتحت على أغصانها أزهاراً وردية اللون. لقد زرعها والتر منذ سنواتٍ عندما كان طفلاً صغيراً.

وخلف وادي قوس المطر، كان الشاطئ غائمًا إلا من بعض الأشعة التي تنعكس على صفحة الماء. وقد أشرق الأفق بنجم فضي بارد كان يقبع فوقه. لماذا على القلوب أن تنكسر في فصل الربيع؟ شعرت ريلا بذراعين تضمامها بمحبة وأمان. كانت تلك والدتها ذات الوجه الشاحب والعينين الناعستين.

قالت وهي تبكي: "أو يا أمي، كيف أمكنك تحمل الأمر؟" "عزيزتي ريلا، لقد عرفت منذ عدة أيام أن والتر قصد الذهاب. كان لدي الوقت لأرفض، وأقنعه. ولكن كان عليّ تركه ليتبع ما يريد. لقد لبتى نداء الدعوة المحبة التي لطالما نادته، ولا يجب علينا أن نزيد من مرارة تضحيته."

صرخت ريلا: "تضحيتنا أعظم من تضحيته. نحن نضحى بأولادنا، وأولادنا يضحون بأنفسهم من أجل الآخرين."

قبل أن تتمكن السيدة بلايث من الرد، أطلت سوزان برأسها من جانب الباب، دون أن تغير أدنى اهتمام للآداب، كالطرق عليه والدخول. كانت عيناها حمراوين بشكلٍ مثيرٍ للريبة، ولكن كل ما قالته كان: "هل أحضر لك وجبة الإفطار يا سيدتي العزيزة؟" "لا، لا يا سوزان، سنتناوله جميعًا في الأسفل. هل تعلمين بأن والتر قد انضم إلى..."

"نعم يا سيدتي العزيزة، لقد أخبرني الدكتور الليلة الماضية. أعتقد أن الرب، لديه أسبابه الخاصة للسماح بمثل هذا الأمر بالحدوث. يجب أن نقوي أنفسنا، وننظر إلى الجانب المشرق. قد يشفيه الأمر من كونه شاعرًا، على الأقل."

ما زالت سوزان مصرةً على التفكير في أن الشعراء والمثشردين لا يختلفون البتة عن بعضهما البعض. يا لغرابتها! وأكملت بنبرة منخفضة: "الشكر للرب بأن شيرلي لم يبلغ العمر المناسب للذهاب."

سأل الدكتور الذي كان يقف على عتبة الباب: "أليس هذا كشكره على ذهاب نجل امرأةٍ أخرى مكان شيرلي؟"

قالت سوزان بإصرار، وهي تحمل بين ذراعيها جيمس الذي كان يفتح عينيه الداكنتين الكبيرتين، ويمد كفيه الصغيرين: "لا، ليس كذلك أيها الدكتور العزيز. لا تقل كلماتٍ لم ينطقها لساني أبدًا. أنا امرأةٌ عاديةٌ لا تستطيع مجادلتيك. ولكنني لا أشكر الرب على ذهاب أي شخص. أنا أعرف بأنهم مضطرون لذلك، فقط يبدو الأمر أنه يتعين عليهم ذلك، ما لم نرغب جميعًا في أن نكون قيصريين ... وأنا أؤكد لكم بأن عقيدة مونرو، مهما كانت، لا ترتبط بأي شيء، وأن وراءها وودرو ويلسون".

واختتمت سوزان، وهي تضع جيمس في ذراعيها النحيقتين وتسير باتجاه الطابق السفلي "والآن بعد أن قلت ما لدي، سأتحلى بالشجاعة، وإن لم أستطع ذلك، فسأظاهر بالأمر فقط".

إلى أن يحين الفجر



قالت

سوزان بيأس، وهي تنظر من فوق صحيفتها: "لقد استعاد الألمان بريميسل، والآن أعتقد بأنه سيتعين علينا تسميتها مجددًا بهذا اللقب القديم الرث.

كانت ابنة العم صوفيا موجودةً عندما وصل البريد، وحين سمعت الخبر أطلقت تنهيدةً من أعماق صدرها يا سيدتي العزيزة، وقالت: "آه حسنًا، لا بد من أنهم سيحصلون على بتروغراد بعد ذلك." فقلت لها: "على حسب معرفتي الضئيلة في الجغرافيا، على عكس ما كنت أتمنى أن تكون، أعتقد بأنها مجرد نزهوة من بريميسل إلى بتروغراد حسب كلامك." تنهدت ابنة العم صوفيا مرةً أخرى وقالت: "الدوق الأكبر نيكولاس ليس بالرجل الذي تتوقعينه،" فقلت لها بسخرية: "لا تدعيه يعرف بالأمر، فقد يؤدي ذلك مشاعره، فهو لديه ما يكفي ليقلق بشأنه." ولكن لا يمكنك أن ترفهي عن ابنة العم صوفيا، مهما حاولت يا سيدتي العزيزة.

وتنهدت للمرة الثالثة وقالت: "لكن الروس يتراجعون بسرعة،" فقلت لها: "حسنًا، وماذا في ذلك؟ لديهم متسعٌ كبيرٌ من الوقت

للتراجع. ولكن مع ذلك يا سيدتي العزيزة، على الرغم من أنني لن أعترف بذلك لابنة عمي صوفيا، إلا أنني لا أحب الوضع الذي تواجهه الجبهة الشمالية".

ليست سوزان وحدها من لم يعجبها الأمر، بل الجميع أيضًا. وطيلة فصل الصيف، استمر الانسحاب الروسي، الذي واجه المآسي لفترة طويلة.

قالت جيرترود أوليفر: "أتساءل عما إذا كان باستطاعتي انتظار وصول البريد مرةً أخرى بكامل شجاعتي وبهدوء. الفكرة التي ما انفكت تطاردني ليلاً ونهارًا، هل سيسحق الألمان الروس بأكملهم، ثم يشنون بجيشهم الشرقي المشحون بالنصر، الحرب على الجبهة الغربية؟"

قالت سوزان معتبرةً نفسها إحدى الرُّسل المنبئة: "لن يفعلوا ذلك يا أنسة أوليفر العزيزة.

أولاً، لن يسمح الرب بذلك. وثانيًا، الدوق الأكبر نيكولاس، الذي قد يخيب آمالنا في بعض الأحيان، يعرف طريق النجاة بسهولة وانتظام، وهذا أفضل ما في الأمر عندما ينقض عليك الألمان. صرح نورمان دوغلاس بأنه يستدرجهم ويقتل عشرةً منهم في آن واحد بمفرده.

ولكنني أعتقد بأنه لن يستطيع فعل ذلك في ظل ظروف كهذه، كل ما يستطيع فعله هو بذل جهد كما يفعل البقية. لذلك ليس هناك داعٍ لأن ننهمك في المتاعب البعيدة، فهناك ما يكفي منها يرقد عند أعتاب المنزل".

كان والتر قد ذهب إلى كينجسبورت في الأول من حزيران. وقد ذهب نان ودي وفايث أيضًا لمساعدة صليب أحمر الصغار في إجازتهم. وفي منتصف شهر تموز، عاد والتر إلى المنزل لمدة أسبوعٍ لقضاء إجازته قبل السفر إلى الخارج.

لقد أخرجت ريبلا كل مشاعرها والتصقت بوالتز تعويضًا عن فترة الغياب التي ستعيشها دونه، والآن وبعد أن حان الوقت، تشبعت من ملامحه، وكم كرهت الليالي التي نامت بها مضيعةً أئمن الأوقات برفقته. وعلى الرغم من حزنه، إلا أنه كان أسبوعًا جميلًا، مليئًا بالذكريات التي لن تنسى، ولاسيما عندما كانت هي ووالتر يمشيان لمسافاتٍ طويلة، في خضم حديثهما، وصمتها أيضًا.

لقد كان أعز الإخوة على قلبها، وكانت تعلم أنه يجد القوة وراحة البال بجانبها هي. كان من الرائع جدًا معرفة أنها تعني الكثير بالنسبة له، ولولا ذلك لما استطاعت تحمل غيابه. لقد منحها ذلك القدرة على الابتسام، والضحك أحيانًا. وعندما حان موعد رحيل والتر، كانت تريد أن تنغمس في دوامة بكائها، ولكنها لم تستطع بوجوده. حتى أنها لم تدع نفسها تبكي في الليل، لكيلا تفضحها عيناها في الصباح.

وفي أمسيته الأخيرة في المنزل، ذهبا سويًا إلى وادي قوس المطر، وجلسا على ضفة النهر، تحت السيدة البيضاء، حيث كان يجلس أسفلها الأحباء في الأيام الخوالي.

كان وادي قوس المطر مغطى بروح الغروب، والذي بدا في غاية الروعة تلك الليلة. كان الغسق رماديّ مضاءً بالنجوم التي زينت السماء، ثم سطع أكثر بضوء القمر الذي كان يختبئ، ويظهر تارةً مضيئًا الوديان الصغيرة، والأوكار، تاركًا ما دون ذلك للظلام الحالك.

قال والتر وهو ينظر من حوله بعيونٍ شغوفةٍ إلى الجمال التي تشبعت به الطبيعة، والذي تهواه روحه: "عندما أكون في مكانٍ ما في فرنسا، سأتذكر هذه الأماكن التي لا تزال نديةً ومبللةً بأشعة القمر، وبلسم أشجار التنوب، سلامٌ لتلك البرك البيضاء، للغو القمر، لبأس التلال، يا لها من عبارةٍ قديمةٍ جميلةٍ يا ريبلا! لقد قرأتها في كتابٍ مقدسٍ مرّة.

انظري إلى تلك التلال القديمة من حولنا، تلك التلال التي نظرنا

إليها منذ صغرنا، وتساءلنا ما الذي يكمن وراءها من معالم، وما مدى هدوئها وقوتها، كم هي صبوراً وصامدة كقلب الأم تمامًا. ريلا ريلاتي، هل تعرفين ما الذي فعلته بي العام الماضي؟ أردت ان أخبرك بذلك قبل أن أذهب، فأنا لم أكن لأعيش لولاك يا ريلا، لولا المحبة التي زرعتها بي، والإيمان الذي ألبسته لروحي".

لم تجرؤ ريلا على التفوه بأي كلمة. كل ما فعلته هو أن شبكت يديها بيد والتر، وضغطت عليها بقوة.

"وعندما أكون هناك يا ريلا، في ذلك الجحيم المتواجد على الأرض الذي صنعه الرجال المجردين من الحب والإيمان، سأذكر كل ما علمتني إياه، وسأسلح به. أعلم بأنك ستكونين شجاعةً وصبورةً كما كنت العام الماضي، وأنا لست خائفاً عليك أبدًا. أنا أعلم أنه بغض النظر عما سيحدث، ستظلين ريلا ريلاتي التي لطالما عرفتها".

وبعد أن اكتفى والتر بما قاله، قمعت ريلا دموعها وتنهداتها، ولكنها لم تستطع قمع رجفتها. وبعد لحظة من الصمت، حيث قطع كل منهما وعدًا للآخر، قال: "لم يعد بإمكاننا الصبر أكثر من ذلك، سنتظر السنين القادمة، إلى أن يحين الوقت الذي ستنتهي فيه الحرب، وسنعود أنا وجيري وجيم إلى المنزل وسنكون سعداء مرةً أخرى".

قالت ريلا: "لن نعود للسعادة التي كنا بها أبدًا يا والتر".

"أنت محقة، ليس بالطريقة نفسها أبدًا. فلا أحد ممن مسته هذه الحرب سيكون سعيدًا مرةً أخرى بنفس الطريقة تمامًا. ولكن نهاية المطاف تسمى سعادة. تلك السعادة التي ستتمسك بها يا أختي الصغيرة. لقد كنا سعداء جدًا قبل اندلاع الحرب، أليس كذلك؟ في منزلٍ مثل إنجلسايد، وبوالدين كوالدينا، لم نكن لنصبح أكثر سعادةً من ذلك.

ولكن تلك السعادة كانت هبةً من الحياة والحب، ولم تكن من حقنا

أبدًا، إنها للحياة وتستطيع أن تسلبها منا متى شاءت، ولكنها لن تستطيع أبدًا أن تسلب السعادة النابعة من قلب الواجب. لقد أدركت ذلك منذ أن التحقت بالجيش. وعلى الرغم من الفوضى العرضية التي عشتها بسبب ذلك، كنت سعيدًا منذ تلك الليلة من شهر أيار.

ريلا كوني لطيفةً، واعطني بوالدتي أثناء غيابي. إنه لأمرٌ فظيخٌ أن يكون المرء أمًا في أوقات الحرب. الأمهات والأخوات والزوجات والأحباء هن الوحيدات اللاتي يمررن بوقتٍ عصيب.

ريلا، أيتها الصغيرة الجميلة، إني أتساءل ... هل هناك أحدٌ في قلبك؟ أخبريني قبل أن أذهب."

قالت ريلا: "لا".

وبعد لحظة، وبرغبةٍ منها لتكون صريحةً مع والتر تمامًا في هذا الموضوع قبل ذهابه، فقد يكون هذا آخر حديثٍ بينهما، أضافت، وقد احمرت وجنتاها خجلًا تحت ضوء القمر: "أعتقد أنني أكن بعض المشاعر لكينيث، إن كان هو أيضًا كذلك".

قال والتر: "عرفتُ ذلك. كينيث قد التحق بالجيش أيضًا. يالك من فتاةٍ مسكينة! أنتِ حقًا أكثر من يمر بوقتٍ عصيب. حسنًا، أنا لن أدع قلب أي فتاةٍ يتحطم بسببي، وأنا أشكر الرب على ذلك".

نظرت ريلا إلى منزل القس الظاهر على التل. كان بإمكانها رؤية ضوءٍ في نافذة أونا ميريديث. شعرت باندفاعٍ لقول شيءٍ ما، ولكنها تراجعَت عن ذلك. هذا سرّها، وعلى أي حال، لم تكن تعرف، كانت تشبه فقط.

نظر والتر من حوله بحبٍ وحنان، فقد كانت تلك البقعة عزيزةً على قلبه. فكم استمتعا عندها منذ أن كانا طفلين. بدت أرواح الذاكرة وكأنها تسير في الممرات المزهرة، وتطل بمرحٍ من خلال الأغصان المتراقصة. فها هما جيم وجيري مشمران عن أرجلهما تحت أشعة الشمس،

ويصطادان من الجدول سمك السلمون المرقط ليشوياه فوق المدفأة الحجرية القديمة، وها هما نان وفايث بجمالهما الطفولي الغامض، وعينيهما الجميلتين يلعبان في الأرجاء، وهناك أونا اللطيفة الخجولة، وكارل الذي يجمع النمل والفراشات، وماري فانس الصغيرة حادة اللسان طيبة القلب، ووالتر المسكين المستلقي على العشب يقرأ الشعر، ويتجول بين قصوره الخيالية.

كانوا جميعهم من حوله. وكان باستطاعته رؤيتهم بوضوح تقريبًا كما يرى ريبلا أمامه الآن. ومرّة، دق الناقوس أسفل الوادي في الشفق المتلاشي، وأخافهم. بدا الأمر وكأن أشباح الأيام العجيبة القادمة تتحدث وتقول: "نحن الذين كنا أبناء الأمس يا والتر، أصبحنا نقاتل بكامل قوتنا لننقذ أبناء الغد".

صاحت ريبلا ضاحكة: "أين ذهبت يا والتر؟ هيا عد لأرض الواقع". عاد والتر، وقد زفر أنفاسًا طويلة. ووقف، ونظر من حوله إلى الوادي حيث القمر الجميل يسطع، والذي سحر قلبه، وإلى أشجار التنوب المظلمة الشامخة التي تطال السماء اللامعة، وإلى السيدة البيضاء الشامخة، وإلى سحر الغدير الراقص، وإلى شجرة العشاق المخلصين، وإلى المسارات الصعبة والمغرية.

قال وهو يبتعد عنها: "سأراه هكذا في أحلامي".

وعندما عادا إلى إنجلسايد، كان السيد والسيدة ميريديث هناك مع جيرترود أوليفر، التي جاءت من لوبريدج لتوديعه. كان الجميع سعداء ومتحمسين للغاية، ولكن لم يتحدث أحدٌ منهم عن انتهاء الحرب كما تحدثوا عندما غادر جيم. لم يتحدثوا عن الحرب إطلاقًا، ولم يفكروا في أي شيءٍ آخر. وأخيرًا اجتمعوا حول البيانو وغنوا الترنيمة القديمة الكبرى:

"لا تدخلنا في تجربةٍ أيها الأب القدوس"

نجنا من الشرير أيها الأب القدوس، هاليلويا
لك القدرة والمجد أيها الأب القدوس
الآن وللأبد أيها الأب القدوس، هاليلويا."

قالت جيرترود لجون ميريديث: "كلنا نلجأ إلى الرب في أيام
عسرننا. لقد مرت عليّ العديد من الأيام التي لم أوّمن فيها بالرب أبدًا،
ليس بالمعنى الفعلي، فقط باعتباره السبب الرئيسي في خلق هذه
المخلوقات الشرسة. أنا أوّمن به الآن، ولا بد لي من ذلك، وليس هناك
من أعتمد عليه غيره في هذه الحياة، بتواضع وخشوع ودون قيود".
قال القس بلطف: "حامينا في السنين الماضية، والسنين القادمة،
وإلى الأبد. وإن نسيناه سيدكرنا بنفسه دائمًا".

لم يكن هناك حشدٌ في محطة جلين في صباح اليوم التالي لتوديع
والتر. لقد أصبح أمرًا شائعًا أن يذهب صبيٌّ يرتدي الملابس العسكرية
ويركب القطار في الصباح الباكر بعد إجازته الأخيرة. وإلى جانب
أحبائه، كان هناك معارف القس، وماري فانس. وكان ميلر قد أخبر
ماري الأسبوع السابق بالأمر برسالةٍ حزينة، وهي تعتبر نفسها الآن
مؤهلةً لإعطاء رأيٍ خبيرٍ حول كيف ينتهي الفراق.
وقالت لسكان إنجلترا: "كل ما في الأمر أن تبسم، وتتصرف
وكأن شيئًا لم يحدث. جميع الأولاد يكرهون البكاء والنحيب. أخبرني
ميلر ألا أقرب من المحطة إن كنت سأصرخ وأبكي. لذلك نجحت في
بكاتي مسبقًا، وفي النهاية قلت له، "حظًا سعيدًا يا ميلر، وإذا عدت
ستجدني كما أنا، وإن لم تعد، فسأكون دائمًا فخورةً بك، وعلى أي
حالٍ إياك والوقوع في حب فتاةٍ فرنسية". أقسم ميلر بأنه لن يفعل ذلك،
ولكن لا أحد يمكنه الوثوق في أولئك الأجانب. وآخر نظرةٍ رأيته بها،
كنت أبتمم ملء شدقي. وشعرت أن وجهي قد تشنج بسبب ذلك
وبقيت مبتسمةً حتى الصباح.

على الرغم من نصائح ماري وأمثالها، إلا أن السيدة بلايث، التي ودعت جيم بابتسامة، لم تستطع أن تفعل ذلك مع وداع والتر. ولكن على الأقل لم يبك أحد. خرج كلب الاثنيين من مخبئه تحت سقيفة الشحن، وجلس بالقرب من والتر، وأخذ يضرب ذيله بقوة على ألواح المنصة كلما تحدث إليه والتر، ونظر إلى الأعلى بعينين واثقتين كما لو كان يقول له "أعرف بأنك ستجد جيم وتعيده إلي".

قال كارل ميريديث بمرح وهو يودعه: "لقد مضى وقتٌ طويلٌ، أيها الزميل العزيز. أخبرهم أن يتسلحوا بروح الحماس والمعنويات، فأنا سأتي إليهم".

قال شيرلي باقتضاب: "وأنا أيضًا." سمعته سوزان وقد شحبت وجهها.

صافحته أوننا بهدوء، ونظرت إليه بعيونٍ زرقاء حزينة. وقد بقيت كذلك طيلة غيابه. أخفض والتر رأسه ذا الشعر الأسود، وأمسك قبعته العسكرية، وزرع على جبينها قبلةً دافئةً نابغةً من قبله. لم يسبق لوالتر أن قبلها من قبل، وللحظة عابرة خافت أوننا من أن يكون أحدٌ قد رأى ما حدث. ولكن أحدًا لم يفعل.

كان قائد القطار يصرخ "فليصعد الجميع." كان الجميع يحاولون أن يبدوا مبتهجين للغاية. التفت والتر إلى ريلا التي أمسكته من يده. ونظرت إليه كما لو أنها لن تراه مجددًا، حتى يندلع ذلك اليوم وتختفي الحرب. ولم تكن تعرف ما إن كان ذلك الفجر سيكون في قبره أو في منزله".

"وداعًا." قالت له.

كانت شفيتها قد تخلت عن الحزن المرير الذي اكتسبته من عصور الفراق، واكتست بحلاوة الحب التي تتمتع بها جميع النساء اللواتي فارقتن أحباءهن، وأخذن يتلون الصلاة لهم.

"اكتب لي كثيرًا واجلب جيم معك بأمان" ...

كان والتر يشعر بالراحة بعد أن قال لها كل ما يشعر به الليلة السابقة في وادي قوس المطر. وفي اللحظة الأخيرة، أحاط وجهها بيديه، ونظر بعمق في عينيها القويتين، وقال بهدوءٍ وحنان: "فليباركك الرب يا ريبلا ريبلا تي" ففي النهاية، ليس من الصعب أبدًا القتال من أجل أرض أنجبت فتاةً مثلها.

وقف على المنصة الخلفية، ولوح لهم بينما كان القطار ينطلق. كانت ريبلا تقف بمفردها، ولكن أونا ميريديث أتت إليها، ووقفت الفتاتان، العزيزتان على قلبه، معًا وتمسكتا بأيدي بعضهما البعض بينما كان القطار يلتف عند منحنى التل المشجر.

أمضت ريبلا ساعةً من وقتها في وادي قوس المطر ذلك الصباح دون أن تتكلم مع أي أحد، حتى دون أن تكتب ما تشعر به في مذكراتها. وعندما انتهى الأمر، عادت إلى المنزل وأنهت حياكة السروال القصير لجيمس. وفي المساء، ذهبت إلى اجتماع لجنة صليب أحمر الصغار، وكانت تتكلم معهم بعملية فائقة.

قالت إيرين هوارد لأوليف كيرك بعد ذلك: "لا أحد يستطيع التصديق بأن والتر قد غادر هذا الصباح، بغض النظر عن بعض الأشخاص الذين لا يمتلكون أي مشاعر عميقة تجاه الأمر. أتمنى في بعض الأحيان أن أتعامل مع الأمور باستخفافٍ تمامًا كما تتعامل معها ريبلا بلايث".



في

أحد أيام آب الدافئة، وبينما كان الدكتور بلايث يُحضر البريد ويقرأه، قال بنبرة حزينة مُعتادة في جوٍ مستقيل: "سقطت وارسو".

نظرت الأنسة جيرترود والسيدة بلايث برثاء في عيني بعضهما البعض. وريلا، التي كانت تطعم جيمس بأطعمةٍ مخصصة له وتناسبه، بملعقةٍ معقمةٍ بعناية، وضعت الملعقة على صينية، متجاهلةً تعاليم الجراثيم وغيرها، وقالت بلهجةٍ مأساويةٍ كما لو أن الأخبار جاءت على شكل صاعقةٍ بدلاً من كونها نتيجةً مفروضةً من أحداث الأسبوع السابق: "أوه! يا إلهي".

لقد كانوا يعتقدون أنهم يبالغون قليلاً في احتمالية سقوط وارسو، ولكنه حصل بالفعل... خيبة أمل.

قالت سوزان: "دعونا لا نُحبط! إن الأمر ليس بالسوء الذي كُنّا نفكر به. فقد قرأت البارحة، ثلاثة أعمدةٍ من صحيفة مونتريال هيرالد، والتي أثبتت بأن وارسو لم تكن بتلك الأهمية العسكرية، لا تُحتسب من الناحية العسكرية حتى. ولذلك دعونا نأخذ الأمور من منحىٍ عسكريٍّ فقط أيها الدكتور العزيز".

علقت جيرترود: "لقد قرأت ذلك أيضًا، وقد أراحني قليلاً. قيل إن الأمر برمته كذبة، وأنا أعرف أنه كذلك. ولكنني توصلت إلى تلك المرحلة الذهنية حيث أنني أتمسك بالأمل وإن كان عن طريق الكذب، مما يجعلها كذبةً مُريحة.

قالت سوزان ساخرة: "في هذه الحالة يا آنسة أوليفر العزيزة، يجب أن تكون التقارير الرسمية الألمانية هي كل ما تحتاجينه. لم أقرأها أبدًا الآن لأنها تثير غضبي لدرجة أن قراءة سطرٍ واحدٍ منها يوترني وبالتالي لا أستطيع أن أركز كما يجب في عملي.

حتى هذه الأخبار عن وارسو الآن، قد حسمت خطط ما بعد الظهيرة جميعها. إن المصائب لا تأتي منفردةً أبدًا، كنت أنوي أن أخبز بعض أرغفة الخبز اليوم، فسقطت وارسو، وهنا كيتشير الصغير مصممٌ على خنق نفسه حتى الموت".

كان جيمس ممسكًا بملعقة طعامه محاولاً أن يضعها كلها في فمه هي والجراثيم وكل شيء.

سحبها ريبلا منه بسرعة، وكانت على وشك أن تكمل إطعامه لولا أن استوقفها ما قاله والدها بصدمة جعلت الملعقة تقع من يدها مرّة أخرى.

كان الدكتور يقول: "إن كينيث فورد في ميناء مارتن ويست. كان فوجه في طريقه إلى الجبهة لكنه تم تجميده في كينجسبورت لسبب ما، وحصل كين على إجازةٍ للمجيء إلى الجزيرة".

هتفت السيدة بلايث: "أمل أن يأتي لرؤيتنا".

قال الدكتور: "لا أعتقد أنه يملك إجازةً أكثر من يومٍ أو اثنين".

لم يلاحظ أحدٌ الحُمرة التي تملو وجه ريبلا، أو يديها المرتعشتين. فحتى الأهالي الأكثر انتباهًا وتفكيرًا بأبنائهم، يمكن أن تفوتهم بعض الأمور التي تجري من حولهم.

عاودت ريبلا إطعام جيمس الذي طالت معاناته للمرّة الثالثة، كان كل ما يشغل تفكيرها هو سؤال واحد. هل سيعود ليراها قبل رحيله مرّة أخرى؟ لم تسمع عنه شيئاً منذ فترة طويلة! هل نسيها تمامًا؟ إن لم يزرهم، فهذا يعني أنه نسيها بكل تأكيد.

لا بد أن أحد الفتيات في تورنتو قد استحوذت على قلبه! أجل! هذا بالتأكيد ما حصل... يا لها من فتاة ساذجة لتفكّر به هكذا، لم يكن يجب عليها ذلك... وإن أتى فأهلاً وسهلاً.

فمن اللباقة أن يلقي سلاماً لإنجلسايد في طريقه، حيث كان ضيفاً لأيام وأيام هنا. وإن لم يأتي، فأهلاً وسهلاً وأيضاً، لا يهم على الإطلاق، لا أحد سيعتب عليه.

وهكذا كان، لم تعد تبالي بالأمر أبداً، ولكن في زمرة أفكارها تلك، كان جيمس يتغذى بشكلٍ عشوائيٍ وعلى عجلٍ بطريقةٍ كانت لتجعل مورغان تموت رعباً.

بالطبع لم يُعجب جيمس ما يحلّ به، تلك الملاعق المبعثرة والسريعة التي لم تترك له مجالاً للتنفس حتى، فاحتج... ولكن احتجاجاته لم يُلقَى لها بالاً. لم تكن ريبلا تجيد إطعام الرضيع والاهتمام به في ظل كل تلك الهموم التي تثقل كاهلها.

وما هي إلا لحظاتٍ حتى رنّ الهاتف، وأوقع معه الملعقة للمرة الثالثة ولكن على السجادة هذه المرّة، لم يعد رنين الهاتف شيئاً غير عادي، فكان يرّن كل عشر دقائق تقريباً في إنجلسايد.

ركضت ريبلا لتجيب كما لو أن الحياة تعتمد على وصولها إلى هناك قبل أي شخصٍ آخر. ولكن جيمس الصغير كان قد نفذ صبره، وبدأ يصيح بأعلى صوته باكياً.

"مرحباً، هل هنا إنجلسايد؟"

"أجل."

"هل هذه أنت يا ريلا؟"

تلعثمت ريلا: "أجل! أجل!"

أوه! لما لا يتوقف هذا الطفل عن البكاء لدقيقة واحدة فقط!! لما لا يأتي أحدٌ ويسكته!

"أعرفت من يتحدث؟"

ألا تعرف؟ هل يمكن ألا تعرف هذا الصوت في أي مكانٍ وزمان!!

أجابت: "أليس كين؟"

"تمامًا، أنا هنا في إجازة، هل يمكن أن آتي إلى إنجلترا وأراك الليلة؟"

تلعثمت مجددًا: "أج... بال... بالطبع!"

هل كان يقصد أن يراها هي خصيصًا، أم أنها كلمةٌ عابرةٌ تعني أن يراها مع الجميع هنا؟؟

كانت تريد أن تعصر رقبة جيمس لإسكاته. يا إلهي!! ما الذي كان يقوله؟

"أوه ريلا! اسمعي، أيمكنك أن تسوي الأمر على ألا يتواجد الكثير من الناس عندما آتي؟ هل فهمتني؟ لا يمكنني أن أشرح لك عبر هذا الخط الأرضي الآن، فمحمّلٌ أن كثيرًا من الأشخاص يمكنهم السماع".

فهمت؟؟ بالتأكيد فهمت...

أجابته: "سأحاول".

"حسنًا إذًا. سأكون هناك عند الثامنة. إلى اللقاء".

أغلقت ريلا الهاتف وطارت نحو جيمس. لكنها لم تعصر عنق الرضيع كما كانت تفكر. وبدلاً من ذلك، انتزعت من كرسيه، وضمته إليها، وقبلته بحماسةٍ على فمه الحليبي، ورقصت بعنفٍ حول الغرفة وهو بين ذراعيها.

شعر جيمس بالارتياح عندما وجد أنها عادت إلى عقلها، الآن يمكنه تناول عشاءه كما يجب، وأخذته بعيدًا لقيلولة بعد الظهر مع التهويدة الصغيرة التي أحبها أكثر من أي شيء آخر.

وقضت طوال فترة ما بعد الظهر تخطيط قمصان صليب أحمر الصغار وهي تفكر بكلام كين، وتبني تخيلاتها وهي ترتعش من البهجة.

أراد كين رؤيتها... رؤيتها على انفراد، وهي ستدبر الأمر وبسهولة! حسنًا، شيرلي لن يكون مشكلةً لهما، ويمكن أن يذهب الأهل إلى بيت القس، أما الأنسة أوليفر، فهي لم يسبق وقطفت فاكهة الكشمش (عنب الثعلب)، حسنًا، لا بد أن تجرب ذلك، وجيمس سيكون نائمًا، فهو ينام دائمًا من السابعة مساءً حتى السابعة صباحًا.

ستستقبل كين عند الشرفة، تحت ضوء القمر، وسترتدي فستانها الأبيض الحريري، وترفع شعرها. أجل، ستربطه على الأقل بعقدٍ عن مؤخرة رقبته.

لن تعارض الأم على ذلك بكل تأكيد. آه! يا لها من ليلة رائعة ورومنسية ستعيشها!

هل يمكن أن يعترف كين بشيء لها؟ لا بد أنه سيفعل ذلك، وإلا لما أصرّ على رؤيتها بمفردها؟ ولكن... ماذا إن هطل المطر؟ فسوزان كانت تشتكي من السيد هايد هذا الصباح! ماذا لو تمت دعوتي من صليب أحمر الصغار لمناقشة القمصان أو أمور البلجيكين؟ أو، الأسوأ من ذلك كله، ماذا لو أتى فريد ارنولد وقاطعنا؟ إنه يفعل ذلك أغلب الأوقات...

جاء المساء أخيرًا، وحصل ما فكرت به ريبلا. فذهب الدكتور وزوجته إلى بيت القس، وذهب شيرلي والأنسة أوليفر حيث الكشمش، وسوزان كانت في أحد المتاجر للحصول على اللوازم المنزلية، وكان جيمس غارقًا في عالم أحلامه.

ارتدت ريلا ثوبها الحريري، وربطت شعرها، ووضعت خيطاً مزدوجاً من اللؤلؤ حوله. ثم دسّت مجموعةً من الورود الوردية الشاحبة في حزامها. هل سيسألها كين عن وردةٍ للتذكار؟ كانت تعلم أن جيم حمل إلى الخنادق في فلاندرز وردةً باهتةً قبلتها فاith ميريدith وأعطته إياها في ليلة مغادرته.

بدت ريلا لطيفةً للغاية عندما قابلت كين تحت ضوء القمر المختلط وظلال الكرمة في الشرفة الأرضية الكبيرة. كانت اليد التي سلّمت بها عليه باردة، وكانت حريصةً بشدّةٍ على عدم التلعثم، فتحياها كانت مُختصرةً ودقيقةً.

كم كان كينيث ذا هامةٍ ووسامٍ بزيّ مُلازمه! لقد جعله يبدو أكبر سنّاً أيضاً، لدرجة أن ريلا شعرت إلى حدٍ ما بأن تفكيرها كلّها كان خاطئاً. ألم تكن ذروة العبث بالنسبة لها أن تفترض أن هذا الضابط الشاب الرائع لديه أي شيءٍ خاصٍ ليقوله لها؟ هي! ريلا بلايث الصغيرة من جلين سانت ماري!!! من المحتمل أنها لم تفهمه بعد كل شيء، لقد قصد فقط أنه لا يريد حشداً من الناس يثيرون ضجةً عليه ويحتفلون به كما فعل الناس في هاربور.

أجل، بالطبع، كان هذا كل ما كان يقصده! "أيتها الحمقاء الصغيرة،" وتخيلت عبثاً أنه لا يريد أي شخصٍ سواها. سيكتشف أنها قامت بمناورة الجميع بعيداً حتى يكونا وحدهما معاً، وسيضحك عليها بكل تأكيد.

قال كين وهو يميل إلى الخلف في كرسيه وينظر إليها بإعجابٍ غير خفيٍّ في عينيه البليغتين: "هذا أفضل مما كنت أتمنى. كنت أفكر متأكداً أن شخصاً ما سيكون معنا، والحقيقة أنك أنت فقط من أردت رؤيتها... ريلا ريلاتني."

أفاق حلم ريلا الذهبي، كان هذا واضحاً بما فيه الكفاية بالتأكيد، لم

يعد هناك شكٌ فيما يمكن أن يقصده.

قالت بخجلٍ وهدوءٍ: "لم يعد ... الكثير منا ... يظهر ون كثيرًا كما كنا من قبل".

قال كين بلطفٍ: "هذا صحيح، فذهاب جيم ووالتر والفتيات بعيدًا يصنع فراغًا كبيرًا، أليس كذلك؟ ولكن ... " انحنى إلى الأمام حتى كادت تجاعيد شعره الداكن أن يلامس شعرها وأكمل: "ألا يحاول فريد أرنولد ملء هذا الفراغ من حينٍ لآخر؟ هذا ما قيل لي".

في هذه اللحظة، قبل أن تتمكن ريلا من الرد، علا صوت جيمس بالبكاء في الغرفة التي كانت نافذتها المفتوحة فوقهم مباشرة. جيمس، الذي نادراً ما بكى في المساء ... لم يخطر له البكاء إلا الآن!
وعلمت ريلا، من خلال خبرتها، أن بكاءه ناجمٌ عن أنينٍ هاديٍّ يسبقه، لم يكن مسموعاً لها، وعندما لم يجد من معه، غضب كعادته، وأطلق صرخاته تلك دفعةً واحدة.

عرفت ريلا أنه لا فائدة من الجلوس والتظاهر بتجاهله، فهو لن يتوقف بنفسه. والمحادثات من أي نوع تكون غير واردة في ظل هذه الصرخات التي تطفو فوق رأسك. كما أنها كانت تخشى أن يظن كينيث أنها لا تملك عواطف ومشاعر مطلقاً إذا جلست ثابتة وتركت طفلاً يبكي هكذا. فلم يكن غالباً على درايةٍ بتعليمات مورغان الثمينة والمُنقذة.

نهضت: "أعتقد أن جيمس قد رأى كابوسًا ما. أحيانًا تكون لديه كوابيس هكذا وهو يخاف بشدةٍ منها ... أستأذنك للحظة".

أسرعت ريلا إلى الطابق العلوي، متمنيةً بصراحةٍ تامةٍ لو لم تُخترع سلطانيات الحساء من الأساس. ولكن عندما رآها جيمس، رفع ذراعيه الصغيرتين متوسلاً وابتلع عدة تنهدات، والدموع تنهمر على خديه، فخرج الاستياء من قلبها بغمضة عين.

بعد كل شيء، كان خائفاً حبيبي المسكين. حملته برفقٍ وهزته بهدوءٍ حتى توقف بكاؤه وأغلقت عينيه. ثم حاولت وضعه في سريره، ففتح جيمس عينيه وصرخ احتجاجاً.

تكرر الأمر مرتين، حتى يئست ريلا من ذلك. لم تستطع ترك كين هناك بمفرده أكثر من ذلك، إذ أخذ الوقت منها نصف ساعة تقريباً. فنزلت مستسلمةً حاملَةً جيمس بين يديها، وجلست على الشرفة. بلا شك، كان من السخف أن تجلس وتحتضن طفلاً حربياً بينما كان الشاب المقرَّب من قلبها يقوم بتوديعها، ولكن لم يكن باليد حيلة.

كان جيمس سعيداً للغاية. وبدأ بركل قدميه الصغيرة ذات النعل الوردي بنعومةٍ تحت قميصه الأبيض وألقى إحدى ضحكاته النادرة. لقد بدأ في أن يكون طفلاً جميلاً جداً، مع شعره الذهبي الملتف في حلقاتٍ حريريةٍ على رأسه المستدير الصغير وعيناه البراقتين.

قال كين: "يبدو طفلاً مُدلاً، أليس كذلك؟"

قالت ريلا بمرارةٍ وكأنها تلمح إلى أنهم أفضل ما لديه: "إن شكله جميلٌ للغاية".

شعر جيمس، كونه رضيعاً ذكياً، باضطراباتٍ في الأجواء حوله، وأدرك أن الأمر متروكٌ له لتطهيرها. فأدار وجهه إلى ريلا، وابتسم بلطفٍ وقال، بوضوحٍ وبشكلٍ خادع: "وي... لا." (أي ريلا)

كانت هذه هي المرة الأولى التي ينطق فيها بكلمةٍ أو يحاول التحدث. كانت ريلا سعيدةً للغاية لدرجة أنها نسيت حقدَها عليه، وسامحته بعناقٍ وقبله.

جيمس، بعد أن أدرك أنه قد أعاد الأمر لصالحه، احتضنها تماماً حيث سقط وميضٌ من مصباح غرفة المعيشة على شعره وحوله إلى هالةٍ من الذهب على صدرها.

جلس كينيث ساكناً وصامتاً للغاية، ينظر إلى ريلا، إلى الصورة

الظليلة الرقيقة والأثوية لها، وإلى رموشها الطويلة، وشفتها المنحنية، وذقنها الرائع.

في ضوء القمر الخافت، بينما جلست ورأسها منحنيًا قليلاً فوق جيمس، كان ضوء المصباح يتلألأ على عقدها اللؤلؤي حتى بدت تلمع مثل سحابة بيضاء مُرهفة، ظن أنها تبدو تمامًا مثل مادونا المعلقة فوق مكتب والدته في المنزل.

حمل صورتها تلك في قلبه إلى رعب ساحات القتال في فرنسا. كانت لديه نزوة قوية لريلا بلايث منذ رقصة ليلة فور ويندز، ولكن عندما رآها الآن، مع جيمس الصغير بين ذراعيها، أحبها أكثر، وأدرك نزوته تلك. وطوال ذلك الوقت، كانت ريلا المسكينة جالسة، محبطةً وتشعر بالإذلال، تشعر أن أمسيتهما الأخيرة مع كين قد أُفسدت، وتتساءل لماذا كان يجب دائمًا أن تسير الأمور على نحوٍ عكسيٍّ غير مُتوقع. شعرت بأنها سخيفةٌ لدرجة أنها لم تحاول التحدث حتى. وكانت تفكر أنه من الواضح أن كين يشعر بالاشمئزاز تمامًا أيضًا، لأنه كان جالسًا هناك في مثل هذا الصمت الحجري المميت لها.

انتعش الأمل للحظات عندما غفى جيمس تمامًا لدرجة أنها اعتقدت أنه سيكون من الآمن وضعه على الأريكة في غرفة المعيشة. ولكن عندما خرجت من جديد، كانت سوزان جالسةً في الشرفة، تخفف خيوط حجابها بمكان شخصٍ كان ينوي البقاء هناك لبعض الوقت.

سألت بلطف: "هل جعلت طفلك ينام؟"

طفلك! حقا، يجب أن تتحلى سوزان بالمزيد من اللباقة.

أجابت ريلا: "أجل".

وضعت سوزان الأغراض الخاصة بها على طاولة القصب، كواحدةٍ مصممةٍ على القيام بواجبها. كانت متعبةً جدًا ولكن يجب عليها

مساعدة ريلا للخروج. إذ أتى كينيث فوردي ليلقي التحية على العائلة، ولكن للأسف كانوا جميعًا خارج المنزل، وكان على "الطفل المسكين" الترفيه عن نفسه بنفسه. لكن سوزان جاءت لإنقاذها، كانت سوزان تؤدي دورها مهما كانت متعبة.

قالت وهي تنظر إلى زي كين الذي يبلغ طوله ستة أقدام دون أدنى قدرٍ من الرهبة: "كيف كبرت هكذا يا عزيزي!!" لقد اعتادت سوزان على الزي الآن، وحتى في سن الرابعة والستين، زي الملازم هو مجرد ملابس بالنسبة لها ولا شيء آخر "إنه لأمرٌ مدهشٌ مدى سرعة نمو الشباب. أنظر إلى ريلا، على وشك بلوغ سن الخامسة عشر الآن".
صاحت ريلا: "السابعة عشر يا سوزان!"

لم تحتمل قول سوزان لذلك، فقد كانت قد قطعت شهرًا كاملًا بعد سنها السادسة عشر.

قالت سوزان متجاهلةً احتجاج ريلا: "حسنًا كنتم جميعًا أطفالًا. لقد كنتَ حقًا أجمل طفلٍ رأيته في حياتي يا كين، على الرغم من أن والدتك كانت تحاول علاجك من مص إبهامك. هل تتذكر اليوم الذي صفعتك فيه؟"
ردّ كين: "لا".

"حسنًا، أعتقد أنك كنت صغيرًا جدًا حينها، حوالي أربع سنواتٍ تقريبًا. وكنت هنا مع والدتك وأصررت على مضايقة نان حتى بكت. لقد جربت عدة طرقٍ لإيقافك ولكن لم تُجدِ نفعًا، عندها عرفت أن الصفعة هي الوحيدة التي ستفي بالغرض، لذلك حملتك ووضعتك على ركبتَي ووبختك بعنف. أخذتَ تولول بأعلى صوتك، لكنك تركت نان بحالها بعد ذلك".

كانت ريلا تتلوى دون أن تنطق بحرفٍ واحد، ألم تدرك سوزان أنها كانت تخاطب ضابطًا في الجيش الكندي؟ لا! يبدو أنها لا تفعل. يا

إلهي! ماذا سيفكر كين الآن؟ تابعت سوزان، التي بدت عازمةً على إحياء كل الذكريات في ذلك المساء: "يبدو أنك لا تتذكر الوقت الذي صفعتك فيه والدتك أيضًا، أوه، لن أنسى ذلك أبدًا على الإطلاق. كان ذلك ذات مساءً عندما كانت في زيارة هنا، وأنت معها، كنت في الثالثة من عمرك تقريبًا. وكنت أنت ووالتر تلعبان في ساحة المطبخ مع قطعة صغيرة.

كانت هناك كمية كبيرة من مياه الأمطار متجمعةً بجوار الفوهة التي كنت أحفظها لصنع الصابون. وبدأت أنت ووالتر تتشاجران على القط. كان والتر يقف على أحد جانبي المقعد ممسكًا بالقط، وكنت تقف على كرسي على الجانب الآخر. لقد انحنيت وأمسك القطه وسحبته منه. لطالما كنت تملك استراتيجيتك الخاصة في أخذ ما تريد دون أن تُطيل الأمر.

عندها أمسكت والتر بقوة وصرخ القط المسكين، ولكنك سحبت والتر والقط الصغير معًا، فخسرتما توازنكما وتعثرتما. لو لم أكن في المكان لكان كلاكما قد غرق. طرت إلى الإنقاذ وسحبتكم جميعًا قبل أن يحدث الكثير من الأذى، ونزلت والدتك التي رأت كل شيء من نافذة الطابق العلوي، وأخذتك وأنت تقطر بسبب الماء، وضربتك على ردفك كما يجب ... "تهدت سوزان ثم أكملت بحسرة: "كانت تلك أيامًا خوالي سعيدةً في إنجلترا".

قال كين: "لا بد أنها كانت كذلك".

بدا صوته غريبًا وهادئًا. افترضت ريبلا أنه كان غاضبًا بشكلٍ ميؤوسٍ منه. ولكن الحقيقة هي أنه لم يجرؤ على الوثوق بصوته لئلا يخون رغبته الشديدة في الضحك.

قالت سوزان، وهي تنظر بمودةٍ إلى تلك الفتاة التعيسة: "إليك ريبلا مثلًا، لم تتعرض أبدًا للضرب كثيرًا. لقد كانت طفلةً حسنة التصرف في

أغلب الأحيان. لكن والدها ضربها مرةً واحدةً فقط.

كان ذلك عندما أخذت زجاجتين من حبوب الدواء من مكتبه، وتحذت أليس كلو بمن يمكنها ابتلاع جميع الحبوب أولاً، وإن لم يلحق الدكتور في الوقت المناسب، لغدت هاتين الفتاتين جثتين بحلول الليل.

وهكذا، مرض كلاهما بما يكفي بعد فترةٍ وجيزةٍ على ذلك. لكن الدكتور صفع ريلا في ذلك الوقت، وكان ذلك الفعل في مكانه لدرجة أنها لم تعد تلمس أي شيء في مكتبه بعد ذلك. نسمع الكثير في الوقت الحاضر عن شيءٍ يسمى "الحوار والإقناع" في التربية، ولكن في رأيي، يبقى الضرب الجيد على الردف وعدم التذمر بعد ذلك أفضل بكثير. تساءلت ريلا بشراسةٍ عما إذا كانت سوزان تقصد ذكر كل ضربات الردف العائلية الآن، بيد أن سوزان أنهت الموضوع وتفرعت إلى موضوعٍ مبهجٍ آخر.

قالت سوزان بجدية: "أتذكر أن تود ماكالستر الصغير قتل نفسه بهذه الطريقة بالذات، فقد أكل علبهً كاملةً من حبوب الأدوية لأنه كان يعتقد أنها حلوى. لقد كان حادثاً مأساوياً للغاية ... كان ألطف جثةٍ صغيرةٍ رأتها عيني على الإطلاق.

كانت والدته تتجاهل كثيراً أن تتركها حيث يمكنه الحصول عليها، لكنها كانت معروفةً بأنها مخلوقٌ طائش. ذات يوم وجدت عشاءً مكوّناً من خمس بيضاتٍ بينما كانت تسير عبر الحقول إلى الكنيسة مرتديةً فستاناً جديداً من الحرير الأزرق. لذلك وضعتهم في جيب ثوبها الداخلي، وعندما وصلت إلى الكنيسة نست أمرهم، وجلست عليهم فأتلف لباسها كله، ناهيك عن التنورة.

دعني أرى، ألا يقرب لك تود شيئاً؟ فقد كانت جدتك الكبرى ويست ماكالستر. كان شقيقها عاموس من سكان ماكدونالديت. قيل

لي إنه كان يعاني من ارتجاج عصبي بشكلٍ فظيع. لكنك تبدو مثل جدك الأكبر ويست أكثر من ماكالستر. وقد فارق الحياة في وقتٍ مبكرٍ جدًا من حياته جراء إصابته بسكتة دماغية".

سألت ريلا بيأس، على أملٍ ضعيفٍ في توجيه محادثة سوزان إلى مواضيع أكثر قبولًا: "هل رأيت أي شخصٍ في المتجر؟" قالت سوزان: "لا أحد باستثناء ماري فانس، وكانت تنتقل بسرعةٍ مثل برغووث إيرلندي".

يا لها من تشبهاتٍ مُريعةٍ تستخدمها سوزان! هل يمكن أن يعتقد كينيث أنها قد أخذتها من عائلتنا!!

استأنفت سوزان كلامها: "عندما تتحدث ماري عن ميلر دوغلاس، تجعلك تعتقدين بأنه الشاب الوحيد في العالم الذي تمّ تجنيده. إنها متباهيةٌ جدًا! ولكن عليّ الاعتراف، لديها بعض الصفات الجيدة، لو أنني لا أعتقد ذلك، حين طاردت ريلا عبر القرية كلّها بسمكة القند المجففة حتى سقطت المسكينة بكل ما فيها، أمام متجر كارتر فلاج". شعرت ريلا ببرودةٍ تجري في شرايينها من الغضب والخجل. هل كان هناك المزيد من المشاهد المخزية في ماضيها والتي يمكن أن تثيرها سوزان الآن؟

أما بالنسبة لكين، كان بإمكانه أن يُغشى عليه من الضحك على أقوال سوزان، لكنه لم يرد أن يهين كرامة سيدته، لذلك جلس بوجهٍ مهيبٍ قدر إمكانه، وبدا ذلك لريلا المسكينة غطرسةً مهينة.

وتابعت سوزان بشكوى: "لقد دفعت أحد عشر سنتًا مقابل زجاجة الحبر الليلة. فقد ازداد سعره ضعفًا مرتين مما كان عليه في العام الماضي. ربما يرجع ذلك إلى أن وودرو ويلسون كان يكتب الكثير من الملاحظات. ولا بد أن ذلك يكلفه الكثير.

تقول قريبتى صوفيا إن وودرو ويلسون ليس الرجل الذي توقعته أن

يكون، حسنًا، لا يوجد رجلٌ على الأرض يمكن توقعه. لكوني خادمةً عجوز، فأنا لا أعرف الكثير عن الرجال ولم أظاهر بذلك أبدًا، لكن قريبتى صوفيا قاسيةٌ جدًّا عليهم، على الرغم من أنها تزوجت من اثنين منهم، وهو ما قد تعتقد أنه كان نصيبًا عادلاً.

انفجرت مدخنة ألبرت كراوفورد في تلك العاصفة الهائلة التي شهدناها الأسبوع الماضي، وعندما سمعت صوفيا أصوات الطوب تتطاير على السطح، فاعتقدت أنها مُداهمةٌ جوية، ودخلت في حالة هستيرية.

أما السيدة ألبرت كراوفورد التي كانت مُتَحسرةً على انفجار مدختها، قالت إنه ياليتها كانت مدهامةً."

جلست ريلا بخنوعٍ على كرسيها كأنها منومةٌ مغناطيسيًا. كانت تعلم أن سوزان ستتوقف عن الكلام عندما تريد هي ذلك، وأنه لا توجد قوةٌ أرضيةٌ يمكن أن تجعلها تتوقف قريبًا.

بشكلٍ عام، كانت مغرمةٌ جدًّا بسوزان، لكنها كرهتها الآن بشكلٍ مُقيت. إذ دقَّت الساعة العاشرة، وسيتعين على كين الذهاب قريبًا، وسيعود الآخرون إلى المنزل، ولم تتح لها الفرصة حتى لتشرح لكين أن فريد أرنولد لم يملأ فراغًا في حياتها ولن يستطيع فعل ذلك أبدًا. كان حلمها الذهبي الخاص بها في حالة خرابٍ قاتل.

نهض كينيث أخيرًا. لقد أدرك أن سوزان كانت ستبقى هناك حتى يرحل، وكان يجب عليه المشي لمسافة ثلاثة أميال للوصول إلى ميناء مارتن ويست. كان يتساءل عمَّا إن كانت ريلا قد جلبت سوزان عمدًا لتجنب انفراهما معًا خشية أن يقول شيئًا لا تريد حبيبة فريد أرنولد سماعه.

نهضت ريلا أيضًا، وسارا بصمتٍ على طول الشرفة. وقفا هناك للحظة، ووقف كين على الدرجة الأدنى. كانت العتبة نصف غارقة في

الأرض ونما النعناع بشكلٍ كثيفٍ حولها وفوق حافتها. غالبًا ما يتم سحقه من قبل العديد من الأقدام العابرة لدرجة أنه يعطي منظرًا كالتطحالب. ورائحة التوابل معلقةٌ حولهم مثل دعاءٍ غير مرئيٍّ وخفيٍّ. نظر كين إلى ريلا، التي كان شعرها يلمع في ضوء القمر وكانت عيونها بركتين من الجاذبية. شعر على الفور أنه متأكدٌ من عدم وجود شيءٍ من ذلك الهراء عن فريد أرنولد.

قال بصوتٍ خافتٍ وجذابٍ: "ريلا! أنت أجمل ما رأيته عيني". احمر وجه ريلا، ونظرت إلى سوزان لترى ما إذا كانت تراهما، نظر كينيث أيضًا إليها، ورأى أنها موجهةٌ ظهرها لهما. فوضع ذراعه حول ريلا وطبع قبلةً خاطفةً على شفيتها.

كانت تلك المرّة الأولى التي تتلقى فيها ريلا قبلة، شعرت بأنها يجب أن تستاء، ولكنها لم تفعل... وبدلاً من ذلك، نظرت بخجلٍ في عيني كينيث التي كانت متعطشةً لتلك القبلة، وهو يضمّها إليه أكثر. قال: "ريلا ريلا، هل تعديني بألا تجعلني أحدًا يُقبلك حتى عودتي؟"

ردّت ريلا بإثارةٍ وشفيتها ترتعشان: "نعم". كانت سوزان تستدير باتجاههم حينها، فخفف كين حضنه، وعاد خطوةً إلى الوراء.

قال بهدوءٍ: "وداعًا". سمعت ريلا نفسها تردّ على ذلك لا إرادياً. وقفت تراقبه أثناء سيره، حتى خرج من البوابة، وأصبح أسفل الطريق. عندما أخفاه حطب التنوب عن بصرها، قالت فجأةً بغصّةٍ واختناقٍ "أوه!"

وركضت إلى البوابة، علقت أشياء في فستانها وهي تركض غير مبالية. ثم اتكأت على البوابة، ورأت كينيث يسير بخفةٍ على الطريق، فوق ظلال قضبان الأشجار وضوء القمر، الذي يعكس جسده الطويل

المنتصب رمادي اللون في وهج أبيض. عندما وصل إلى المنعطف، وقبل أن يقطعه، توقف للحظة، ونظر إلى الوراء، فرآها واقفةً وسط الزنابق البيضاء الطويلة عند البوابة تنظر إليه. لوح بيده ... لوح بيدها ... قطع المنعطف ... لقد رحل ...

وقفت ريبلا هناك لبعض الوقت، محدقةً عبر فراغ حقول الضباب. لقد سمعت والدتها تقول إنها تحب المنعطفات على الطرق، لقد كانت استفزازيةً ومغريةً للغاية.

لكن ريبلا رأت أنها تكبرهم، فقد رأت جيم وجيري يتلاشيان عنها عند منعطف الطريق، ثم والتر، والآن كين. الإخوة والزملاء والحبيب، جميعهم رحلوا، ولن يعودوا أبدًا. ومع ذلك، لا يزال نافخ الناقوس يتنقل ببوقه عازفًا رقصة الموت.

عندما سارت ريبلا عائدةً ببطءٍ إلى المنزل، رأت سوزان وهي لا تزال جالسةً بجانب طاولة الشرفة، وكانت تستنشق شيئًا بارتياب. "كنت أفكر في الأيام الخوالي في بيت الأحلام يا عزيزتي ريبلا، عندما كانت والدة كينيث ووالده يتغازلان، وكان جيم طفلًا صغيرًا وأنت لم تولدي بعد. لقد كانت علاقةً غراميةً للغاية، وكانت هي ووالدتك صديقتان رائعتان.

أعتقد أنه كان يجب أن أعيش لأرى ابنها يكبر ويتقدم في حياته هكذا. وكأنها لم تكن تعاني من مشاكل كافية في حياتها المبكرة دون أن يصيبها هذا! لكن لا يمكننا فعل شيء سوى أن نقوى ونكمل خوض حياتنا".

تبخر غضب ريبلا على سوزان تمامًا. ومع قبلة كين التي لا تزال تحترق على شفيتها، وعمق الوعد الذي طلبه منها بقلبٍ وروحٍ مثيرين، لم تستطع أن تغضب من أي شخصٍ على الإطلاق. لقد وضعت يدها البيضاء النحيلة في يد سوزان البنية، المتينة في العمل، لتشد عضدها.

كانت سوزان عجوزًا وافية، وتضحى بحياتها من أجل أي أحد منهم...
قالت سوزان وهي تربت على يدها: "أنت متعبٌ يا ريبلا العزيزة، من
الأفضل لك أن تنامي جيّدًا. لقد لاحظت أنك مُرهقةٌ من التحدث
الليلة. أنا سعيدةٌ لأنني عدت إلى المنزل في الوقت المناسب
لمساعدتك. إنه أمرٌ مرهقٌ للغاية لمحاولة الترفيه عن الشباب عندما لا
تكون معتادًا على ذلك".

حملت ريبلا جيمس إلى الطابق العلوي وذهبت إلى الفراش، ولكن
ليس قبل أن تجلس لفترةٍ طويلةٍ أمام نافذتها لإعادة بناء حلمها الذهبي
مع إضافة الكثير من التفاصيل عليه.
وقالت في قرارة نفسها: "أتساءل، هل أعدُّ مخطوبةً لكينيث فورد
الآن! أم لا؟"

مكتبة
t.me/soramnqraa

17 وتمرّ الأسابيع



قرأت

ريلا أول رسالة حبٍ لها في الزاوية المظللة بظل قوس المطر في وادي قوس المطر، وأول رسالة حبٍ لفتاة، بصرف النظر عما يعتبره كبار السن بسبب ملل تلك الملذات لديهم، يعد حدثًا ذا أهمية كبيرة في سن المراهقة.

بعد أن غادر فوج كينيث من كينجسبورت، عاش الجميع أسبوعين من القلق المؤلم، وكان كلما رثم المصلون في الكنيسة في أمسيات الأحد،

"اسمعنا يا رب ونحن نناجيك

لمن هم في حرب أراضيك"

شعرت ريلا بغصةٍ تعصر عنقها، فمع تلك الكلمات، انتسجت في مخيلتها صورةً ذهنيةً مرعبةً ومروعةً لسفينةٍ مغمورةٍ تحت الأمواج الزلزالية وسط كفاح وصرخات رجالٍ يغرقون.

ثم جاءت أنباء مفادها أن فوج كينيث قد وصل بأمانٍ إلى إنجلترا. والآن، وأخيرًا قد وصلت رسالته. بدأ الأمر بكلامٍ رسمٍ البهجة على وجه ريلا، وابتساماً في ثغرها، وانتهى بفقرةٍ كست خديها بالإعجاب

والإثارة والحُمرَة. بين بداية الرسالة ونهايتها كانت مجرد رسالة إخبارية مرحوة كما قد يكتب كين إلى أي شخص. ولكن من أجل فاتحتها وخاتمها، نامت ريلا حاضنة تلك الرسالة تحت وسادتها لأسابيع، وأحيانًا تستيقظ في منتصف الليل لتلمسها فقط، وتنظر بعين الشفقة خفية على الفتيات الأخريات اللواتي لم يكن بإمكان أحبابهن خطأ نصف روعة ما ابتدعه كين. لم يكن كينيث ابن روائي مشهور من أجل لا شيء. كانت لديه تلك الطريقة في التعبير التي تفضح ما في قلبه بوضع كلمات مؤثرة وعميقة الهوى، ولم يكن أبدًا مبتدلاً أو سطحياً أو يكتب بحمقٍ مع خطأ الكثير من السطور.

عادت ريلا إلى منزلها من وادي قوس المطر كما لو كانت تطير ولا تمشي.

كانت لحظات نادرة جدًا التي شعر فيها سگان إنجلسايد بمعنويات مرتفعة في الخريف. مما لا شك فيه، كان هناك يومٌ واحدٌ في شهر أيلول عندما وردت أنباءً جليلاً عن انتصار كبيرٍ للحلفاء في الغرب، عندها هرعت سوزان لرفع العلم. كانت قد رفعتة للمرة الأولى منذ كسر الحدود الروسية، وآخر مرة رفعتة كان رمز كآبة.

وصاحت بحماس: "من المحتمل أن تكون الدفعة الكبيرة قد بدأت أخيراً يا سيدتي العزيزة، وسنرى قريباً نهاية المغول الألمان. سيعود أولادنا إلى المنزل بحلول عيد الميلاد. مرحى!"

ثم سرعان ما خجلت من نفسها لتسرعها في اللحظة التي فعلت فيها ذلك، واعتذرت بخنوعٍ عن مثل هذا الاندفاع في الأحداث وقالت: "في الواقع يا سيدتي العزيزة، هذه الأخبار السارة قد ملأت رأسي بعد هذا الصيف الكئيب الذي عشناه مع الركود الروسي وانتكاسات جاليبولي".

قالت الأنسة أوليفر بمرارة: "أخبارٌ سارة!!! أتساءل عما إذا كانت

النساء اللواتي قُتل رجالهن من أجل ذلك سيطلقن على ذلك أخبارًا سارة. فقط لأن رجالنا ليسوا في ذلك الجزء من الجبهة، فنحن نبتهج كما لو أن النصر لم يكلف أرواحًا".

استنكرت سوزان قائلة: "حسنًا! بالطبع لن تأخذي بهذا الكلام يا سيدتي العزيزة، لم يكن لدينا الكثير لنفرح به مؤخرًا ومع ذلك كان الرجال يُقتلون نفس الشيء. لا تدعي الشؤم يسيطر في نفسك مثل ابنة العم صوفيا المسكينة. فعندما جاء النبا قالت "آه! إنها ليست سوى انشقاق غيوم أظهرت بعض النور، لا أنكر أن معنوياتنا ارتفعت هذا الأسبوع قليلًا، ولكنها ستخفض الأسبوع القادم بكل تأكيد،" فقلت لها "حسنًا يا صوفيا كراوفورد... "لأنني لن أستسلم لها أبدًا يا سيدتي العزيزة كما تعلمين، المهم قلت لها "حتى الرب نفسه لا يصنع هضبتين دون وادٍ بينهما، ولكن هذا لا يعني ألا نستغل مصلحتنا مع الهضبات، التي نعيش عليها بالأصل، ونلقي بالألواح للوادي فقط".

لكن ابنة العم صوفيا اشتكت قائلة "ها هي رحلة جالبيولي الفاشلة، وطررد الدوق الأكبر نيكولاس، والجميع يعلم أن قيصر روسيا مؤيدٌ لألمانيا وأن الحلفاء ليس لديهم ذخيرةٌ وبلغاريا ضدنا. ولن يتوقف الأمر هنا، لأنه يجب معاينة إنجلترا وفرنسا على خطاياهم المميتة حتى يتوبوا ويسروا الندامة والحسرة".

قلت: "أعتقد أنهم سيتوبون في طين البدلات في الخنادق، ويبدو لي أن المغول يجب أن يكون لديهم بعض الخطايا للتوبة أيضًا." قالت صوفيا: "إنهم أدواتٌ في يد الله تعالى لتطهير المعاصي".

فغضبتُ حينها يا سيدتي العزيزة، وأخبرتها أنني لم ولن أصدق أبدًا أن الله سبحانه وتعالى قد يتخذ مثل هذه الأدوات القذرة لأي غرضٍ كان، وأنتي لم أعتبر أنه من اللائق لها أن تستخدم كلمات الكتاب المقدس ببراعةٍ كما كانت تفعل في محادثةٍ عادية. قلت لها إنها ليست

قسيسة أو حتى شيخة. وعندها أسكتها يا سيدتي العزيزة. ابنة العم صوفيا لا تملك روحًا أو إحساسًا. إنها مختلفة تمامًا عن ابنة أختها السيدة دين كراوفورد من أوفر هاربور.

أنت تعلمين أن دين كراوفورد لديها خمسة أولادٍ والطفل الجديد الآن هو صبيٌّ آخر. شعرت جميع العائلة وخاصةً دين كراوفورد بخيبة أملٍ كبيرةٍ لأنهم كانوا يرغبون بفتاة. ولكن السيدة دين ضحكت وقالت: "في كل مكانٍ ذهبت إليه هذا الصيف، رأيت علامةً تدل على الرجال تحدق في وجهي. هل تعتقدين أنه يمكنني الذهاب وإنجاب فتاةً في ظل هذه الظروف؟" هذه التي تمتلك روحًا يا سيدتي العزيزة، لكن ابنة العم صوفيا كانت تقول إن الطفل مجرد عتادٍ للمدافع."

كان التشاؤم يتلبس ابنة العم صوفيا في ذلك الخريف الكئيب، وحتى سوزان، العجوز المتفائلة، كان من الصعب عليها أن تبتهج. وعندما اصطفت بلغاريا مع ألمانيا، علقت سوزان بازدراءٍ فقط: "أمةٌ أخرى تتوق لتُسحق"، لكن التشابك اليوناني تسبب لها بقلبي يتجاوز قدراتها الفلسفية مما جعلها تصمد بهدوء.

"إن قسطنطين اليوناني متزوجٌ بألمانية يا سيدتي العزيزة، وهذه الحقيقة تقضي على الأمل. أعتقد أنه كان يجب أن أعيش لأرى أي نوع هي زوجة قسطنطين اليوناني! المخلوق البائس تحت أمر زوجته، وهذا أمرٌ سيءٌ لأي رجل.

إن قلت أنا مثلاً، فأنا خادمةٌ عجوزٌ ويجب أن تكون الخادمة العجوز مستقلةً وإلا سيتم سحقها. ولكن إن كنت امرأةً متزوجةً يا سيدتي العزيزة، لكنت وديعةً ومتواضعة. في رأيي، إن صوفيا اليونانية هذه، هي فتاةٌ رعناء."

كانت سوزان غاضبةً عندما وردت أنباءٌ عن تعرض فينيزيلوس للهزيمة. صرخت بمرارة: "لو كان بإمكانني فقط أن أصفح قسطنطين

ذاك وأجلده حيًا بعد ذلك بكل ما أعطاني الربّ من قوّة".

قال الدكتور وهو يشد وجهه طولًا: "أوه!! أنا متفاجئٌ منك يا سوزان. هل تلقي أي اعتبارٍ للخصائص المفروضة علينا في كتابنا؟ إذ يقول بما معناه، الجلد حيٌّ بكل الوسائل، ولكن تجاهل الصفع".

ردت سوزان: "لو كان قد تعرض للصفع بشكلٍ جيدٍ في أيام شبابه، لكان أكثر منطقيّةً الآن. ولكنني أفترض أن الأمراء لم يتعرضوا للضرب أبدًا، يمكن أن تكون كلمة "أسف" هي أكبر عقابٍ لهم. أرى أن الحلفاء قد أرسلوا له إنذارًا نهائيًا. ولكنني أقول إن الأمر سيستغرق أكثر من الإنذارات النهائية لجلد قسطنطين الذي يشبه الثعبان. ربما يضرب الحلفاء رأسه بالمطرقة، لكنني أفكر في أن ذلك سيستغرق بعض الوقت أيضًا، وماذا سيحدث لصربيا النمسكية في هذه الأثناء؟"

لقد رأوا ما حدث لصربيا، وكان من الصعب على سوزان التعايش مع هذه الأحداث. في سخطها أساءت إلى كل شيء، وكل شخصٍ ما عدا كيتشينر، حتى طال الأمر الرئيس ويلسون المسكين.

وأقرت قائلة: "لو قام بواجبه وخاض الحرب منذ فترةٍ طويلة، ما كان ينبغي لنا أن نشهد هذه الفوضى في صربيا".

قال الدكتور، الذي هرع أحيانًا للدفاع عن الرئيس، ليس لأنه كان يعتقد أن ويلسون في حاجةٍ إليه أو حبًا فيه، ولكن حبًا باستفزاز سوزان ورؤية ما يمكن أن تقوله.

وقال: "سيكون من الخطير إغراق دولةٍ عظيمةٍ مثل الولايات المتحدة، بسكانها المختلطين من كل عرقٍ ومكان، في الحرب يا سوزان"

تابعت سوزان وهي تلوح بقوةٍ بإحدى يديها وبمعرفةٍ حساءٍ باليد الأخرى: "ربما أيها الدكتور العزيز، ربما! لكن هذا يجعلني أفكر في القصة القديمة للفتاة التي أخبرت جدتها أنها ستتزوج، فقالت لها

السيدة العجوز "إنه لشيء مهيب." فقالت الفتاة مرددة "إنه لشيء مهيب." وانتهى الأمر.

ويمكنني أن أشهد على ذلك من خلال تجربتي الخاصة، أيها الدكتور العزيز. وأعتقد أنه أمر مهيبٌ بالنسبة لليانكيز أنهم ابتعدوا عن الحرب أكثر من أن يدخلوا فيها. ومع ذلك، على الرغم من أنني لا أعرف الكثير عنهم، إلا أنني أعتقد أننا سنراهم يبدؤون شيئًا ما بعد فترة بوجود وودرو ويلسون أو عدمه. وعندما يفهمون أن هذه الحرب ليست مدرسة تطابق. لن يكونوا فخورين بالقتال في ذلك الوقت."

في أمسية صفراء شاحبة عاصفة في شهر تشرين الأول، ذهب كارل ميريديث ... وكان قد دخل في سنه الثامنة عشر. رآه جون ميريديث بوجه ثابت، فقد رحل ولديه، ولم يتبق سوى بروس الصغير الآن.

لقد أحب والدة بروس وبروس كثيرًا، لكن جيري وكارل كانا أبناء عروس شبابه، وكان كارل هو الوحيد من بين جميع أبنائه الذين كانت لديهم عيون سيسيليا ذاتها. عندما نظر إليه بلطف، تذكر القس الشاحب الحزين فجأة اليوم الذي حاول فيه للمرة الأولى والأخيرة ضرب كارل بسبب مزاحه مع ثعبان البحر. كانت هذه هي المرة الأولى التي يدرك فيها كم كانت عيون كارل مثل عيون سيسيليا.

والآن ... أدرك ذلك مرة أخرى. هل يُدرك ذلك مرّة بعد؟ هل يرى عيون زوجته الميتة تنظر إليه من وجه ابنه مرّة أخرى؟ يا له من فتى لطيفٍ ونظيفٍ ووسيم! كان من الصعب رؤيته يرحل ... بدا جون ميريديث وكأنه ينظر إلى سهلٍ ممزق تتناثر فيه أجساد رجالٍ صالحين تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وخمسة وأربعين عامًا. في ذلك اليوم فقط، كان كارل عبارة عن قصاصة صغيرة لصبي، يصطاد الحشرات في وادي قوس المطر، ويأخذ السحالي إلى الفراش معه، ويثير فضيحة في جلين بحمل الضفادع إلى مدرسة الأحد.

بدا من الصعب تخيله، إلى حد ما، أنه يجب أن يكون رجلاً قادرًا جسديًا الآن، مرتديًا ذلك الزي العسكري. ومع ذلك، لم يقل جون ميريديث أي كلمة لإثباته عندما أخبره كارل أنه ذاهب.

شعرت ريلا أن كارل يسير بحماس. لطالما كانا صديقين مقربين وزميلين في اللعب. لقد كان أكبر بقليل مما كانت عليه، وكانا أطفالًا في وادي قوس المطر يمرحان معًا. مرّ أمامها شريط ذكريات كل مقالهم القديمة ومغامراتهم، بينما كانت تسير ببطء عائدةً إلى المنزل بمفردها.

اختلس البدر من خلال السحب الصخرية مع فيضانات مفاجئة من الإضاءة الغريبة، ودندنت أسلاك الهاتف أغنية غريبة صاحبة في مهب الريح، وتمايلت المسامير الطويلة الذابلة ورمادية اللون في زوايا السياج، وأوماً إليها بشدة مثل مجموعات السحرة القدامى الذين ينسجون تعاويذ غير مقدسة. في مثل هذه الليلة، منذ فترة طويلة، كان كارل يأتي إلى إنجلترا ويتنظرها عند البوابة. كان يقول "دعينا نذهب في فورة على القمر يا ريلا،" وكان الاثنان يهرولان إلى وادي قوس المطر. لم تكن ريلا تخاف أبدًا من الخنافس والبق التي يجمعها، إلا أنها كانت صارمة جدًا بشأن الثعابين.

كانا يتحدثان سويًا عن كل شيء تقريبًا وكانا يضايقان بعضهما البعض في المدرسة، ولكن في إحدى الأمسيات عندما كانا في سن العاشرة تقريبًا، وعدا بعضهما رسميًا، بحلول الربيع القديم في وادي قوس المطر، أنهما لن يتزوجا أبدًا. كان ذلك بعد أن لعبت معهم أليس كلو بلعبة شطب الاسماء على الورقة، فظهرت النتيجة أن كلامهما متزوج، لم تعجبهما الفكرة على الإطلاق، ومن هنا جاء التذر المتبادل في وادي قوس المطر.

لم يكن هناك مانعٌ من ذلك أبدًا. ضحكت ريلا على الذكريات

القديمة، ثم تنهدت بعمق. في ذلك اليوم بالذات، احتوت رسالة من إحدى الصحف اللندنية على إعلانٍ جدليٍّ بأن "اللحظة الحالية هي أحلك لحظة منذ بدء الحرب".

كان الجو مظلمًا بما فيه الكفاية، وتمنت ريبلا بشدة أن تتمكن من فعل شيء ما بدل الانتظار والخدمة في المنزل، فكل شباب جلين الذين عرفتهم، كانوا يذهبون يومًا بعد يوم.

لو كانت صبيًا فقط، لأسرعت ببدلتها العسكرية إلى الجبهة الغربية لتقاتل بجانب كارل! كانت تتمنى الأمر نفسه في موجة من العواطف عندما ذهب جيم، ربما دون أن تعني ذلك بحق، ولكنها تعنيه الآن. مرت لحظاتٌ بدا فيها الانتظار في المنزل، بأمانٍ وراحة، بينما هناك أحبابٌ يحاربون، شيئًا لا يُحتمل.

انفجر القمر منتصرًا عبر سحابةٍ مظلمةٍ بشكلٍ خاص، ونفسي نوره في موجاتٍ فوق جلين. تذكرت ريبلا إحدى أمسيات الطفولة المقمرة عندما قالت لأمها: "يبدو القمر وكأنه وجهٌ كئيب". اعتقدت أنه لا يزال يبدو كذلك، وجهٌ متعذب، يشعر بالأسى ووجع القلب، كما لو كان ينظر إلى الأسفل على مشاهد مقروءة. أترأه يرى ما يحصل في الجبهة الغربية؟ أو في صربيا المكسورة؟ أو جاليبولي التي اجتاحتها القذائف؟ قالت الآنسة أوليفر في ذلك اليوم، في فورةٍ نادرةٍ من نفاذ الصبر: "لقد تعبت... تعبت من هذا الكم الرهيب من المشاعر المتوترة، عندما يجلب كل يومٍ رعبًا جديدًا. لا، لا تنظري إليّ بتأنيبٍ يا سيدة بلايث. لا يوجد نفسٌ بطوليٌّ فيَّ اليوم، لقد أحبطت... أتمنى لو تركت إنجلترا بلجيكا لمصيرها، أتمنى لو لم ترسل كندا رجلاً من رجالها، أتمنى لو أننا ربطنا أولادنا بخيوط مئزرنا ولم ندع أحدهم يذهب!!!"

أوه! أنا أعلم أنني سأخجل من نفسي بعد نصف ساعةٍ لما قلته، ولكنني، وفي هذه اللحظة بالذات، أعني كل كلمةٍ تخرج مني. ألم يحن

دور الحلفاء بعد ليشنوا هجومهم؟"

قالت سوزان: "وفي الصبر مشقة، يعقبها فرح جميل".

ردت الأنسة أوليفر: "أخبريني يا سوزان، بينما ترعد جياذ هر مجدون، وتدوس على قلوبنا، ألا تأخذك نوباتٌ من الشعور بأنه يجب عليك الصراخ، أو الشتم، أو تحطيم شيء ما؟ لمجرد أن تعذيبك يصل إلى نقطةٍ يصبح فيها غير محتمل!!! ألا تفعلين ذلك أبدًا، ألم تشعرِي بذلك من قبل؟"

قالت سوزان، وهي مصممةٌ على إظهار قلبها النظيف الذي كان وسيبقى إلى الأبد: "لم أشتم أبدًا أو أرغب في الشتم يا آنسة أوليفر العزيزة، لكنني سأعترف، لقد مررت بأحداثٍ معينةٍ شعرت فيها أن غلق الأشياء بقوةٍ يمكن أن يُفرغ ما في داخلي".

"ألا تعتقدين أن هذا نوعًا من الشتائم يا سوزان؟ ما الفرق بين إغلاق الباب بقوةٍ شديدةٍ وقول..."

قاطعت سوزان وهي مصممةٌ بشدةٍ على إنقاذ جيرترود من نفسها لقول هذه الكلمة، إذا تمكنت القوة البشرية من فعل ذلك: "عزيزتي الأنسة أوليفر، تبدين متعبةً تمامًا، ولا عجب في أن تكوني كذلك وأنت تدرّسين الأولاد طوال اليوم، ومن ثم تعودين إلى البيت وتسمعين أخبار الحرب السيئة. ولكن ما عليك سوى الصعود إلى الطابق العلوي والاستلقاء على الأرض وسأحضر لك كوبًا من الشاي الساخن وقطعةً من الخبز المحمص، وأنا متأكدةٌ حينها أنك لن ترغبين في إغلاق الأبواب بقوةٍ أو النطق بالشتائم".

"سوزان، أنت طيبةٌ جدًا، ماسةٌ نادرةٌ أنت! ولكن يا سوزان، سيكون من دواعي الارتياح أن نقول على الأقل مرّةً واحدة، وبصوتٍ منخفض، أن نقول..."

قاطعتها سوزان بحزم: "سأحضر لك زجاجة ماءٍ ساخنٍ لباطن

قدميك أيضًا. ولا! لن تكون من دواعي الراحة أن تقولي تلك الكلمة التي تفكرين بها على الإطلاق يا آنسة أوليفر أو ما شابه".
قالت الآنسة أوليفر نادمَةً على مضايقة سوزان: "حسنًا، سأجرب زجاجة الماء الساخن أولاً،" ثم صعدت إلى الطابق العلوي، مما بعث على الارتياح الشديد لسوزان. هزت سوزان رأسها بشكلٍ مشؤوم وهي تملأ زجاجة الماء الساخن. كانت الحرب بالتأكيد تخفف من معايير التربية بشكلٍ يرثى له. فهي الآنسة أوليفر، وبشهادة الجميع، تتحدث عن لغةٍ بذيئة.

كانت سوزان تتحدث إلى نفسها: "يجب أن تهدي هذه فوران دمها، وإن لم تفعل، سنجرب ضمادة الخردل".

هدأت جيرترود من قلقها. وذهب اللورد كيتشينر إلى اليونان، وهذا ما كان علامة خيرٍ بالنسبة لسوزان حيث تنبأت أن قسطنطين سيشهد تغييرًا قريبًا. بدأ لويد جورج في مضايقة الحلفاء فيما يتعلق بالمعدات والأسلحة وقالت سوزان إنك ستسمع المزيد عن لويد جورج الآن.

انسحب فرسان أنساكز من جاليبولي وأعجبت سوزان بهذه الخطوة مع بعض التحفظات. بدأ حصار كوت العمارة وأخذت سوزان تتأمل خرائط بلاد ما بين النهرين وأساءت إلى الأتراك.

بدأ هنري فورد في أوروبا، وسوزان سخرت منه. تم استبدال السير جون فرينش بالسير دوغلاس هيچ ورأت سوزان أن رأيه مريبٌ عن سياسة مبادلة الخيول التي تعبر المجاري المائية وقالت: "رغم ذلك، من المؤكد أن هيچ كان اسمًا جيدًا وله نبرةٌ أجنبية، مهما قيل عن ذلك".
لم تكن هناك حركةٌ على رقعة الشطرنج الكبيرة للملك أو الفيل أو الجندي. وسوزان، التي قرأت ذات مرة ملاحظات جلين سانت ماري فقط. قالت بحزن: "كان هناك وقتٌ لم أكن أهتم فيه بما حدث خارج جزيرة الأمير إدوارد، والآن لا يمكن للملك أن يعاني في روسيا أو

الصين، لكن الأمر يقلقني. يمكن أن يستوعبه العقل، كما قال الدكتور، ولكن هذا مؤلمٌ للمشاعر بشدة".

عندما جاء عيد الميلاد مرةً أخرى، لم تحدد سوزان أي أماكن شاغرة في لوحة الاحتفالات. كان كرسيان فارغان، بالنسبة لسوزان التي اعتقدت أنه لن يكون الأمر كذلك بحلول كانون الثاني.

كتبت ريلا في مذكراتها تلك الليلة:

"هذا هو أول عيد ميلادٍ لا يعود فيه والتر. اعتاد جيم أن يكون بعيدًا عن أعياد الميلاد في أفونليا، ولكن والتر لم يكن كذلك أبدًا. تلقيت رسائل من كين وهو لا يزال في إنجلترا ولكن أتوقع أن يكون في الخنادق قريبًا جدًا.

أفترض أننا سنكون قادرين على تحمل ما سيحصل بطريقةٍ ما. بالنسبة لي، أغرب الأشياء الغريبة منذ عام ١٩١٤ هو كيفية تعلّمنا جميعًا لقبول الأشياء التي لم نفكر في قدرتنا على تحملها قط، والاستمرار في الحياة بشكلٍ طبيعي.

أنا أعلم أن جيم وجيري في الخنادق الآن، وسيكون كين ووالتر قريبًا هناك أيضًا، إذا لم يعد أحدهما، فسوف يتحطّم قلبي، ولكنني مع ذلك أواصل العمل وأخطط ... أجل! وحتى استمتع بالحياة هذه مع مرور الوقت.

هناك لحظاتٌ نمرح فيها حقًا عندما لا نفكر في الأشياء التي تحصل، ولكن ذاك المرح يتبخّر عندما نتذكر، والتذكر فجأة ... أسوأ من التفكير في الأمر طوال الوقت.

كان اليوم مظلمًا وغائمًا وكانت الليلة جامحةً بما يكفي، كما تقول جيرترود، لإرضاء أي روائي يبحث عن أمرٍ مناسبٍ للقتل أو الهروب. تبدو قطرات المطر المتدفقة على الألواح وكأنها دموعٌ تنهمر على وجهها، والرياح تبدو وكأنها تصرخ عبر بستان القيقب.

لم يكن هذا يومًا لطيفًا في عيد الميلاد بأي شكلٍ من الأشكال، كانت نان تعاني من ألمٍ في الأسنان، وكانت عيون سوزان حمراء، وافترضت أسلوبًا غريبًا وشنيعًا لخداعنا للاعتقاد بأنها لم تبك، وكان جيمس يعاني من نزلة بردٍ طوال اليوم وأنا خائفةٌ من أن يكون خناق. فقد أصيب بالحناق مرتين منذ تشرين الأول.

في المرة الأولى التي كنت خائفةً من الموت كثيرًا، لأن أبي وأمي كانا بعيدين، أبي دائمًا بعيدٌ عندما يمرض أيُّ أحدٍ من هذه الأسرة كما يبدو لي. لكن سوزان كانت رائعة، وكانت تعرف ما يجب فعله، وبحلول الصباح كان جيمس على ما يرام.

ينمو عقل هذا الطفل أسرع من عمره، يبلغ من العمر سنه وأربعة أشهر فقط، وهو يتنقل في كل مكان، ويقول بضع كلمات، لديه أفضل طريقة لطيفة عندما ينادي اسمي بـ "ويلا." إنها تعيد دائمًا ذكريات تلك الليلة المروعة والمبهجة في الوقت نفسه عندما جاء كين ليودعني، حينها كان خليط مشاعر الغضب والفرح تراودني.

إن جيمس أصبح ذا بشرة بيضاء مضيئة ووجنتين موردين وعينيه كبيرتين، وشعره مجعد، واكتشف بين الحين والآخر وجود غمازة جديدة فيه. لا أستطيع أبدًا أن أصدق أنه حقًا نفس المخلوق الهزيل والأصفر والقبيح الذي أحضرته للمنزل في سلطانية الحساء ذلك اليوم.

لم يسمع أحدٌ أو يعرف ما وضع أباه جيم أندرسون. إذا لم يعد، سأحتفظ بجيمس دائمًا. الجميع هنا يعشقونه ويدللونه، أو كانوا سيدللونه لو لم أقف في الطريق وأمنعهم بلا رحمة، كما تقول مورغان. تقول سوزان إن جيمس هو الطفل الأكثر ذكاءً الذي رأته على الإطلاق إذ يمكنه التعرف على نيك العجوز عندما يراه، وذلك لأن جيمس ألقى دوك المسكين من نافذة الطابق العلوي يومًا ما. تحول

دوك إلى السيد هايد عندها وهو في طريقه للأسفل وسقط في شجيرة الكشمش، وهو يبصق ويشتم. حاولت مواساته بصحن من الحليب لكنه لم يكن ليهدأ، وظلّ السيد هايد بقية اليوم.

كانت آخر مشاكسات جيمس طلاء وسادة كرسي كبيرة بذراعين في الصالون بماء السكر. وقبل أن يكتشف أي شخص ذلك، جلست عليه السيدة فريد كلو في مهمة عملٍ للصليب الأحمر، وتم تدمير فستانها الحريري الجديد ولا يمكن لأحد أن يلومها على انزعاجها من الأمر. وهذا ما أشعل أعصابها نازًا وقالت أشياء سيئة وأعطتني انتقاداتٍ لاذعة حول إفساد جيمس الصغير لفستانها. لكنني اضطررت إلى أن أبقى فمي مُغلقًا حتى ابتعدت ثم انفجرت غضبًا...

قلت: "تلك المرأة العجوزة السمينة الخرقاء البشعة" ويا له من ارتياح أحسست به عندما أفرغت ما في قلبي.

ولكن قالت أُمي بتوبيخ: "لديها ثلاثة أبناء في الحرب ياريللا".

أجبتها: "أعتقد أن هذا يُغطي كل نواقصها في الأخلاق. ۞"

لكنني شعرت بالخجل من نفسي بعدها، فجميع أولادها قد رحلوا وكانت أيضًا شجاعةً ومخلصةً لذلك، وهي المرأة القوية المثالية في الصليب الأحمر. من الصعب تذكر كل البطولات عندما تكون غاضبًا. ولكن فستانها الحريري كان جديدًا وهو الثاني الذي تشتريه في عام واحد، في حين أن الجميع يحاول، أو يجب أن يَدخروا ويتقشفوا لخدمة الوضع.

اضطررت إلى إخراج قبعتي المخملية الخضراء مرةً أخرى مؤخرًا والبدء في ارتدائها. تمسكت بملاح القش الأزرق الخاص بي لأطول فترةٍ ممكنة. كم أكره القبعة المخملية الخضراء! إنها غريبةٌ وبشعة. كيف أحببتها، لا أعلم!!! لكنني أقسمت أن أرتديها وسأفعل ذلك.

نزلت أنا وشيرلي إلى المحطة هذا الصباح لأخذ عشاء عيد الميلاد

الضخم لكلب الإثنيين. رأيناها ينتظر ويراقب هناك كعادته، مع قدر كبير من الأمل والثقة. أحيانًا يتسكع حول منزل المحطة ويتحدث للناس، ثم يجلس بقية وقته عند باب بيته الصغير ويراقب المسار دون تفكير. لا نحاول أبدًا إقناعه بالرجوع إلى المنزل بعد الآن، نحن نعلم أنه لا فائدة من ذلك. فعندما يعود جيم، سيعود كلب الإثنيين إلى المنزل، وإذا... لم يعد جيم أبدًا... فسوف ينتظره هناك طالما هو على قيد الحياة.

كان فريد أرنولد هنا الليلة الماضية. كان في حدود ثمانية عشر عامًا سيبلغها في تشرين الثاني، وسوف يلتحق بالتجنيد بمجرد انتهاء والدته من العملية التي يجب أن تخضع لها.

لقد كان يأتي إلى هنا كثيرًا مؤخرًا، وعلى الرغم من أنني أحبه كثيرًا، إلا أنني لا أرتاح خلال وجوده، لأنني أخشى أنه يفكر في أنني أكنّ له شيئًا أكثر من الصداقة. ولا يمكنني إخباره عن كين، لأنه وحتى بعد كل شيء حصل، ما الذي يمكنني قوله؟ ومع ذلك لا أحب أن أتصرف ببرود، لا سيما أنه سيغادر قريبًا، إنه أمرٌ محيرٌ للغاية. أتذكر أنني كنت أعتقد أنه سيكون من الممتع أن يكون لديّ العشرات من المُعجبين، والآن أشعر بالقلق حتى الموت بوجود اثنين منهم فقط.

أنا أتعلم الطبخ الآن، سوزان تعلمني. حاولت أن أتعلم منذ فترة طويلة، لكن لا، لأكون صادقة، حاولت سوزان أن تعلمني، وهو أمرٌ مختلفٌ تمامًا. لم يبد لي حينها أنني سأنجح في أي شيء. ولكن منذ أن رحل الرفاق، أردت أن أكون قادرةً على صنع الكعك والأكلات لهم بنفسني، ولذا بدأت في العمل مرةً أخرى وهذه المرة أتعلم بشكلٍ مدهش. تقول سوزان إن الأمر كله يتعلق بالطريقة التي أريد أن أتعلم بها، ويقول أبي إن عقلي الباطني يرغب في التعلم الآن وهذا ما خلق الاختلاف، وأجرؤ على القول إن كليهما على حق.

على أي حال، يمكنني صنع كعكة العُزْبِيَّة وكعكة الفاكهة. لقد كنت طموحةً الأسبوع الماضي وحاولت صنع الكريمة المخفوقة، ولكنني فشلت فشلاً ذريعاً. لقد خرجت من الفرن بشكلٍ مسطحٍ مثل حظائر. اعتقدت أن الكريمة سوف تملؤهم مرةً أخرى وتجعلهم ممتلئين ولكن هذا لم يحدث.

أعتقد أن سوزان كانت مسرورة. لقد كانت عشيقةً سابقةً في فن صنع الكريمة وسوف ينكسر قلبها إذا كان بإمكان أي شخصٍ آخر أن يصنعها أيضًا. أتساءل عما إذا كانت سوزان قد تلاعبت بالمعايير عن قصد، لكن لا، لن أشك في وجود مثل هذا الأمر.

لبضعة أيام، قضت ميراندا فترة ما بعد الظهر كلها في إنجلترا لتساعدني في أعمال حياكة قمصان صليب أحمر الصغار، التي أطلقنا عليها الاسم الساحر "قمصان الطفيليات". تقول سوزان أن هذا الاسم غير لائقٍ على الإطلاق، واقترحت أن نُطلق عليه اسم "كوتي ساركس"، وهو الاسم القديم لهضبة ساندي الآن. لكنها هزت رأسها بأسفٍ لاحقاً، وسمعتها تخبر أمي أنه في رأيها، لم تكن كلمتي "كوتي" و "ساركس" موضوعاتٍ مناسبةٍ لتحدث عنها الفتيات الصغيرات.

لقد شعرت سوزان بالرعب بشكلٍ خاصٍ عندما كتب جيم في رسالته الأخيرة إلى أمي يخبرها فيها: "أخبري سوزان أنني خضت صيداً رائعاً هذا الصباح، وقبضت على ثلاثة وخمسين شخصاً!" أقشعر بدن سوزان عند سماعها لذلك وقالت: "سيدتي العزيزة، في فترة شبابي، وعندما كان الأشخاص المحترمون سيئو الحظ ينالون من تلك الحشرات، كانوا يقولون الأمر سراً من الحسد إن أمكن. لا أريد أن أفكر برجعيةٍ في هذه الأمور يا سيدتي العزيزة، لكنني ما زلت أعتقد أنه من الأفضل عدم ذكرها".

مع تلك الأيام التي قضيتها أنا وميراندا، توطدت علاقتنا، وأصبحت

تخبرني بكل أسرارها وما تشعر به. إنها غير سعيدة للغاية، هي مخطوبة إلى جو ميلجراف، الذي التحق بالتجنيد في شهر تشرين الأول، وكان يتدرب في مدينة شارلوت منذ ذلك الحين.

غضب والدها جدًا من انضمامه، ومنع ميراندا من التكلم أو التواصل معه مرةً أخرى.

قريبًا سيأتي اليوم الذي سيسافر به جو المسكين بعد أن ينهي تدريباته، ويريد أن يتزوج بميراندا قبل ذلك. هذا يعني أنهما على تواصلٍ رغمًا عن المشعر القمري. تريد ميراندا الزواج منه بشدة، ولكنها لا تستطيع، وهذا ما يكسر قلبها.

قلت لها: "لماذا لا تهربان معًا وتزوجان؟"

لم يكن الأمر يخالف ضميري على الأقل عندما اقترحت عليها مثل هذه النصيحة. فجو ميلجراف هو زميلٌ رائع، والسيد بريور كان موافقًا عليه قبل اندلاع الحرب، وأنا أعلم أن السيد بريور سوف يغفر لميراندا بسرعة كبيرة، بمجرد أن ينتهي الأمر وتعود مدبرةً لمنزله، لكن ميراندا هزت رأسها رافضةً بشدة.

وقالت: "يريدني جو أن أفعل هذا، ولكنني لا أستطيع. فكانت آخر كلمات أمي لي وهي تحتضر "إياك أن تهربي يا ميراندا" وقد وعدتها بذلك". توفيت والدة ميراندا منذ عامين، ووفقًا لما ذكرته ميراندا، يبدو أن والداها قد هربا فعليًا ليتزوجا. إن أمر تخيّل المشعر القمري وهو بطل هروبٍ يفوق قدرتي. لكن هذا هو الحال، والسيدة بريور على الأقل عاشت للتوبة. لقد عانت من ذلك مع زوجها، واعتقدت أن هذا كان عقابًا لها لفرارها هكذا. ولذلك أصرت على ابنتها أن تعطيها وعدًا بآلا تكرّر خطأها لأي سببٍ كان.

بالطبع، لا يمكنك حث فتاةٍ على كسر الوعد الذي قطعته لأمٍ تحتضر، لذلك لم أعرف ما يمكن أن تفعله ميراندا ما لم تجعل جو يأتي

إلى المنزل عندما كان والدها بعيدًا ويتزوجها هناك. لكن ميراندا قالت إنها لا تستطيع تسوية الأمور على هذا النحو. بدا أن والدها يشك في أنها قد تكون على وشك أن تعارضه، ولذلك لم يتعد لفترة طويلة عند خروجه من المنزل، وبالطبع لا يستطيع جو الحصول على إجازة في غضون ساعة فقط.

قالت ميراندا ودموعها قد بللت كل قمصان الطفيليات التي تحتها: "يجب أن أترك جو يذهب، وسوف يُقتل، أعلم أنه سيقتل، وسوف ينفطر قلبي!"

إنني لا اكتب بهذه الطريقة مستخفةً بمشاعر ميراندا أو أنني لا أتعاطف كثيرًا معها، لا أبدًا! الأمر كلّه أنني اعتدت على ادخال بعض اللمسات الكوميديّة متى ما أمكنتني ذلك، لا سيما في رسائلني لجيم ووالتر لأجعلهما يضحكان.

أشعر بالأسف حقًا من أجل ميراندا، إنها تحب والتر بجنون، فزواجها من جهة، وميل والدها للألمان الذي يقلقها من جهة أخرى. أعتقد أنها فهمت أنني كذلك، إذ قالت إنها أرادت أن تخبرني كل ما تشعر به من مخاوف لأنني كنت متعاطفةً للغاية في العام الماضي. أتساءل عما إن كنت كذلك بالفعل. أعلم أنني اعتدت أن أكون مخلوقًا أنانيًا بلا تفكير، أشعر بالخجل من تذكر ذلك الآن، لذا يستحيل أن أكون بهذا السوء كما كنت من قبل.

أتمنى أن أتمكن من مساعدة ميراندا. سيكون أمرًا رومانسيًا للغاية أن تدبر زفافًا حربيًا، ويجب أن أعمل بشدةً وأتفوق على المشعر القمري. ولكن وفي الوقت الحالي، لا أملك أي وحي لما يمكنني فعله حيال الأمر.

18 زفافٌ حربي



قالت

سوزان بحنق: "أستطيع أن أخبرك أيها الدكتور العزيز، بأن موقف ألمانيا أصبح على المحك".

كانوا جميعًا في مطبخ إنجلترا الكبير. كانت سوزان تحضر البسكويت على العشاء، وكانت السيدة بلايث تصنع كعكة الغريبة لجيم، أما ريلاف كانت تعد الحلوى لكين ووالتر، فوالتر وكين لم يغادرا ذهنها أبدًا، ولكن بطريقة ما، ودون وعيٍ منها، أصبح اسم كين يتردد إلى عقلها أولاً، وكانت هناك أيضًا ابنة العم صوفيا، المنهمكة في حياكة الصوف. كانت تفكر أنه من المؤكد أن الجميع سيقتل عاجلاً أم آجلاً، لذلك شعرت ابنة العم صوفيا، بأنه من الأفضل أن يُقتل الجميع وأقدامهم دافئة، فشرعت بالحياكة بإخلاصٍ وحزن.

في هذا المشهد الهادئ، انتفض الدكتور متحمسًا ومُفشيًا بأن مباني البرلمان في أوتاوا قد أُحرقت، وشاركته سوزان حماسه بتلقائية.

قالت: "ماذا سيفعل هؤلاء المغول بعد ذلك؟ المجيء إلى هنا وإحراق برلماننا؟ هل سمع أحدكم باعتداء كهذا من قبل؟" قال، رغم أنه قد بدا متأكدًا بأنهم من فعلوا: "نحن لا نعلم إن كان

الألمان هم المسؤولين عن ذلك. فالحرائق تندلع دون إرادة في بعض الأحيان. فقد احترقت حظيرة العم مارك ماكالستر الأسبوع الماضي، ولا دليل لدينا بأن الألمان من فعلوا ذلك يا سوزان".

قالت سوزان ببطءٍ وحذر: "في الواقع أيها الدكتور العزيز، لا أعلم. كان المشعر القمري هناك ذلك اليوم بالذات، وقد اندلع الحريق بعد نصف ساعةٍ من رحيله. هناك الكثير من الأدلة، ولكنني لن أتهم طاعنًا في السن بحرق حظيرة أي شخصٍ حتى أجد دليلًا ملموسًا. ومع ذلك، الجميع يعلم أيها الدكتور العزيز، أن الصبيان التابعان للعم مارك قد تم تجنيدهما، وأن العم مارك نفسه يلقي الخطب في جميع اجتماعات التجنيد. لذلك لا شك في أن الألمان هم من قاموا بذلك".

قالت ابنة العم صوفيا بجديّة: "لا يمكنني أبدًا الوقوف والتحدث في اجتماع تجنيد. لا يمكنني أبدًا أن أتصالح مع ضميري وأطالب ابن امرأةٍ أخرى أن يذهب ليقتل ويُقتل".

قالت سوزان: "ألا يمكنك؟ حسنًا يا صوفيا كراوفورد، لقد شعرت كما لو أنه باستطاعتي أن أطلب من أي شخصٍ آخر الذهاب، عندما قرأت الليلة الماضية بأنه لم يعد في بولونيا أي صبي يبلغ سن الثامنة عشر على قيد الحياة. فكري في ذلك يا صوفيا كراوفورد. "وأمسكت إصبع صوفيا وهزته وأكملت "ليس صبيًا واحدًا فقط" ...

تنهدت ابنة العم صوفيا قائلةً: "أفترض أن الألمان قد قضوا عليهم جميعًا".

قالت سوزان على مضض، كما لو كانت تكره الاعتراف بوجود أي جريمةٍ لا يمكن اتهام المغول بارتكابها: حسنًا، لا أعتقد، فالألمان لم يتحولوا إلى أكلة لحوم بشرٍ حتى الآن، على حد علمي. فهم قد ماتوا من الجوع والألم، تلك المخلوقات الصغيرة المسكينة. هناك عملية قتلٍ يا ابنة العم صوفيا كراوفورد. إن الأمر يؤرقني ويسمم تفكيري في

بعض الأحيان".

علق الدكتور على جريدته المحلية: "أرى أن فريد كارسون من لوبريدج قد حصل على وسام السلوك المتميز".

قالت سوزان: "لقد سمعت ذلك الأسبوع الماضي. إنه عداءٌ في كتيبة ما، وقد اتخذ خطوةً شجاعةً جريئة. وجاءت رسالته، لإخبار أهله بالأمر، عندما كانت جدته العجوز كارسون على فراش الموت. لم يجدوا سوى اخبارها بأنه لا مشكلة في ذلك. لقد قالت ذلك على عجلٍ كما لو أنها عميدةٌ يا سيدتي العزيزة، وكان العمداء دائماً يتمتعون بروح عالية، "يمكنك أن تصلي، ولكن من أجل الرحمة، صلّي ولا تزعجني. أريد أن أفكر في هذه الأخبار الرائعة، ولكن لا يسعني الوقت لذلك." كانت تلك ألميرا كارسون، وفريد كان قرّة عينها، وكانت تبلغ من العمر خمسةً وسبعين عامًا ولم يأكل الشيب رأسها أبدًا، كما أخبروني".

قالت السيدة بلايث: "هذا ذكرني بشيء ما ... لقد وجدت شعرةً رماديةً هذا الصباح".

"لقد لاحظتها منذ مدةٍ يا سيدتي العزيزة، ولكنني لم أخبرك بالأمر. لقد قلت في نفسي بأن لديك ما يكفي لتتحمليه. ولكن بعد ان اكتشفت ذلك، أستطيع أن أخبرك الآن بأن الشيب قد بدأ عهده معك".

ضحكت السيدة بلايث بحزنٍ وقالت: "أصبحت كبيرةً في السن يا جيلبرت. لقد بدأ الناس يخبرونني بأنني شابةٌ يافعةٌ رغم أنهم لم يفعلوا ذلك في صغري. ولكنني لن أقلق بشأن خصلتي الفضيّة هذه. أنا لم أحب في حياتي شعري الأحمر يا جيلبرت. هل أخبرتك عن صبغي لشعري منذ سنواتٍ عندما كنت في المرتفعات الخضراء؟ لا أحد يعلم بالأمر، عداي أنا وماريلا".

"هل هذا سبب خروجك ذات مرة، وشعرك أشعث قصيرٌ لا يصل لرقبتك؟"

"نعم، لقد اشتريت زجاجة صبغةٍ من متجولٍ يهوديٍّ ألماني. وكنت أتوقع باعتزازٍ أن تحول تلك الصبغة شعري للون الأسود، ولكنه أصبح أخضر اللون، واضطرت لقصه".

صاحت سوزان: "لقد نجوت من الأمر بصعوبةٍ يا سيدتي العزيزة. بالطبع كنت أصغر من أن تعرفي من هم الألمان. الشكر للرب أنها كانت مجرد صبغةٍ وليست سمًا".

تنهدت السيدة بلايث قائلة: "يبدو أنه مضى مئات السنين على أيام المرتفعات الخضراء. لقد كانت عالمًا موازيًا آخر. لقد قسّمت الحياة إلى نصفين بسبب هوة الحرب. لا أعرف ما ينتظرنا، ولكن لا يكون كالماضي أبدًا. أتساءل عما إن كان أولئك الذين عاشوا نصف حياتنا منذ القدم، سيشعرون بالانتماء إلى الوطن في الحياة الجديدة".

سألت الأنسة أوليفر، وهي تنظر من كتابها: "هل لاحظت بأن كل شيءٍ قد كتب عن الحرب سابقًا لا يمت لما يحدث الآن بصلة؟ يشعر المرء كما لو أنه كان يقرأ قصةً من القدم كالإلياذة. هذه القصيدة من كتاب وورد زوورث، قد درسها طلاب التخرج للالتحاق بمجال العمل. دائمًا ما كنت ألقى نظرةً عليها. إن الهدوء والراحة القابعين بين السطور، وجمال الخطوط ينتميان إلى كوكبٍ آخر، وليس إلى هذا العالم المضيء بالنجوم أبدًا".

قالت سوزان وهي تدخل البسكويت إلى الفرن: "الشيء الوحيد الذي أجد راحةً كبيرةً في قراءته هذه الأيام هو الكتاب المقدس. هناك العديد من المقاطع التي تبدو لي وصفًا دقيقًا للمغول. ويصرح ساندي الأعظم بأنه لا يحمل أدنى شكٍ بأن القيصر معارضٌ للمسيح الذي تحدثنا عنه في سفر الرؤيا، ولكنني لا أقر بذلك. رأي المتواضع يا سيدتي العزيزة، أنه سيكون شرفًا كبيرًا له".

بعد مرور عدة أيام، وفي صباح إحداها، تسللت ميراندا بريور إلى

إنجلسايد للقيام ببعض خياطة قمصانٍ لصليب أحمر الصغار، ولكنها في الحقيقة تسلت للتحديث مع ريلا عن المشاكل العاطفية التي كانت تعانيها وحدها.

لقد أتت وأحضرت كلبها معها، وهو حيوانٌ صغيرٌ يأكل بشرهةٍ ذو أرجلٍ صغيرة، إنه عزيزٌ على قلبها لأن جو ميلجراف أعطاها إياه عندما كان جروًا صغيرًا. السيد بريور يعتبر كل الكلاب مستهجنة، ولكنه في تلك الأيام أصبح ينظر بلطفٍ إلى جو باعتباره خاطبًا لميراندا، لذا سمح لها بالاحتفاظ بالجرو. مكتبة سُر من قرأ

كانت ميراندا ممتنةً للغاية لدرجة أنها حاولت إرضاء والدها من خلال تسمية كلبها على اسم شخصيته السياسية المفضلة، الزعيم الليبرالي العظيم السير ويلفريد لورييه، رغم تلقيه أحيانًا بويلفي. كبر السير ويلفريد، وتطورت قدراته الذهنية، ولكن ميراندا أفسدته بشكلٍ سخيف، حتى نفر منه الجميع.

كانت ريلا تكرهه بشدةٍ بسبب حيلته المقيمة المتمثلة باستلقاءه على ظهره، ومناشداته لك بالتلويح بمخالبه لدغدغة بطنه الأملس. عندما رأت ريلا عيون ميراندا الشاحبة منتفخةً دليلًا على بكائها طوال الليل، طلبت منها أن تأتي إلى غرفتها فقد علمت بأن لديها قصةً مأساويةً لترويها، وأمرت ويلفريد بالبقاء في الأسفل.

قالت ميراندا بحزن: "أوه، ألا يستطيع أن يأتي أيضًا؟ لن يزعجنا ويلفي المسكين، لقد نظفته بعنايةٍ شديدةٍ قبل أن أحضره. إنه دائمًا يشعر بالوحدة إن تواجد في مكانٍ غريبٍ وأنا لست بجانبه. وأنا لا أستطيع تركه فهو يذكرنني بجو".

استسلمت ريلا للأخرى، وهرول السير ويلفريد فوق عتبات السلم، وهو يهز ذيله دليلًا على انتصاره.

بكت ميراندا عندما وصلتا إلى الغرفة: "أوه يا ريلا، أنا حزينةٌ جدًا.

ولا أستطيع أن أعبر لك عن مدى بؤسي. إن قلبي مكسور".
جلست ريلا بجانبها، بينما جلس ويلفريد القرفصاء أمامهما يستمع
بإنصات، ولسانه الوردى الخشن يتدلى خارج فمه.
سألت ريلا: "ما هي المشكلة يا ميراندا؟"

"لقد تلقيت رسالةً من جو يوم السبت يقول فيها بأنه سيعود إلى
المنزل الليلة لإجازته الأخيرة. إنه يرأسني دائمًا لرعاية بوب كراوفورد،
كما تعلمين، بسبب والدي. آه يا ريلا، سيأتي فقط لمدة أربعة أيام،
وسيُسافر صباح يوم الجمعة، وقد لا أراه مرةً أخرى".

سألت ريلا: "أما زال مصرًا على الزواج؟"
"أوه، نعم. لقد ناشدني في رسالته أن أهرب وأتزوج. ولكنني لا
أستطيع فعل ذلك يا ريلا، ولا حتى من أجل جو. راحتي الوحيدة هي
أنني سأتمكن من رؤيته لبعض الوقت بعد ظهر الغد، عندما يذهب أبي
إلى مدينة شارلوت للعمل.

سألتها: "لماذا بحق السماء لا تتزوجان أنتِ وجو بعد ظهر غدٍ في
المنزل؟"

ابتلعت ميراندا غصةً مريرةً كادت أن تخنقها: "ماذا... هذا مستحيلٌ
يا ريلا".

"لماذا؟" سألتُ بإيجازٍ منظمة الصليب الأحمر وناقلة الأطفال في
سلطانيات الحساء.

"لماذا ماذا! نحن لم نفكر أبدًا في شيء كهذا. جو ليس لديه تصريحٌ
بذلك، وأنا لا أملك فستان زفاف، لن أستطيع أن أتزوج به بملابسي
السوداء. أنا... أنا... نحن... أنت... أنت... لم تعد ميراندا تستطيع
السيطرة على أنفاسها، وبعد أن رأى السير ويلفريد أن حالتها قد ساءت،
ارتدى في حزنها، وأطلق نباحًا حزينًا.

فكرت ريلا بلايث بجديّة وسرعة لبضع دقائق، ثم قالت: "ميراندا،

إن كنت تثقين بي، فسأجعلك تتزوجين من جو قبل الساعة الرابعة بعد ظهر الغد".

"أوه، لا يمكنك ذلك".

"أنا أستطيع وسأفعل. لكن عليك أن تفعلي بالتحديد ما سأخبرك به".

"أوه... أنا... لا أعتقد... آه، سيقتلني أبي".

"هذا هراء، كل ما في الأمر أنه سيغضب. أخبريني ما الأكثر رعبًا بالنسبة لك، أن يغضب والدك أم أن يذهب جو دون عودة؟"

أجابت ميراندا بجديّة مفاجئة: "ذهاب جو".

"هل ستفعلين ما سأخبرك به؟"

"نعم سأفعل".

"إذن، اتصلي بجو حاليًا، واطلبي منه أن يحضر التصريح والخاتم الليلة".

قالت ميراندا بخوف: "أوه، لن أستطيع. سيكون ذلك فظًا".

صكت ريبلا على أسنانها البيضاء، وأخذت نفسًا عميقًا، وقالت: "أمطري عليّ صبرًا أيتها السماء." وأكملت بصوت عالٍ: "سأفعل ذلك إذن، يمكنك الآن العودة إلى المنزل، وإجراء الاستعدادات التي أخبرتك بها، وعندما أتصل بك لتأتي وتساعديني في الخياطة، تعالي بسرعة".

ذهبت ميراندا وهي شاحبة الوجه وخائفة، ويائسة، بينما انطلقت ريبلا وأمسكت بالهاتف، وأجرت مكالمة مع أحدهم في تشارلوت تاون. لقد نجحت في ذلك بسرعة مذهلة لدرجة أنها كانت مقتنعة بأن العناية الالهية موافقة على خطتها، وقد كانت ساعة جيدة قبل أن تتمكن من الاتصال بجو ميلجراف في معسكره. وفي غضون ذلك، سارعت بالاتصال عليه، ودعت أن يرد عليها جو، وألا يكون هناك مستمعين

على الخط لنقل الأخبار إلى المشعر القمري.

"هل أنت جو؟ ريبلا بلايث تتحدث معك ... ريبلا ... ريبلا ... آه، لا تهتم. اسمع جيدًا ما سأقوله، قبل أن تعود إلى المنزل الليلية، احصل على وثيقة زواج ... نعم ... وثيقة زواج ... وخاتم أيضًا. هل حصلت عليها؟ ستفعل ذلك؟ حسنًا، تأكد من فعل ذلك، إنها فرصتك الوحيدة".
غمر الانتصار ريبلا، بعد أن كانت خائفةً من ألا تتمكن من التكلم مع جو في الوقت المناسب. اتصلت ريبلا بحلقة بريور هذه المرة، ولكن الحظ لم يحالفها لأن المشعر القمري هو من أجاب عليها هذه المرة.
"هل هذه ميراندا؟ أوه، سيد بريور! حسنًا يا سيد بريور، هل يمكنك أن تسأل ميراندا إن كان بإمكانها أن تأتي بعد ظهر اليوم وتساعدني في بعض أعمال الخياطة. أنا بحاجة إليها إن لم يزعجك الأمر، آه شكرًا".
كان السيد بريور قد وافق على طلبها ببعض الغضب، لقد وافق على ذلك كي لا يسيء إلى الدكتور بلايث. فهو كان يعلم أنه إن عارض ذهاب ميراندا للقيام بأي عملٍ من أعمال الصليب الأحمر، فإن الرأي العام سينقلب عليه لا محالة. خرجت ريبلا إلى المطبخ، وأغلقت جميع الأبواب بغموضٍ مثيرٍ تعجب سوزان، ثم قالت بجديّة: "سوزان هل يمكنك صنع كعكة زفافٍ بعد ظهر هذا اليوم؟"
"كعكة زفافٍ!" حدقت سوزان بدهشة.

كانت ريبلا قد أحضرت لها ذات مرةً طفلاً رضيعًا دون سابق إنذار، فهل ستفاجئها الآن بزواجها؟

"نعم، كعكة زفاف ... كعكة زفافٍ شهيةٍ يا سوزان ... كعكة زفافٍ جميلة، وحلوة، بقشر البرتقال. وعلينا أن نصنع بعض الحلويات الأخرى بجانبها. سأساعدك في الصباح، ولكن لا يمكنني أن أساعدك في فترة ما بعد الظهر لأنني يجب أن أصنع فستان الزفاف، والوقت ثمينٌ جدًّا يا سوزان".

شعرت سوزان بأنها لن تستطيع تحمل صدمة كهذه، فسألت بضعف: "أستزوجين يا ريلًا؟"

"سوزان يا عزيزتي، أنا لست العروس السعيدة. ميراندا بريور ستزوج جو ميلجراف بعد ظهر غدٍ بينما والدها في المدينة. زفافٌ في الحرب، أليس ذلك رومانسيًا؟ لم أتحمس كما أنا الآن في حياتي كلها".

سرعان ما انتشر الحماس في إنجلسايد، وأصيبت السيدة بلايث وسوزان بذلك أيضًا.

قامت سوزان بإلقاء نظرة على الساعة، وقالت: "سأذهب للعمل على تلك الكعكة في الحال. يا سيدتي العزيزة، هل ستلتقطين الفاكهة، وتفقسين البيض؟ إن استطعت ذلك، فسأتمكن من تجهيز تلك الكعكة بحلول المساء، وسأصنع بعض الحلويات الأخرى صباح الغد. سأعمل طوال الليل إذا لزم الأمر لإنهاء ذلك قبل أن يعلم المشعر القمري".

وصلت ميراندا، وهي تبكي وتلهث.

قالت ريلًا: "يجب أن نصلح ثوبي الأبيض حتى ترتديه. سوف يناسبك كثيرًا مع بعض التغييرات".

ذهبت الفتاتان إلى العمل ... تمزيقٌ ... وتركيبٌ ... وخياطةٌ من أجل الزفاف. وبفضل الجهد المتواصل انتهين من صنع الفستان بحلول الساعة السابعة، فجربته ميراندا في غرفة ريلًا.

تنهدت ميراندا: "إنه جميلٌ جدًا ... ولكن آه، لو كان بإمكانني ارتداء الطرحة. لطالما حلمت بأن أتزوج بطرحة زفافٍ بيضاء جميلة".

من الواضح أن بعض الجنيات الطيبات ينتظرن أن يلبين رغبات عرائس الحرب. فقد فُتح الباب، ودخلت السيدة بلايث وهي تحمل بين ذراعيها طرحةً بيضاء شفافة.

قالت: "ميراندا يا عزيزتي، أريدك أن ترتدي طرحة زفافي غدًا. لقد مر أربعة وعشرون عامًا منذ أن كنت أسعد عروسي في المرتفعات الخضراء. يقولون بأن العروس بطرحتها الجميلة تجلب الحظ السعيد".

قالت ميراندا، وقد بدأت عيناها تغرورقان بالدموع: "أوه، يا للطفك يا سيدة بلايث".

قامت ميراندا بتجربة الطرحة، وقد دخلت سوزان وأدلت بإعجابها ولكنها لم تستطع البقاء.

وقالت: "لقد انتهيت من الكعكة، ووضعتها في الفرن، وأنا أتبع سياسة الانتظار اليقظ. أما الأخبار المسائية فهي أن الدوق الأكبر قد استولى على أرضروم، وهذا يصب في صالح الأتراك. أتمنى لو كان لدي فرصة لإخبار القيصر بالخطأ الذي ارتكبه عندما رفض نيكولاس". ركضت سوزان إلى الطابق السفلي وتحديداً إلى المطبخ، حيث أطلقت صرخةً مخيفةً قوية. هرع الجميع إلى المطبخ... الدكتور والآنسة أوليفر، والسيدة بلايث، وريلا، وميراندا بطرحة زفافها. كانت سوزان جاثيةً على أرضية المطبخ، ومعالم الدهشة بارزةً على وجهها. بينما كان دوك، المتجسد اليوم بالسيد هايد، يقف على الخزانة، ويرفع قدميه للأعلى، وعيناه تقدحان شرراً، وذيله قد كبر ثلاثة أضعاف عن حجمه الطبيعي.

صرخت السيدة بلايث في ذعر: "سوزان، ماذا حدث؟ هل وقعت؟ هل تأذيت؟"

التقطت سوزان أنفاسها، وقالت: "لا، أنا بخير. أنا في قمة حنقي، لا تهتمي. كل ما حدث أنني حاولت أن أخرج القط المشؤوم بقدمي، هذا كل ما في الأمر".

ضحك الجميع بصخب، ولم يستطع الدكتور أن يتوقف، فقال وهو

يشهق: "أوه ... يا سوزان ... سوزان ... لن تتوقفي عن ذلك مهما فعلت".

قالت سوزان بنبرة جدية: "أنا آسفة، لأنني استخدمت مثل هذا التعبير أمام فتاتين صغيرتين. ولكنني قلت بأنه وحشٌ مشؤومٌ ينتمي للشر".

"هل كنت تتوقعين بأنه سيختفي بالصراخ ورائحة الكبريت يا سوزان؟"

قالت سوزان بجهد، وهي تذهب إلى الفرن: "سيذهب إلى حيث ينتمي، آخذًا معه كل ما يرتبط به. أفترض أن جلبتي هذه قد جعلت كعكتي تنتفخ أكثر من اللازم".

لكن الكعكة لم تكن كذلك أبدًا، كانت تبدو تمامًا ككعكة الأعراس، وقد زينتها سوزان بأجمل الطرق. وفي اليوم التالي عملت هي وريلا طوال فترة الظهر، وصنعنا أشهى المأكولات التي تتناسب مع كعكة الزفاف، وبمجرد أن اتصلت ميراندا وأخبرتها بأن والدها قد ذهب بعيدًا. تم نقل كل شيء في سلة كبيرة إلى منزل بريور. وسرعان ما وصل جو بزيه العسكري وهو في قمة حماسه برفقة إشبينه، الرقيب مالكولم كراوفورد.

كان الزفاف مليئًا بالضيوف، حيث حضر أهالي مانسي وإنجلسايد، وعشرات من أقارب جو، بما في ذلك والدته، السيدة أنجوس ميلجراف الميته، وقد لقت بذلك لتمييزها عن أنجوس أخرى كانت تعيش هناك أيضًا. كانت السيدة أنجوس الميته غير راضية بهذا الزفاف، ولم تهتم كثيرًا بهذا التحالف مع عائلة المشعر القمري.

تزوجت ميراندا بريور من الجندي جوزيف ميلجراف في إجازته الأخيرة. كان ينبغي أن يكون حفل زفاف رومانسي، ولكنه لم يكن كذلك. فقد كانت هناك العديد من العوامل التي حاربت الرومانسية

فيه، كما كان على ريلا أن تعترف بذلك.

فأولاً، كانت ميراندا، على الرغم من طرحتها وفستانها، عروسًا صغيرةً بوجهٍ حزينٍ وقلقٍ، وثانيًا، كان جو قد بكى بمرارةٍ طوال الحفل، وهذا ما أزعج ميراندا بشدة. وبعد وقتٍ طويلٍ، قالت لريلا: "لقد شعرت برغبةٍ بأن أقول له حينها، إن كنت تشعر بالسوء حيال هذا الزواج فلتلغه إذن. ولكن كل ما في الأمر أنه كان يفكر في الوقت الذي سيتعين به أن يتركني ليذهب."

وثالثًا، كان جيمس، الذي كان يتمتع بحسن التصرف في الأماكن العامة، قد أصيب بنوبةٍ من الخجل والتناقض معًا، وبدأ في البكاء بأعلى صوته بأنه يريد "ويلا". لم يرغب أحدٌ في إخراجه وحمله، لأن الجميع أراد أن يرى الزواج، لذلك كان على ريلا التي كانت الإشيينة أن تأخذه وتحتجزه معها طوال الحفل.

ورابعًا، دخل السير ويلفريد لورييه في إحدى نوباته. كان الكلب ويلفريد في زوايا إحدى الغرف وتحديدًا خلف بيانو ميراندا. أثناء نوبته، قام بإصدار أصواتٍ غريبة، وافتعل ضوضاء عنيفة. يبدأ بسلسلةٍ من الاختناق، والأصوات المتقطعة، ويستمر في قرقرة مروعة، وينتهي به الأمر بعواءٍ مخنوق.

لم يستطع أحدٌ سماع كلمةٍ قالها السيد ميريديث، إلا القليل بين الفينة والأخرى. وعندما توقف ويلفريد لالتقاط أنفاسه حذر به الجميع، لم ينظر أحدٌ إلى العروس باستثناء سوزان، التي لم تنزل عينيها عن وجه ميراندا الجميل. كانت ميراندا ترتجف من الخوف، ولكن بمجرد أن بدأ ويلفريد عواءه، نسيت ذلك. فكل ما فكرت به آنذاك أن كلبها العزيز كان يحتضر ولن تستطيع الذهاب لمساعدته. وبالتالي، لم تتذكر أبدًا كلمةً مما قيلت في الحفل.

ريلا، التي على الرغم من اعتنائها بجيمس، كانت تبذل قصارى

جهدا لتبدو مفعمةً بالحيوية والرومانسية، ولتناسب مع رتبتها كوصيفة الشرف في الحرب. وقد تخلت عن محاولتها اليائسة، وكرست طاقتها لثلاث تنسحب من الحفل بشكلٍ مفاجئ. لم تجرؤ على النظر إلى أي شخصٍ في الغرفة، وخاصةً السيدة أنجوس الميتة، خوفًا من أن تنفجر بالضحك عليها.

وها قد تزوجا، وبعد ذلك، اجتمعوا على مائدة العشاء الخاصة بالزفاف الحربي. كانت المائدة فخمةً ووفيرةً وكأن صنعها قد استهلك شهرًا من العمل. جميع من حضر قد جلبوا معهم شيئًا. فقد أحضرت السيدة ديد أنجوس فطيرة تفاح كبيرة، ووضعتها على كرسيٍّ في غرفة الطعام، وعندما أقبلت لتجلس دهستها دون أن تعي ذلك. وكم أغضبها تلطخ فستانها المصنوع من الحرير الأسود، ولكن الفطيرة لم ترمى أبدًا في زفافٍ جميلٍ كهذا. ففي النهاية أخذتها السيدة ديد أنجوس معها إلى المنزل مرةً أخرى، كي لا يحصل عليها خنزير المشعر القمري.

في ذلك المساء، غادر السيد والسيدة جو، برفقة ويلفريد الذي تعافى، إلى منارة فور ويندز، التي احتفظ بها عم جو، لقضاء شهر العسل القصير. وقامت أوننا ميريديث وريلا وسوزان بغسل الأطباق، وترتيبها، وتركوا عشاءً باردًا وملاحظة ميراندا الصغيرة المثيرة للشفقة على الطاولة للسيد بريور، وعادوا إلى المنزل، بينما كان الحجاب الغامض للشفق الشتوي قد غلف جلين بأكملها.

قالت: "لم أكن لأفكر في أن أكون عروس حرب".

تأثرت سوزان بما قالته. ولكن ريلا لم تكن كذلك، ربما كان ذلك كردة فعلٍ على كل الإثارة والاندفاع التي أحاطت بهما طيلة ست وثلاثين ساعةً ماضية. ولكنها قد شعرت بخيبة أملٍ إلى حدٍ ما، لأن الأمر كان سخيفًا للغاية، ولم يحتج لكل ذلك البكاء من ميراندا وجو. قالت بغضبٍ طفيف: "لو لم تقدم ميراندا لهذا الكلب البائس عشاءً

دسمًا، لما تصرف بريية. لقد حذرتها، ولكنها قالت بأن قلبها لا يطاوعها بأن تجوِّع الكلب المسكين، فهو سيكون كل عائلتها قريبًا".

قالت سوزان: "لقد كان متحمسًا أكثر من جو نفسه. لقد أضفى جوًّا من السعادة والحماس، وتمنى أيامًا سعيدة لميرندا. لم تكن سعيدة للغاية، لكن ماذا تتوقعين منها كعروس حرب؟"

فكرت ريلا: "على أية حال، يمكنني كتابة قصة قاتلة تمامًا للأولاد. أتخيّل كيف ستكون ردّة فعل جيم على دور ويلفريد فيها!"

ولم يكن ينقص ريلا من بعد خيبة الأمل في حفل الزفاف الحربي إلا بكاء ميراندا وهي تودع صباح يوم الجمعة عريسها في محطة جلين. كان الفجر يشع كاللؤلؤ والألماس، وخلف المحطة، كانت قشرة البلسم من صغار التنوب مغطاة بضباب الصقيع، وفوق حقول الثلج في الغرب، سطع قمر الفجر البارد، وأضاءت أشعة شمس الشروق فوق أشجار القيقب في إنجلترا.

أخذ جو عروسه الصغيرة الحزينة بين ذراعيه، ورفعت وجهها، ونظرت بتمعن إلى وجهه. اختنقت ريلا فجأة من هذا المشهد المؤلم. لم تكثر حينها إن كانت ميراندا حزينة وشاحبة، أو إن كانت ابنة المشعر القمري، كل ما اكرثت له هي نظرات التضحية المشعة من عينيها... تلك النظرات المقدسة المفعمة بالإخلاص والولاء والشجاعة النبيلة والتي كانت تعد بها جو، كما حال الآلاف من النساء الأخريات، بالبقاء على قيد الحياة في المنزل بينما هو يحارب ضد الجهة الغربية. ابتعدت ريلا، كي تفسح المجال لهما معًا، ونزلت إلى نهاية المنصة حيث كان يجلس السيد ويلفريد بجانب كلب الاثنين وينظران إلى بعضهما البعض.

علق الكلب ويلفريد باستخفاف: "لماذا تطارد هذه السقيفة القديمة بينما قد تستلقي بجانب الموقد في إنجلترا وتأكل من خيرات

الأرض؟ هل هي وقفة؟ أم فكرة ثابتة؟"

قال كلب الإثنين: "لدي موعد لقاء أحافظ عليه."

عندما غادر القطار، عادت ريلا إلى ميراندا الصغيرة التي ترتجف من البكاء.

قالت ميراندا: "حسنًا، لقد رحل، وقد لا يعود أبدًا ... ولكنني زوجته، وأنا أستحق هذا. سأذهب الآن إلى المنزل."

"ألا تعتقدين أنه من الأفضل أن تأتي معي الآن؟" سألت ريلا بريبة. فلا أحد يعرف حتى الآن كيف تولى السيد بريور هذه المسألة.

قالت ميراندا بجرأة: "لا، إذا كان جو يستطيع مواجهة المغول، أعتقد أنني أستطيع مواجهة أبي. زوجة الجندي لا يمكن أن تكون جبانة أبدًا. تعال يا ويلفي، سأذهب مباشرة إلى المنزل وأواجه الأمر." ومع ذلك، لم يكن الأمر مروعًا لذلك الحد. ربما كان السيد بريور قد علم أنه من الصعب الحصول على مدبرة منزل، وأن هناك العديد من منازل ميلجراف المفتوحة لميراندا ... وأيضًا، كان هناك شيء أشبه بالانفصال.

في جميع الأحوال، اكتفى بأن يخبرها بغضبٍ أنها قد خدعت نفسها، وبأنها ستعيش حياتها نادمةً على ذلك، بينما ارتدت السيدة جو مئزرها وذهبت إلى العمل كالمعتاد.

أما ويلفريد لورييه، الذي كان سيئًا في مناورة المساكن الشتوية، ذهب للنوم في منزله الصغير خلف صندوق الحطب، وهو ممتنٌ لأنه حضر الزفاف الحربي.

19 "لا ينبغي عليهم المرور"



ذات

صباحٍ كئيبٍ باردٍ من شهر شباط، استيقظت جيرترود أوليفر من نومها مرتعشة، وتسلمت إلى غرفة ريلا، ألقت نفسها إلى جوارها.

"ريلا ... أنا خائفة ... مرتعبةٌ كالأطفال، رأيتُ حلمًا غريبًا مرّةً أخرى، بل كابوس. هناك شيءٌ مريعٌ ينتظرنا ... أنا أعرف".
سألت ريلا: "ماذا رأيت؟"

"كنت أقف مرّةً أخرى على درجات الشرفة، تمامًا كما وقفت في ذلك الحلم في الليلة التي سبقت حفلة المنارة، وفي السماء سبحت سحابةٌ رعديّةٌ سوداء ضخمةٌ من الشرق.

كان بإمكانني رؤية ظلها يتسابق قبلها، وعندما أحاطت بي، أخذت أرتعش من البرد الجليدي. ثم اندلعت العاصفة، وكانت مروّعة، كان وميضٌ عميقٌ ينفخ بعد وميضٍ يصم الآذان، وهو يجر السيول من المطر.

استدرت في حالةٍ من الذعر وحاولت الهروب بحثًا عن ملجأ، وعندما فعلت ذلك، قام رجل، جنديٌّ يرتدي زي ضابطٍ في الجيش

الفرنسي، بتخطي درجات السلم ووقف بجانب علي عتبة الباب. كانت ملابسه ملطخةً بالدماء من جرح في صدره، وبدا أنه قد استنزف كل طاقته وكان منهكًا، لكن وجهه الأبيض كان مبللًا وعيناه متوهجتان في وجهه الأجوف.

قال بنبرة منخفضة وعاطفية سمعتها بوضوح وسط كل اضطرابات العاصفة "لا يجوز عليهم المرور" ثم استيقظت. أنا خائفةٌ يا ريلا، لن يجلب الربيع خيرًا مبشرًا كما كنا نأمل جميعًا، بدلًا من ذلك سيوجه ضربةً صاعقة لفرنسا. أنا متأكدةٌ من ذلك. سيحاول الألمان اقتحام مكان ما".

لم تضحك ريلا على أحلام جيرترود كما يفعل الدكتور، وقالت بكل جدية: "ولكنه قال لك أنه لا يجوز عليهم المرور!! هذا يعني أنهم لن يقتحموا شيئًا..."

"لا أعرف ما تحمله تلك الكلمات، لا أستطيع تحديد ما إن كان الحلم نبوءة أم كابوسًا يائسًا. ريلا! إن الرعب الذي أعيشه جراء هذا الحلم جعل قلبي ينبض، سوف نحتاج لكل شجاعتنا لاحقًا وأن نكون متهيئين لكل شيء".

ضحك الدكتور بلايث مرّةً على مائدة الإفطار، لكنه لم يكرر ذلك على أحلام الأنسة أوليفر مرّةً أخرى... لأن ذلك اليوم جاء بخبر افتتاح هجوم فيردان.

وبعد ذلك، وخلال كل أسابيع الربيع الجميلة، عاشت عائلة إنجلسايد، فردًا وجماعة، في ذعرٍ من رهبة ما يحصل. كانت هناك أيامٌ ينتظرون فيها النهاية الحزينة، بينما كان الألمان يزحفون على الأقدام أقرب وأقرب إلى الحاجز الكالغ لفرنسا اليائسة.

كان جسد سوزان يعمل في مطبخها النظيف في إنجلسايد، ولكن عقلها كان شاردًا في التلال المحيطة بمنطقة فيردان.

ولم تكن لتنتهي ليلتها دون أن تطل حيث تجلس السيدة بلايث،
وتدلي بملاحظاتهما: "أتمنى أن يصمد الفرنسيون في زنزانه كروز وود
يا سيدتي العزيزة".

وقد استيقظت عند الفجر لتساءل عما إذا كانت تلة الرجال
الأموات، والتي سُميت ببعض أسماء الأنبياء، لا تزال مُستحوذةً من
قبل "البويلوس".

كان بإمكان سوزان رسم خريطة للبلد المحيط فيردان الذي كان من
شأنه أن يرضي رئيس الأركان الحربيّة.

قالت الأنسة أوليفر بمرارة: "إذا استحوذ الألمان على فيردان،
فسوف تتحطم روح فرنسا".

قالت سوزان التي لم تستطع تناول عشاءها في ذلك اليوم خوفًا من
أن يفعلوا ذلك الشيء بالذات: "لكنهم لن يستحوذوا عليها. أولاً، فأنت
رأيت حُلماً بأنهم لن يفعلوا، لقد حلمت بالشيء الذي سيقوله
الفرنسيون للأعداء قبل أن يقولوه بالفعل "لا يجوز عليهم أن يمروا."
أقول لك يا عزيزتي الأنسة أوليفر، عندما قرأت تلك العبارة ذاتها في
الصحيفة، وتذكرت حلمك، شعرت بالقشعريرة الشديدة من الرهبة.
بدا لي الأمر مثل الأوقات التوراتية القديمة عندما كان الناس يحلمون
كثيرًا بأشياء تتحقق كهذه".

قالت جيرترود وهي تمشي بقلبي ذهابًا وإيابًا: "أعرف - أعرف!
إنني أتشبث بإيمان راسخ في رؤياي أيضًا، ولكن في كل مرة تأتي فيها
الأخبار السيئة تُحبطني. ثم أقول لنفسي _ مجرد مصادفة_ لا بد أنه
اللاوعي_ وما إلى ذلك " ...

أصرت سوزان: "اللاوعي؟ لا أفهم كيف يمكن للذاكرة أن تستعيد
شيئًا لم يحصل من قبل أصلًا!! إنني لست متعلمةً مثلك أنت والدكتور
بالطبع. ولكنني أفضل ألا أكون، إن كان أمرًا بسيطًا كهذا يصعب

عليكما تصديقه.

على أي حال، لا داعي للقلق بشأن فيردان، فحتى وإن سيطر عليها المغول، يقول جوفري إنها ليست بتلك الأهمية العسكرية".
ردت جيرترود بسرعة: "لقد ولى أوان تلك الحجّة يا سوزان، فقد قلت لنا كثيرًا من قبل حتى فقدت سحرها، لم تعد تلك العبارة المريحة التي كنّا نسمعها وقت الانتكاسات".

في يومٍ ما في منتصف شهر نيسان، تساءل السيد ميريديث: "هل حدث أن عاش العالم حربًا كهذه من قبل؟"

قال الدكتور: "إنه أمرٌ يفوق قدرة تفهمنا له ... فما هي قصاصات حفنة من هوميروس مقارنةً بهذا؟ وحرب طروادة بأكملها يمكن خوضها حول حصن فيردان وحده!! ولن يعطيها مراسلٌ صحفيُّ أكثر من جملةٍ حتى في حقّها.

أنا لا آبه بالعبارات السحرية التي يمكن أن تؤثر علينا ... " ألقى الدكتور وميض جيرترود. "ولكن لدي حدسٌ أن مصير الحرب بأكملها متعلقٌ بمصير فيردان. كما تقول سوزان وجوفري، ليس لها أهميةٌ عسكريةٌ حقيقية، ولكن لها أهميةٌ أكبر بكثير. إذا انتصرت ألمانيا هناك، فستنتصر في الحرب. وإذا خسرت، فستنقلب الحرب برمتها ضدها".

قال السيد ميريديث بشكلٍ قاطع: "الخسارة مصيرها! فيردان لا يمكن غزوها!

ففرنسا أروع ممّا نعرف، إنني أرى فيها الجانب الأبيض للحضارة يتخذ موقفًا حازمًا ضد القوى السوداء للهمجية. أعتقد أن عالمنا كله يدرك ذلك ولهذا السبب نحن جميعًا ننتظر القضية بلهفة.

فالأمر ليس مجرد مسألة تغيير عددٍ قليلٍ من الحصون أو خسارة بضعة أميالٍ من الأرض المملوطة بالدماء وانتصارها، بل أبعد من ذلك بكثير".

قالت جيرترود بهدوء: "أتساءل إذا كانت هناك نعمة عظيمة، عظيمة بما يكفي لتعوضنا، هل ستكون مرهّمًا لكل آلامنا هذه؟ هل يُعقل أن هذا العذاب الذي يرتعش العالم من تحته، سيولد من هذه الآلام حقبةً جديدةً عجيبة؟ أم هو مجرد عبث!! صراع نملٍ في نور مليون مليون شمس؟

نحن نفكر باستخفافٍ يا سيد ميريديث، نستخف بكارثةٍ تدمر قرية النمل هذه ونصف سكانها. أتراها القوة التي تدير الكون، تعتقد بأننا أكثر أهمية مما نعتقد نحن تجاه النمل؟"

قال السيد ميريديث بوميضٍ من عينيه الداكنتين: "لا يجب أن تنسى أن القوة اللانهائية يجب أن تكون بسيطةً جدًا بالإضافة إلى كونها عظيمةً بلا حدود. نحن لسنا كذلك، لذلك هناك أشياء يمكن أن تكون بسيطةً جدًا وعظيمةً جدًا بالنسبة لنا لإدراكها.

إن النملة لا تقل أهميةً عن حيوان ماستودون. إننا نشهد مخاض ولادة حقبةٍ جديدة، لكنها ستولد ضعيفةً وبأكيةً مثل أي ولادةٍ أخرى. أنا لست واحدًا من هؤلاء الذين يتوقعون سماءً جديدةً وأرضًا جديدةً كنتيجةٍ مباشرةٍ بعد هذه الحرب. ليست هذه هي الطريقة التي يعمل بها الرب. لكنه عليّم بما يفعل يا أنسة أوليفر، وفي النهاية ستتحقق مشيئته".

تمتمت سوزان باستحسانٍ في المطبخ: "حلال ... حلال". كانت سوزان تحب أن ترى الأنسة أوليفر جالسةً أمام القس بين الحين والآخر. كانت سوزان مغرمةً جدًا بها، لكنها اعتقدت أن الأنسة أوليفر كانت تحب قول أشياء منشقةً عن الدين للقسيسين بشكلٍ خاص، وتستحق تذكيرًا من حين لآخر بأن هذه الأمور أعظم من أن تتدخل فيها هكذا".

في شهر أيار، بعث والتر رسالةً إلى عائلته مفادها أنه حصل على

وسام السلوك المتميز. لم يقل السبب، لكن الشباب الآخرين حرصوا على أن يعلم جميع سگان جلين الشيء الشجاع الذي فعله والتر. كتب جيرى ميريديث: "في أي حربٍ غير هذه، كانوا يعطوه صليب فيكتوريا. لكنهم لا يستطيعون جعل صليب فيكتوريا شيئًا عاديًا، إذ سيصبح كذلك من كثرة الأفعال الجسورة التي تتم كل يوم هنا". قالت سوزان: "كان يجب أن يحصل على صليب فكتوريا!"

لم تكن متأكدة تمامًا من المسؤول عن عدم حصوله على ذلك، ولكن إن كان الجنرال هيغ، فهناك شكوكٌ جديّة تراودها بشأن كفاءته لكونه القائد العام للقوات المسلحة.

كانت ريلا بجانبها ببهجة. كان عزيزها والتر هو الذي فعل هذا الشيء... والتر، الذي أرسل له شخصٌ ما ريشةً بيضاء في ريدموند، والتر هو الذي اندفع عائدًا من الخندق الآمن ليسحب رفيقًا قد سقط جريحًا في أرض التيه.

آه، كان وجهه الأبيض الجميل وعينيهِ الرائعتين يتجسّدان أمامها وهو يفعل ذلك! يا لها من عظمة أن تكون أخت مثل هذا البطل! ولم يعتقد أن الأمر يستحق الكتابة عنه!!! كانت رسالته مليئةً بكتاباتٍ أخرى، أشياء بسيطة حميمة عرفها الاثنان وأحباها معًا في الأيام القديمة الجميلة منذ قرنٍ مضى.

كتب: "كنت أفكر في أزهار النرجس في حديقة إنجلسايد... وبحلول الوقت الذي تحصلين فيه على الرسالة، ستكون قد انبثقت خارجًا، تنفث روحها هناك تحت تلك السماء الوردية الجميلة. هل ما زالت مشرقةً تذهبُ بشمس إنجلسايد مثل أي وقتٍ مضى يا ريلا؟ يبدو لي أنه يجب صبغها باللون الأحمر... بالدم... مثل نبات الخشخاش الذي هنا.

حيث تتساقط كل همسةٍ من الربيع مثل سقوط البنفسج في وادي

هناك قمرٌ صغيرٌ الليلة، هلالٌ فضيٌّ جميل، معلقٌ فوق حفر العذاب هذه. هل سترينه الليلة فوق بستان القيقب؟

أُرفق بعض أبياتٍ من شعرٍ كتبتَه يا ريلًا. لقد كتبتَه ذات مساءً في خندقٍ محفورٍ على ضوء شمعةٍ صغيرة، أو بالأحرى هذا ما وصلني، لم أشعر كما لو أنني من كتبها، أشعر أن شيئًا ما يستخدمني كوسيلةٍ لأفعل ذلك. لقد شعرت بهذا الشعور مرةً أو مرتين من قبل، نادرًا جدًا، ولكن ليس بقوة شعور هذه المرة.

لهذا السبب أرسلتها إلى مطبعة لندن. وجاءت النسخة اليوم. أتمنى أن تنال إعجابكم. إنها القصيدة الوحيدة التي كتبتها منذ أن غادرت". كانت قصيدةً قصيرة، مرهفة التأثير... خلال شهرٍ واحدٍ حملت اسم والتر في كل ركنٍ من أركان المعمورة. في كل مكانٍ تم نسخها، في الجرائد اليومية الحضرية والصحف الأسبوعية الصغيرة للقريبة، في أعمدة الصحف الخبرية أو "أعمدة الألم"، في نداءات الصليب الأحمر والدعاية الحكومية للتجنيد.

انتحبت عليها الأمهات والأخوات، وأيقظت حماس الفتیان الصغار، واكتسبها قلب الإنسانية العظيم كله كمثالٍ لكل الآلام والآمال والأسف والغرض من الصراع العظيم. كلماتٌ تبلورت في ثلاث أبياتٍ موجزةٍ خالدة، كتبها فتىٌ كنديٌّ في خنادق فلاندرز في شعرٍ واحدٍ عظيمٍ عن الحرب. "عازف الناقوس" بقلم والتر بلايث. كان والتر بلايث كلاسيكيًا منذ أول طباعةٍ له.

نسخته ريلًا في يومياتها، كمقدمةٍ ابتدأت فيها كتابة قصة الأسبوع الشاق الذي مر لتوه.

ثم كتبت: "لقد كان أسبوعًا مروّعًا على الرغم من أنه انتهى، ولكنه خلّف آلامًا مُبرحةً لا يبدو من السهل إزالة كدماتها. ومع ذلك فقد كان

أسبوعًا رائعًا للغاية نوعًا ما، فقد أيقنت بعض اللحظات من أشياء لم أدركها من قبل، عن مدى رقة وشجاعة الناس حتى في خضم المعاناة الرهيبة.

أنا متأكدة من أنني لن أكون جليلاً كالآنسة أوليفر ... منذ أسبوعٍ واحدٍ فقط، تلقت رسالةً من والدة السيد غرانت من مدينة شارلوت، وأخبرتها أن برقيّة وصلت لتوها تقول إن الرائد روبرت غرانت قُتل في إحدى المعارك قبل أيام قليلة.

أو لجيرترود المسكينة! في البداية تدمرت. ثم بعد يومٍ واحدٍ فقط، جمعت نفسها وعادت إلى مدرستها. لم تبك، لم أرها تذرف دمعاً قط، ولكن ... ماذا عن وجهها وعيناها؟!

قالت: "يجب أن أواصل عملي. هذا هو واجبي الآن."

لم يكن بإمكانني أن أرقى إلى مثل هذا النوع من الشموخ والتحمل. لم تتحدث بمرارةٍ إلا مرةً واحدة، عندما قالت سوزان شيئاً عن الربيع مؤخرًا، فقالت جيرترود حينها: "هل يمكن أن يأتي الربيع حقًا هذا العام؟"

"ثم ضحكت ... ضحكةً صفراءً مُخيفة، مثلما قد يضحك المرء في وجه الموت، وقالت: "كم أنا أنانية! لأنني، جيرترود أوليفر، فقدت صديقًا، لا أستطيع تصديق أن الربيع سيحلّ عليّ. ولكن الربيع لا يُخذل حتى بسبب كرب ملايين آخرين ... أما بالنسبة لي ... فالأمر لا يقتصر على الربيع ... آه! هل يمكن ان يستمر العالم بعد الآن؟"

قالت أمي بلطف: "لا تدعي المرارة تتلبس شعورك يا عزيزتي. إنه لأمرٌ طبيعيٌّ جدًا أن تشعر كما لو أن الأمور لا يمكن أن تستمر، كما لو أن ضربةً قويةً قد غيرت العالم بالنسبة لنا. جميعنا نشعر هكذا."

ثم اندفعت ابنة العم صوفيا البغيضة. كانت جالسةً هناك، تحيك وتنقب، تلك العجوز "نذيرة الشؤم" كما اعتاد والتر أن يناديها.

قالت: "لا تُعتبر حالتك سيئةً مثل البعض يا آنسة أوليفر، ولا يجب أن تأخذي الأمر بصعوبة. هناك البعض ممن فقدن أزواجهن، وهذه ضربةٌ قاسية ... وهناك بعضٌ ممن فقدن أولادهم. أنت لم تفقدي زوجًا أو ابنًا ..."

قالت جيرترود بمرارةٍ أكثر: "لا. صحيحٌ أنني لم أفقد زوجًا ... لكنني فقدت الرجل الذي كان من الممكن أن يكون زوجي. وصحيحٌ لم أفقد ابنًا ... ولكن، إن كنت سأحظى بأولادٍ وبناتٍ من نسلي، لن أحظى بعد الآن ... لقد فقدتهم قبل أن يولدوا!"

قالت ابنة العم صوفيا بنبرةٍ صادمة: "ليس من المهدب التحدث بهذه الطريقة." ثم ضحكت جيرترود فجأة، لدرجة أن ابنة العم صوفيا ارتعبت من ردة فعلها. وعندما لم تعد جيرترود المسكينة المقهورة قادرةً على التحمل لفترةٍ أطول، سارعت ابنة العم صوفيا لتخرج من الغرفة، وسألت أمي إذا ما أثار هذا الخبر على عقل الآنسة أوليفر. وقالت: "لقد عانيت من فقدان شريكين طبيين، لكن ذلك لم يؤثر عليّ هكذا".

أعتقد أن الأمر مختلف! لا بد أن هؤلاء الرجال المساكين كانوا يحمدون حتى الموت.

كنت أسمع تحرّكات جيرترود وهي تجوب غرفتها ذهابًا وإيابًا معظم أوقات الليل. كانت تمشي هكذا كل ليلة، لكن وقع خطواتها لم يطل أبدًا تلك الليلة. وبمجرد أن سمعتها تصرخ صرخةً مخيفةً ومفاجئةً كما لو كانت قد طُعت. لم أستطع النوم وأنا أفكر في معاناتها، كنت أعاني مع كل خطوةٍ لها، وما بيدي أي حيلة.

اعتقدت أن الليل لن ينتهي أبدًا. لكنه انتهى، ثم جاء "الخير في الصباح" كما يقول الكتاب المقدس. فقط لم يأت بالضبط في الصباح ولكن بعد الظهر.

رن جرس الهاتف وأجبتُ عليه. كانت السيدة غرانت العجوز تتحدث من مدينة شارلوت، وكانت أخبرها أن الأمر كله كان خطأ، وروبرت لم يُقتل على الإطلاق، بل أُصيب فقط بجروح طفيفة في ذراعه وكان بأمان في المستشفى، بعيدًا عن الأذى لبعض الوقت. لم يعرفوا بعد كيف حدث هذا الخطأ باعتقاده ميتًا، ولكن من المفترض أنه كان هناك روبرت غرانت آخر.

أغلقتُ سماعة الهاتف، واسرعت في طريقي إلى وادي قوس المطر. أنا متأكدةٌ من أنني كنت أطير حينها، لا أتذكر أن قدمي قد لامست الأرض على الإطلاق.

التقيت جيرترود في طريقها إلى المنزل عائدةً من المدرسة، وسط ممرٍ من أشجار التنوب حيث اعتدنا اللعب، وبصقت كل ما في فمي دفعةً واحدة. كان يجب أن أتروى وأتكلم بطريقة تكون أكثر منطقية بالطبع. لكن الحماس كان يغمرني للغاية، كنت أشعر بنشوة الفرح والإثارة لدرجة أنني لم أفكر.

تجمدت ملامح وجهها، وسقطت أرضًا وسط نباتات السراخس المذهبة كما لو أن رصاصةً قد اخترقت جسدها. إن الرعب الذي دب في قلبي حينها، كفيلاً بأن يجعلني أفكر بمنطقية، في هذا الصدد على الأقل، لبقية حياتي.

اعتقدت أنني قتلتها بالفعل، وتذكرت أن أمها قد ماتت بسبب نوبةٍ قلبيةٍ عندما كانت شابةً. بدت تلك اللحظات قبل أن أكتشف بأن قلبها ينبض وكأنها سنوات.

كانت لحظاتي عصيبة! لم أرَ أي شخصي يُغمى عليه من قبل، وكنت أعرف أنه لا يوجد أحدٌ في المنزل للمساعدة، لأن الجميع ذهبوا إلى المحطة لمقابلة دي ونان عائدتين إلى المنزل من ريدموند. لكنني كنت أعرف، من الناحية النظرية، كيف ينبغي معاملة الأشخاص الذين يعانون

من الإغماء، ولكنني بتّ أعرف ذلك عمليًا بعد هذا اليوم.
لحسن الحظ، كان جدول الماء قريبًا منّي، وبعد أن نفذت ما أعرفه
عليها بجنون لفترة من الوقت، عادت جيرترود إلى الحياة. لم تعلق
بكلمة واحدة عما قلته لها، وأنا لم أجرؤ على قوله مرةً أخرى.

لقد ساعدتها في المشي عبر بستان القيقب وصولًا إلى غرفتها، ثم
نظقت والكلمات تكاد تخرج ممزقةً من بين شفيتها: "روب ... على
... قيد الحياة!" واندفعت بنفسها على سريرها، وأخذت تبكي وتبكي
وتبكي...

لم أر أحدًا يبكي هكذا من قبل. فاضت كل الدموع التي لم تذر فيها
طوال ذلك الأسبوع. لقد بكت معظم الليلة الماضية على ما أعتقد،
لكن وجهها بدا هذا الصباح كما لو كانت قد رأت رؤيةً من نوع ما، وكنا
جميعًا سعداء لدرجة أننا كنا خائفين تقريبًا.

جاء دي ونان ليقتضيا أسبوعين في إنجلترا، ثم عادا إلى تدريبات
الصليب الأحمر في كينجسبورت. أنا أحسدهم ... يقول والدي إنني
أقوم بعمل جيد هنا، مع جيمس وصليب أحمر الصغار. بيد أن الأمر
يفتقر إلى الرومانسية التي يجب أن نمتلكها.

سقطت كوت العمارة. شعرنا بالارتياح عندما سقطت بالفعل، إذ
عشنا في مهب فوزها لفترة طويلة.

لقد سحقتنا أرضًا لمدة يوم واحدٍ فيها، ولكننا بعد ذلك حملناها
ورميناها خلف ظهرنا.

كانت ابنة عم صوفيا قاتمةً كالمعتاد، وجاءت وتأوهت من أن
البريطانيين يخسرون في كل مكان.

قالت سوزان ببغضة: "وإن كانوا كذلك، فهم خاسرون جيدون.
عندما يفقدون شيئًا ما، يستمرون في البحث حتى يعثروا عليه مرةً
أخرى!"

على أي حال، رئيسي ووطني بحاجة إليّ الآن لقطع مجموعات البطاطس لأزرعها في الحديقة الخلفية، لذا أحضري سكينًا وساعديني يا صوفيا كراوفورد. سيحول أفكارك المتشائمة تلك، ويمنعك من القلق بشأن حملة لم تتم مطالبتك بإدارتها".

إن سوزان عجوزٌ تجيد وضع الكلام الصحيح في مكانه، والطريقة التي ردت بها لصوفيا المسكينة جديرةٌ بأن يتعلّمها الشخص منها. أما بالنسبة لفيردان، فما زالت المعركة مستمرّةً بها، ونعيش بين أملٍ وخوف. لكنني أعلم أن الحلم الغريب للآنسة أوليفر أنبأ بانتصار فرنسا... "لا يجوز عليهم المرور".

انفعال نورمان دوغلاس في الاجتماع



"بماذا

أنت شاردة؟ يا حبيبي؟" سأل الدكتور، الذي حتى بعد مرور أربعة وعشرين عامًا على زواجهما، يخاطب زوجته من حين لآخر هكذا عندما لا يتواجد معهما أحد.

كانت آن جالسة على درجات الشرفة، وتحقق في حفل زفاف أزهار الربيع القابعة في البستان الأبيض الذي تزيّن بأشجار التنوب الصغيرة وأشجار الكرز البري، التي كانت تتراقص مع طائر أبي الحناء، الذي كان يزقزق بقوة ذلك المساء أسفل النجوم الأولى، وتتلاً فوق بستان القيقب.

عادت آن من خيالها، وأطلقت تنهيدة طويلة، وقالت:

"كنت غارقة في حلمٍ أتمنى حدوثه يا جيلبرت. حلمت بأن جميع أطفالنا قد عادوا إلى المنزل مرةً أخرى، ويلعبون في وادي قوس المطر كما كانوا يفعلون وهم صغار. أتخيل أصوات ضحكاتهم ومشاجراتهم هناك. رغم الصمت السائد، بإمكانني سماع صافرة جيم، وموسيقى اليودل التي يغنيها والتر، وضحك التوأم... ولبضع دقائق، نسيت أمر الحرب على الجبهة الغربية، وأخفقت في أن أشعر بالسعادة كما كنت.

لم يجبها الدكتور، فعمله أيضًا كان ينسيه أحيانًا هذه الحرب الدموية. كان الشيب قد اتخذ منحى كبيرًا من تجاعيد شعره الكثيفة. ومع ذلك، ابتسم لتلك العيون المتلاثلة المليئة بالسعادة التي أحبها، والتي أصبحت الآن مليئة بالدموع والحزن.

كانت سوزان تتجول، وهي تحمل مجرفةً في يدها، وتضع غطاءً على رأسها.

واستفسرت بقلق: "لقد انتهيت للتو من قراءة مقالٍ في مجلة" إنتربرايز" يحكي عن زفاف زوجين على متن طائرةٍ ما. أعتقد أن ذلك يعد قانونيًا أيها الدكتور العزيز؟" قال الدكتور بجدية: "أعتقد ذلك".

قالت سوزان بشك: "حسنًا، يبدو لي بأن حفل الزفاف هذا مهيبٌ جدًا نظرًا لأنه أقيم داخل الطائرة. ولكن ما من شيءٍ كالسابق أبدًا. حسنًا، تبقت نصف ساعةٍ على بدء اجتماع الصلاة، لذلك سأذهب إلى المطبخ، لديّ عملٌ لأسويه في المساء مع الأعشاب الضارة. ولكن طوال الوقت الذي أقوم فيه بتنقيتها، سأفكر في هذا القلق الجديد الذي حلّ علينا بسبب ترينتينو. أنا لا أحب النمساوين الأشرار يا سيدتي العزيزة".

قالت السيدة بلايث بحزن: "ولا أنا. كل فجرٍ وأنا أجمع الرواند بيدي، أنتظر أخبار الحرب بروح هائجة. وعندما تأتي، أذبل بشدة. حسنًا، أفترض أنني يجب أن أذهب وأستعد لاجتماع الصلاة أيضًا". كل قريةٍ لها تاريخها الصغير المتوارث فقط عبر الأجيال، والذي تملؤه الأحداث المأساوية والكوميديّة والدرامية. كل تلك الأحداث يتم إخبارها في حفلات الزفاف، والمهرجانات، وحول المدافئ في فصل الشتاء. وفي هذه القصص الشفوية لجلين سانت ماري، كانت قصة اجتماع صلاة الاتحاد الذي عُقد في تلك الليلة في الكنيسة

الميثودية مثيرةً للاهتمام.

كان اجتماع صلاة الاتحاد فكرة السيد أرنولد. وكانت كتيبة المقاطعة، التي تتدرب طوال فصل الشتاء في مدينة شارلوت، ستغادر قريبًا إلى الخارج. والشباب الذين ينتمون إلى فور ويندز، وجلين، وهاربور، وأوفرهاربور، وجلين الشمالية في المنزل في إجازتهم الأخيرة. وقد اعتقد السيد أرنولد، بأنه سيكون من المناسب إقامة صلاة جماعية على شرف مغادرتهم. وبعد موافقة السيد ميريديث، تم الإعلان عن عقد اجتماع في الكنيسة الميثودية.

لم تكن اجتماعات صلاة جلين تحشد الكثير، ولكن في هذا المساء بالذات كانت الكنيسة الميثودية مزدحمةً للغاية. كل من استطاع الذهاب كان حاضرًا، حتى الأنسة كورنيليا جاءت، وكانت هذه هي المرة الأولى في حياتها التي تطأ فيها قدمها الكنيسة الميثودية. لقد تطلب منها الأمر صراعًا عالميًا لتقوم بذلك.

قالت الأنسة كورنيليا بهدوء، بعد أن عبّر زوجها عن دهشته برحيلها: "كنت أكره الميثوديين، ولكنني توقفت عن ذلك. لا معنى لذلك الآن بعد تحكم القيصر، أو الهيندنبورغ بهذا العالم."

لقد حضرت الأنسة كورنيليا، ونورمان دوغلاس وزوجته أيضًا، والمشعر القمري الذي كان يتبخر في الممر ليجلس على المقعد الأمامي، بعد أن أدرك الاختلاف الذي منحه لهذا المبنى. فقد فوجئ الناس إلى حد ما بوجوده هناك، لأنه عادةً ما يتجنب كل التجمعات المرتبطة بالحرب. ولكن السيد ميريديث قال بأنه يأمل أن تتم الجلسة على أفضل حال، وقد أخذ السيد بريور مطلبه هذا على محمل الجد.

كان يرتدي بدلةً سوداءً أنيقةً، وربطة عنق بيضاء، وكان شعره المجعد الأشيب قد رُتب بعناية ودقة، ووجهه المستدير العريض أحمر. وقد بدا لسوزان بأنه شديد الوسامة، وأن هالة القداسة تشع منه.

قالت بعد ذلك: "في اللحظة التي رأيت فيها ذلك الرجل يدخل الكنيسة، بدا لي بأنه يدبر المكائد يا سيدتي العزيزة. لم أستطع معرفة ما الذي يسعى إليه بالتحديد، ولكنني على يقين من أنه سيعود خالي الوفاض".

بدأ اجتماع الصلاة كما يحدث عادةً، واستمر بهدوء. تحدث السيد ميريديث أولاً ببلاغته، ومشاعره المعتادة. وتبعه السيد أرنولد بأدب، حتى أن الأنسة كورنيليا اعترفت بأنه كان على قدرٍ من الذوق والجلالة، ثم طلب السيد أرنولد من السيد بريور أن يؤم الصلاة.

لطالما أكدت الأنسة كورنيليا على أن السيد أرنولد يتحلى بنباهة كبيرة. ولكنها لم تكن عرضةً للخطأ في جانب الأعمال الخيرية في حكمها على الوزراء الميثوديين، لكنها في هذه الحالة لم تتجاوز الحكم الصحيح كثيرًا. من المؤكد أن القس السيد أرنولد لم يكن لديه الكثير من تلك الخاصية المرغوبة بها، غير المحددة، والمعروفة بالنباهة، أو أنه لم يكن ليطلب من المشعر القمري أن يؤدي الصلاة في اجتماع الصلاة الخاصة بالعساكر. كان يعتقد أنه يعيد الإطراء إلى السيد ميريديث، والذي في ختام خطابه، طلب من الشماس الميثودي أن يتولى الأمر.

توقع بعض الناس أن يرفض السيد بريور بتذمر، وكان من شأن ذلك أن يتسبب بفضيحة ضخمة. ولكنه خالف توقعاتهم بحيويته وحماسه، وقال بجدية: "دعونا نصلي" وصرى على الفور بصوتٍ رنانٍ تغلغل في كل ركنٍ من أركان المبنى المزدهم.

لقد سكب السيد بريور طوفانًا من الكلمات الحساسة، واستمر في صلاته قبل أن يستيقظ جمهوره المذهول والمذعور على حقيقة أنهم كانوا يستمعون إلى نداءٍ سلميّ فقط. كان السيد بريور واثقًا بالقناعة التي يتمتع بها، أو ربما كما قال الناس بعد ذلك، كان يعتقد أنه آمنٌ في

الكنيسة وأنها كانت فرصة ممتازة للتعبير عن آراءٍ معينة لم يجرؤ على التعبير عنها في أي مكانٍ آخر، خوفًا من المضايقات.

لقد صلى من أجل أن تتوقف الحرب الدموية، ولكي تفتح أعين الجيوش المتعطشة للدماء على الجبهة الغربية على إثمهم، فيتوبون بينما لا يزال هناك وقتٌ للتراجع، فيتسنى بذلك إنقاذ الشباب المساكين الموجودين في المعسكر، والذين يتم قتلهم.

لقد وصل السيد بريور إلى هذا الحد دون عوائق، وكان مستمعوه متسمرين مكانهم من الدهشة، متشبعين بعمقٍ بقناعتهم التي نشأت على ألا يصدرُوا إزعاجًا في الكنيسة، بغض النظر عما يدور داخلها، ويبدو أنه من المحتمل أن الأمر سيستمر دون رادعٍ له حتى النهاية.

ولكن رجلًا واحدًا على الأقل من هذا الجمهور لم يعوقه التبجيل الموروث أو المكتسب للصرح المقدس. نورمان دوغلاس الوثنى علنًا، كما تعهدت سوزان في كثيرٍ من الأحيان أنه لم يكن أكثر أو أقل من وثنِيٍّ، عندما ظهرت أهمية ما قاله السيد بريور تمامًا، ثار فجأة، وزار، وقفز على قدميه في مقعده مواجهًا الجمهور صائحًا:

"توقف... توقف... توقف عن تلك الصلاة البغيضة! ياله من دعاءٍ مكروه!"

هاج جميع الحضور، وهتف شابٌ كان يرتدي الزي العسكري في الخلف هتافًا خافتًا. أثار السيد ميريديث يداً مستهترة، كان نورمان في القدم لا يكثرُ لهذه الأشياء، ولكنه الآن أبعد قبضة زوجته المقيدة له، وانقلب مجنونًا على مقدمة المقعد، وأمسك بالمشعر القمري من ياقة معطفه. لم يتوقف السيد بريور بادئ الأمر عندما طلب منه ذلك، ولكنه توقف الآن بحكم الضرورة. كان نورمان بلحيته الحمراء، والذي يشع من عينيه الغضب يهز بريور بعنفٍ شديد، ومع كل هزةٍ كان ينعته بإحدى الصفات...

صاح وهو يهزه: "أيها الوحش الخبيث! أنت لست سوى جيفة عفنة ... أيها الخنزير المقرف! أيها الجرو الكريه ... أنت لست سوى طفيلي خائن ... أنت حثالة من المغول ... أيها المتسلل الخائن ... أنت ... أنت ..."

واختنق نورمان للحظة. اعتقد الجميع أن الشيء التالي الذي سيقوله، إن كان في الكنيسة أو خارجها، سيحتاج تبصيرًا لمعرفة. ولكن في تلك اللحظة واجه نورمان أعين زوجته، ثم أسقطها مرة أخرى على الكتب المقدسة وقال "لقد دمرت القبر!" وخرّ على الأرض، وهز المشعر القمري الحزين للمرة الأخيرة، ودفعه بقوة إلى حافة باب مدخل الجوقة. كان وجه السيد بريور، الذي كان متوردًا، وشاحبًا، ولكنه استدار وذهب بعيدًا، وهو يقول: "سأقاضيك بشأن هذا".

زأر نورمان باندفاع: "افعل ذلك ... نعم افعله".

ولكن السيد بريور كان قد ذهب. فهو لم تكن لديه رغبة بالوقوع مرة ثانية في أيدي عسكريّ منتقم. التفت نورمان إلى المنصة، وابتسم ابتسامة انتصارٍ لا رحمة فيها، وقال: "لا تندهش جدًا يا بارسونز. لا يمكنك فعل ذلك، فلا أحد يتوقع شيئًا من ذلك الحثالة، لذا كان على أحد منا أن يفعل ذلك. أنا أعلم بأنك سعيدٌ لأنني طردته، إذ لا يمكن تركه يصيح ويزرع الفتن والخيانة. فلا أحد منا يستطيع التعامل معها إلا من تغلغت في داخله.

لقد ولدت لهذه الساعة، وأتممت دوري. يمكنني الجلوس بهدوء لمدة ستين عامًا أخرى الآن! هيا امضي قدمًا في اجتماعك أيها القس. أعتقد أن لا أحد سيزعجك في صلاتك بعد الآن".

أكمل القس صلاته، ولكن روح الإخلاص والإجلال كانت قد تلاشت. وأدرك القسيسون بأن الشيء الوحيد الذي يجب فعله هو إنهاء

الاجتماع بهدوء، وترك الأشخاص المتحمسين يذهبون. وجه السيد ميريديث بضع كلماتٍ جادةٍ إلى الأولاد الذين سيلتحقون بالجيش، والتي ربما أنقذت السيد بريور من هجومٍ ثانٍ، ودعواتٍ غير لائقة، على الأقل قد شعر بأنها كذلك، لأنه لم يستطع أن يمحو من ذاكرته مشهد العملاق نورمان دوغلاس وهو يهز الشوارب الصغيرة الكثيفة للمشعر القمري كما قد يهز كلب الدرواس جرّوا متضخماً.

وكان يعلم بأن المشهد نفسه قد علق في أذهان الجميع. إجمالاً، لا يمكن وصف اجتماع صلاة الاتحاد بأنها قد تكللت بنجاح كبير. ولكن قد تم تذكرها في جلين سانت ماري عندما تم نسيان العشرات من التجمعات الأرثوذكسية وغير المضطربة.

قالت سوزان عندما وصلت إلى المنزل: "لن تسمعيني أبداً يا سيدتي العزيزة، أدعو نورمان دوغلاس بالوثني مرةً أخرى. إذا لم تكن إيلين دوغلاس امرأةً فخورةً هذه الليلة، فعلیها ذلك".

قال الدكتور: "نورمان دوغلاس قد أخطأ بفعله ذلك. كان يجب أن يترك بريور يتم صلاته حتى نهاية الاجتماع، ومن ثم يتكفل القس بالأمر. قد يكون ذلك هو الإجراء الصحيح. لقد أخطأ نورمان وجلب فضيحةً لنفسه، ولكن بفضل جورج ... " وأعاد رأسه إلى الخلف وضحك، ثم أكمل: "بفضل جورج، فتاة آن كانت راضية".

مكتبة

t.me/soramnqraa



إنجلسايد

في العشرين من حزيران، عام ١٩١٦

لقد أخذ الانشغال حينًا كبيرًا من حياتنا مؤخرًا، وكان كل يوم يهمل علينا، يجلب معه أخبارًا مثيرة، تارةً سلبية وأخرى إيجابية.

لم أحظ بوقت فراغ هادئ لأتابع كتابة يومياتي هذا الأسبوع، لم أعتد أن أقطع أسبوعًا واحدًا دون خطأ ما يجول في خاطري فيها. أحب أن أكون منظمًا في هذا الأمر، كما أن أبي يقول لي بأن هذه المذكرات الحربية جديرة بأن تقع بين أيدي أطفال أحدهم.

المشكلة هي أنني أحب أن أكتب بعض الأشياء الشخصية في هذا الكتاب القديم المبارك، والتي قد لا تكون بالضبط ما أريد للأولاد أن يقرأونه. أشعر أنني سأكون أكثر تمسكًا باللباقة تبعًا لما يتعلق بهم أكثر مما أنا عليه لنفسي!

كان الأسبوع الأول من شهر حزيران أسبوعًا آخر مروعًا. بدا أن النمساويون على وشك اجتياح إيطاليا، ثم جاءت أول تلك الأخبار المهيبة عن معركة جوتلانند، حيث ادعى الألمان أنها انتصارٌ عظيم. كانت سوزان هي الوحيدة التي تابعت قائلة: "لا تحتاج أبدًا أن تخبرني

أن القيصر قد هزم البحرية البريطانية. إنها كلها كذبة ألمانية وهلمّ جرّاً". وعندما اكتشفنا بعد يومين أنها كانت على حق وأنه كان انتصارًا بريطانيًا بدلًا من هزيمة بريطانية، كان علينا أن نتحمل الكثير من "أخبرتكم بذلك"، لكنها كانت كالعسل على قلوبنا.

كان وفاة كيتشستر الضربة القاضية لسوزان ... كانت المرّة الأولى التي أراها مُحبطَةً وشاردة. أصابتنا الدهشة جميعًا، ولكن سوزان كانت أضعاف أضعافنا، كانت غارقة في اليأس.

جاءت هذه الصاعقة في الليل، بمهاتفة أحدهم وإخبارنا بذلك. لكن سوزان كانت رافضةً تصديق ذلك، حتى قرأت عناوين مجلة إنتربرايز في اليوم التالي.

لم تبتك حينها، ولم يُغمى عليها، ولم تدخل في حالة هستيرية ... لكنها نسيت أن تضع الملح في الحساء! ولا أذكر أن سوزان يمكن أن تفعل شيئًا كهذا قط في حياتها!

جلست أبكي، أنا وأمي والآنسة أوليفر، ولكن سوزان قالت لنا بسخرية جامدة، خالية من أي تعبير: "لم يُترك العالم مهجورًا، فالقيصر وأبنائه الستة على قيد الحياة وبأحسن حالاتهم ... لما البكاء يا سيدتي العزيزة؟"

ظلت سوزان على حالتها اليائسة تلك لمدة أربع وعشرين ساعة، إلى أن جاءت ابنة العم صوفيا لتشاركها عزاءها.

"هذه أخبارٌ مروعة، أليس كذلك يا سوزان؟ فلنستعد أيضًا للأسوأ لأنه لا بد أن يأتي. لقد قلت لي ذات مرّة، وأنا أتذكر تلك الكلمات جيّدًا يا سوزان بيكر، بأنك تثقين تمامًا في الرب والقائد كيتشستر ... حسنًا يا سوزان بيكر، لم يبق لك سوى الرب الآن".

وضعت ابنة العم صوفيا منديلها على عينيها بشكلٍ مثيرٍ للشفقة كما لو كان العالم بالفعل في حالة يرثى لها. أما سوزان، فقد كانت ابنة عمها

صوفيا خلاصها على الأقل. فقد عادت للحياة بعد كلماتها برعشة تسري في كامل جسدها.

وقالت بصرامة: "اصمتي يا صوفيا كراو فوردا! حسناً، لقد فهمنا أنك غبية، ولكن لا يمكنك أن تكوني غبيةً وعديمة الوقار في الوقت ذاته! من غير اللائق أن تبكي وتنتحبي وأنت تنطقين بلسانك أن الرب هو الأمل والمنقذ للحلفاء الآن! فليكن لديك إيمانٌ على الأقل!

أما كيتشينر، فوفاته خسارةٌ كبيرةٌ وأنا لا أعترض عليها. لكن نتيجة هذه الحرب لا تعتمد على حياة رجلٍ واحد، والآن بعد أن يأتي الروس مرةً أخرى، سترين قريباً تغييراً نحو الأفضل."

كانت كلمات سوزان نابعة من قلبها لدرجة انها اقنعت نفسها وعادت لبهجتها المعتادة، أما ابنة العم صوفيا، فاكتفت بهز رأسها.

وقالت: "تريد زوجة ألبرت أن تبعث ولدها بعد بروسيلوف، لكنني أخبرتها أن تنتظر لترى ما سيحدث أولاً. فالروس لديهم عادة التلاشي". "الروس يقومون بعمل رائع، وقد أنقذوا إيطاليا. ولكن حتى عندما تأتي الأخبار اليومية عن تقدمهم الكاسح، لا نشعر برغبة في رفع العلم كما كنا نفعل. ذلك الابتهاج، سنشعره جميعاً إذا سمعنا بانتصاراتنا في الجبهة الغربية".

تنهدت جيرترود وقالت: "متى ستضرب بريطانيا؟ لقد طال انتظارنا ... طال كثيراً".

كان أعظم حدثٍ محليٍّ في الأسابيع الأخيرة هو مسيرة كتيبة المقاطعة عبر المقاطعة كلها قبل مغادرتهم إلى الخارج. انطلقوا من مدينة شارلوت إلى لوبريدج، ثم حول هاربور هيد وعبر جلين الشمالية، وهكذا نزولاً إلى جلين سانت ماري حيث خرج الجميع لرؤيتهم، باستثناء العمدة العجوز فاني كلو، كونها طريحة الفراش، والسيد بريور، الذي لم يُشاهد حتى في الكنيسة منذ ليلة اجتماع صلاة الاتحاد في

كان من الرائع والمحزن أن نرى تلك الكتيبة تسير في طريقها. كان هناك سُبانٌ ورجالٌ في منتصف العمر فيها. كان هناك لوري مكاليستر من أوفر الميناء وهو يبلغ من العمر ستة عشر عامًا فقط، لكنه أقسم أنه كان في الثامنة عشرة من عمره حتى يتمكن من التجنيد.

وكان هناك أنجوس ماكنزي، من جلين الشمالية، يبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا، وأشك في ذلك، حتى أقسم أيضًا أنه في الرابعة والأربعين. كان هناك اثنان من قدامى المحاربين من جنوب إفريقيا من لوبريدج، وإحدى توائم آل باكستر البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا من هاربور هيد.

هلل الجميع أثناء مرورهم، وهتفوا بلوستر بوث، البالغ من العمر أربعين عامًا، وهو يسير جنبًا إلى جنب مع ابنه تشارلي البالغ من العمر عشرين عامًا. توفيت والدة تشارلي عندما وُلد، وعندما جُنِّد تشارلي فوستر، قال أباه إنه لن يترك تشارلي يذهب إلى أي مكان لم يجرؤ على الذهاب إليه بنفسه، ولم يقصد البدء بخنادق فلاندرز.

في المحطة، أخرج كلب الاثنين رأسه ذاهبًا نحو أولئك الرجال ليرسل رسائل إلى جيم من خلالهم جميعًا. وقرأ السيد ميريديث خطابًا قبل رحيلهم، وقامت ريتا كراوفورد بتلاوة "عازف الناقوس". هتف الجنود لها بجنونٍ وصرخوا "سنمضي... سنمضي... لن نفقد إيماننا،" وشعرتُ بالفخر الشديد بأن أخي العزيز هو من كتب مثل هذه الآيات الرائعة والملازمة للقلب.

ثم نظرت إلى صفوف المجندين، وتساءلت عما إن كان هؤلاء الزملاء طوال القامة بالزي الرسمي هم الأولاد الذين ضحكت معهم ولعبت معهم ورقصت معهم وقضيت معهم أوقاتي طوال حياتي. يبدو أن شيئًا ما قد لمسهم وميزهم... لقد سمعوا نداء الناقوس...

كان فريد أرنولد في المكتبية، وشعرت بالرهبة تجاهه، لأنني أدركت أنه بسببي كان يرحل بمثل هذا التعبير الحزين. لم أستطع مساعدته لكنني شعرت بالسوء كما لو أن بإمكانني ذلك.

في الليلة الأخيرة من إجازته، جاء فريد إلى إنجلترا وأخبرني أنه أحبني وسألني إذا كنت سأتعهد بالزواج منه يومًا ما إن عاد سالمًا.

لقد كان يتأكل يأسًا، وشعرت ببؤسٍ شديدٍ لم أشعر به في حياتي. لم أستطع أن أعده بذلك ... فحتى لو لم يكن كين في قلبي، فأنا لا أنظر إلى فريد بهذه الطريقة، ولم أستطع أبدًا أن أفعل! ولكن بدا الأمر قاسيًا للغاية، ظهرت وكأنني بلا قلب، لإرساله بعيدًا إلى المقدمة دون أي أمل يريحه وهو بعيدٌ كل تلك الأميال.

بكيث مثل طفلٍ بعد ذلك، و... آه! أخشى أن هناك شيئًا ما خاطئًا في شخصيتي وتفكيري، ففي خضم هذه الأمور، وبينما أبكي يأسًا عليه ... برزت فكرةٌ في رأسي أنه سيكون شيئًا غير مُحتملٍ أن أقابل ذلك الأنف الذي يملكه على مائدة الإفطار كل صباح طوال حياتي.

حسنًا، هذه إحدى المدخلات التي لا أريد أن يقرأها الأولاد في هذه المذكرات. لكنها الحقيقة المهينة. وربما يكون هذا الفكر قد جاء، أو ربما خدعتني الشفقة والندم لإعطائه بعض الطمأنينة. لو كان أنف فريد جميلًا مثل عينيه وفمه، فربما يحدث شيءٌ من هذا القبيل ... وبعدها، يا له من مأزقٍ لا يمكن تصوره يمكن أن أقع فيه!

عندما اقتنع فريد المسكين بأنني لا أستطيع أن أعده، ظلّ يتصرف بشكلٍ لطيفٍ معي، وهذا ما جعل الأمر أسوأ. فلو كانت ردّة فعله سيئةً حيال ذلك، لما شعرت بالحزن الشديد والذنب، على الرغم من أنني لا أعرف سبب هذا الشعور. ربما لأنني لم أشجع فريد أبدًا على الاعتقاد بأنني أهتم به قليلًا.

ومع ذلك أشعر بالأسف لأنني فعلت ذلك، وما أزال ... إذا لم يعد

فريد أرنولد من الخارج سالمًا، فسوف يطاردني هذا الشعور طوال حياتي.

ثم قال فريد إنه إذا لم يستطع اصطحاب حبي معه إلى الخنادق، فعلى الأقل أراد أن يشعر أنه تربطه صداقتي، وهل يمكن أن أقبّله مرة واحدة فقط قبل الوداع؟ ربما هذه المرّة الأولى والأخيرة!!!

لا أعرف كيف كان بإمكانني أن أتخيل أن شؤون الحب كانت أشياء ممتعة ومثيرة للاهتمام ... إنها مروّعة. لم أستطع حتى إعطاء فريد المسكين الحزين قبلةً صغيرةً واحدة، بسبب وعدي لكين. بدا الأمر وحشيًا للغاية. كان عليّ أن أخبر فريد أنه سيكون صديقي بالطبع، لكنني لا أستطيع تقبيله لأنني وعدت شخصًا آخر أنني لن أفعل.

قال: "هو ... هل هو ... كين فورد؟"

أومأت برأسي. بدا الأمر مخيفًا أن أضطر إلى قول ذلك، لقد كان سرًا صغيرًا مقدسًا بيني وبين كين.

عندما غادر فريد، سعدت إلى غرفتي وبكيت طويلًا وبمرارة لدرجة أن والدتي جاءت وأصرت على معرفة الأمر ... فأخبرتها.

لقد استمعت إلى قصتي بتعبير يوحى بوضوح وكأنها تقول: "من يمكن أن تريد الزواج من هذا الطفل؟ لكنها كانت لطيفةً للغاية ومتفهمّة ومتعاطفة، شعرت براحة لا توصف ... الأمهات هن عطر الحياة.

بدأت دموعي بالهطول حينها: "ولكن يا أمي، لقد أراد مني أن أعطيه قبلة وداع، ولم أستطع فعل ذلك، وهذا أكثر ما يؤلمني".

سألت أمي بهدوء: "حسنًا، لماذا لم تقبليه؟ بالنظر إلى الظروف، أعتقد أنه كان يمكنك فعل ذلك".

"لكنني لم أستطع يا أمي، لقد وعدت كين عندما ذهب بعيدًا أنني لن أقبّل أي شخصٍ آخر حتى يعود".

كانت هذه صاعقةً أخرى للأم المسكينة. صرخت، مع صوتها

الأكثر غرابة: "ريلا!! هل أنت مخطوبةٌ لكينيث فوردي؟"

كنت أشهق: "أنا ... لا ... أعرف".

قلدتني: "أنت ... لا ... تعرفين!"

ثم كان عليّ أن أخبرها القصة بأكملها أيضًا، وفي كل مرةٍ أخبرها، يغدو الأمر أكثر سخافةً في أن أتخيل أن كين كان جادًا في العلاقة، ويعني ما قاله. شعرت بالغباء والخجل بحلول الوقت الذي مررت به. جلست أمي في صمتٍ قليلًا، ثم جاءت وجلست بجانبني وأخذتني بين ذراعيها.

"لا تبكي يا عزيزتي الصغيرة، لا تبكي يا ريلا ريلا، لا يوجد ما تلومي نفسك عليه فيما يتعلق بفريد، وإذا طلب منك ابن ليزلي ويست الاحتفاظ بشفتيك من أجله، أعتقد أنه يمكنك أن تعتبري نفسك مخطوبةً له. لكن ... آه يا طفلي! صغيرتي آخر العنقود ... لقد فقدتكَ ... جعلت الحرب منك امرأةً في وقتٍ مبكر جدًا".

ولكنني لم أكبر أبدًا على أن أجد الراحة في حضن والدتي ... أيا كان، عندما رأيت فريد يسير بعد يومين في الموكب، كان قلبي يؤلمني بشكلٍ لا يطاق.

ولكنني سعيدةٌ لأن أمي عرفت كل شيء، وأنها تعتقد بأنني وكين مخطوبان بالفعل ...

حدس كلب الاثنين الصغير



"الليلة"

، يكون قد مر عامان على اندلاع الرصاص، عندما أحضر لنا جاك إليوت أخبارًا عن الحرب، هل تتذكرين يا آنسة أوليفر؟" أجابت ابنة العم صوفيا عن الآنسة أوليفر. "أوه، في الواقع يا ريلا، أتذكرين ذلك المساء، عندما كنت تتبخرتين بفستانك الخاص بالحفلة؟ ألم أحذرك يومها من عدم معرفتنا للغيب؟"

قالت سوزان بحدة: "لم يخطر ببال أيِّ منا بأن نبوءتك قد تصدق. لم يتطلب الأمر كثيرًا من الجهد يا صوفيا كراوفورد، لتخبري شخصًا بأن حياته ستكون مأساويةً قبل أن يموت ... باستطاعتي أنا أيضًا أن أفعل ذلك".

قالت ريلا بحزن: "اعتقدنا جميعًا أن الحرب ستنتهي في غضون بضعة أشهر. ولكنني عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء أجد أن تفكيرنا بأمر انتهائها لم يكن إلا محض سخرية".

قالت الآنسة أوليفر بحزن: "والآن، بعد عامين، لم نصل إلى تلك النهاية بعد".

قالت سوزان وهي تمسك إبرة الحياكة، وتخيظ:

"حسنًا، يا عزيزتي الأنسة أوليفر، تلك لم تكن بالملاحظة الجيدة البتة. أنت تعلمين بأننا خلال هذين العامين قد اقتربنا من النهاية، بغض النظر عن النتيجة التي سنصل إليها".

"قرأ ألبرت في ورقة بحثية في مونتريال اليوم، بأن خبير الحرب قد صرح بأن الحرب ستستمر لخمس سنوات أخرى." كانت تلك كلمات ابنة العم صوفيا الكثيبة.

صاحت ريليا: "لا يمكن ذلك." ثم أضافت بحسرة: "قبل عامين كنا نقول بأن الحرب لن تستمر لأكثر من عامين. ولكن ماذا يعني خمس سنوات أخرى!"

قالت سوزان: "إن تدخلت رومانيا، وكم أمل ذلك، ستنتهي الحرب في خمسة أشهر عوضًا عن خمس سنوات".

تهنأت ابنة العم صوفيا قائلة: "أنا لا أؤمن بالخبراء".

"أنظري إلى معركة الفيردان عندما تدخل الفرنسيون، وفكري في كل انتصار السوم في ذلك الصيف المبارك. إن الحرب لا زالت قائمة، والروس ما زالوا بأفضل حال. كيف ذلك؟ يقول الجنرال هيغ بأن الضباط الألمان الذين أسرهم يعترفون بأنهم قد خسروا الحرب".

احتجت ابنة العم صوفيا على ذلك قائلة: "لا يمكنك تصديق أي كلمة من التي يقولها الألمان. ليس هناك أي معنى للاعتقاد بشيء لمجرد أنك ترغبين في تصديقه يا سوزان بيكر. لقد فقد البريطانيون ملايين الرجال في معركة السوم، وماذا حصدوا؟ انظري إلى الحقائق يا سوزان بيكر، انظري إلى الحقائق الملموسة".

اعترفت سوزان بتواضع هائل: "إنهم يبيدون الألمان، وطالما ذلك يحدث، لا يهم ما إذا كان يتم على بعد أميال قليلة شرقًا أو بضعة أميال غربًا. أنا لست خبيرة عسكرية يا صوفيا كراوفورد، ولكن يمكنني رؤية ما يجري بوضوح، ويمكنك أيضًا أن تري ذلك إن لم تنظري إلى كل

شيء بشؤم.

إن المغول لا يملكون كل ذكاء العالم. ألم تسمعي قصة نجل أليستير ماكالوم، رودريك، من جلين الشمالية؟ إنه سجينٌ في ألمانيا، وقد تلقت والدته رسالةً منه الأسبوع الماضي. لقد كتب فيها أنه كان يعامل بلطفٍ شديد، وأن جميع السجناء يأكلون الطعام، ويتمتعون بكل ما يحتاجوه، وأن كل شيء جميلٌ هناك. ولكن عندما وقَّع اسمه بين رودريك وماكالوم، كتب كلمتين باللغة الغيلية معناهما "هذا كذب"، ولم يكن الرقيب الألماني يفهم اللغة الغيلية، واعتقد أن ما كتبه كان جزءاً من اسم رودري، لذلك سمح بإرسالها.

لقد خُذع بسهولة. حسناً، والآن سأترك الحرب بين يدي القائد هيج، وسأذهب لصنع الكريمة المخفوقة لكعكة الشوكولا، وعندما انتهي سأضعها على الرف العلوي. لأن آخر مرةٍ صنعتها بها تركتها على الرف السفلي، حتى تسلل كيتششير الصغير، وأكل كل الكريمة. لقد كان لدينا زواژٌ تلك الليلة أحسني معهم الشاي، وعندما ذهبت لإحضار الكعكة صُعقتُ من المشهد".

سألت ابنة العم صوفيا: "ألم يُسمع شيءٌ عن والد ذلك الطفل المسكين؟"

قالت ريلا: "نعم، لقد تلقيت رسالةً منه في شهر تموز. لقد قال بأنه عندما تلقى نبأ وفاة زوجته وأخذي للرضيع، أسرع بكتابة الرسالة على الفور، ولكن نظرًا لأنه لم يتلق أي إجابة أبدًا، اعتقد بأن رسالته قد ضاعت".

قالت سوزان بازدرء: "لقد استغرق الأمر عامين حتى أدرك ذلك. بعض الأشخاص حقًا يفكرون ببطء. لم يُصب جيم أندرسون بأي أذى لأنه طوال العامين ظل جالسًا في الخنادق. إن الحظ دائمًا ما يقف مع المغفلين".

قالت ريلا: "لقد كتب بلطفٍ شديدٍ عن جيمس، وقال بأنه يود رؤيته. لذلك كتبت وأخبرته عن كل تفاصيل الصغير، وأرسلت له بعض اللقطات. سيبلغ جيمس الثانية من عمره الأسبوع المقبل، إنه طفلٌ مشاكس".

قالت ابنة العم صوفيا: "لم تحبي الأطفال من قبل أبدًا".

قالت ريلا بصراحة: "ما زلت كذلك، ولكن ليس بالدرجة التي كنت عليها. ولكنني أحب جيمس، ولم أسعد أبدًا إلا عندما أثبتت لي رسالة جيم أندرسون بأنه آمنٌ وبأفضل حال".

"لم تأملي بأن يقتل الرجل، أليس كذلك؟" صرخت ابنة العم صوفيا بنبوةٍ مرعبة.

"لا ... لا ... لا! كل ما في الأمر أنني تمنيت أن ينسى أمر جيمس يا آنسة كراوفورد".

قالت ابنة العم صوفيا بتأنيب: "ستحمّلين أهلك مسؤولية رعايته. شباب هذه الأيام طائشون للغاية".

كان جيمس يركض في الأرجاء بخطى متعثرة، بوجهه المتورد الذي كان قابلاً للأكل، حتى أن ابنة العم صوفيا قد أعجبت بلطافته.

"إنه طفلٌ يافعٌ ذو صحوةٍ جيدة، ولكنه ذو بشرةٍ شاحبة. على الرغم من أن لونها المتورد، يجعلك تريدين أكلها كما تقول. لم أعتقد بأنك ستقومين بتربيته عندما رأيته للمرة الأولى وأنت تحمليته إلى المنزل. لم أعتقد بأنك ستفعلين ذلك، وعندما وصلت إلى المنزل أخبرت زوجة ألبرت بذلك. وأخبرتني زوجة ألبرت، "لا يغرك مظهر ريلا يا آنسة صوفيا. ريلا بلايث تخفي داخلها قوةً عظيمة". هذا تحديداً ما قالته. إن زوجة ألبرت تتمتع بنظرةٍ عميقة".

تهددت ابنة العم صوفيا، كما لو أنها توحى بأن موقف زوجة ألبرت كان الوحيد هكذا من بين الجميع. لكن ابنة العم صوفيا في الحقيقة لم

تقصد ذلك. كانت مغرمة جدًا بريلا وخاصةً بطريقتها الكثيبة، ولكن كان لا بد من إبقاء الشباب مفعمين بالحيوية، كي لا يصاب المجتمع بالإحباط".

"هل تتذكرين عودتك إلى المنزل من المنارة قبل عامين من هذه الليلة؟" همست جيرترود أوليفر لريلا بنبرة ساخرة. ابتسمت ريلا: "أعتقد بأنني لا زلت أذكر ذلك".

ثم ما لبثت أن تلاشت ابتسامتها. فقد تذكرت شيئًا آخر، لقد تذكرت تلك الساعة التي أمضتها مع كينيث على الرمال. ماذا يفعل كينيث الليلة؟ وجيم، وجيري، ووالتر، وجميع الشبان الآخرين الذين رقصوا، وتهللت أساريرهم في ساحة فور ويندز القديمة ذلك المساء فرحًا وابتهاجًا.

لقد كانت آخر أمسية بهيجة صافية. وها هم الآن في الخنادق القذرة في معركة السوم، أسفل دوي المدافع، وعويل الرجال المنكوبين على موسيقى كمان نيد بور، ووميض القذائف المتلألئة كالنجوم والتي تخترق الصمت وتضيء الخليج الأزرق القديم.

كان اثنان من الشبان ينامان أسفل نباتات الخشخاش في فلاندرز، إليك بور من جلين الشمالية، وكلارك مانلي من لوبريدج. وقد أصيب آخرون ونقلوا إلى المشافي. ولكن حتى الآن لم يصب أي أحد من الإنجليز. لقد بدوا وكأنهم يعيشون حياةً ساحرة. ولكن لم يعد باستطاعة أي أحد أن يتحمل تشويقًا آخر بعد مرور كل هذه الأسابيع والأشهر على الحرب.

تهددت ريلا: "ليس الأمر كما لو كان نوعًا من الحمى التي قد تستتج أنهم يملكون مناعةً ضدها عندما لا يصابون بها لمدة عامين. الخطر كبيرٌ وحقيقيٌّ تمامًا كما كان في اليوم الأول الذي دخلوا فيه إلى الخنادق. أنا أدرك هذا، وأتعذب كل يوم. ومع ذلك، لا يسعني إلا أن

أدعو أن يعودوا بأمان بعد أن وصلوا لهذا الحد.

آه يا آنسة أوليفر، كيف سيكون شعور أن يستيقظ المرء دون أن يكون خائفًا مما يمكن أن يجلبه الصباح؟ أنا لا أقدر على تخيل الأمر أبدًا. وبعد مرور عامين، استيقظت صباحًا وأنا أتساءل عن الهدية المبهجة التي سيقدمها لي اليوم الجديد. لقد اعتقدت بأن هذين العامين سيكونان مليئين بالسعادة".

"هل يمكنك تخيل بأن هذين العامين سيكونان مليئين بالسعادة؟" قالت ريلا ببطء: "لا، لا أستطيع ذلك. إنه لأمرٌ غريبٌ، أليس كذلك؟ لقد مر عامان مرعبان، ومع ذلك لدي شعورٌ غريبٌ بالامتنان لهما كما لو أنهما أهدياني شيئًا ثمينًا، رغم الألم.

أنا لا أريد أن أعود وأكون تلك الفتاة التي كنت عليها قبل عامين، ولو أتاحت لي الفرصة. لا أعتقد أنني أحرزت أي تقدمٍ رائعٍ، ولكنني لم أعد تلك الدمية الصغيرة الأنانية التافهة التي كنت أتقمصها أحيانًا. لقد كنت أتمتع حينها بروحٍ لم أكن أعلم قيمتها أبدًا يا آنسة أوليفر. ولكنني أدركت ذلك الآن، وقد استحق ذلك مني عامين بحالهما.

ولكنني ... وضحكت ريلا بخفية، وأكملت "لا أريد أن أعاني بعد الآن ... ولا حتى من أجل ازدهار روحي. ففي نهاية عامين آخرين، قد أنظر إلى الوراء شاكراً إياهما على التطور الذي جلباه لي، ولكنني لا أريد ذلك الآن".

قالت الآنسة أوليفر: "نحن لا نفعل ذلك أبدًا. هذا هو السبب وراء عدم اختيارنا لأفكارنا ووسائلنا على ما أفترض. بغض النظر عن المرتبة التي حزنناها بفضل الدروس، إلا أننا قد كرهننا مواصلة التعليم المرير. حسنًا، فلنأمل بأن الغد يخيبنا لنا الأفضل، كما تقول سوزان، لأن كل شيءٍ تحت السيطرة، وإذا انضمت رومانيا، قد يتغير القدر ونتفاجأ بالنهاية".

وبالفعل تدخلت رومانيا، ولاحظت سوزان باستحسانٍ بأن ملكها
وملكتها كانا أفضل زوجين قد رأتهما، عن طريق الصور، في حياتها.
لقد انقضى ذلك الصيف، وفي أوائل شهر أيلول، وصلت رسالةً مفادها
أن الكنديين قد توطدوا مع جبهة السوم، وأصبح الأمر مقلقًا أكثر عما
كان عليه. ولأول مرةٍ تشعر السيدة بلايث بأن روحها قد خذلتها قليلًا.
ومع اقتراب الأيام الحاسمة، أصبح الدكتور أكثر جديةً استعدادًا
للآتي، وانتقد هذا الجهد الخاص أو ذاك في عمل الصليب الأحمر.
ناشدته بحرارة: "أوه، دعني أعمل ... دعني أعمل يا جيلبرت.
فالعامل سيغنييني عن التفكير. فعندما أقف مكتوفة الأيدي، لا تنفك
الأفكار القاتمة تلاحقني وتعذبني حتى تغرقني في سوادها، وأتذكر
طفليّ اللذين يواجهان السوم، بينما يبحث شيرلي ليلاً ونهارًا عن خبرٍ
عنهما من الملاحه، ولكن دون أي جدوى. ولكنني رغم ذلك أرى
هدفًا يلعب داخل عينيه. لا، لا أستطيع أن أبقى مرتاحةً أبدًا يا جيلبرت،
لا تطلب مني فعل ذلك".

ولكن الدكتور قال بنبوة قاسية: "لا أستطيع أن أدعك تقتلين نفسك
يا آن. عندما يعود الأولاد، أريد أن ترحب بهم أهمهم. لماذا أصبحت
بتلك الحساسية الآن؟ لن أفعل ما طلبته مني، واسألني سوزان إن كانت
ستدعك تفعلين ذلك أيضًا".

قالت آن بلا حولٍ لها ولا قوة: "أوه، إذا أنت وسوزان تفتان ضدي!"
وذاذ يوم، جاءت أخبارٌ مجيدةٌ تقر بأن الكنديين استولوا على
كورسيليت ومارتينويتش، وأسروا العديد من السجناء والبنادق.
رفعت سوزان العلم، وقالت بأن هيج يعرف تمامًا كيف يحرك جنوده
ليخوضوا مهمةً صعبةً كهذه.

لم يجرؤ الآخرون على الابتهاج والفرح، فلا أحد يعلم ما هو الثمن
الذي تم دفعه!!

استيقظت ريلا في ذلك الصباح عندما بدأ الفجر بالإشراق، وذهبت إلى نافذتها لتنظر إلى الخارج، وجفنيها السميكين الناعمين مثقلين بالنوم. فقط عند الفجر، يصبح العالم جنةً أخرى لا تمت للواقع بصلة. فقد كان الهواء باردًا بقطرات الندى التي تنعشه، والبستان ووادي قوس المطر مليئين بالغموض والفرح. والشفق القابع فوق التلة الشرقية كان موردًا وذهبيًا. وكانت الرياح بكمااء يومذاك، فقد استطاعت ريلا بوضوح أن تسمع نباح كلبٍ حزينٍ قادمًا من المحطة. أذاك عواء كلب الإثنيين؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا كان يعوي بتلك الطريقة؟ ارتجفت أوصال ريلا من ذلك السؤال الذي راودها.

كان الصوت حزينًا يحمل بين طياته ألم سنين. وفجأة، تذكرت ما قالته الأنسة أوليفر ذات مرة، عندما كانتا عائدتين إلى المنزل في الظلام، وسمعتا كلبًا يعوي: "لا يعوي كلبٌ بتلك الطريقة إلا عندما يحضر حاصد الأرواح".

استمعت ريلا بخوفٍ شديدٍ إلى الصوت مجددًا، وقد تملك الخوف قلبها، فقد تأكدت من أنه كلب الإثنيين. لمن كان ينادي بتلك الطريقة؟ لمن كان يرسل تحية الوداع البائسة تلك؟

عادت ريلا إلى الفراش، لم تستطع النوم. وطوال اليوم أخذت تراقب، وتنتظر في خوف، لم تفصح عنه لأحد. فنزلت لترى كلب الإثنيين، فقال لها رئيس المحطة: "كلبك لم يتوقف عن النباح منذ منتصف الليل، لموعد الشروق".

لا أعرف ما الذي أصابه، إن هذا لشيءٌ غريب. استيقظت من شرودها، وصرخت في وجهه لكنه لم يدفع لفت انتباهي. كان جالسًا وحيدًا تحت ضوء القمر هناك عند نهاية المنصة، وبين دقائق وأخرى، يرفع أنفه عاليًا ويعوي بقلبٍ منكسر. لم يسبق له أن فعل ذلك، دائمًا ما كان ينام في بيته بهدوءٍ وحذرٍ بين ذهاب قطارٍ وإياب آخر. ولكن ما كان

يقينًا بأن شيئًا ما كان يراوده ليلة أمس.

كان كلب الاثنين يرقد في بيته، وهو يهز ذيله، ويلعق يد ريلا، دون أن يأكل الطعام الذي أحضرته له.

قالت بقلق "أخشى أن يكون مريضًا".

لقد كرهت أن تذهب بعيدًا وتتركه. ولكن رغم ذلك لم تسمع أي أنباء سيئة في ذلك اليوم، ولا اليوم الذي تلاه. فما كان من خوف ريلا إلا أن تلاشى. لقد توقف كلب الاثنين عن عوائه، واستأنف روتينه اليوم في مراقبة القطار.

وبعد مرور خمسة أيام، بدأ شعب إنجلترا الشعور أن باستطاعتهم أن يكونوا سعداء مرةً أخرى. اندفعت ريلا إلى المطبخ لتساعد سوزان في إعداد طعام الإفطار، وهما تغنيان بانغماسٍ شديد، لدرجة أن ابنة العم صوفيا قد سمعتهما وهي تسير على طول الممر، فذهبت إلى السيدة ألبرت، وقالت:

"غني قبل الأكل، ابكي قبل النوم، هذا ما اعتدت سماعه".

لم تذرف ريلا أي دموع قبل حلول الظلام تلك الليلة. حتى جاء إليها والدها بعد ظهر ذلك اليوم... بوجهٍ شاحبٍ بشدة، وكلماتٍ تُنطق بغصّةٍ مميتة، وأخبرها... أن والتر قُتل في إحدى المعارك في كورسيليت... تلقفتها غياهب الظلام والشفقة، وسقطت كومةً صغيرةً يرثى لها من اللاوعي بين ذراعيه... ولم تصح من ذلك الألم لوقتٍ طويل.

"وهكذا ... تصبحين على خير"



كانت شعلة العذاب التي تلهب قلوبهم قد احترقت، وتحولت
رماذًا مندثرًا غطى العالم بأسره...

تعافى جسد ريلا الصغير بوقتٍ أسرع من والدتها. أسابيع مرّت
على السيدة بلايث، وهي طريحة الفراش من الغمّ والصدمة.
على الرغم من هذه الصاعقة، وجدت ريلا أن الاستمرار ممكنٌ
 طالما الوجود مفروضٌ من حولهم، هناك أمرٌ يجب عليها القيام به في
ظل عجز سوزان عن فعل ذلك. كان يجب عليها ان تلبس ثوب الصبر
والهدوء أمام والدتها في النهار. أما في الليل، فكانت تدخل في فراشها،
وتبكي ... وتبكي ... وتبكي ... حتى تجفّ دموعها.

كانت دموع مرارةٍ وقهر، دموع حزن، دموع كل يأسٍ يشهده العالم،
ظلت تذرّفها حتى لم يعد هناك دموع، ولم يبقى معها سوى وجع
القلب، تلك الغصّة المميّنة التي ستظل في قلبها حتى يحلّ الموت
مكانها.

تشبّث بالآنسة أوليفر، التي شعرت بما تقوله ريلا، وبما لا تقوله
أيضًا، والقليل من يمكنه ذلك. كانت التعازي من الأشخاص الصالحين

والمتصلين قد وضعت ريلا في لحظاتٍ عسيرة.

قالت السيدة ويليام ريس مُعزّية: "سوف يأتي الوقت المناسب الذي تتخطين فيه الأمر".

لدى السيدة ريس ثلاثة شبّانٍ أقوياء، ولم يذهب أحدٌ منهم إلى الجبهة.

قالت الآنسة سارة كلو: "إنها رحمةٌ من الربّ أن أخذ والتر وليس جيم. كان والتر عضوًا في الكنيسة ودائم التردد إليها، ولكن جيم لم يكن. ولطالما أخبرت القس ميريديث أن يتحدث معه بجديّة حول هذا الأمر قبل ذهابه".

أما السيدة ريس، فتنهدت قائلة: "يا لوالتر المسكين! يا لوالتر المسكين!"

عندها ظهرت سوزان من باب المطبخ، وقالت بغضبٍ أراح ريلا لأنها لم تكن تقدر على تحمل سماع المزيد حينها: "بالتأكيد لم تأتي للتعازي وأنت تقولين "والتر المسكين"!! هو ليس مسكينًا، لقد كان أشجع وأقوى وأشرف من في الوجود! أنتم هم المساكين، الذين يختبئون ولا يسمحون لأولادهم بالذهاب هم المساكين، والعراة والديوثين وعديمي القيمة... كل مزارع أولادك المزدهرة وماشيتهم السمينية وأرواحهم لا تساوي برغوثًا صغيرًا هذا وإن كانت في ذروة كبرها".

انسحبت السيدة مُستاءة وقالت: "لقد جئت لأقدم التعازي، وليس لأهان"، ثم غادرت.

انطفأت نار غضب سوزان، وعادت إلى مطبخها، ووضعت رأسها العجوز المؤمن على المنضدة وبكت بمرارةٍ لبعض الوقت.

ثم استقامت وجلبت قطعة ثيابٍ لكي تكويها لجيمس الصغير. حين رأتها ريلا أسرعت إليها واخبرتها أنه لا داعي لتفعل ذلك أبدًا،

فهذا عملها.

قالت سوزان بعناد: "لن أدعك ترهقين نفسك حدّ الموت من أجل أيّ طفلٍ حربيّ".

بدأت دموع ريلا المسكينة بالهطول: "آه! أتمنى لو كان بإمكانني الاستمرار في العمل طوال الوقت يا سوزان. أتمنى ألا أضطر إلى النوم أبدًا. إنه لأمرٌ شنيع أن أخلد إلى النوم وأنسى كل شيءٍ لبعض الوقت، ومن ثم أستيقظ صباحًا وأرى كل هذه المآسي فوقني من جديد. هل يمكن أن يعتاد الناس يومًا على ذلك؟ هل يمكن أن يخوضوا أشياء من هذا القبيل يا سوزان؟

آه! لا يمكنني أن أخرج ما قالته السيدة ريس من رأسي. هل عانى والتر كثيرًا؟ لطالما كان شديد الحساسية للألم. آه يا سوزان، إن علمت بأنه لم يعان، ذلك يمكن أن يخفف عليّ ويمدّني ببعض الشجاعة والقوة!"

مُدّت هذه المعرفة الرحيمة لريلا. إذ وصلت رسالةٌ من قائد والتر، يخبرهم أنه قُتل على الفور برصاصةٍ خلال مهمةٍ في كورسيليت. وفي اليوم ذاته، وصلت رسالةٌ لريلا من والتر نفسه.

حملتها ريلا دون فتحها، وجرت إلى وادي قوس المطر لتقرأها هناك، في المكان حيث دار آخر حديثٍ بينهما قبل رحيله. إنه لأمرٌ غريبٌ أن تقرأ خطابًا بعد وفاة كاتبه، شعورٌ حلّوٌّ ومرٌّ، يختلط فيه الألم والراحة بشكلٍ غريب.

ولأول مرة، منذ أن سقط الخبر الصاعقة عليهم، شعرت ريلا بشيءٍ مختلف عن الأمل والإيمان المرتعش، شعرت أن والتر، هو ملاكٌ من الهبة المجيدة والمثل الرائعة، ولا يزال يعيش بنفس الهداية ونفس المثل العليا. لا يمكن تدمير ذلك، ولا يمكن أن يُخسف.

تلك الشخصية التي عبّرت عن نفسها في رسالتها الأخيرة، المكتوبة

عشية معركة كورسيليت، لا يمكن إخمادها برصاصة ألمانية. لا بد أن تستمر، على الرغم من انكسار الصلة الأرضية بها، ولكن أما من صلة سماوية؟

كتب والتر: "سنتقل إلى القمة غدًا يا ريلا ريلاتي! كتبت إلى والدتي ودي بالأمس، لكنني بطريقة ما أشعر كما لو أنني يجب أن أكتب إليكم الليلة. لم أكن أنوي كتابة أي شيء الليلة، لكنني شعرت أن عليّ أن أفعل ذلك وحسب.

هل تذكرين السيدة توم كراوفورد العجوز من أوفر هاربور؟ التي كانت تقول دائمًا أنها شعرت بأنه "قُدّر عليها" فعل كذا وكذا؟ حسنًا، هذا ما أشعر به بالضبط الآن. لقد "قُدّر عليّ" أن أكتب لك الليلة، لك أنت، أختي ورفيقة أسراري. هناك بعض الأشياء التي أريد أن أقولها من قبل ... حسنًا، قبل الغد على الأقل.

تبدين أنت وكل إنجلسايد قريبون مني بشكلٍ غريبٍ الليلة. إنها المرة الأولى التي أشعر فيها هكذا منذ أن جئتُ إلى هنا. لقد بدا المنزل دائمًا بعيدًا جدًا، بعيدًا بشكلٍ يائسٍ عن هذا التدفق البغيض من القذارة والدم. ولكن الليلة أصبحت قريبة جدًا بالنسبة لي، يبدو الأمر لي وكأنني أستطيع رؤيتك تقريبًا، حتى إنني أسمعك تتحدثين.

ويمكنني أن أرى ضوء القمر ساطعًا باللون الأبيض وهو لا يزال عاكسًا على تلال المنزل القديمة. بدا لي منذ أن جئتُ إلى هنا أنه من المستحيل أن أرى ليالي هادئة بضوء قمري كما في ديارنا، في أي مكانٍ في العالم. ولكن الليلة بطريقة ما، يبدو أن كل الأشياء الجميلة التي أحببتها أصبحت ممكنة مرةً أخرى، وهذا أمرٌ جيد، ويجعلني أشعر بسعادة عميقة ونشوة رائعة.

لا بد أن الخريف قد حلّ في الوطن الآن، والمرفأ حلم، وتلال جلين القديمة زرقاء مع الضباب، ووادي قوس المطر مكان بهجة مع

زهور المذنب البرية التي تهب في كل مكان، التي نسميها "صيف الوداع". لطالما أحببت هذا الاسم أكثر من "المذنب"، لقد كانت قصيدةً بحد ذاتها.

ريلا، أنت أكثر من يعلم بأنني لطالما كان لديّ حدسٌ وشعورٌ داخليٌّ يخبرني بكل شيء. أتذكرين عازف الناقوس؟ لا، بالطبع لن تتذكرني ذلك، فقد كنت صغيرةً جدًا حينها.

دعيني أخبرك، في إحدى الأمسيات منذ فترةٍ طويلةٍ عندما كنت أنا ونان ودي وجيم وآل مريديث معًا في وادي قوس المطر، كانت لديّ رؤيا أو شعورٌ غريب، أيا كان ما تريدين تسميته.

ريلا ... لقد رأيت عازف الناقوس ينزل في الوادي مع مضيفٍ غامضٍ خلفه. اعتقد الآخرون أنني كنت أتظاهر فقط، فهم لم يروا شيئًا قط، ولكنني رأيتَه للحظةٍ واحدةٍ فقط. هذه الرؤيا نفسها ... لقد رأيتها الليلة الماضية مرةً أخرى.

كنت أقوم بالحراسة ورأيتَه يسير عبر المنطقة المحرمة من خنادقنا إلى الخنادق الألمانية، نفس الشكل الغامض الطويل، والناقوس نفسه، وكان يتبعه شبانٌ في الزي العسكري.

أقول لك إنني رأيتَه يا ريلا، لم يكن الأمر خياليًا، ولا وهما. كانت موسيقاه تمرّ عبر أذني، وبعد ذلك ... ذهب. لكنني رأيتَه، وعرفت ما يعنيه، وعلمت أنني كنت من بين الذين تبعوه...

ريلا، إن ذلك العازف سوف يأخذني لدنيا البرزخ غدًا، أشعر بأنني متأكدٌ من ذلك. و ... ريلا، تلاشى خوفي كله، لم أعد خائفًا بعد الآن، وعندما تسمعين الأخبار عني، احرصي على تذكر ذلك. لقد ربحت حريتي هنا يا ريلا، لقد تحررت من خوفي. لن أخاف أبدًا من أي شيءٍ مرةً أخرى، ليس من الموت، ولا من الحياة إن كنت سأستمر في العيش بعد كل شيء.

ولكنني بتّ أو من بأن الحياة ستكون أصعب من مواجهتهما، لأنها لن تكون أبدًا جميلةً بالنسبة لي مرةً أخرى. ستكون هناك دائمًا أشياء مروعةٌ يجب تذكرها، أشياء من شأنها أن تجعل الحياة قبيحةً ومؤلمةً دائمًا بالنسبة لي. لا يمكنني أن أنساها أبدًا. ولكن سواء حصلت على الحياة أو الموت، لست خائفًا يا ريبلا ريبلا، ولا أشعر بالأسف لمجيئي إلى هنا، أنا راضي ... بل بكامل رضاي.

لم أكتب كمّ القصائد التي حلمت بكتابتها ذات مرة، ولكنني ساعدت في جعل كندا آمنةً لشعراء المستقبل، ولعمال المستقبل، و ... آه! الحالmon أيضًا يا ريبلا ... لأنه إن لم يحلم أحد، فلن يكون هناك ما يحققه عمال المستقبل، ليس في كندا فحسب، بل العالم بأسره. هناك حيث يكون "المطر الأحمر" لانجمارك وفيردان قد جلب حصادًا ذهبيًا، ليس في غضون عامٍ أو عامين، كما يعتقد البعض بحماقة، ولكن بعد جيل، عندما يكون للبذرة المزروعة أنّ لتبت وتنمو.

نعم، أنا سعيدٌ لأنني أتيت إلى هنا يا ريبلا. إن مصير الجزيرة الصغيرة المولودة في البحر التي أحبها ليست معتمدةً فقط على القدر، ولا على مصير كندا أو إنجلترا. إنه مصير البشرية ... هذا ما نناضل من أجله ... وسوف نفوز، وإياك أن تثيرك الشكوك في ذلك أبدًا ولا للحظة واحدة يا ريبلا. فليس الأحياء فقط هم الذين يقاتلون، فالأموات يقاتلون أيضًا، أرواحهم تدعمنا في كل خطوة، ومثل هذا الجيش لا يمكن هزيمته.

هل ابتسم وجهك الجميل حتى الآن يا ريبلا ريبلا؟ أم بعد؟ أمل أنه قد فعل. سيحتاج العالم إلى الضحك والشجاعة أكثر من أي وقتٍ مضى في السنوات القادمة. لا أريد أن أقدم المواعظ الآن، فهذا ليس وقتًا مناسبًا لذلك. لكنني أريد فقط أن أقول شيئًا قد يساعدك في التغلب على الأسوأ، عندما تسمعين بأنني قد انتقلت إلى البعث. لديّ حدسٌ بشأنك يا ريبلا، تمامًا كما يحدث معي. أعتقد أن كين سيعود إليك، وأن

منك سنواتٍ طويلاتٍ من السعادة في انتظارك.

ستخبرين أطفالك عن الهدف الذي قاتلنا ومتنا من أجله، علميهم
نه الهدف الحق الذي يجب على المرء أن يُقاتل ويستشهد في سبيله،
ولا سيذهب كل ما خضناه هباءً، والثمن الذي دفعناه الآن، سيغدو
سجائاً في المستقبل. سيكون هذا جزءاً من مهامك الحياتية يا ريلا،
والأمومية أيضاً.

وإن أنتن ... فتيات الوطن ... فعلتن ذلك، فنحن ... الذين لم نعد
لى أوطاننا، سنعرف بأنكن لم ولا ولن تفقدن إيمانكن بنا.
قصدت أن أكتب إلى أونا الليلة أيضاً، ولكن ليس لدي وقت الآن.
قرئتها هذه الرسالة، وأخبرتها أنني أعنيكما بكل كلمةٍ قلتها، أنتما
نتاتاي القريبتان من قلبي، عزيزتان ومخلصتان. غداً، عندما أسمو إلى
لسماء، سأفكر في كليكما، سأفكر في ضحكتك يا ريلا ريلاتي، سأفكر
في عيني أونا الزرقاوين، بطريقةٍ ما أرى تلك العينين بوضوحٍ شديدٍ
ليلية أيضاً، وكأنهما أمامي.

أجل! ستتمسكان بالإيمان أنتِ وأونا ... أنا متأكدٌ من ذلك. وهكذا
.. تصبحين على خير. لديّ موعد قتالٍ عند الفجر!"
قرأت ريلا الرسالة مراتٍ عدّة. كان هناك بريقٌ جديدٌ قد ظهر على
وجهها الشاحب عندما وقفت أخيراً وسط زهور المذنب التي لطالما
حبها والتر مع شروق الشمس من حولها. في الوقت الحالي على
لأقل، كانت تملك شيئاً قد أعتق القليل من حزنها ووحدتها.

قالت بثبات: "سأحافظ على إيماني يا والتر، سأعمل وأعلم وأتعلم
أضحك، نعم، سأضحك طوال سنواتي، بفضلك يا والتر، لأجلك،
لأجل رسالتك التي قدمتها ونداء الرب والوطن الذي لبيته."

قصدت ريلا الاحتفاظ برسالة والتر ككنزٍ مقدس. ولكن ... عندما
أت النظرة على وجه أونا ميريديث عندما قرأتها وأعادتها إليها، طرأت

فكرة ما إلى رأسها. هل تستطيع أن تفعل ذلك؟ أوه، لا، لا تستطيع
التخلي عن رسالة والتر، لا سيما رسالته الأخيرة. بالتأكيد لن يكون
الاحتفاظ بها من الأنانية، فالنسخة ستكون شيئًا بلا روح. لكن أونا...
أونا لا تملك شيئًا... وكانت عيناها عينيَّ امرأة موبوءة القلب ترفضان
النحيب أو طلب التعاطف.

سألت ريبلا ببطء وتردد: "أونا، هل ترغيبين في الحصول على هذه
الرسالة... للاحتفاظ بها؟"

قالت أونا بأسلوب مهذب: "نعم، إذا كان بإمكانك إعطائي ذلك".

قالت ريبلا على عجل: "إذن، يمكنك الاحتفاظ بها".

قالت أونا: "شكرًا لك".

كان ذلك كل ما نبست به شفاهها، ولكن كان هناك شيء في صوتها
يكافئ ريبلا على تضحيتها اللطيفة هذه.

أخذت أونا الرسالة وعندما ذهبت ريبلا ضغطتها بقوة على شفيتها.
عرفت أونا أن الحب لن يدخل حياتها أبدًا بعد الآن، فقد دُفن إلى الأبد
تحت التربة المملطخة بالدماء، في مكان ما في فرنسا.

لا أحد سواها كان يعرف ذلك على الإطلاق، ربما ريبلا فقط. ولم
يكن لديها الحق في أن تُظهر رثاء عينيها للعالم على ما حلَّ بها. ما كان
بيدها حيلة سوى أن تخفي وتحمل آلامها الطويلة بقدر ما تستطيع...
وحدها. ولكن مهما حصل... لن تتخلي عن إيمانها.

قدوم ماري في الوقت المناسب



كان

خريف عام ١٩١٦ خريفًا مريّرًا لإنجلسايد. فقد انهارت صحة السيدة بلايث، وخيمت الكآبة والوحدة على قلوب الجميع. حاول الجميع في هذا الخريف كبت مشاعرهم، والاستمرار باغتصابهم البسمة على وجوههم.

لقد قضت ريلا أيامًا وهي تضحك، ولكن أحدًا لم ينخدع بتلك الضحكات. فهي لم تكن نابعةً من قلبها أبدًا. يقول الغرباء بأن بعض الناس قد استطاعوا التغلب على المشاكل التي أصابتهم، وتخطوها بسهولةٍ شديدة. وقد لاحظت إيرين هوارد مدى لا مبالاة ريلا بلايث حقًا. إذ أخذت تتساءل لما تبتسم ريلا وتضحك كما لو أن أمر موت والتر لم يعزها، بعد أن كانت مرتبطةً به ارتباطًا وثيقًا. فلم يسبق لأحد أن رآها تذرف دمعًا واحدةً عليه، أو سمعها تذكر حروف اسمه. من الواضح أنها قد نسيت تمامًا. "يا للرفيق المسكين، لقد كنت أظن بأن عائلته لن تنساه أبدًا، وستحزن عليه طيلة العمر. لقد تحدثت إليّ ريلا في آخر اجتماعٍ لصليب أحمر الصغار عن مدى شجاعته ووسامته، وسلامته، وأخبرتها بأن الحياة قد فقدت لذتها بعد أن رحل. فقد كنا

صديقين كما تعلمين، فأنا أول من أخبرت بأمر تجنيده. أجابتنى ريلا ببرودٍ واستهتار كما لو كانت تتحدث عن شخصٍ غريبٍ تمامًا "لقد كان واحدًا من أولئك الشبان الرائعين الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الوطن".

حسنًا، أنا أتمنى أن أتعامل مع الأمر بهدوءٍ وروية، ولكن ليس كريلا أبدًا. أنا حساسةٌ جدًا في هذه الأمور، فهي تعذبني بشدةٍ ولا أستطيع التخلص منها أبدًا. لقد سألتها على الفور لِمَ لا ترتدي ثوب العزاء حدادًا على والتر. فأجابتنى بأن والدتها لم ترغب بأن تفعل ذلك. ولكن الأمر على لسان الجميع".

احتجت بيتي ميد قائلة: "ولكن ريلا لا ترتدي الفساتين الملونة، كل ما ترتديه هو اللون الأبيض".

قالت إيرين بسرعة: "إن الأبيض يليق بها، وهو يفي بالغرض. فنحن جميعنا نعلم بأن الأسود لا يناسب بشرتها على الإطلاق. ولكنني بالطبع لا أقول ذلك، لأؤكد بأن ذلك هو سبب عدم ارتدائها له. إن الأمر فقط يستدعي الضحك. لو كان أخي الذي رحل، لكنت غرقت في أعماق الحزن، وكنت لأفني عمر قلبي وأنا أفعل ذلك. لقد خيبت ريلا بلايث ظني بالفعل".

صرخت بيتي ميد معارضةً إياها: "لا، إن ريلا بلايث فتاةٌ رائعة. أنا أعترف بأنني قبل بضع سنواتٍ، كنت أظنها تافهةً ولا جدوى منها، ولكنها الآن لم تعد كذلك. لا أعتقد أن هناك فتاةً في جيلين أكثر شجاعة، وكريمةً كريلا. فلولا تحملها للمسؤولية بصبرٍ لكان صليب أحمر الصغار قد وقعوا على أفواههم عشرات المرات لولا لباقتها ومثابرتها وحماسها، وأنت تعرفين ذلك جيدًا يا إيرين".

قالت إيرين، وقد فتحت عينيها على مصراعيهما: "لماذا تقولين ذلك لي؟ أنا لا أذم ريلا أبدًا. لقد كنت فقط أنتقد قلبها القاسي فحسب.

إن مشاعرها ليست على توافقٍ معها. إنها إداريةٌ بفطرتها، والجميع يعلم ذلك. إنها مغرمةٌ جدًا بالإدارة، وأنا أعترف بأن أشخاصًا كهؤلاء مهمون جدًا في المجتمع. لذا أرجوك يا بيتي، لا تنظري إليّ كما لو أنني قد تفوهت بشيءٍ مروع.

أنا على استعداد تام لأن أعترف بأن ريلا بلايث هي تجسيدٌ لجميع الفضائل، إن كان الأمر يرضيك. ومما لا شك فيه بأن عدم التأثير بالأشياء التي قد تسحق معظم الناس هو بحد ذاته فضيلةٌ عظيمةٌ.

تم إبلاغ ريلا ببعض التصريحات التي أدلت بها إيرين، ولكنها لم تتأثر بها كما فعلت ذات مرة. لقد وجدتها سخيقةً لا أهمية لها بكل بساطة. كانت الحياة بالنسبة لريلا أكبر من أن تضعها على سخافةٍ قاتمةٍ كهذه. كان لديها وعدٌ يجب أن تحافظ عليه، وعملٌ ينبغي عليها إنجازه. وخلال الأيام والأسابيع الصعبة الطويلة لذلك الخريف الكارثي، كانت وفيّةً لمهامها تمامًا. كانت أخبار الحرب سوداوية، حيث أحرزت ألمانيا انتصاراتٍ متتاليةً على رومانيا المسكينة.

تمت سوزان بشكلٍ مريب: "الأجانب... الأجانب... الروس أو الرومان أو أيًا كانوا، يظنون أجانبًا أو ما يمتّ لذلك بصلة. ولكن طالما أن فيردان لا زالت حيّة فلن أفقد الأمل. هل يمكنك أن تخبريني يا سيدتي العزيزة، إذا كانت دوجا نهرًا أو سلسلة جبال، أم طبقةً من طبقات الغلاف الجوي؟"

أقبل شهر تشرين الثاني بالانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة، وكانت سوزان متحمسةً بشدةٍ لذلك، وكم اعتذرت عن أفعالها الحماسية اللاإرادية.

"لم أفكر يومًا بأنني سأعيش لأرى نفسي مهمةً بانتخابات يانكي يا سيدتي العزيزة. لا أحد يعلم ما الذي يخفيه لنا هذا العالم، لذا لا يجب أن نفتخر بأنفسنا أبدًا."

سهرت سوزان لساعة متأخرة من ليلة الحادي عشر حتى تنهي حياكة الجوارب. ولكنها كانت بين فترة وأخرى تتصل بمتجر كارتر فلاج لتتقضى الأخبار، وعندما جاء التقرير الأول بأن هيوز قد تم انتخابه، توجهت إلى الطابق العلوي وتحديداً إلى غرفة السيدة بلايث وأخبرتها ذلك بهمسٍ شديدٍ من أسفل غطاء السرير.

"اعتقدت بأنك إن لم تكوني نائمة، فإنك ستكونين مهتمةً بمعرفة الأخبار الجديدة. أعتقد بأن الأمور قد تأخذ منحى أفضل. ربما سيقع في كتابة الملاحظات أيضًا يا سيدتي العزيزة، ولكنني أمل بأن تزهر الأشياء الجيدة قلبك. أنا متحيزةٌ جدًا للمشعر ذاك، ولكن لا يمكن للمرء أن يمتلك كل شيءٍ بين يديه".

وعندما وردت أنباءً في الصباح تفيد بأنه تم إعادة انتخاب ويلسون، حاولت سوزان التقاط نسيمٍ آخر من التفاؤل.

فقالت بمرح: "حسنًا، وكما يقول المثل، أحمقُ تعرفه أفضل من أحمقٍ لا تعرفه. لا أعني بذلك أنني أعتبر وودرو أحمقًا، رغم أنك في بعض الأحيان لا تعتقدين بأنه يتمتع بالشعور عينه الذي ولد به. ولكنه كاتب رسائل جيد، ولا نعرف ما إن كان رجل المغول كذلك أيضًا. أنا أعترف بأن كل الأشياء التي يجري النظر فيها أثنى على يانكيز قد أظهروا حسًا جيدًا. لقد أرادت ابنة العم صوفيا أن ينتخبوا روزفلت، وكم هي منزعةٌ الآن لأنهم لم يعطوه أدنى فرصةٍ لذلك. وقالت بنبرة احترام: "كنت أتوق إليه بنفسى، لكن يجب أن نؤمن بأن العناية الإلهية قد اعتنت بالأمر، وأن نشعر بالرضا التام على ما حدث. رغم أنني ما زلت لا أفهم ما هدف الرب من قضية رومانيا هذه".

فهمت سوزان ذلك، أو تصنعت الأمر، عندما انهارت وزارة أسكويث، وأصبح لويد جورج رئيسًا للوزراء.

"لقد تولى القيادة أخيرًا لويد جورج يا سيدتي العزيزة. لقد أمضيت

أيامي وأنا أصلي ليتحقق الأمر. أنا متأكدة بأننا سنرى تغييرًا مباركًا قريبًا. لقد تطلب الأمر انهيار رومانيا، الآن قد فهمت غاية الرب. لن يكون هناك المزيد من الاستهجان. أصبحت مدركة بأن الحرب كالفوز، سواء سقطت بوخارست أم لا، وسألتزم بادراكي هذا".

لقد سقطت بوخارست، واقترحت ألمانيا مفاوضات سلام، الأمر الذي دفع سوزان لتتصنع الصمم كي لا تستمع إلى المقترحات. وعندما أرسل الرئيس ويلسون معاهدة السلام في شهر أيلول، اغتازت سوزان بشدة.

قالت سوزان: "الآن سيعم السلام على يد وودرو ويلسون! لقد حاول هنري فورد القيام بذلك أولاً، والآن يأتي ويلسون ليحاول مجددًا. ولكن السلام لا يصنع بالحبر أبدًا يا وودرو، أو ما شابه".

قالت متقدمة الرئيس سيئ الحظ من نافذة المطبخ المطل على الولايات المتحدة. "إن خطاب لويد جورج سيخبر القيصر ما الذي حدث بعينه، لذا يمكنك الاحتفاظ بمقترحات السلام في المنزل إلى جانب الطوابع البريدية".

قالت ريلا بمكر: "إنه لمن المؤسف بأن الرئيس ويلسون لا يستطيع سماعك يا سوزان".

أجابتها: "في الواقع يا عزيزتي ريلا، إنه لأمر مؤسف أن لا أحد بجانبه لينصحه من هؤلاء الديمقراطيين والجمهوريين، كما هو واضح للعيان".

وأكملت: "لا أعرف الفرق بينهما، لأن سياسة اليانكيز ليست سوى لغزًا يصعب حله مهما حاولت. ولكن بحسب ما يحصل، فأنا خائفة... "هزت سوزان رأسها بشكلٍ مريب: "أنهم جميعًا من الطينة ذاتها".

كتبت ريلا في مذكراتها خلال الأسبوع الأخير من شهر كانون الأول العاصف:

"أنا ممتنة لأن عيد الميلاد قد انتهى. لقد كان الفزع يتملكنا، فهو أول عيد ميلادٍ منذ حادثة كورسيليت.

تناولنا العشاء مع أفراد عائلة ميريديث. وكان الجو هادئًا يخلو من البهجة، وكنا جميعًا ودودين، مما ساعد على مروره. أنا ممتنة جدًا لأن جيمس قد تحسن، لدرجة أنني شعرت بالسعادة إلى حد ما. أتساءل عما إن كنت سأشعر بالسعادة حقًا بشأن الأشياء الأخرى.

يبدو كما لو أن السعادة قد قُتلت بداخلي، لقد قتلتها تلك الرصاصة التي أودت بحياة والتر. ربما قد تولد سعادةٌ أخرى داخلي، ولكنها لن تكون كالتي كانت تعيش في روحي أبدًا.

حل الشتاء باكراً هذا العام. فقبل عشرة أيام من عيد الميلاد، حلت عاصفةٌ ثلجيةٌ عاتية، هكذا اعتقدنا يومها. ولكن ما حدث لم يكن سوى تمهيدٌ للآتي. كان اليوم التالي هادئًا، وكان إنجلسايد ووادي قوس المطر جميلين جدًا، حيث تلحفت الأشجار بمعطفها الأبيض، وانتشرت الانجرافات الثلجية في العديد من الأماكن، والتي قد بدت كلوحةٍ فنيةٍ بسبب العاصفة الشمالية الشرقية.

صعد والدي إلى أفونليا، لرؤية العمّة المسكينة ديانا، التي أصيب ابنها جوك بجروح خطيرة قبل ذلك بوقتٍ قصير. وقد اعتقد والدي بأن التغيير قد يشفي قلب أمي. لقد تركاني أنا وسوزان بالمنزل وحدنا، إذ توقع أبي أن يعود صباح اليوم التالي، ولكنه لم يعد إلا بعد أسبوعٍ كامل. وفي تلك الليلة تحديداً، خرجت العاصفة من جحرها، واجتاحت المنطقة لمدة أربعة أيام متواصلة. كانت أسوأ وأطول عاصفةٍ شهدتها جزيرة الأمير إدوارد. كان كل شيءٍ منقلباً رأساً على عقب، فقد ضاقت الطرق، وعلقت القطارات بالثلوج، وانقطعت أسلاك الهواتف تمامًا.

ثم أصيب جيمس بالمرض. كانت نزلة بردٍ بسيطةٍ عندما غادر والدي. واستمرت حالته بالتدهور لبضعة أيام، ولم يخطر ببالي أن

يسوء الوضع أكثر من ذلك. فأنا قد أهملته، ولن أغفر لنفسي أبدًا، إذ لم أقس درجة حرارته. الحقيقة حينها أنني قد استغللت غياب والدتي، وأطلقت العنان لنفسي الحزينة. فقد سئمت من التظاهر بأنني شجاعةٌ وسعيدة. لقد سلمت نفسي لدوامه الحزن، وبقيت داخلها لأيامٍ وأيام. وأمضيها دافنةً نفسي في أحضان السرير أبكي.

لقد أهملت جيمس، وهذه هي الحقيقة البغضاء التي لا مفر منها... لقد كذبت وأخلفت وعد والتر. ولو أن جيمس قد مات يومها لما غفرت لنفسي ما حييت.

وفي الليلة الثالثة من رحيل والدي، ساءت حالة جيمس فجأة، آه لقد ساءت أكثر مما كنت أعتقد دفعةً واحدة.

كنت أنا وسوزان بمفردنا، وكانت الأنسة جيرترود في لوبريدج عندما بدأت العاصفة وجن جنونها فلم تعد أبدًا. في البداية، لم نكن قلقتين كثيرًا، فقد عانى جيمس من قبل عدة نوباتٍ من الخناق. ودائمًا ما كنت أنا وسوزان ومع تعليمات مورغان، نجتاز الأمر دون متاعب، ولكن لم يمض بعض الوقت حتى بدأ الرعب يتسلل لأوردتنا.

قالت سوزان: "لم أر حالة خناقٍ كهذه في حياتي أبدًا".

بالنسبة لي، كنت أعلم متى يفوت الأوان، فأنا أعرف هذا النوع من الخناق. كنت أعرف أنه لم يكن خناقًا عاديًا أو "الخانوق الكاذب" كما يسميه الأطباء، بل كان خناقًا حقيقيًا. وقد علمت بأنه خطيرٌ ومميت. كان والدي يومها بعيدًا عن المنزل، ولم يتواجد طبيبٌ بالقرب من لوبريدج، ولم تتمكن حتى من استخدام الهاتف للاتصال، ولم يتمكن أي حسانٍ ولا رجلٍ من اجتياز الانجرافات في تلك الليلة.

خاض جيمس الصغير معركةً حقيقيةً ليبقى على قيد الحياة. لقد استخدمنا أنا وسوزان كل العلاجات التي خطرت في بالنا، والتي وجدناها في كتاب والدي، ولكن الأمر كان يزداد سوءًا.

كان من المؤلم جدًا أن أسمعه وأراه وهو بتلك الحالة التي تمزق القلب. كان يلهث بشدة طالبًا بعض الهواء من أجل روحه الصغيرة المسكينة، وقد تحول وجهه إلى اللون الأزرق بشكلٍ مخيف. ظل يكافح بيديه الصغيرتين، كما لو كان يناشدنا لمساعدته بطريقةٍ ما.

وجدت نفسي أفكر بأن كان الأولاد الذين تعرضوا للغاز في الجبهة قد بدوا كحاله الآن تمامًا. وظلت الفكرة تطاردني في خضم كل ذلك البؤس والحزن على جيمس. وطيلة الوقت كان حلقه يزداد التهابًا فيمنعه من التنفس أضعافًا مضاعفة.

أوه، كم كان الأمر موحشًا! لم أدرك معزة جيمس على قلبي إلا لحظتها. وكم شعرت بالعجز الشديد!"

قالت سوزان باستسلام: "لا يمكننا إنقاذه! أوه، لو كان والدك هنا ... انظري إليه ... أيها الرفيق الصغير المسكين! لا أعرف كيف عساي أنقذك".

وألقت نظرةً إلى جيمس واعتقدت بأنه يُحتضر. لقد حملته سوزان من سريره لمنحه فرصةً أفضل للتنفس، ولكن لم يجد ذلك نفعًا. طفلي الصغير الحربي، بمشاكساته اللطيفة، ووجهه الماكر الوسيم، كان يختنق حد الموت أمام عيني، وأنا مكتوفة الأيدي أمامه.

فما كان مني إلا أن رميت الكمادات الساخنة التي كنت قد أعددتها وأنا في قمة اليأس، وصرخت ما الفائدة من ذلك؟ فجيمس كان يحتضر، وذلك بسببي، فأنا لم أعتن به كما يجب أبدًا!

عندها فقط، تمام الساعة الحادية عشرة ليلاً، قُرع جرس الباب. لقد قُرع متغلغلًا صدهاء في جميع أنحاء المنزل رغم هدير العاصفة. لم تستطع سوزان الذهاب لفتح الباب، فهي لم تجرؤ على وضع جيمس من يدها.

لذلك، أنا من هرع للطابق السفلي. وعندما وصلت إلى القاعة،

توقفت لمدة دقيقة واحدة فقط، فقد خالجنى شعور الخوف فجأة. لقد فكرت في قصة غريبة روتها لي جيرترود ذات مرة. قصة تقول بأن عمته تركت ذات مرة في منزلها مع زوجها المريض. وعندما سمعت قرع جرس الباب، وذهبت لتفتحه، لم تجد أحدًا، ولا حتى ظلًا أبدًا. كل ما حدث أن الرياح الباردة القاتلة قد اجتاحت السلالم، على الرغم من أن تلك الليلة كانت من إحدى ليالي الصيف الهادئة والدافئة. وسمعت فجأة صوت صرخة على الفور، فركضت إلى الطابق العلوي، وصدمت بزوجها الميت. وكما قالت جيرترود، بأنها كانت على يقين من أنها عندما فتحت الباب سمحت للموت بالدخول.

كان من السخف مني أن أشعر بالخوف الشديد. ولكنني كنت مشتتة الذهن ومرهقة، وشعرت للحظة بأنني لا أجرؤ على فتح الباب لذلك الموت الذي ينتظر خارجًا. ولكنني تذكرت بأن لا وقت لتفاهاتي وحماقاتى أبدًا. فهرعت إلى الباب وفتحته.

بالتأكيد هبت ريحٌ باردة، وملأت القاعة بالثلج. ولكن كان هناك من يقف على عتبة الباب ولم تكن سوى ماري فانس المغطاة بالثلوج. وبقدومها جلبت معها الحياة وليس الموت، رغم أنني لم أعلم ذلك لحظتها. كنت فقط واقفةً أهدق في وجهها.

ابتسمت ماري وهي تدخل، وأغلقت الباب، وقالت: "لم أتمكن من الخروج حتى الآن. لقد أتيت إلى منزل كارتر فلاج منذ يومين، وبقيت مأكثةً هناك بسبب العاصفة. ولكن أبي فلاج العجوز قد أفقدني صوابي، فما كان مني إلا أن قررت الصعود الليلة إلى هنا. فقد اعتقدت بأنني أستطيع الوصول فقط إلى هنا في خضم تلك العاصفة الشائنة. وأستطيع القول بأن الأمر كان أشبه بصفقة ناجحة. بمجرد أن ظننت بأنني أناضل من أجل البقاء. أليست هذه الليلة مأساوية؟"

استفتت من حالتي تلك، وعرفت أن عليّ الإسراع إلى الطابق

العلوي. فشرحت لماري ما أصاب جيمس بأسرع ما يمكنني، وبينما كانت تنفض نتفات الثلج عن ثيابها. وعندما صعدت إلى الطابق العلوي، وجدت جيمس يعاني من نوبة خناق، وبمجرد عودتي تقريبًا إلى الغرفة التي كانت في قبضة شخصٍ آخر، لم أستطع فعل شيءٍ عدى العويل ... أوه، كم أشعر بالخجل عندما أفكر بالأمر ... إذ جربت كل شيءٍ ولم يجد نفعًا. ثم سمعت ماري فانس تقول بصوتٍ عالٍ "لماذا هذا الطفل يحتضر!"

تلفتت حولها لأرى إن كان صحيحٌ ما تقول، إذ لم أكن أعلم بأنه كان يُحتضر. جيمس الصغير! كان بإمكانني إلقاء ماري فانس خارج باب المنزل، أو من نافذة الغرفة في تلك اللحظة. كانت تقف مكانها بهدوءٍ غريبٍ تنظر نحو الطفل هناك بعينيها البيضاوين الغريبتين، كما لو أنها تنظر إلى قطعةٍ تختنق. لطالما كرهت ماري فانس، وما زلت أفعل. قالت سوزان المسكينة "لقد جربنا كل شيءٍ، إنه ليس خناقًا عاديًا". قالت ماري بخفة، وهي تنتزع مئزرها: "لا، إنه خناقٌ حقيقي. لم يعد هناك وقتٌ لنضيعه، أنا أعلم ما يجب فعله. عندما كنت أعيش في هاربور مع السيدة وايلي منذ سنواتٍ مضت، مات الطفل ويل كراوفورد بسبب الخناق، رغم إشراف طبيين على حالته.

وعندما سمعت العمّة كريستينا ماكاليستر بالأمر، كانت هي التي أحضرتني عندما كدت أموت بسبب الالتهاب الرئوي كما تعلمين، كانت تتساءل، لم لم يكن هناك طبيب، وقد أعطتني التعليمات اللازمة وهي تنقذني بعلاج جدتي. وقد أخبرت السيدة وايلي بما يجب فعله، ولم أنس أبدًا ما قالت منذ حينها، فأنا اتمتع بذاكرةٍ قويةٍ تلبني ندائي عندما ألبأ إليها. أليكم كبريت في المنزل يا سوزان؟"

"نعم، لدينا".

نزلت سوزان مع ماري للحصول على بعض الكبريت، بينما أنا

اكتفيت بحمل جيمز. لم أكن يومها أحمل بصيص أملٍ يخبرني بأن كل شيء سيكون بأفضل حال.

قد تتفاخر ماري فانس كما هي عاداتها دائمًا، ولكنني لم أو من أبدًا بأن علاج جدتها قد ينقذ جيمس الآن. وعندما عادت ماري، دخلت وهي تحمل صينية سوزان القديمة المصنوعة من الصفيح، والممتلئة بالفحم المحترق بعد أن كتمت أنفها وفمها بقطعة من القماش القديم، وحملته.

وقالت بتفاخر: "شاهدي ما سأفعل. لم أجرب الأمر أبدًا من قبل، ولكنه إما سيشفى الطفل الذي يحتضر، أو سيسرع من عملية احتضاره". رشت ماري ملعقةً من الكبريت على الفحم، ثم التقت جيمس، وأمالت وجهه للأسفل، وتحديدًا فوق تلك الأبخرة الخائفة التي تعمي الأبصار. لا أعرف لماذا تسمرت مكاني، ولم أتقدم وأختطفه من يدها. لقد أخبرتني سوزان أنه من الأفضل لي ألا أقرب، وأعتقد أنها على حق، لأنني كنت حقًا عاجزةً عن فعل أي شيء. كانت سوزان مذهولةً وهي تراقب ماري من على عتبة الباب، وجيمس يتلوى بين يديها الكبيرتين اللتين تحكمان إمساكه بقوة. ونعم، كانت الأمور تصب في نصابها حقًا. فقد بدأ جيمس يأخذ شهيقًا وزفيرًا، وبدا لي أنه يتعرض لتعذيبٍ شديدٍ نهايته الموت، وشعرت بأن تلك اللحظات القليلة ما هي إلا ساعاتٌ وأعوام.

وفجأة، سعل الغشاء الذي كاد يقتله، فقلبته ماري، ووضعت في سريره. كان وجهه شاحبًا، وعيناه البنيتان تسكبان الدموع، ولكن نظرة اليأس تلك كانت قد اختفت منهما بعد أن عاد يتنفس بسهولة كما كان يفعل.

قالت ماري بمرح: "ألم تكن تلك حيلةً جيدة؟ لم أدرك أبدًا كيفية فعلها، ولكنني انتهزت الفرصة، وأتممت الأمر. سأجعله يستنشق

الدخان مرةً أو مرتين قبل حلول الصباح لقتل كل الجراثيم، ومن ثم سيعود كما كان تمامًا، لا تقلقي".

وبعد ما حدث، ذهب جيمس في نوم عميق، ليس بالغيوبة أبدًا، كما كنت أخشى منذ البداية. وماري جعلته يستنشق الدخان، كما قالت، مرتين ليلاً. ومع انتصاف النهار، كان حلقه قد شفي تمامًا، وكانت درجة حرارته قد عادت لطبيعتها تقريبًا. وعندما تأكدت من ذلك، التفتت ونظرت إلى ماري فانس. لقد كانت جالسةً في الصالة تشرح لسوزان قوانين هامة كان على الأخرى أن تعرفها بحذافيرها. ولكن أمر تفاخرها وسنها للقوانين لم يعد يهمني.

ولأكون صادقةً أستطيع القول إن من حقها أن تتفاخر وتباهى بكل شيء. فهي قد تجرأت وفعلت ما لم أستطع فعله، ألا وهو إنقاذ حياة جيمس.

لم يعد يعينني أمر مطاردتها لي عبر جلين بسمكة القد، ولا أمر تلطixها لحلمي بشحوم الإوز ليلة رقصة المنارة، ولا معرفتها العميقة بكل صغيرة وكبيرة أكثر من أي شخصي آخر، والمجازفة بتطبيقها. سأتوقف عن كرهها من الآن فصاعدًا. وذهبت إليها، وقبلتها.

سألت: "ماذا يحدث الآن؟"

"لا شيء، أنا فقط ممتنة لك يا ماري".

قالت ماري وهي تشعر بالرضى والطمأنينة: "حسنًا، أعتقد أنه يجب عليك أن تكوني كذلك. فالحقيقة تقال. كنتما ستهديان هذا الطفل للموت على طبقٍ من ذهبٍ لو لم أتكفل بالأمر".

لقد حضرت لي أنا وسوزان وجبة إفطارٍ شهية، وأجبرتنا على تناولها. و"أرست الحياة خارجنا" كما كانت تقول سوزان لمدة يومين، حتى تفتتح الطرقات فتمكن من العودة إلى المنزل.

كان جيمس بآتم حالٍ بحلول ذلك الوقت، وقد عاد والدي إلى

المنزل. لقد سمع القصة بأكملها دون أن يعلّق بالكثير. فأبى دائماً ما تضحكه علاجات العجائز. فهو قد ضحك قليلاً، ثم قال "من بعد ما حدث، ستتوقع مني ماري فانس أن أتصل بها لأشاورها في جميع الحالات الخطيرة".

لذا لم يكن عيد الميلاد صعباً كما توقعت. والآن، ها قد أتى عامٌ جديدٌ ما زلنا نأمل فيه أن تنتهي الحرب وينتهي "الدفع الكبير" الذي سينهي الحرب.

لقد أصيب كلب الإثنين الصغير بالتهابٍ في المفاصل جراء جلوسه الطويل ولاسيما طيلة الأيام الباردة. ولكنه مع ذلك، ظل مصراً على ألا يتزحزح من مكانه. أما شيرلي فهو ما يزال يقرأ مآثر الذهاب الساحقة. "آه يا سنة ١٩١٧ ما الذي ستحضرينه معك لنا؟"

25 ذهاب شيرلي



قالت

سوزان، وهي تدخل إبرة الحياكة بشراسة داخل اسم الرئيس ويلسون المكتوب على الصحيفة: "لا يا وودرو، لن يكون هناك سلامٌ دون انتصار. نحن الكنديون لا نقبل التلذذ بالسلام دون أن نحصل على انتصارنا. ولكن إن كان السلام يُسعد دون انتصار، فانعم به حينها".

وذهبت سوزان إلى الفراش مرتاحة البال بعد جدالها مع الرئيس. ولكنها بعد أيامٍ قليلةٍ هرعت إلى السيدة بلايث بحالةٍ من الحماس الشديد، وقالت:

"سيدتي العزيزة، ما رأيك بما حدث؟ لقد وصلت للتورسالة هاتفيةً من مدينة شارلوت مفادها أن وودرو ويلسون خضع أخيرًا وأرسل سفير ألمانيا إلى الجبهة الشرقية.

لقد أخبروني بأن ذلك يعني قيامه الحرب. لذلك بدأت أفكر بأن قلبه قد اتخذ قرارًا صحيحًا بعد كل شيء، بغض النظر عن عقله النائم. واحتفالًا بهذه المناسبة سأحضر بعض السكر لصنع حلوى الفودج، رغم قلة المواد الغذائية لدينا. لقد اعتقدت أن الأعمال التجارية البحرية

ستجلب القليل من المساعدات لدعمنا خلال الأزمة. لقد أخبرت ابنة العم صوفيا بذلك عندما قالت بأن نهاية الحلفاء قد اقتربت".

قالت آن بابتسامة: "لا تدعي الدكتور يسمع بهذا الهراء يا سوزان. أنت تعلمين بأنه قد وضع قواعد صارمةً على غرار التقشف الذي طلبته الحكومة".

"بالطبع يا سيدتي العزيزة، إذ يجب على الرجل أن يكون سيد منزله، وأن تخضع نسائه لقوانينه. أنا أهني نفسي لأنني أصبحت اقتصاديةً أكثر".

لقد اعتادت سوزان على استخدام جملي باللغة الألمانية تتضمن معاني القتل. "ولكن يمكن للمرأة ألا يعير الأمر اهتمامًا بين حين وآخر. كان شيرلي يتمنى أن يحصل على بعض من حلوى الفودج ذلك اليوم، وكما أطلق عليها علامة سوزان التجارية، ولكنني أخبرته عندما نحرز النصر الأول سأصنع بعضًا منه ونحتفل معًا بذلك. أنا أعتبر هذه الحلوى بمثابة نصرٍ لنا، ولن يحزن الدكتور أبدًا إن لم يعلم بالأمر. أنا أتحمّل المسؤولية كاملةً يا سيدتي العزيزة، فلا تزعجي نفسك".

دللت سوزان شيرلي ذلك الشتاء دون خجل. إذ كان يعود إلى المنزل من كوينز نهاية كل أسبوع، ويجد سوزان قد أعدت له جميع أطباقه المفضلة. بقدر ما يمكن أن تنهرب من كلام الدكتور عن الأمر أو تضغط عليه.

على الرغم من أنها كانت تتحدث عن الحرب باستمرارٍ لكل من تراه، إلا أنها لم تذكر الأمر أمام الدكتور أبدًا. كانت تراقبه تمامًا كالمقطعة التي تترصد الفأرة. وعندما بدأ الانسحاب الألماني من بابوم واستمر على هذه الحال، ازداد ابتهاج سوزان وحماسها أكثر من ذي قبلٍ لدرجةٍ لم تستطع التعبير أبدًا عنه. ومما لا شك فيه بأن النهاية التي تلوح في الأفق قادمة، وها هي النهاية على المشارف.

وتفاخرت قائلة: "وأخيرًا، لقد عادت الأمور للسير في صالحنا. لقد جعلنا الألمان يرتعبون. فقد أعلنت الولايات المتحدة الحرب أخيرًا، كما اعتدت التفكير بأنهم سيفعلون، على الرغم من هدية وودرو لكتابة الرسائل، وسترين بأنهم سيخوضونها بحماسي لأن هذا ما اعتدنا منهم، عند بدئهم. وقد نجحنا أيضًا في جعل الألمان ينسحبون".

اشتكت ابنة العم صوفيا بأن الولايات المتحدة تبلي بلاءً حسنًا، ولكنها لا تستطيع أن تحشد جميع الشبان للقتال هذا الربيع. كما أن الحلفاء قد أصبحوا على حافة الانهيار فالألمان يستدرجونهم. يقول ذلك الرجل سيموندس بأن انسحابهم قد أوقع الحلفاء في مشكلة.

ردت سوزان: "لقد قال ذلك الرجل سيموندس أكثر مما يستطيع زرعه من خير. أنا لست قلقة بشأنه طالما أن لويد جورج هو رئيس وزراء إنجلترا الآن. وهو فطنٌ لا يقع في الفخاخ أبدًا أو كل ما يمت لهم بصلة.

أنا أرى بأن الأمور تسير على أتم ما يرام. فها قد انضمت الولايات المتحدة إلى الحرب، وقد سيطرنا على كوت وبغداد. ولن أنفاجأ برؤية الحلفاء في برلين بحلول شهر أيار، والروس أيضًا، لأنهم تخلصوا من القيصر. وأنا أرى ذلك بداية نصرٍ ساطعة.

"سنرى ذلك عندما يحين الوقت." قالت ابنة العم صوفيا، والتي كانت ستغضب للغاية إذا أخبرها أي شخصٍ أنها تفضل أن ترى سوزان في وضعٍ مخجلٍ كرائية، بدلًا من الإطاحة الناجحة بالطغيان، أو حتى مسيرة الحلفاء أسفل أنتردان ليندين.

ولكن بعد ذلك، بدت مشاكل الشعب الروسي غامضةً بالنسبة لابنة العم صوفيا، بينما كانت سوزان المتفائلة دائمة الإزعاج لها.

في تلك اللحظة، كان شيرلي جالسًا على حافة الطاولة في غرفة المعيشة، يؤرجح ساقيه بملل. لقد كان فتىً بشعرٍ أحمر، وبوجنتين

ورديتين، وكان يقول لوالديه: "أمي وأبي، لقد أتممت الثامنة عشرة من عمري، الاثنين الماضي. ألا تعتقدان بأن الوقت حان لانضمامي للجيش؟"

نظرت والدته إليه، وقد شحبت وجهها.
"لقد ذهب اثنان من أبنائي ولم يعد أحدٌ منهما. أجازف بك أنت أيضًا يا شيرلي؟"

"يوسف ليس يوسف، وشمعون ليس كذلك، فتأخذون بنيامين!!!
كيف رددت أمهات الحرب العظمى صدى أنين البطيرك القديم منذ قرونٍ عديدة! لن أتهرب يا أمي، سأنضم إلى فيلق الطيران. ما رأيك يا أبي؟"

كانت يد الدكتور تهتز وهو يقوم بطي المساحيق التي يصنعها عادةً لعلاج التهاب مفاصل أبي فلاج. كان يعلم أن هذه اللحظة قادمة لا محالة، ولكنه لم يكن مستعدًا للأمر بعد. فأجابه ببطء: "لن أحاول أبدًا إبعادك عما تعتقد أنه واجبك يا بني. ولكنك لن تذهب إلا إن سمحت لك والدتك بذلك.

وبعد ما قاله والده، اكتفى بالصمت. لم يكن شيرلي أبدًا فتى كثير الكلام. تمامًا كما فعلت آن، فقد اكتفت بالصمت هي أيضًا. فقد كانت تفكر في قبر جويس الصغيرة في المقبرة القديمة الواقعة فوق المرفأ... جويس الصغيرة التي كانت لتصبح امرأة، لو كانت على قيد الحياة الآن، بالصليب الأبيض في فرنسا مع عينيها الرماديتين اللطيفتين... وماذا عن ذلك الصبي الصغير الذي تعلم دروسه الأولى في الواجب والولاء. ماذا عن جيم في الخنادق الرهيبة، ماذا عن نان ودي وريلا، وهم في ريعان شبابهم ينتظرون... ومنتظرون... ومنتظرون... بينما مرت سنوات الشباب الذهبية هكذا! وتساءلت عما إذا كان بإمكانها تحمل المزيد... فهي لم يعد بمقدورها التفكير أكثر من ذلك، لقد

استنزفت جميع قواها.

ولكنها رغم ذلك، أخبرت شيرلي تلك الليلة بإمكانية ذهابه. لم يخبروا سوزان بالأمر حينها، ولم تعرف إلا بعد بضعة أيام، حين دخل شيرلي إلى المطبخ وهو يرتدي زي الطيران. لم تُحدث سوزان جلبَةً قويةً كما فعلت عندما ذهب جيم ووالتر، واكتفت بالقول: "سيأخذونك أنت أيضًا".

"ياأخذوني؟ لا، أنا ذاهبٌ من تلقاء نفسي".

جلست سوزان بجانب الطاولة، وضمت يديها الصغيرتين اللتين أصبحتا مشوهتين جرّاء العمل من أجل صحة أطفال إنجلسايد، وقالت:

"نعم، عليك الذهاب. لم أكن أفهم لما تتخذ الأمور منحى كهذا، ولكنني الآن أدركت الأمر".

قال شيرلي: "أنت تمتلكين قلبًا شجاعًا يا سوزان".

لقد شعر بالارتياح لأنها تعاملت مع الأمر بهدوء، فقد كان خائفًا بعض الشيء كطفلٍ صغيرٍ قد رأى شبحًا مخيفًا. وزفر أنفاسه، وخرج وهو يصفر فرحًا. ولكن بعد نصف ساعةٍ عندما دخلت آن بلايث الشاحبة، كانت سوزان لا تزال جالسةً مكانها.

قالت سوزان، وتمنت الموت لحظتها على الاعتراف بذلك: "أشعر بأنني أصبحت كالعجائز تمامًا. فجيم ووالتر كانا ملكك، أما شيرلي فكان ملكي أنا. لا أستطيع تحمل فكرة ذهابه، ويركب الطائرة التي قد تقع وتتحطم وتودي بحياة جسده الصغير العزيز الذي لطالما رعيته واحتضنته عندما كان طفلًا صغيرًا".

صرخت آن: "سوزان إياك قول هذا!!!"

قالت سوزان المسكينة، وهي تبتسم ابتسامةً قاتمةً في محاولةٍ يائسةٍ منها لتخفف عن مرارة ذهاب فقيدتها: "أو يا سيدتي العزيزة، أستميحك

عذرًا. لم يكن ينبغي لي أن أقول أي شيء كهذا بصوت عالٍ. أنا أنسى أحيانًا بأنني عقدت العزم على أن أكون بطلًا شجاعًا، لقد أربكني الأمر قليلاً.

ولكنني لن أنسى نفسي مرةً أخرى. فقط إذا لم تسر الأمور بسلاسة في المطبخ لبضعة أيام، آمل أن تخصص لي الأشياء اللازمة على الأقل. ولكن، يبقى الطيران أقل خطورةً من القتال على أرض المعركة. ففي الهواء لن يتسخ، ويصاب كما يحصل في الخنادق. وهذا جيد جدًا، فهو دائمًا ما كان طفلًا مرتبًا".

وبالفعل ذهب شيرلي ولكن ليس بحماسٍ وإشراق، كجيم الذي ذهب ليخوض مغامرةً جديدة، وكوالتر الذي ضحى بنفسه. لقد ذهب باعتبار الأمر واجبًا، تمامًا كالقيام بإحدى الواجبات المتحتمة عليه والتي يمقتها بشدة. لقد قبل سوزان لأول مرة في حياته منذ أن كان في الخامسة من عمره، وقال: وداعًا يا سوزان ... وداعًا أيتها الأم سوزان". قالت سوزان: "بني الصغير الكستنائي ... بني الصغير الكستنائي". وأكملت بمرارة وهي تنظر إلى وجه الدكتور الحزين "أتذكر كيف صفعته ذات مرة عندما كان رضيعًا. أنا ممتنة لأن ضميري لا يؤنبني تجاه شيء سيء فعلته له".

لم يتذكر الدكتور العقوبات القديمة التي كان يفرضها على أبنائه. ولكن قبل أن يرتدي قبعته ليخرج في جولة معالجاته، وقف للحظة في غرفة المعيشة الصامتة والتي دائمًا ما كانت مليئةً بضحكات الأطفال. قال بصوت عالٍ: "آخر أبنائنا ... آخر أبنائنا. إنه فتى جيد، وقوي، وعاقل، وهو دائمًا ما يذكرني بوالدي. أعتقد بأن عليّ أن أكون فخورًا برغبة ذهابه، تمامًا كما فعلت عندما ذهب جيم ووالتر ... ولكن منزلنا سيصبح بذلك مهجورًا وكئيبيًا".

قالت له العجوز ساندي التي تسكن في جلين الشمالية بعد ظهر

ذلك اليوم: "كنت أفكر أيها الدكتور، بأن منزلك سيبدو كبيرًا جدًا اليوم".

لقد صدم الدكتور من عبارة هايلاند ساندي الغريبة، ولكنه سرعان ما علم مقصدها. فقد بدا منزل إنجلسايد كبيرًا جدًا وفارغًا تلك الليلة. كان شيرلي يغيب طيلة فصل الشتاء، ولكنه يعود للزيارة في عطلات نهاية الأسبوع. لقد كان زميلًا هادئًا سواءً في الحرب أو في المنزل. ولأنه الصبي الوحيد المتبقي الذي كان يملأ المنزل، فقد ترك فراغًا موحشًا في ذهابه. فقد اكتأبت الغرف، وأخذت الأشجار تواسي بعضها البعض بمداعباتٍ من براعم أغصانها المزهرة من أجل فقيدتها الأخير الذي كان يلعب تحت أغصانها.

عملت سوزان بجِدٍ طوال اليوم، وحتى منتصف الليل. عندما أوقفت ساعة المطبخ، وأخرجت الدكتور جيكل بعصبية. ووقفت لفترةٍ قصيرةٍ على عتبة الباب، وأخذت تنظر نحو جلين التي كانت مستلقيةً أسفل ضوء القمر الفضي. ولكن سوزان لم ترَ التلال والميناء المعتادة عليها، إذ كان جل تركيزها على معسكر الطيران في كينجسبورت حيث كان شيرلي تلك الليلة.

كانت تفكر في ذلك: "لقد ناداني بالأُم سوزان. حسنًا، لقد رحل جميع رجالنا الآن ... جيم ووالتر وشيرلي وجيري وكارل. لقد ذهبوا جميعًا بمحض إرادتهم، لذلك يجب أن نكون فخورين بهم." وتنهدت سوزان بمرارةٍ وأكملت "ولكن الفخر ليس سوى صحبةٍ باردةٍ لا نكهة له ولا مكاسب منه".

اختفى القمر خلف سحابةٍ سوداءٍ ناحية الغرب، وغرقت جلين في خسوفٍ من الظلام المفاجئ. وعلى بعد آلاف الأميال كان الشبان الكنديون الأحياء منهم والأموات يتقاتلون في معركة فيمي ريدج. كان اسم فيمي ريدج مكتوبًا باللون القرمزي والذهبي في السجلات

الكندية الخاصة بالحرب العظمى. لقد قال سجين ألماني لخاطفيه ذات مرة: "لم يستطع البريطانيون أخذها ولا حتى الفرنسيون، ولكنكم أيها الكنديون حمقى لدرجة أنكم لا تعرفون كيفية اغتنام الفرص أبدًا". لذلك أخذها "الحمقى" ودفعوا الثمن.

وقالت البرقية إن جيرري ميريديث أصيب بجروح خطيرة في فيمي ريدج، وبرصاصة في ظهره.

"مسكينة نان" قالت السيدة بلايث، عندما جاءها الخبر.

وفكرت في طفولتها السعيدة في المرتفعات الخضراء القديمة، الخالية من هذه المأساة أجمعها. كيف انقلب الحال وأصبحت فتيات اليوم يعانين هكذا! عندما عادت نان إلى المنزل من ريدموند بعد أسبوعين، كانت معالم وجهها تظهر مدى المعاناة التي مرّت بها خلال تلك الأسابيع. وقد بدا جون ميريديث أنه قد أصبح ناضجًا بسرعة.

لم تأت فايت إلى المنزل، فقد كانت في طريقها للمحيط الأطلسي لإتمام عملها كطبيبة، لقد حاول دي أن يمنع والدها من الموافقة على ذهابها، ولكنه أخبره بأن ذلك من أجل والدتها. لذا، عاد دي بعد زيارة إلى منزلها، إلى عمله في الصليب الأحمر في كينجسبورت.

كانت ريلا تراقب تفتح أزهار أيار في الزوايا السرية لوادي قوس المطر. لقد أهداها جيم ذات مرة باقة من هذه الأزهار، ولكنه عندما ذهب تكفل والتر بالأمر. وفي الربيع الماضي، قام شيرلي بتلك المهمة. اعتقدت ريلا بأن دورها قد حان لإتمام تلك المهمة. ولكن قبل أن تقدم على أي شيء، جاء بروس ميريديث إلى إنجلسايد تحت هذا الشفق وهو يحمل بين يديه باقة من الأزهار الرقيقة. تخطى عتبات الشرفة، ووضعها في حجر السيدة بلايث.

قال بطريقة مضحكة وخجولة وصريحة: "إن شيرلي ليس هنا ليجلبها لك".

قالت آن، وشفتها ترتعشان، وهي تنظر إلى الفتى الصغير الممتلىء الجسم ذي الحواجب السوداء، والواقف أمامها ويده مغروستين في جيوبه. "لقد فكرت في هذا يا عزيزي".

قال بروس بجديّة: "لقد كتبت رسالةً إلى جيم اليوم، أخبرته فيها بالأمر الذي يقلق حول موضوع عدم حصولك على أزهار أيار. وأخبرته أنني سأبلغ العاشرة قريباً. لذا فلم يعد لدي الكثير من الوقت لأصبح في الثامنة عشرة كي أذهب وأساعد في القتال. وربما أستطيع أن أتركه حينها يعود إلى المنزل لقضاء فترة راحةٍ بينما أخذ أنا مكانه. وقد كتبت واحدةً لجيري أيضاً. إنه يتحسن كما تعلمين".

"هل هو...؟ هل علمت بأي خبرٍ جيدٍ عنه".

"نعم، لقد تلقت اليوم والدته رسالةً منه يخبرها فيها أنه بخير".

تمت السيدة بلايث بصوتٍ هامسٍ: "أوه، الشكر للرب".

نظر إليها بروس بفصول، وقال:

"هذا ما قاله والدي عندما أخبرته أمي بالأمر. ولكن عندما قلت نفس الشيء في اليوم التالي حين اكتشفت بأن كلب السيد ميد لم يؤذ قطي، وأنه قد أربعها فقط كما تعلمين، بدا والدي مخيفاً، وأخبرني بالأمر أتفوه بذلك عن قطعةٍ صغيرةٍ مرةً أخرى، ولكنني لم أفهم لماذا أيتها السيدة بلايث.

لقد شعرت بالامتنان لأن الرب هو من أنقذ ستريب، فكلب ميد كان يتمتع بفكٍ مريع، وآه كيف استطاع أن يرعب ستريب المسكين. فلماذا لا أستطيع أن أشكره؟ أعتقد لأنني قد قلت ذلك بصوتٍ عالٍ من شدة حماسي وسعادتي عندما رأيت أن ستريب على أتم ما يرام. لقد صرخت في معظم حديثي يا سيدة بلايث. ربما لو همست ذلك لأبي لكان كل شيءٍ على ما يرام. هل تعلمين يا سيدة بلايث "وأخفض صوته، واتجه إلى آن وهمس لها "ما الذي سأفعله بالقيصر لو سنحت لي الفرصة؟"

"ما الذي قد تود فعله به يا عزيزي؟"

قال بروس بجديّة: "لقد قال نورمان ريس اليوم في المدرسة بأنه يود ربط القيصر بشجرة، ووضع كلاب متقاطعة أمامها لإثارة فزعه. وإميلي فلاج قالت بأنها ترغب في أن تضعه في قفصٍ وتقطعه بأسلحةٍ حادة. وجميع الطلاب قالوا أشياء من هذا القبيل.

ولكن يا سيدة بلايث ... " قال وأخرج مخلبًا صغيرًا من جيبه، ووضعته على ركبة آن، وأكمل "أود أن أحول القيصر إلى رجلٍ صالح ... رجلٍ طيب القلب بضربةٍ واحدةٍ إن استطعت، هذا ما كنت سأفعله.

ألا تعتقدين يا سيدة بلايث، أن هذا سيكون أسوأ عقابٍ له؟" قالت سوزان: "فليباركك الرب، وما الذي يؤكد لك أن ذلك سيكون عقابًا قويًا لذلك الشرير؟"

قال بروس وهو ينظر بتمعنٍ إلى سوزان بعينه الزرقاوين: "ألا ترين، إن تحول إلى رجلٍ صالحٍ فسيفهم مدى ظلمة الأشياء التي قام بها، وستؤنبه نفسه، وسيكون أكثر تعاسةً وبؤسًا مما كان عليه. وسيشعر بالفزع، وسيستمر هذا الشعور في قتله."

قبض بروس على يده، وأومأ برأسه لمراتٍ متتاليةٍ "نعم ... سأجعل القيصر رجلًا صالحًا ... هذا ما سأسعى لفعله ... وهذا أكثر ما سيخدم طريق الحق."

عرض زواج لسوزان



كانت

طائرةٌ تحلق فوق جلين سانت ماري، مثل طائرٍ عظيم يقف في مواجهة السماء الغربية، سماءً صافيةً للغاية وذات لونٍ أصفر شاحب، بحيث أعطت انطباعًا عن فضاء الحرية الواسع المنعش بالرياح. نظرت المجموعة الصغيرة الجالسة في حديقة إنجلسايد إلى الأعلى بعيونٍ مفتونة، على الرغم من أنه لم يكن بأي حالٍ من الأحوال شيئًا غير عادي رؤية طائرةٍ تحلق من حينٍ لآخر في ذلك الصيف. كانت سوزان دائمًا متحمسةً للغاية، فمن كان يعلم!! ربما يكون شيرلي أعلى هناك بين السحب، يحلق فوق الجزيرة من كينجسبورت؟ لكن شيرلي سافر إلى الخارج الآن، لذا لم تكن سوزان مهتمةً بشدةٍ بهذه الطائرة بالذات ولا من يركبها، ومع ذلك، نظرت إليها برهبة.

قالت بجديّة: "أتساءل يا سيدتي العزيزة، ما الذي سيفكر فيه كبار السن هناك في المقبرة إذا تمكنوا من الخروج من قبورهم للحظةٍ واحدةٍ ورؤية هذا المنظر. أنا متأكدةٌ من أن والدي لن يعجبه الأمر، لأنه كان رجلًا لا يؤمن بأفكارٍ جديدةٍ من أي نوع. كان يقطع الأعشاب بخطاف حصاد حتى يوم وفاته، لم يكن حتى يملك جزازة. ما كان جيدًا

بما يكفي له، هكذا كان يقول.

أمل ألا يكون من حماقة القول إنني أعتقد أنه كان مخطئًا في وجهة النظر هذه، لكنني لست متأكدة من أنني أدعم فكرة وجود الطائرات هذه، على الرغم من أنها قد تكون ضرورةً عسكرية، ولكن لو قصد الرب أن نظير لكان أمدنا بأجنحة. وبما أنه لم يفعل، فمن الواضح أنه قصدنا أن نتمسك بالأرض الصلبة. على أية حال، بالنسبة لي، وطالما أنا على قيد الحياة، لن تريني أبدًا أحلق في السماء على متن طائرةٍ يا سيدتي العزيزة".

قالت ريبلا بنهفةٍ مازحة: "ولكنك لن تمنعني ركوب سيارة أبي الجديدة إن حدث وجلب واحدة، أليس كذلك يا سوزان؟" ردت سوزان: "لا أتوقع أن أثق في عظامي العجوزة في السيارات أيضًا، ولكنني لا أنظر إليها كما يفعل بعض الأشخاص منغلقي التفكير. فالمشعر القمري مثلًا، يقول إنه يجب على الحكومة أن تمنع أي أحد من قيادة السيارات هنا، وأنه يجب أن تُزاح من منصبها إن حدث ذلك.

لقد قيل لي أنه يومًا ما، عندما رأى شخصًا قادمًا على طول ذلك الطريق الجانبي الضيق بجوار حقل القمح الخاص به وهو يقود سيارته، وقف المشعر القمري عند السياج في منتصف الطريق مباشرةً، مع مذراةٍ في يده.

كان رجل العربية عميلًا من نوع ما، ويكره المشعر العملاء بقدر ما يكره السيارات. وقد جعله يوقف السيارة، لأنه لم يكن هناك مجالٌ لتمريرها من أي جانب، ولم يتمكن الوكيل من دهسه فعليًا.

ثم رفع مذراته وصرخ، "اخرج من هذه آلة الشيطان الخاصة بك أو سأقوم بتشغيل هذه المذراة على رأسك." "وصدّقي يا سيدتي العزيزة، كان على ذلك العميل المسكين أن يعيد سيارته لتنظيف طريق لوبريدج

على بعد ميلٍ تقريبًا، والمشعر يتبعه في كل خطوة، ويهز مذراته تهديدًا وهو يطلق الإهانات والشتائم.

حسنًا يا سيدتي العزيزة، إنني بالطبع لا أدمع هذا السلوك الهمجي غير المقبول، ولكن ... "أضافت سوزان بحسرة: "لا يمكن إنكار أن مع وجود هذه الطائرات والسيارات، لم تعد هذه الجزيرة كما كانت عليه من قبل."

حلقت الطائرة وغطست ودارت، ثم حلقت مرةً أخرى، حتى أصبحت مجرد بقعةٍ بعيدةٍ فوق تلال غروب الشمس.

اقتبست آن بليث حالمة "مع جلاله الترس الذي تحمله نسورٌ طيبة الإبحار بسيادةٍ مطلقةٍ عبر حقول الهواء اللازوردية".

قالت الآنسة أوليفر: "أتساءل ما إن كانت هذه الطائرات ستضفي أي سعادةٍ للبشرية، يهيأ لي أن البشر لهم معايير محددة من السعادة، مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة، ولا يمكن للاختراعات الجديدة أن تصنع تغييرًا في زيادتها أو نقصانها".

قال السيد ميريديث محدقًا في البقعة المتلاشية التي ترمز إلى الانتصار الأخير للإنسان في صراع العالم القديم: "في النهاية، عندما تكونين في مملكة الجنان، فالسعادة لا تعتمد على الانجازات المادية والانتصارات".

قال الدكتور: "ومع ذلك، الطائرة شيءٌ رائع. لطالما كانت أحد الأحلام المفضلة للبشرية ... حلم الطيران. حلمٌ بعد حلمٍ يتحقق، أو بالأحرى يتم من خلال الجهود المثابرة ... بصراحة، أود أن أجرب رحلة طيران بنفسي".

قالت ريبلا: "كتب لي شيرلي أنه أصيب بخيبة أملٍ شديدةٍ في رحلته الأولى. فقد توقع أن يشعر بالإحساس بالارتفاع من الأرض مثل طائر، وبدلًا من ذلك كان لديه شعورٌ بأنه لا يتحرك على الإطلاق، فقط

الأرض كانت تنحدر من تحته.

وفي المرة الأولى التي ذهب فيها عندما كان وحيدًا شعر فجأةً بالحنين الشديد إلى الوطن، شعورًا لم يعهده من قبل. ولكنه الآن، كما قال، يشعر كما لو كان يهرب في الفضاء، وكانت لديه رغبةً جامحةً في العودة إلى الوطن، إلى الكوكب القديم وصديقٍ من رفاقه من المخلوقات. بيد أنه سرعان ما تغلب على هذا الشعور، ولكنه يقول إن رحلته الأولى بمفرده كانت كابوسًا له بسبب هذا الإحساس المروع بالوحدة المريرة".

اختفت الطائرة ... ألقى الدكتور رأسه بحسرة وقال: "عندما شاهدت هذا الطائر الضخم من صنع الإنسان، يذهب بعيدًا عن الأنظار، عدت الآن إلى الأرض بشعورٍ غريبٍ بأنني مجرد حشرة زاحفةٍ يا آن. ثم تابع مستديرًا إلى زوجته: "هل تتذكرين المرة الأولى التي أخذتك فيها في جولةٍ بعربةٍ تجرها الدواب في أفونليا؟ في تلك الليلة ذهبنا إلى حفل كارمودي، كان أول خريف تدرسينه في أفونليا.

وكان لدي فرسٌ صغيرةٌ سوداء مع نجمة بيضاء على جبهتها، وعربةٌ لامعةٌ جديدةٌ تمامًا - وكنت الشخص الأكثر فخرًا في العالم. أعتقد أنه من الآن وحتى يأتي زمن أحفادنا، سيأخذ حفيدي حبيبته بعيدًا لقضاء أمسيةٍ على متن طائرته".

قالت آن: "لن تكون الطائرة بجمالها نقطةً في بحر سيلفر سبوت! فالآلة هي مجرد آلة، ولكن سيلفر سبوت ... آه! لما كنا وما زلنا نشعر بأنها شخصيةٌ بيننا يا جيلبرت؟ وليس مجرد عربة!! كان هناك شيءٌ ما فيها لا يمكن أن تحتويه حتى رحلةً بين غيوم الغروب.

لا ... أنا لا أحسد حبيبة حفيدي على الإطلاق. إن السيد ميريديث على حق، فمملكة الجنان خاصتنا، والحب والسعادة لا يعتمدان على العوامل الخارجية المستحدثة، ولا بقدر ذرة".

قال الدكتور بجدية: "إلى جانب ذلك، سيتعين على حفيدنا أن يولي معظم اهتمامه للطائرة، فلن يكون قادرًا على ترك مقابضها على ظهرها بينما يحرق في عيني سيده. فأنا أشك أنه يمكن تشغيل الطائرة بذراع واحدة. لا لا! ... " هز الدكتور رأسه: " أعتقد أنني ما زلت أفضل سيلفرسبوت على كل شيء " .

انكسرت الحدود الروسية مرةً أخرى في ذلك الصيف، وقالت سوزان بمرارة إنها كانت تتوقع ذلك منذ أن ذهب كيرينسكي وتزوج. وقالت: "بغض النظر عن أنني أستنكر حالات الزواج المقدسة يا سيدتي العزيزة، ولكن عندما يكون الرجل قائدًا لثورة، يجب عليه أن يؤجل زواجه إلى موسم أكثر ملائمة.

سيتتهي أمر الروسيين الآن بسبب ذلك، ولا يمكننا انكار هذه الحقيقة، ولكن هل رأيت رد وودرو ويلسون على مقترحات البابا للسلام؟ كان عظيمًا. لم يكن بإمكانني التعبير عن الأمر بشكل أفضل بنفسني، أشعر أنني أستطيع أن أغفر كل شيء لويلسون، إنه يجيد انتقاء معاني الكلمات التي يمكن أن يؤثر بها على الشخص وكل ما يمت لذلك بصلة. بالحديث عن المعاني، هل سمعت آخر صيبي عن المشعر القمري يا سيدتي العزيزة؟ يبدو أنه كان قد أنهى دوامه في مدرسة طريق لوبريدج في ذلك اليوم، واتخذ فكرة امتحان الفصل الرابع في الإملاء. لديهم فترة الصيف هناك حتى الآن، كما تعلمين، مع إجازة الربيع والخريف، كونهم أشخاصًا متأخرين إلى حد ما عن المدرسة. تذهب ابنة أخي، إيلا بيكر، إلى تلك المدرسة وكانت هي من أخبرتني القصة. لم تكن المعلمة على ما يرام، حيث كانت تعاني من صداع مروع، وخرجت لتستنشق القليل من الهواء النقي بينما كان السيد بريور يفحص الامتحان. كان الأطفال على ما يرام مع التهجة ولكن عندما بدأ المشعر في استجوابهم حول معاني الكلمات، تاهوا جميعًا، لأنهم

لم يتعلموها بعد.

شعرت إيلا وكبار الأساتذة الآخرين بالفرح. إنهم يحبون معلمتهم، ويبدو أن شقيق السيد بريور، أيل بريور، وصي تلك المدرسة، يعارضها ويحاول وضع معلمة أخرى مكانها وتكون ملائمة لتفكيره. وكانت إيلا والبقية خائفين من أنه إذا لم يتمكن الصف الرابع من إخبار المشعر بمعاني الكلمات، فسيظن أن المعلمة لم تكن جيدة ويخبر أيل بذلك، وعندها سيتخذ أيل التدابير اللازمة لذلك الموقف.

لكن الصغير ساندي لوجان أنقذ الموقف. إنه فتى منزلي، لكنه ذكي ويعرف ما يقوله، وقد قام بقلب الأمر على المشعر القمري على الفور وسأله "ماذا يعني علم التشريح؟" احتج المشعر القمري على ذلك، فأجاب ساندي بسرعة قبل أن يومض جفنه: "ألم في معدتك".

إن المشعر القمري رجلٌ جاهلٌ جدًا يا سيدتي العزيزة، لم يكن يعرف معنى الكلمات بنفسه، وأخذ يقول "جيدٌ جدًا - جيدٌ جدًا" وهو لا يعرف إن كل ما يقوله الطلاب خطأ. وهم أعجبهم الوضع، واشتغل الفصل به، ثلاثة أو أربعة على الأقل من الطلاب الأكثر همجية فعلوا ذلك، واستمروا في فعل ذلك بمرح. فقال جان بلين إن كلمة "الصوتية" تعني "شجارات دينيا"، وقالت موريل بيكر إن "لا أدري" هو "رجلٌ يعاني من عسر الهضم"، وقال جيم كارتر إن "اللاذعة" تعني أنك "لم تأكل شيئًا سوى طعام نباتي"، وما إلى ذلك ... كان المشعر القمري يتابع باهتمام ما يُقال، وظلَّ يردد "جيدٌ جدًا - جيدٌ جدًا". قالت لي إيلا أنها كانت تعاني لتحافظ على نظراتها الجدية وألا تضحك.

عندما جاءت المعلمة، أثنى عليها المشعر على الفهم الرائع الذي حصل عليه الأطفال من درسهم، وقال إنه كان يقصد إخبار الأماء ما هي الجوهرة التي يمتلكونها. قال إنه "من غير المعتاد للغاية" العثور على تلامذة الفصل الرابع يمكنهم الإجابة بسرعة عندما يتعلق الأمر

بشرح ما تعنيه الكلمات.

وذهب بعيدًا مبتهجًا. لكن إيلا أخبرتني أن هذا سرٌّ خطيرٌ يا سيدتي العزيزة، ويجب أن نحتفظ به على هذا النحو، من أجل الحفاظ على صيت مدرسة طريق لوبريدج. فمن المحتمل أن تُمحي المدرسة عن وجه الأرض إن اكتشف المشعر القمري أنه قد تعرض للخداع".

جاءت ماري فانس إلى إنجلسايد بعد ظهر ذلك اليوم لتخبرهم أن ميلر دوغلاس، الذي أصيب عندما استولى الكنديون على الهضبة سبعين، اضطر إلى بتر ساقه. تعاطف شعب الإنجليز مع ماري، التي استغرقت حماسها ووطنيتها بعض الوقت لتشتعل، ولكنها الآن تحترق مع وهج ثابتٍ ومشرقٍ مثل أي شخصٍ آخر.

قالت ماري رافعةً رأسها بشموخ: "كان بعض الناس يضايقونني بشأن حصولي على زوجٍ بساقٍ واحدةٍ فقط الآن. لكنني أفضل ميلر بساقٍ واحدةٍ فقط على أي رجلٍ آخر في العالم لديه اثنتي عشرة ساق... إلا إذا،" أضافت كفكرةٍ لاحقةٍ في سرّها، "إلا إذا كان لويد جورج. حسنًا، يجب أن أذهب. اعتقدت أنك مهتمٌ بمعرفة أخبار ميلر، لذلك ركضت من المتجر لأخبرك، لكن يجب أن أذهب إلى المنزل لأنني وعدت لوك ماكاليستر بمساعدته في كومة الحبوب الخاصة به هذا المساء. الأمر متروكٌ لنا نحن الفتيات لنهتم بموسم الحصاد عند وصوله، نظرًا لندرة الشبان.

لدي وزرة ويمكنني أن أخبرك أنهم أصبحوا حقيقيين. تقول السيدة إليك دوغلاس إنهم غير لائقين ولا ينبغي السماح لهم، وحتى السيدة إليوت كيندر تنظر إليهم باستياء. لكن بارك الله فيك، العالم يتحرك، وعلى أي حالٍ ليس هناك متعةٌ بالنسبة لي مثل صدمة كيتي إليك."

قالت ريبلا: "بالمناسبة يا أبي، سوف آخذ مكان جاك فلاج في متجر والده لمدة شهر. لقد وعدته اليوم أنني سأفعل ذلك، إذا لم تعترض

على الأمر. ثم يمكنني مساعدة المزارعين في الحصول على الحصاد. لا أعتقد أنني سأستفيد كثيرًا في الحصاد بنفسني، مع وجود الكثير من الفتيات، لكن يمكنني إراحة جاك أثناء القيام بعمله. وهذا لن يؤثر على جيمس في النهار، وسأكون دائمًا في المنزل في الليل".

قال الدكتور بطرفة عين: "هل تعتقدين أنك ستحبين وزن السكر والفاصوليا والاتجار بالزبدة والبيض؟"

"على الأرجح لا. ليس هذا ما يهمني الآن. إنها إحدى الطرق التي يمكن أن أشعر فيها أنني أؤدي واجبي تجاه الوطن ولأجل المحاربين". لذلك ذهبت ريبلا وراء طاولة السيد فلاج لمدة شهر. وذهبت سوزان إلى حقول الشوفان الخاصة بألبرت كراوفورد.

قالت بفخر: "أنا جيدة مثل أيٍّ منهم حتى الآن، لا يمكن لأي رجلٍ منهم أن ينتقدني عندما يتعلق الأمر ببناء كومة الشوفان. وعندما عرضت مساعدتي على ألبرت، بدا وكأنه مشككًا في الأمر وقال "أخشى أن يكون العمل صعبًا للغاية عليك" فقلت له "جربني ليوم واحد وانظر" فقال "وهذا ما سيحصل".

لم يتحدث أيٌّ من أهل إنجلترا إلى اللحظة واحدة عن الأمر بعد ذلك. صمتهم يعني أنهم اعتقدوا أن قطف سوزان في العمل رائعٌ للغاية. لكن سوزان أخطأت في فهم هذا الصمت، وأصبح وجهها الذي أحرقته الشمس أحمر كالدّم.

قالت بأسف: "يبدو أن عادة الشتاء هذه تتزايد عليّ، يا سيدتي العزيزة. أعتقد أنه لا يجب أن أحصل عليه في عمري هذا! إنه مثالٌ مروّعٌ للفتيات الصغيرات. أنا رأيت أنه يحدث بسبب قراءة الصحف كثيرًا. إنها مليئةٌ بالألفاظ النابية ولا يتهاجونها بالنجوم أو النقاط بدلًا منها، كما كان يحدث في أيام شبابي. هذه الحرب تحبط معنويات الجميع".

سوزان، واقفةً على حمولةٍ من الحبوب، وشعرها الرمادي يجلد في النسيم وتنورتها تنحني حتى ركبتها من أجل السلامة والراحة، لا ملابس ساترة بالنسبة لسوزان، ليست جميلةً ولا شخصيةً رومانسية... ولكن الروح التي حرّكت أذرعها الهزيلة تلك، كانت هي نفسها التي استولت على فيمي ريدج وأعاقت الجحافل الألمانية من فيردان. ومع ذلك، فليس من المحتمل أن يكون هذا الاعتبار هو الشيء الذي جذب بقوة السيد بريور عندما مر بالسيارة بعد ظهر أحد الأيام ورأى سوزان تنصب الحزم بشجاعة.

وقد علّق على ذلك: "امرأةٌ ذكيةٌ تساوي العديد من النساء الأصغر سنًا حتى الآن. قد أفعل ما هو أسوأ - قد أفعل ما هو أسوأ. إذا عاد ميلجراف إلى المنزل حيًا، سأخسر ميراندا لأنها ستذهب معه، وعاملات المنزل الآن تُكَلِّف مالا أكثر من الزوجة بحد ذاتها، وهذه قد تتركك في ترنج في أي وقتٍ دون سابق إنذار. سأفكر في الأمر، يجب عليّ ذلك".

بعد أسبوع، كانت السيدة بلايث عائدةً من القرية في وقتٍ متأخرٍ من بعد الظهر، وتوقفت عند بوابة إنجلسايد في دهشةٍ حرمتها مؤقتًا من قوة الحركة. مشهّدٌ غير مألوفٍ كان قد ردع نظرها.

عند باب المطبخ، برز السيد بريور، وهو يركض بعناء، فلم يركض السيد بريور منذ سنوات، وكان الرعب مطبوعًا على كل سمةٍ من وجهه، وهو رعبٌ له ما يبرره تمامًا، لأن وراءه، ظهرت سوزان مثل المصير المنتقم وهي تمسك بين يديها قدرًا ضخمًا من الحديد، وتعبيرًا في عينها ينذر بغضبها وسخطها يدل على نقيتها إن أمسكت به فقط. وقطع المُطارِد والمُطارِدة عشب الحديقة حتى وصل السيد بريور إلى البوابة على بعد بضعة أقدامٍ من سوزان، وفتحها، وهرب على طول الطريق، دون أن يلقي بالآ لسيدة إنجلسايد الواقفة بذهولٍ هناك.

شهقت آن: "سوزان!!"

قطعت سوزان حالة الهيجان التي كانت فيها، ووضعت القدر جانبًا، ثم شدت قبضة يدها وأومات بها خلف السيد بريور وكأنها تضربه من بعيد. وهو كان يتابع جريه لا يتجرأ على الوقوف ظنًا منه أن سوزان لا زالت تتبعه.

سألت آن بصرامة: "ماذا يعني هذا يا سوزان؟"

أجابت سوزان بغضب: "لك الحق أن تسألني ذلك يا سيدتي العزيزة، لم أشعر بالضيق منذ سنوات. هذا - هذا - هذا المعارض قد أتى إلى هنا بكامل وقاحته وهو لديه الجرأة، وفي مطبخي، أن يطلب مني الزواج منه ... منه هو!!!"

حاولت آن اخفاء ضحكاتها ... وقالت: "ولكن يا سوزان! ألم تستطيعي أن تجدي طريقة أقل إثارة من هذه لرفضه؟ فكري في الثروة التي كانت يمكن أن تحدث إن مرّ أي شخص من هنا بالصدفة وشاهد ما شاهدته".

"في الواقع، أنت محقة تمامًا يا سيدتي العزيزة. لم أفكر في الأمر لأنني لم أكن بكامل وعيي عندما سمعت ما قاله. كنت غاضبة تمامًا. تعالي وادخلي إلى المنزل وسأخبرك بكل شيء حصل".

التقطت سوزان قدرها ودخلت المطبخ، وهي لا تزال ترتعش من الإثارة الغاضبة. وضعت وعاءها على الموقد بضربة قوية وقالت: "انتظري لحظة حتى أفتح جميع النوافذ لتهوئة هذا المطبخ جيدًا يا سيدتي العزيزة. حسنًا، هذا أفضل".

ويجب أن أغسل يدي أيضًا، لأنني صافحت المشعر القمري ذاك عندما جاء، ليس لأنني أردت ذلك بالطبع، ولكن عندما أخرج يده الدهنية الزيتية لم أكن أعرف ماذا أفعل، واضطرت لمبادلته السلام. لقد انتهيت لتوي من التنظيف بعد الظهر وأنا شاكرة لذلك، كان كل

شيءٍ لامعًا وخاليًا من البقع، وكنت أفكر في سرّي وأقول "الآن بعد أن بدأت الصبغة في الغليان وسأقوم بإخراج خرق البساط وإزالتها جيدًا قبل العشاء".

"بعد ذلك، سقط ظلُّ على الأرض ونظرت إليه، فرأيت المشعر القمري واقفًا عند المدخل، مرتديًا ملابسه وبدا وكأنه قد تم تجفيفها وكيها للتو. صافحته، كما قلت لك يا سيدتي العزيزة، وأخبرته بأنك والدكتور على بعد مسافة.

ولكنه قال "جئت لرؤيتك أنت يا آنسة بيكر".

طلبت منه أن يجلس، احترامًا لأخلاقي ومبادئتي فقط، ثم وقفت هناك في منتصف الأرضية مباشرةً وحدقت فيه بازدراءٍ قدر المستطاع. على الرغم من ثقته الوقحة، بدا أن هذا الأمر قد جعله يفقد أعصابه قليلًا، لكنه بدأ يحاول أن ينظر إليّ من خلال عينيه الصغيرتين مثل الخنزير، وفي الحال ظهر شكٌ مروّعٌ في ذهني.

أخبرني شيئًا ما، كما قلتُ يا سيدتي العزيزة، كنت على وشك تلقي عرض زواجي الأول. لطالما اعتقدت أنني أرغب في الحصول على عرض زواج واحد فقط لأرفضه، حتى أتمكن من النظر في وجه النساء الأخريات، لكنك لن تسمعيني أتباهى بهذا على الإطلاق يا سيدتي العزيزة، فأنا أعتبره إهانة، وإذا كان من الممكن أن أفكر في أي طريقة لمنعه، فقد أتت هذه الطريقة بعد ذلك، فقد كنت في وضع غير مؤاتٍ للتفكير حينها، حيث أخذتُ على حين غرةٍ تمامًا.

بعض الرجال، كما قيل لي، يتخذون المغازلة كخطوةٍ أوليّةٍ قبل عرض الزواج، فقط لإعطاء تحذيرٍ بنواياهم؛ ولكن المشعر القمري اعتقد على الأغلب أنه كان القارب المنقذ من البحر وانني سأقبل به دون تفكيرٍ بشيء.

حسنًا، ولكن تم رفضه، أجل تم رفضه يا سيدتي العزيزة. أتساءل

عما إذا كان قد توقف عن الركض بعد".

"أتفهم أنك لا تشعرين بالإطراء يا سوزان. لكن ألا تستطيعين رفضه بشكلٍ أكثر رقةً من مطاردته خارج المبنى بهذه الطريقة؟"

"حسنًا، ربما وجب عليّ فعل ذلك يا سيدتي العزيزة، إذ أدلى بملاحظةٍ واحدةٍ جعلتني أشعر بالضيق بما يتجاوز قدراتي على التحمل. لولا ذلك لما كنت قد طاردته بقدر الصبغة الخاصة بي، دعيني أخبرك بتفاصيل ما حدث.

جلس المشعر القمري، كما قلتُ لك، وبجانبه على كرسيٍّ آخر كان يرقد دوك. كان يتظاهر بأنه نائم، ولكنني كنت اعرف بأنه يكذب، إذ كان السيد هايد طوال اليوم، والسيد هايد لا ينام أبدًا.

بالمناسبة، ألا ترين بأنه يكون السيد هايد في أغلب أوقاته، أكثر بكثيرٍ من دكتور جيكل، لا سيما عندما يربح الألمان في معركةٍ ما، أما لاحظت ذلك يا سيدتي العزيزة؟

أيًا كان، اعتقد المشعر القمري غالبًا أنه سيتقرب إليّ أكثر عن طريق مدح هذا القط، والقليل من الحلم بما كانت عليه مشاعري الحقيقية تجاهه، لذلك مديده الممتلئة وضرب ظهر السيد هايد وقال "يا له من قطّ لطيف". فهاج هذا القط اللطيف وعضّه، ثم ماء بنبرةٍ مخيفةٍ عند الباب وذهب خارجًا.

أصيب المشعر بالذهول بعد ذلك، وقال "حسنًا، هذه حقارة". أتفق معه في هذا الأمر بصراحة، ولكنني لم أسمح له بمعرفة ذلك، فمن هو ليصف قطنا بالحقير؟ فقلت له "ربما يكون كذلك وربما لا، ولكنه يعرّف التفريق جيّدًا بين الشخص الكندي والمغولي". بالطبع يا سيدتي العزيزة سوف تعتقدين الآن بأن هذا التلميح سيحرّك شيئًا فيه، ولكن لا، أبدًا، لا يبدو أنه يفكر أبعد من أنفه.

رأيته يستقر مرتاحًا تمامًا، كما لو كان حديثًا جديدًا، وفكرت في قرارة

نفسى، إذا كان هناك أي شيءٍ قادمٍ لأجله، فليقله وينهي الأمر، لأنه مع كل هذه الخرق التي يجب صبغها قبل العشاء، ليس لدي وقتٌ لأضيعه في المغازلة، لذلك تحدثت على الفور. وقلت "إذا كان لديك أي شيءٍ لتناقشه معي يا سيد بريور، فيا ليتك تذكره دون إضاعة الوقت، لأنني مشغولةٌ جدًا هذا المساء".

ابتسم في وجهي خارج دائرة الشارب الأحمر خاصته ذاك، وقال "أنت مثل امرأة أعمال، وأنا أتفق معك. لا فائدةٌ من إضاعة الوقت في اللف والدوران. جئت إلى هنا اليوم لأطلب منك الزواج مني." لذلك كان هناك يا سيدتي العزيزة، جاء ليتقدم لي، تلقيت عرض زواجٍ أخيرًا، بعد انتظاري أربعةً وستين عامًا".

حدثت في ذلك المخلوق المتغطرس وقلت "لن أتزوجك ولو كنت آخر رجلٍ على وجه الأرض يا يوشيا بريور. هذا هو ردِّي". لم أر رجلاً متفاجئًا كما كان حينها أبدًا يا سيدتي العزيزة. لقد كان مصدومًا للغاية لدرجة أنه صرح بالحقيقة وقال "لماذا؟ اعتقدت أنك ستكونين سعيدةً جدًا بالحصول على فرصةٍ للزواج".

عندها فقدت أعصابي يا سيدتي العزيزة. هل تعتقدين أن لدي عذرًا جيدًا لما فعلته الآن؟ عندما أدلى أحد المغول ومعارضى هذه الحرب بمثل هذه الملاحظة المهينة لي؟ وما رأيت أمامي سوى ذلك القدر الحديدي، فالتقطته بين يديّ بسرعةٍ ودون وعي. كان واضحًا بأنه اعتقد أنني أصبت بالجنون فجأة، وقال إن وعاء حديدًا مليئًا بصبغةٍ مغلّيةٍ كان سلاحًا خطيرًا في يد مجنون. على أي حال، لم يع نفسه كيف ذهب، كما رأيت بنفسك. ولا أعتقد أننا سنراه مرةً أخرى يقدم عروضًا علينا هنا. أنا متأكدةٌ من أنه لُقّن درسًا بأن ليس هناك امرأةٌ واحدةٌ على الأقل في جلين سانت ماري لديها الرغبة في أن تصبح السيدة المشعرة القمرية".



إنجلسايد

، الأول من تشرين الثاني عام ١٩١٧

"إنه شهر تشرين الثاني، وكانت كآبة اللونين الرمادي والبنّي تغطي جلين بالكامل، باستثناء المكان الذي تقف فيه شجيرات حور لومباردي هنا وهناك مثل المشاعل الذهبية الرائعة في المناظر الطبيعية الكثيبة، على الرغم من أن كل شجرةٍ أخرى قد تعرّت من أوراقها.

كان من الصعب جدًّا الحفاظ على شجاعتنا كل هذا الوقت، فكارثة كابوريتو شيءٌ مروّع ولا تستطيع حتى سوزان تخطيه بعزاء نفسها من الوضع الحالي. ولا يحاول الباقون فعل ذلك... تستمر جيرتروود في قولٍ يائس: "يجب ألا يحصلوا على البندقية... يجب ألا يحصلوا على البندقية." تقولها كما لو أن ترديدها لها في كثيرٍ من الأحيان سيؤثر على منعهم من احتلالها. لكنني لا أستطيع رؤية ما الذي يمنعهم من الاستحواذ عليها.

تقول سوزان، وهذا ما فشلت في ذكره هذه المرّة، إلى أنه لم يكن هناك ما يمنعهم على ما يبدو من الوصول إلى باريس في عام ١٩١٤، ومع ذلك لم يحصلوا عليها، وهي تؤكد أنهم لن يحصلوا على البندقية أيضًا.

أوه! كيف أدعو وأصلي ألا يفعلوا! إنها البندقية، ملكة البحر الأدرباتيكي الجميلة. على الرغم من أنني لم أرها من قبل، إلا أنني أشعر بها تمامًا كما فعلت بإيرين، لقد أحببتها دائمًا، كانت دائمًا بالنسبة لي "مدينة خرافية من القلب".

ربما جاء حبي لها من والتر الذي كان يعشقها. لطالما كانت أحد أحلامه أن يزور البندقية. أتذكر أننا خططنا ذات مرة في إحدى أمسياتنا في وادي قوس المطر قبل اندلاع الحرب، أن نذهب معًا في وقت ما لرؤيتها ونطفو في جداولها المضاءة بضوء القمر.

كل سقوط منذ بدء الحرب كان يوافيه ضربة رهيبه لقواتنا، أنتويرب في عام ١٩١٤، و صربيا في عام ١٩١٥، ورومانيا الخريف الماضي، والآن، وهو أسوأ ما في الأمر، إيطاليا. أعتقد أنني لن أستسلم لليأس إذا كان الأمر كذلك. ليس بسبب ما قاله والتر في رسالته الأخيرة العزيزة بأن الموتى وكذلك الأحياء يقاتلون جنبًا إلى جنب وهذا الجيش لا يمكن هزيمته فقط... ولكن سوف نتصر في النهاية، ولن أشك في ذلك للحظة واحدة. فالسماح لنفسى بالشك سيكون بمثابة "فقدان الإيمان".

لقد كنا جميعًا نقوم بحملات اعتصام مؤخرًا للحصول على قرض النصر الجديد. لقد نجحنا نحن شباب الصليب الأحمر في اجتياح العديد من العملاء القدامى الأقوياء الذين رفضوا في البداية الاستثمار بشكلٍ قاطع.

لقد تعاملت حتى مع المشعر القمري، توقعت بدايةً أنه سيكون سيئًا ويرفض، ولكنه أدهشني، فقد قبل بكل صدرٍ رحب، و وعد على الفور بأخذ سند ألف دولار. قد يكون من المعارضين، لكنه يعرف الاستثمار الجيد عندما يتم تسليمه إليه. خمسة ونصف بالمئة هي خمسة ونصف بالمئة، حتى عندما تدفعها حكومة عسكرية.

كان أبي يضايق سوزان عن عمدٍ أحيانًا، فيقول إن خطابها في اجتماع حملة قرض الانتصار هو من غير رأي السيد بريور. لا أعتقد ذلك على الإطلاق، لأن السيد بريور كان يشعر بالمرارة تجاه سوزان منذ أن كانت واضحةً تمامًا في رفضه. لكن سوزان أَلقت خطابًا بالفعل، وكان أفضل خطابٍ أَلقته أيضًا. كانت هذه هي المرة الأولى التي تفعل فيها مثل هذا الشيء وهي تتعهد بأنها ستكون الأخيرة. جميع سگان جلين كانوا في الاجتماع، وتم إلقاء عددٍ كبير من الخطب، ولكن بطريقةٍ ما كانت الأمور سطحيةً بعض الشيء، ولم يكن بالإمكان إثارة أي حماسٍ خاص.

كانت سوزان مستاءةً للغاية من عدم وجود الحماس، لأنها كانت قلقةً بشدةٍ من أن الجزيرة يجب أن تذهب إلى القمة فيما يتعلق بحصتها. وظلت تهمس بشراسةٍ إلى جيرترود وأنا أنه لم يكن هناك "بهاراتٌ" في الخطابات لتعطيها النكهة.

وعندما لم يتقدم أحدٌ للاكتتاب في القرض عند الإغلاق "فقدت سوزان أعصابها. "على الأقل، هذه هي الطريقة التي تصف بها بنفسها. كانت مقيدةً بقدميها، ووجهها كئيبٌ موضوعٌ تحت حجابها، إن سوزان هي المرأة الوحيدة في جلين سانت ماري التي لا تزال ترتدي حجابًا. وقالت ساخرةً وبصوتٍ عالٍ: "لا شك في أن الحديث عن الوطنية أرخص بكثيرٍ من دفع ثمنها. ونحن نطلب الصدقات، بالطبع، نطلب منك أن تقرضنا أموالك مقابل لا شيء! لا شك أن القيصر سيشعر بالإحباط عندما يسمع عن لقاءك هذا".

سوزان لديها اعتقادٌ راسخٌ بأن جواسيس القيصر، من المفترض أن يمثلهم السيد بريور، وهم يبلغوه على الفور بكل ما يحدث في جلين. صرخ نورمان دوغلاس: "اسمعوا! اسمعوا!" وقال صبيٌّ في الخلف بنبرةٍ لم تعجب سوزان: "ماذا عن لويد جورج؟"

لويد جورج هو بطلها الأليف، لا سيما بعد رحيل كيتشينر.
ردت سوزان: "أنا أقف في صف لويد جورج في كل مرة".
قال وارن ميد ببغضٍ مع أحد معاونيه: "أعتقد أن هذا سيشجعه
كثيرًا".

كانت ملاحظة وارن تلك كإضافة الزيت على النار، ولكن سوزان
تحكمت في نفسها وقالت خطابها بطريقة شامخة. ولم يكن هناك
نقص في "البهارات" هذه المرّة.

عندما تم إغضاب سوزان، ظهرت لديها قوى الخطابة، والطريقة
التي قصّت بها هؤلاء الرجال كانت مضحكةً ورائعةً وفعالةً في آنٍ
واحد. قالت إن أمثالها، الملايين منها، هم من وقفوا وراء لويد جورج،
وشجعوه. كانت هذه هي الملاحظة الرئيسية في خطابها.

سوزان العجوز العزيزة! إنها دينامو مثالي للوطنية والولاء وازدراء
المتهربين من جميع الأنواع، وعندما تركتها تضيع على هذا الجمهور
في انفجارها الكبير، قامت بإشعاله. تتعهد سوزان دائمًا بأنها لن تتمتع
بحق الاقتراع، لكنها أعطت الأنوثة استحقاتها في تلك الليلة، وجعلت
هؤلاء الرجال حريفًا ينكمشون.

عندما انتهت معهم كانوا مستعدين ليفعلوا أي شيءٍ تطلبه. انتهى بها
الأمر عن طريق أمرهم، نعم، لقد أمرتهم بالسير إلى المنصة على الفور
والاشتراك في سندات النصر.

وبعد تصفيقي شديد، فعل معظمهم ذلك، حتى وارن ميد. وعندما
ظهر إجمالي المبلغ المكتتب في الصحف اليومية في مدينة شارلوت
في اليوم التالي، وجدنا أن عائلة جلين تنصدر كل منطقة في الجزيرة،
وبالتأكيد يرجع الفضل لسوزان في ذلك. هي، هي نفسها، وبعد أن
عادت إلى المنزل في تلك الليلة، شعرت بالخجل الواضح أنها كانت
تخشى أنها كانت مذنباً بارتكاب سلوكٍ غير لائق، واعترفت لأمي بأنها

كانت "غير سيدة" إلى حد ما.

كنا جميعًا، باستثناء سوزان، في رحلة تجريبية في سيارة والدنا الجديدة الليلة. إنها سيارة جيدة جدًا، على الرغم من أننا تخلينا بشكل مزعج في النهاية، بسبب سيدة عجوز قاتمة، وهي الأنسة إليزابيث كار من منطقة جلين الشمالية. والتي لم تكن ستكبح جماح حصانها للسماح لنا بالمرور، ونحن نمشي خلفه على خطواته.

كان أبي غاضبًا جدًا، ولكن في قلبي أعتقد أنني تعاطفت مع الأنسة إليزابيث. فلو كنت سيدةً عانسة، وأحدهم يقود خلف عربتي القديمة في التأمل البكر المجاني، لما كنت سأرفع العنان عندما صعدت سيارة فاضحة خلفي صارخة. كان يجب أن أجلس بهدوء كما فعلت هي وأقول: "خذ الخندق إن كنت عازمًا على المرور".

لقد أخذنا الخندق، وصعدنا إلى محاورنا في الرمال، وجلسنا بحماقة هناك بينما كانت الأنسة إليزابيث تطلق حصانها وتهتز بعيدًا منتصرة.

سوف يضحك جيم عندما أكتب له هذا. إنه يعرف الأنسة إليزابيث العجوز جيدًا.

"ولكن ... هل ... سيتم ... إنقاذ ... البندقية؟"

في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني، عام ١٩١٧
"لم يتم إنقاذها بعد، لا تزال في خطر كبير. لكن الإيطاليين يتخذون موقفًا أخيرًا على خط بياف. للتأكد من أن النقاد العسكريين يقولون إنهم لا يمكنهم فعل شيء وأن عليهم الانسحاب إلى أديجي.

لكن سوزان وجيرترود مصرتان على رأيهما، وأقول يجب أن تحتفظان به، وإن تم إنقاذ البندقية، فماذا على النقاد العسكريين أن يفعلوا؟

أوه، فقط لو كان بإمكانني تصديق أنهم سيستطيعون تحمل ذلك!

لقد فازت قواتنا الكندية بنصرٍ عظيمٍ آخر، لقد اقتحموا باسكينديلي ريدج، وصمدوا أمام جميع الهجمات المضادة. لم يشارك أيٌّ من أولادنا في المعركة، ولكن جاءت قائمة خسائرِ لأبناء الآخرين! كان جو ميلجراف فيها، ولكنه نجا بأمان. مرت ميراندا ببعض الأيام السيئة حتى تلقت منه رسالة. لكن من الرائع كيف ازدهرت ميراندا منذ زواجها. إنها ليست نفس الفتاة على الإطلاق. حتى عينيها تبدو أنهما أغمقتا وعمقتا على الرغم من أنني أفترض أن هذا بسبب قوتها التي أصبحت عليها.

تجعل والدها في مواقف رائعة تمامًا، وترفع العلم كلما ربحت ساحة من الخندق في الجبهة الغربية، وهي تأتي بانتظامٍ إلى صليب أحمر الصغار، وهي تبث أجواء "المرأة المتزوجة" الصغيرة المضحكة التي تُقتل تمامًا. لكنها عروس الحرب الوحيدة في جلين وبالتأكيد لا أحد بحاجة إلى أن يحمل ضغيئةً عليها بسبب الرضا الذي تحصل عليه.

إن الأخبار الروسية سيئةٌ أيضًا، إذ سقطت حكومة كيرينسكي وأصبح لينين حاكم روسيا المطلق.

من الصعب الحفاظ على الشجاعة والثبات في حالة اليأس القاتل من الأخبار المُحبطة في أيام الخريف الكئيبة.

لكننا بدأنا في دخول مستوياتٍ سياسيةٍ جديدة، كما تقول هايلاند ساندي العجوز، خلال الانتخابات المقبلة. أن التجنيد الذي هو القضية الحقيقية على المحك، وستكون أكثر الانتخابات إثارةً لدينا على الإطلاق. يمكن لجميع النساء "اللاتي لديهن الشيوخوخة" على حد تعبير جو بواريير، واللواتي لديهن أزواجٌ وأبناء وإخوةٌ في المقدمة، التصويت. أوه، لو كنت في الحادية والعشرين فقط! وجيرترود وسوزان غاضبتان أيضًا لأنهما لا تستطيعان التصويت.

قالت جيرترود مهتاجة: "هذا ليس عدلاً، هناك أغنيس كار التي يمكنها التصويت لأن زوجها ذهب. لقد فعلت كل ما في وسعها لمنعه من الذهاب، وهي الآن ستصوت ضد حكومة الاتحاد. ليس لدي حق التصويت، لأن رجلي في الجبهة وهو فقط حبيبي وليس زوجي!" أما بالنسبة لسوزان، فعندما تفكر في أنها لا تستطيع التصويت، في حين أن أحد كبار السن من المعارضين مثل السيد بريور يمكنه التصويت وسيفعل ذلك، تصبح تعليقاتها لاذعة.

أشعر حقًا بالأسف تجاه عوائل إليوت وكراوفورد وماكليستر من أوفرهاربور. لقد اصطفوا دائمًا في معسكرات منقسمة بوضوح من الليبراليين والمحافظين، والآن هم ممزقون من مراسيهم... أعلم أنني أمزج استعاراتي بشكلٍ مخيف، ووضعنا على غير هدىً ميؤوسٍ منه. إن التصويت لصالح جانب السير روبرت بوردن سيقتل بعض هؤلاء العجائز، ومع ذلك عليهم أن يفعلوا ذلك لأنهم يعتقدون أن الوقت قد حان عندما يُفرض التجنيد الإجباري.

ويجب على بعض المحافظين الفقراء الذين يعارضون التجنيد الإجباري التصويت لصالح لورييه، الذي لطالما كان لعنةً بالنسبة لهم. بعضهم يأخذ الأمر بصعوبةٍ بالغة. ويبدو أن البعض الآخر في نفس الموقف الذي أصبحت عليه السيدة مارشال إليوت فيما يتعلق باتحاد الكنيسة.

لقد كانت هنا الليلة الماضية. لم تأت بالروح ذاتها التي اعتادت عليها. لقد كبرت في السن بحيث لا تستطيع الوصول إلى هذا الحد... الآنسة كورنيليا العزيزة. أنا أكره أن أفكر في تقدمها في العمر، لقد أحببناها دائمًا وكانت دائمًا جيدةً جدًا لنا نحن، صغار إنجلسايد.

لقد اعتادت أن تكون معارضةً بشدةٍ لاتحاد الكنيسة. لكن الليلة الماضية، عندما أخبرها أبي أن الأمر قد تقرر عمليًا، قالت بنبوةٍ مستقيلة:

"حسنًا، في عالمٍ حيث يتم تأجير كل شيءٍ وتمزيق ما يهم شخصًا آخر على أية حال، وبالمقارنة مع الألمان، حتى الميثوديون أصبحوا يبدون جذابين بالنسبة لي".

تجري الأمور في صليب أحمر الصغار على أتم وأسلس ما يكون، على الرغم من حقيقة أن إيرين عادت إليه بعد أن اختلفت مع مجتمع لوبريدج حسبما فهمت. لقد كانت تحاول أن تُسمعي بأنها عرفتني من بين الجميع في مدينة شارلوت "بالقبة المخملية الخضراء".

أصبح الجميع يعرفني من خلال تلك القبة المقيمة... سيكون هذا موسمي الرابع الذي أرديها فيه. حتى أمي أرادت أن أبتاع واحدةً جديدةً هذا الخريف، لكنني أبيت قائلَةٌ: "لا... طالما الحرب مستمرة، لن أردي سوى هذه القبة في الشتاء".

في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني، عام ١٩١٧

لا تزال معارك بياف قائمة، والجنرال بينج حقق انتصارًا باهرًا في كامبراي. لقد رفعت العلم لذلك، ولكن سوزان اكتفت بقول: "سأضع غلاية ماءً على غاز المطبخ الليلة. ألاحظ دائمًا أن كيتشستر الصغير يعاني من الخناق بعد أي انتصارٍ بريطاني. أتمنى ألا يكون هناك دمًا مؤيدةً لألمانيا في عروقه، فلا أحد يعرف الكثير عن سلالة والده".

لقد تعرض جيمس لعدوٍ قليلٍ من الخناق هذا الخريف، فقط الخناق العادي، وليس الشيء الرهيب الذي تعرض له العام الماضي. ولكن أياً كان الدم الذي يجري في عروقه الصغيرة فهو دمٌ جيدٌ وصحي.

إنه وردّيٌّ وممتلئٌ ومجددٌ ولطيف، ويقول أشياءً مضحكةً ويطرح أسئلةً كوميدية. إنه يحب كثيرًا الجلوس على كرسيٍّ خاصٍ في المطبخ، ولكنه للأسف كرسي سوزان المفضل أيضًا، وعندما تريده، يجب أن يقوم جيمس من عليه.

آخر مرةٍ حصل ذلك، استدار وسألها بجديّة بلغته الطفولية: "عندما

تموتين يا سوزان، هل يمكنني الجلوس على هذا الكرسي؟"
اعتقدت سوزان أن الأمر مروعٌ للغاية، وأعتقد أن ذلك يحصل معها
منذ أن بدأت تشعر بالقلق بشأن أسلافه.

وفي ليلةٍ الأخرى، اصطحبتُ جيمس معي في نزهةٍ إلى المتجر.
كانت هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها متأخرًا جدًّا في الليل،
وعندما رأى النجوم قال بلغته: "أوه، ويلا، انظلي إلى القمل الكبيل
وكل الأقال الصغيلة!"

وفي صباح الأربعاء الماضي، عندما استيقظ، لم ترن ساعة المنبه
الصغيرة الخاصة بي لأنني نسيت أن أختتمها. فخرج جيمس من سريره
وركض نحوي ببيجامته الزرقاء اللطيفة، ووجهه مذعورٌ للغاية. ويلهث
وهو يقول: "لقد ماتت الساعة يا ويلا ... الساعة ميتة".

ذات ليلةٍ كان غاضبًا جدًّا مني ومن سوزان لأننا لم نمنحه شيئًا يريد
كثيرًا. وعندها ذهب ليلتو صلواته غاضبًا، وما إن جاء إلى الالتماس،
طالب الرب قائلاً: "اجعلني فتيًّا طيبًا" ثم أكمل بشكلٍ قاطع: "ورجاءً
اجعل ويلا وسوزان صالحتين، لأنهما ليستا كذلك".

حسنًا، أنا لا أقتبس من كلمات جيمس إلا كل ما يواتيني، فقولها
جميعها يصيب بالملل، أشعر بذلك عندما يفعلها الآخرون. لذلك كلُّ
ما افعله هو تجسيدها في هذه المجلة القديمة المثيرة!

هذا المساء بالذات بينما أضع جيمس في الفراش، نظر إلى الأعلى
وسألني بجديّة، "لماذا لا يمكن أن يعود البارحة يا ويلا؟"

"أوه، لماذا لا يمكن يا جيمس؟" "الأمس" الجميل من الأحلام
والضحك، عندما كنا أولادًا في المنزل، عندما قرأت أنا ووالتر وشاهدنا
الأقمار الجديدة وغروب الشمس معًا في وادي قوس المطر ... فقط لو
كان من الممكن أن يأتي مرةً أخرى! لكن الأمس لا يعود أبدًا يا جيمس
الصغير، وأيامنا الحاضرة مظلمة، ولا نجرؤ على التفكير في الغد ...

في الحادي عشر من شهر كانون الاول، عام ١٩١٧
جاءت أنباءً رائعةً اليوم. استولت القوات البريطانية على أورشليم
أمس. رفعنا العلم وعاد إليها بعض بريق جيرترود القديم للحظة.
قالت: "بعد كل شيء، من المجدي أن نعيش في الأيام التي شهدت
بلوغ هدف الحروب الصليبية. لا بد أن أشباح جميع الصليبيين قد
اكتظت بأسوار أورشليم الليلة الماضية. كان ذلك كفيلاً بأن يرضي
سوزان أيضًا.

قالت: "أنا ممتنةٌ للغاية لأنني أستطيع نطق القدس والخليل. لقد
أعطوني شعورًا حقيقيًا بالراحة بعد برزيميسل وبريست ليتوفسك!
حسنًا، لقد جعلنا الأتراك في حالة فرار، على الأقل، والبندقية آمنة
واللورد لانسداون لا يجب أن يؤخذ على محمل الجد، ولا أرى أي
سبب يجعلنا نشعر بالإحباط.

أورشليم! علم إنجلترا النيزكي يطفو! سُحق الهلال! كم كان والتر
سيفرح بهذا!"

في الثامن عشر من كانون الأول، عام ١٩١٧
بالأمس بدأت الانتخابات. في المساء، غادرت الأم وسوزان
وجيرترود وأنا في غرفة المعيشة ونحن ننتظر بقلقٍ شديد، حيث نزل
أبي إلى القرية. لم يكن لدينا أي وسيلة لسماع الأخبار، ومتجر كارتر
فلاج ليس على خطنا، فكلما حاولنا الحصول عليه، أجاب سترال
دائمًا أن الخط "مشغول"، سيكون كذلك بلا شك، لأن الجميع على
بعد أميالٍ كانوا يحاولون الاتصال على متجر كارتر لنفس السبب الذي
كنا عليه.

في حوالي الساعة العاشرة صباحًا، توجهت جيرترود إلى الهاتف،
وحدث أن أمسكت بشخصٍ ما من هاربور يتحدث إلى كارتر فلاج.
استمعت جيرترود بلا خجل وحصلت على مواساتها لما يفترض أن

يحصل عليه المتنصتون بفطنة، ولكنها سمعت خبرًا غير سار، فحكومة الاتحاد، لم تفعل شيئًا في الغرب. نظرنا إلى بعضنا بذهول. إذا فشلت الحكومة في حمل الغرب، فقد هُزمت.

قالت جيرترود بمرارة: "كندا مشيئة في عيون العالم". تأوهت سوزان: "لو كان الجميع مثل مارك كراوفوردز فوق المرفأ لما حدث هذا، لقد حبسوا عمهم في الحظيرة هذا الصباح ولم يسمحوا له بالخروج حتى وعد بالتصويت للاتحاد. هذا ما ندعوه الحجّة الفعالة يا سيدتي العزيزة".

لم نستطع أنا وجيرترود الراحة بعد كل ذلك. مشينا على الأرض حتى تنمّلت أرجلنا وكان علينا الجلوس بحكم الضرورة. تحلت الأم بثباتٍ مثل الساعة وتظاهرت بالهدوء والسكينة، تصرّفت وكأننا قد حُسدنا وحُددنا، ولكن لم يطل ذلك حتى اليوم التالي، عندما ضبطتها وهي تجتاح أربع بوصاتٍ من جوربها، لقد ربطت ذلك بعيدًا حيث كان يجب أن يبدأ الكعب!

كانت الساعة الثانية عشرة قبل أن يعود أبي إلى المنزل. وقف في المدخل وتبادلنا النظرات بصمت. لم نجرؤ على سؤاله عن الأخبار. ثم قال إن لوريير هو من لم يفعل شيئًا في الغرب، وأن حكومة الاتحاد كانت بأغلبية كبيرة.

فصفقت جيرترود بيديها بقوة. وأنا أردت أن أضحك وأبكي في الوقت نفسه، وومضت عيون أمي ببريقها المعتاد، وأصدرت سوزان صوتًا غريبًا من الصخب.

وقالت "هذا لن يعجب القيصر كثيرًا".

ثم ذهبنا إلى الفراش، لكننا كنا متحمسين للنوم للغاية. كانت سوزان محقة بما قالته بجدية هذا الصباح لأمي: "أعتقد أن السياسة مرهقة

للغاية بالنسبة للنساء يا سيدتي العزيزة".

في الواحد والثلاثين من شهر كانون الأول، عام ١٩١٧
مرّ عيد الميلاد الحربي لعامه الرابع، وما زال حشد الشجاعة
لمواجهة عام جديد قيد المحاولة. انتصرت ألمانيا في معظم الأحيان
طوال الصيف. والآن يقولون إن لديها كل قواتها من الجبهة الروسية
مستعدون لهجوم كبير في الربيع. يبدو لي أحيانًا أننا لا نستطيع تمضية
الشتاء ونحن ننتظر حدوث ذلك.

تلقيت مجموعة كبيرة من الرسائل من الخارج هذا الأسبوع. شيرلي
في المقدمة الآن أيضًا، ويكتب عنها كلها بشكل رائع وواقعي كما كان
يكتب عن كرة القدم في كوينز. كتب كارل أنه كان كذلك، كانت تمطر
لأسابيع، وكانت تلك الليالي في الخنادق تجعله دائمًا يفكر في تلك
الليلة التي مرت منذ فترة طويلة عندما قام بالتكفير عن الذنب في
المقبرة لفراره من شبح هنري وارين.

كانت رسائل كارل مليئة دائمًا بالنكات وأجزاء من المرح. اصطيد
الفئران بشكل رائع في الليلة التي سبقت كتابته - وهو يرمي الفئران
بحرابها - وحصل على أفضل حقيبة وفاز بالجائزة. لديه فأر مروض
يعرفه وينام في جيبه ليلاً. لا تُقلق الفئران كارل كما تفعل مع بعض
الناس - لقد كان دائمًا ودودًا مع جميع الحيوانات الصغيرة. يقول إنه
يقوم بدراسة عادات جرذ الخندق ويخطط لكتابة أطروحة حوله يومًا ما
تجعله مشهورًا.

كتب كين رسالة قصيرة ... جميع رسائله قصيرة إلى حد ما الآن،
ولا تنزلق منه كثيرًا تلك العبارات الصغيرة المفاجئة التي أحبها كثيرًا.
أعتقد أحيانًا أنه نسي كل شيء عن الليلة التي كان فيها هنا ليودعني،
وبعد ذلك، أقرأ هناك سطرًا أو كلمة تجعلني أعتقد أنه يتذكر وسيذكر
دائمًا. على سبيل المثال، لم يكن هناك شيء في الرسالة اليومية قد لا

يكون مكتوبًا إلى أي فتاة، باستثناء أنه وقعها هو نفسه "كينيث خاصتك"،
بدلاً من "كينيث" كما يفعل عادةً.

حسنًا، هل يكتب تلك الكلمة متعمدًا أم أنها مجرد عادة؟ سأظل
مستيقظة نصف الليل الآن وأنا أتساءل عن هذا الأمر.

إنه قائد الآن. أنا سعيدة وفخورَةٌ به، ولكن الكابتن فورد يبدو متعاليًا
وجتريًا جدًا. يبدو كين والكابتن فورد كشخصين مختلفين تمامًا.
يمكنني أن أحتمل خطبتي الحصرية هذه مع كين، ورأي أمي في هذه
النقطة هو الصبر وتحصين النفس، ولكن لا يمكن فعل ذلك بوجود
الكابتن فورد!

جيم أصبح ملازمًا الآن، فاز بترقيته في الميدان. وأرسل لي لقطَةً
سريعة، في زيه العسكري الجديد. بدا نحيفًا وكبيرًا ... أكل عليه الدهر
... أخي الصغير جيم.

لا يمكنني أن أنسى وجه أمي عندما أريتها الصورة، كل ما قالته كان:
"أهذا ... صغيري جيم ... طفل بيت الأحلام القديم؟"

كانت هناك رسالةٌ من فايت أيضًا. إنها تقوم بعمل المساعدة
التطوعية في إنجلترا، وهي تكتب بأملٍ وبراعةٍ في رسائلها. أعتقد أنها
كانت سعيدةً إلى حدٍ ما، فقد رأت جيم في إجازته الأخيرة، وهي قريبةٌ
جدًا منه بحيث يمكنها الذهاب والاطمئنان عليه إن جرح أو أصابه
شيءٌ ما.

هذا يعني الكثير بالنسبة لها ... أوه، لو كنت معها فقط!
ولكن عملي هنا في المنزل. أعرف أن والتر لم يكن ليريدني أن
أترك والدتي وفي كل ما أحاول أن أفعله "للتمسك بالإيمان" معه كما
وعدته، حتى في التفاصيل الصغيرة للحياة اليومية. مات والتر من أجل
كندا، ويجب أن أعيش من أجلها. هذا ما طلب مني أن أفعله.

في الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني، عام ١٩١٨

قالت سوزان اليوم لابنة العم صوفيا، التي جاءت بقصة غريبة عن غواصة جديدة وشاملة، أطلقتها ألمانيا لتوها: "سأقوم بترسيخ روعي في الأسطول البريطاني وصنع مجموعة من بسكويات النخالة".

لكن سوزان مستاءة إلى حد ما في الوقت الحاضر، بسبب النقص في اللوائح المتعلقة بالطهي. إن ولاءها لحكومة الاتحاد يخولها أن تتعامل مع ذلك دون تعليق. ولقد تغلبت بشجاعة على السلالة الأولى. وعندما جاء أمر الطحين، قالت سوزان، بمرح شديد: "أنا عجوزٌ على أن أتعلم حيلًا جديدة، لكنني سأتعلم صنع خبز الحرب إذا كان ذلك سيساعد على هزيمة الألمان المغول".

لكن الاقتراحات اللاحقة كانت تتعارض مع طبخ سوزان. ولو لم يكن أبي هو من أمر بالتقشف، أعتقد أنها كانت لن تحتمل الأمر دون ضرب أصابعها على القائد روبرت بوردن.

"كيف يمكن هذا يا سيدتي العزيزة؟ هل يمكن صنع طوبٍ دون قش؟؟ إذن كيف سأصنع كعكةً من دون زبدٍ وسكر؟ لا يمكن ذلك أبدًا، فحتى وإن فعلت ذلك، لن تكون كعكةً تشبه الكعك على الإطلاق، ستكون كالحطبة، أو كالبسكويات المقرمش في آخر الصينية، حتى أنه لن يمكنني إخفاء تلك العيوب بالكريمة المخفوقة أو ببعض الإضافات. أعتقد أنه كان ينبغي عليّ أن أعيش لأرى اليوم الذي يجب أن تدخل فيه حكومة أوتاوا مطبخي وتضعني على حصص الإعاشة!"

كانت سوزان مستعدةً لتقدم آخر قطرةٍ من دمها من أجل ملكها وبلدها، ولكن تسليم الوصفات المحببة لها هو أمر مختلفٌ تمامًا وأكثر خطورةً بكثير.

تلقيت رسائل من نان ودي أيضًا، أو بالأحرى ملاحظات. إنهم مشغولون جدًا على أن يكتبوا الرسائل، لأن الامتحانات على الأبواب. سيتخرجون من كلية الآداب هذا الربيع. من الواضح أنني الغيبة في

هذه العائلة. ولكنني بطريقة ما لم يكن لدي أي رغبة في الالتحاق بدورة جامعية، وحتى الآن لا يروقني ذلك على الإطلاق. أخشى أنني خالية من الطموح.

هناك شيء واحد فقط أريده حقًا، ولا أعرف إن كان سيتحقق أم لا. وإن لم يكن ... لا أريد أن أكون شيئًا. ولكنني لن أكتب ذلك. لا بأس في التفكير فيه، ولكن كما تقول ابن العم صوفيا، قد يكون من الوقاحة كتابته.

حسنًا! سوف أكتبها! لن تهمني التقاليد ولا ابنة العم صوفيا ... أريد أن أكون زوجة كينيث فورد، هذا هو.

لقد نظرت للتو في المرأة، ولم يكن لدي أي علامة على وجود احمرار على وجهي. أعتقد أنني لست فتاة مخلوقة بشكل صحيح على الإطلاق.

كنت في المحطة لرؤية كلب الإثنين الصغير. لقد أصبح متببسا ومصابًا بالروماتيزم، لكنه جلس هناك، مُصّرًا على انتظاره للقطار. ضرب ذيله ونظر في عيني بتوسل، بدا وكأنه يقول: "متى سيأتي جيم؟" أو يا كلب الإثنين، لا توجد إجابة على هذا السؤال حتى الآن، ولا توجد إجابة على الآخر الذي نسأله جميعًا باستمرار: "ماذا سيحدث عندما تضرب ألمانيا مرة أخرى على الجبهة الغربية، أتكون ضربة واحدة عظيمة أخيرة للنصر!"

في الأول من آذار، عام ١٩١٨

قالت جيرترود: "ما الذي سيجلبه معه هذا الربيع؟ أخشى ذلك لأنني لم أخف الربيع من قبل. هل تفترض أنه سيأتي مرة أخرى في وقت تكون فيه الحياة خالية من الخوف؟ فمئذ ما يقرب الأربع سنوات، ونحن نعيش الخوف معه. كان الضيف غير المحظور في كل وجبة، والرفيق غير المرحب به في كل تجمع".

تهدت ابنة العم صوفيا: "هيندنبورغ يقول إنه سيكون في باريس في الأول من نيسان.

"هيندنبورغ! " لا يوجد قوةٌ بالقلم والحبر تستطيع التعبير عن الازدراء الذي غرسته سوزان عند قولها لهذا الاسم، وقالت: "هل نسي ما هو اليوم الأول من نيسان؟"

قالت جيرترود: "لقد كان هيندنبورغ عند كلامه حتى الآن!"

ردت سوزان: "نعم، القتال ضد الروس والرومانين. انتظري حتى يأتي ضد البريطانيين والفرنسيين، هذا وبغض النظر عن اليانكيز، الذين يصلون إلى هناك بأسرع ما يمكن وسيقدمون بلا شك خيرا لأنفسهم". ذكرتها أنا: "لقد قلت الشيء نفسه عن مونس يا سوزان".

قال جيرترود: "يقول هيندنبورغ إنه سيقضي على ملايين الأرواح لكسر جبهة الحلفاء. بمثل هذا الكلام الذي يقوله بثقة، لا بد وأن يخرج ببعض النجاحات، وكيف يمكننا أن نعيش من خلالها، حتى ولو أخفق في النهاية.

لقد بدا الشهرين الماضيين عندما كنا نجلس في القرفصاء ومنتظر أن تسقط الضربة علينا، قبالة كل الأشهر السابقة للحرب مجتمعة. أعمل طوال اليوم بشكلٍ محمومٍ وأستيقظ في الساعة الثالثة مساءً لأتساءل عما إذا كانت الجحافل الحديدية قد ضربت أخيراً. عندها أرى هيندنبورغ في باريس وألمانيا منتصرة، أنا لا أراها هكذا في أي وقتٍ آخر غير تلك الساعة اللعينة".

بدأت سوزان واطعةً شكوكها بشأن حديث جيرترود، ولكنها خلصت بوضوح إلى أن "أ" أنقذ الموقف.

قالت الأم بنفاد صبر: "أتمنى لو كان من الممكن أخذ بعض الترياق السحري والذهاب للنوم للأشهر الثلاثة القادمة، ثم استيقظ لأجد أن هر مجدون قد انتهت".

ليس بالعادة أن تنغمس أُمي في رغبةٍ من هذا القبيل، أو على الأقل التعبير اللفظي عنها. لقد تغيرت كثيرًا منذ ذلك اليوم الرهيب في أيلول عندما علمنا أن والتر لن يعود... لكنها كانت دائمًا شجاعةً وصبورة، بدا الأمر الآن وكأنها بلغت حد قدرتها على التحمل.

عندها اقتربت سوزان منها، وربتت على كتفها وقالت بلطف: "لا تخافي أو تُحيطي قلبي يا سيدتي العزيزة. لقد شعرت إلى حد ما بهذه الفكرة الليلة الماضية، فقمتم من فراشي وأضأت سراجي وفتحت كتابي المقدس، وماذا حصل؟ أول آية أضأت عليها عيناى كانت "وسيحاربونك ولكنهم لن يقووا عليك، لأنى معك، قول رب الناس، لأنقذك".

أنا لا أملك رؤيا كالآنسة أوليفر يا سيدتي العزيزة، ولكنني عرفت حينها، أنها كانت تلميحا واضحا، وهيندنبورغ لن يخطو باريس أبداً. وعندها لم أقرأ المزيد، كانت تلك الآية كافية، وعدت إلى فراشي مع شعور الأمان، ولم أستيقظ حينها عند الساعة الثالثة أو في أي ساعةٍ أخرى قبل الصباح".

أردد الآية التي قرأتها سوزان مرارًا وتكرارًا لنفسى، رب الناس معنا، وأتقنت أرواح جميع الرجال العادلين، وحتى الجحافل والبنادق التي تحشدها ألمانيا على الجبهة الغربية يجب أن تُكسر ضد مثل هذا الحاجز.

أفكر هكذا في لحظاتٍ معينةٍ من الارتقاء، ولكن تأتي عليّ لحظاتٍ أخرى أشعر فيها، مثل جيرترود، أننى لا أستطيع تحمل هذا الهدوء المروع والمشؤوم قبل العاصفة القادمة".

في الثالث والعشرين من شهر آذار، علم ١٩١٨

أتساءل... أهذه هر مجدون! أهذا آخر قتالٍ عظيمٍ للجميع!
بالأمس نزلت إلى مكتب البريد من أجل البريد. كان يومًا مملًا

ومريزًا. ذاب الثلج ولكن الأرض الكئيبة التي لا حياة فيها كانت متجمدة بشدة وكانت الرياح تهب. منظر جلين بأكمله كان قبيحًا ويائسًا

...

ثم حصلت على الجريدة بعناوينها السوداء الكبيرة. ضربت ألمانيا في الحادي والعشرين. وقدمت مزاعم كبيرة عن الأسلحة والسجناء الذين تم أسرهم. وأفاد الجنرال هيغ أن "القتال العنيف مستمر ... لا أطيق ذلك التعبير الأخير.

كنا جميعًا لا نقوى على الأعمال التي تتطلب تركيزًا ومجهودًا، كنا نقوم فقط بتلك التي اعتدنا على قيامها تلقائيًا. لذلك كنا جميعًا متماسكين بشدة، على الأقل انتهى الانتظار المروع، ذاك التساؤل المريع أين ومتى ستقع الضربة.

لقد وقعت ... ولكنهم لا يقوون علينا!

أوه، ما الذي يحدث في الجبهة الغربية الليلة وأنا أكتب هنا، أجلس هنا في غرفتي مع دفتر يومياتي أمامي؟ وجيمس نائم في سريره والرياح تنتحب حول النافذة، تطال مكثبي فتحرك صورة والتر، وهو ينظر في وجهي بعينه العميقتين الجميلتين، ولوحة الموناليزا التي أعطاني إياها في عيد الميلاد الأخير الذي كان فيه في المنزل معلقة على جانب المكتب، وعلى الجانب الآخر يوجد نسخة مؤطرة من شعر "عازف الناقوس". ... يبدو لي أنني أستطيع سماع صوت والتر يكرره واضعًا روحه الحليمة فيه، والذي سيعيش إلى الأبد، حاملًا اسم والتر عبر مستقبل أرضنا.

كل شيء أشعر به كان هادئًا وسلميًا و "منزليًا". يبدو والتر قريبًا جدًا مني ... فقط لو كان بإمكانني التخلص من ذلك الحجاب الغاشم المعلق بيني وبينه، لكان بإمكانني رؤيته الآن، تمامًا كما رأى عازف الناقوس ذاك في الليلة التي سبقت معركة كورسيليت.

أتساءل ما يحدث في فرنسا الآن ... أتراها كُسيرت حدودها؟ أم ما
زالت صامدة! ...

مكتبة
t.me/soramnqraa

28 الأحد المظلم



في شهر آذار من عام الرحمة (١٩١٨)، كان لا بد من احتوائه على أسبوعٍ بغيضٍ مُتَشَبِّعٍ بالمعاناة أكثر من أي أسبوعٍ آخر في تاريخ العالم.

وفي ذلك الأسبوع، كان هناك يومٌ واحدٌ بدت فيه البشرية كلها متمسرةً على الصليب ... في ذلك اليوم لا بد أن الكوكب كان كله يتأرجح مع تشنجٍ عالمي، ففي كل مكان كانت قلوب الرجال تخللهم من الخوف.

لقد بزغ فجر ذلك اليوم بصمتٍ وكآبةٍ وبرودةٍ في إنجلترا. استعدت السيدة بلايث وريلا والآنسة أوليفر للكنيسة في قلبي يخفف من الأمل والثقة. كان الدكتور بعيداً، بعد أن تم استدعاؤه إلى المنزل في ماروود في جلين الشمالية، حيث كانت عروس حربٍ صغيرةٍ تقاتل بشجاعةٍ في ساحة المعركة الخاصة بها لإعطاء الحياة، وليس الموت، للعالم. قالت سوزان أنها تنوي البقاء في المنزل ذلك الصباح ... وهو قراؤٌ نادرٌ لسوزان.

وأوضحت: "أفضل عدم الذهاب إلى الكنيسة هذا الصباح يا سيدتي

العزيزة، فإذا كان هناك المشعر القمري، ورأيته يبدو مقدسًا ومسروورًا، لأنه دائمًا ما يبدو هكذا عندما يعتقد أن المغول يفوزون، أخشى أن أفقد صبري وإحساسي باللياقة وألقي الكتاب المقدس أو الترنيمة عليه، وهذا سيكون عارًا على نفسي وعلى الصرح المقدس. لذلك يا سيدتي العزيزة، سأبقى في المنزل بدلًا من الذهاب، وأتابع صلاتي وتلاواتي هنا حتى ينقلب الوضع".

قالت الأنسة أوليفر لريلا، بينما كانوا يسيرون في الطريق الأحمر المتجمد إلى الكنيسة: "أعتقد أنني قد أبقى في المنزل أيضًا، لأنني أعتقد بأن الكنيسة ستفعل شيئًا ما لي، فلا أستطيع التفكير في شيء سوى هذا السؤال "هل ما زالت الحدود صامدة؟"

قالت ريلا: "الأحد القادم سيكون عيد الفصح، أترأه يبشر بالموت أو الحياة لقضيتنا؟"

ذلك الصباح، كان خطاب السيد ميريديث واعظًا ومُلهمًا بشدة "من سيصبر، سيلقى الفرج" ... ودق الأمل والثقة من خلال جملة الملهمة. شعرت ريلا، وهي تنظر إلى اللوح التذكاري المعلق على الحائط فوق مقاعدهم المقدسة لذكرى والتر كوثيرت بليث، بأنها تخلصت من رعبها وملأتها الشجاعة من جديد.

لم يكن والتر ليضحى بحياته سدى. لقد امتلك موهبة الرؤية النبوية وكان قد تنبأ بالنصر ... كانت ريلا تتشبث بهذا الاعتقاد ... الحدود ستصمد!

كان ارتياد الكنيسة قد أراح بالهم وجدد مزاجهم براحة، وعادت ريلا إلى المنزل من الكنيسة فرحةً إلى حدٍّ ما. كان الآخرون أيضًا متفائلين، وكان الجميع متفائلين في إنجلسايد.

لم يكن هناك أحدٌ في غرفة المعيشة، باستثناء جيمس، الذي كان قد نام على الأريكة ودوك جالسٌ على سجادة الموقد إلى جانبه هادئًا وفي

راحة قاتمة، وكان يبدو شديد النعومة حقًا. لم يكن أحدٌ في غرفة الطعام أيضًا، والغريب أنه لم يكن هناك عشاءٌ على الطاولة، التي لم يتم إعدادها حتى. أين كانت سوزان؟

صاحت السيدة بلايث بقلق: "هل يُعقل أن تكون قد مرضت؟ فقد كان من الغريب رفضها للذهاب إلى الكنيسة صباحًا أيضًا!!"
انفتح باب المطبخ وظهرت سوزان على العتبة بوجه مروع لدرجة أن السيدة بلايث صرخت في ذعرٍ مفاجئ: "ما هذا يا سوزان؟"
قالت سوزان: "كُسرت الحدود البريطانية، والقذائف الألمانية تتساقط على باريس".

كانت النساء الثلاث يحدقن في بعضهن البعض، منهوبات.
قالت ريلا بفرع: "هذا ليس صحيحًا، إنه ليس كذلك"
قالت جيرترود أوليفر: "سيكون الأمر ... تافهًا،" ثم ضحكت بشكلي مرعب.

سأل السيدة بليث: "سوزان! من قال لك هذا ... متى وصلتك هذه الأخبار؟"

أجابت سوزان: "جاءني اتصالٌ هاتفيٌّ من مدينة شارلوت قبل نصف ساعة، وصلت الأخبار إلى المدينة في وقتٍ متأخرٍ من الليلة الماضية. لقد اتصل بها الدكتور هولاند وقال إنها صحيحةٌ للغاية. ومنذ ذلك الحين لم أقدر على فعل شيءٍ يا سيدتي العزيزة.

أنا آسفةٌ جدًا أن العشاء غير جاهز. إن هذه هي المرة الأولى حيث يبدُر مني هذا التقصير. إن أمكنك التحلي بالصبر، فسأحاول تحضير شيءٍ تأكلونه قريبًا. لكنني أخشى أن أترك البطاطس تحترق."

قالت السيدة بلايث بإحباط: "العشاء! لا أحد يريد أي عشاءٍ يا سوزان ... أوه، هذا الشيء لا يصدق ... لا بد أنه كابوسٌ يطاردنا."
قالت ريلا لاهثةً وسط الأنقاض المطلقة للأمل والثقة والإيمان: "

ضاعت باريس ... فرنسا خاسرة - الحرب خاسرة".

اشتكت جيرترود أوليفر، وهي تتجول في الغرفة وتعصر يديها بقلق: "يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!"

لم يتبقى شيء ... لا كلمات ... لا شيء سوى ذلك النداء الثقيل، تلك الصرخة الأليمة من الألم والنداء الفائقين، من قلب الإنسان الذي همدت كل روح بشرية فيه.

جاء بصوت خافت مرتعب من مدخل غرفة المعيشة: "هل مات الرب؟"

وقف جيمس هناك، محمراً من النوم، وعيناه البنيتان الكبيرتان مملئتان بالرعب: "ويلا! ويلا! هل مات الرب؟"

توقفت الأنسة أوليفر عن المشي والصرخ، وحدقت في جيمس، الذي بدأت دموع الخوف تتجمع في عينيه. ركضت ريلا إلى مواساته، بينما صعدت سوزان من على الكرسي الذي سقطت منه.

ثم قالت وقد عادت لها نفسها الطبيعية: "أوه لا! لم يمّت الرب، ولا لويد جورج أيضاً. لقد نسينا ذلك يا سيدتي العزيزة.

لا تبكي يا كيتشينر الصغير. هذا طبيعي، يمكن للأمر أن تسوء أحياناً ... حسناً! قد يتم كسر الحدود البريطانية ولكن البحرية البريطانية لن تُهزم! دعونا نأمل بذلك. الآن! سأستجمع قوتي وأقوم لأحضر العشاء، فيجب أن نكون أقوياء".

تظاهر الجميع بأنهم يأكلون ما حضّرتة سوزان، لا أحد منهم كان يشتهي شيئاً، تظاهروا بذلك فقط...

لم ينس أحدٌ في إنجلترا تلك الظهيرة الظلماء.

سارت جيرترود أوليفر على الأرض ... ساروا جميعاً على الأرض ... باستثناء سوزان، التي خلعت جوربها الرمادي الحربي.

"سيدتي العزيزة، لا بد لي من التماسك يوم الأحد، لم أحلم أبداً

بفعل ذلك من قبل، كما يُقال، لقد اعتبرته انتهاكًا للوصية الثالثة.
ولكن سواءً كان الأمر كذلك أم لا، يجب أن أكون متماسكةً اليوم أو
سأصاب بالجنون".

قالت السيدة بلايث بقلق: "قومي بالحياكة إن أمكنك ذلك يا
سوزان، هذا يمكن أن يخفف قليلاً ... لكنك فعلت هذا لو أمكنتي،
ولكنني لم أقدر، لم أقدر".

تههدت ريلا: "فقط لو كان بإمكاننا الحصول على معلوماتٍ أكثر،
فقد يكون هناك شيءٌ ما يشجعنا، فقط لو أمكننا معرفة كل شيء".

قالت الأنسة أوليفر بمرارة: "نعلم أن الألمان يقصفون باريس، في
هذه الحالة يجب أن يكونوا قد اخترقوا كل مكان. لقد خسرنا ... دعونا
نواجه الحقيقة كما كان على الشعوب الأخرى في الماضي مواجهتها.
كانت الدول الأخرى قد قدمت أفضل ما لديها من الشبان وأشجعهم،
وفي النهاية أنزلوا للهزيمة على الرغم من ذلك.

بلدنا هو شيءٌ آخر حير الملايين الذين ذهبوا من قبل".
صرخت ريلا وقد احمرَّ وجهها الشاحب فجأة: "لن أستسلم بهذه
الطريقة ... لن أشعر باليأس. لم يتم احتلالنا ...

إذا اجتاحت ألمانيا كل فرنسا، فهذا لا يعني أنه تم احتلالنا. أشعر
بالخجل من نفسي بسبب ساعة اليأس هذه. لن تروني أتراجع مرةً
أخرى هكذا، سأذهب للاتصال بالمدينة على الفور وأسأل عن
التفاصيل".

ولكن أحدًا لم يجب على الهاتف، كان مشغل المسافات الطويلة
هناك غارقًا في مكالماتٍ مماثلةٍ من كل جزءٍ من البلد المشتت.

استسلمت ريلا أخيرًا ... وانزلت بعيدًا إلى وادي قوس المطر.
ركعت هناك على العشب الرمادي الذابل في الزاوية الصغيرة حيث
كانت هي ووالتر يتحدثان معًا، ورأسها منحني على جذع شجرةٍ

مقطوعة. كانت الشمس قد اخترقت الغيوم السوداء وغمرت الوادي بإشعاعاتٍ ذهبيةٍ شاحبة. كانت الأجراس على "شجرة العشاق" متلاثلةً بشكلٍ متقطعٍ في رياح آذار العاصفة.

همست ريبلا: "مدني بالقوة يا إلهي، لا أحتاج شيئاً سوى القوة والشجاعة" ثم مثلت كالطفلة، ودعت كما فعل جيمس من قبل تمامًا: "أرجوك أسمعنا أخبارًا أفضل غدًا".

ركعت هناك لوقتٍ طويل، وعندما عادت إلى إنجلسايد كانت هادئةً وحازمة. كان الدكتور قد وصل إلى المنزل، متعبًا لكنه منتصر، فالصغير دوغلاس هايغ من ماروود كان قد استعاد صحته خلال هذا الوقت. كانت جيرترود لا تزال تسير بقلبي لكن السيدة بليث وسوزان استجابتا للصدمة، وكانت سوزان بالفعل تخطط لخط دفاعٍ جديدٍ لحدود مرافئ القناة.

وقالت: "طالما نتبع هذه، فسيتم إنقاذ الوضع. ليس لباريس في الحقيقة أي أهمية عسكرية".

قالت جيرترود بحدوةٍ كما لو أن سوزان قد نسبت بشيءٍ مُريعٍ: "كفي عن قول ذلك".

لقد اعتقدت أن العبارة القديمة البالية "لا أهمية عسكرية" ليست أقل من السخرية المروعة في ظل هذه الظروف، وأكثر فظاعةً من صوت اليأس لتحملها.

قال الدكتور: "سمعت في ماروود أن الحدود قد تم كسرها، لكن قصة قصف الألمان لباريس تبدو مُختلفةً إلى حدٍ ما. فحتى لو اخترقوها، كانوا على بعد خمسين ميلاً من باريس في أقرب حالاتهم، فكيف اقتربوا من مدفعيتهم بما يكفي لقصفها في وقتٍ قصيرٍ جدًا؟ وبالتالي أيتها الفتيات، لا يمكن أن يكون هذا الجزء من الرسالة صحيحًا. سأحاول إجراء مكالمةٍ هاتفيةٍ إلى المدينة وأتأكد بنفسني".

لم يكن الدكتور أكثر نجاحًا باتصاله مما حققته ريبلا، ولكن وجهة نظره شجعتهم جميعًا قليلًا، وساعدتهم على تمضية المساء. وفي الساعة التاسعة صباحًا، وصلت أخيرًا رسالةً أفرحت ليلتهم. قال الدكتور وهو يغلق السماعة: "انكسرت الحدود في مكان واحد فقط، قبل سانت كوينتين، والقوات البريطانية في حالة جيدة ... هذا ليس سيئًا للغاية.

أما بالنسبة للقذائف التي تسقط على باريس، فإنهم تأتي من مسافة سبعين ميلًا، من مدفع بعيد المدى اخترعه الألمان واستخدموه مع الهجوم الافتتاحي. هذه هي كل الأخبار حتى الآن، ويقول الدكتور هولاند إنها موثوقة".

قالت جيرترود: "كان من الممكن أن يكون خبرًا مروعًا بالأمس، ولكن بالمقارنة مع ما سمعناه هذا الصباح، فإن الأمر يشبه الخبر السار تقريبًا. ولكن مع ذلك ... "أضافت، وهي تحاول الابتسام: "أخشى ألا أنام كثيرًا الليلة. "

قالت سوزان: "هناك شيء واحد يجب أن نكون شاكرين له على أي حال يا عزيزتي الأنسة أوليفر، وهو أن ابنة العم صوفيا لم تأت اليوم. لم أكن لأقدر على تحمل شؤمها بعد كل ما حصل".

"جريحٌ ومفقود"



كان

العنوان الرئيسي في جريدة يوم الإثنين "يهاجم ولكنه لا يُكسر"، وكررته سوزان مرارًا وتكرارًا أثناء عملها. تم ترقيع الفجوة التي سببتها كارثة سانت كوينتين في الوقت المناسب، ولكن تم دفع خط الحلفاء بلا هوادة إلى الوراء من الأراضي التي اشتروها في عام ١٩١٧ بحياة نصف مليون شخص.

وكان العنوان الرئيسي يوم الأربعاء هو "ردّ البريطانيين والفرنسيين على الألمان." ولكن التراجع استمر، وظلّوا يتراجعون ... ويتراجعون ... ويتراجعون ... ! أين سينتهي الأمر؟ هل ستتكسر الحدود مرةً أخرى؟ هل سينتهي الأمر بكارثة؟

يوم السبت، كان العنوان الرئيسي "حتى برلين نفذت هجومًا عدوانيًا." وللمرة الأولى في ذلك الأسبوع الفظيع، تجرأ شعب إنجلترا على تنفس الصعداء.

قالت سوزان بإخلاص: "حسنًا، لقد مضى أسبوعٌ الآن، فلنمضي إلى غيره."

وقالت الأنسة أوليفر لريلا عندما ذهبوا إلى الكنيسة صباح عيد

الفصح: "شعرت وكأنني سجينٌ على الرف عندما توقفوا عن ردّ الهجمات، لكنني لست خارج الرف بعد... قد يبدأ التعذيب مرةً أخرى في أي وقت".

قال ريبلا: "لقد شككت في الرب يوم الأحد الماضي، لكنني لا أشك فيه اليوم. لا يمكن للشر أن ينتصر. الروح في صالحنا ومن المحتم أن تدوم أكثر من الجسد".

ومع ذلك، غالبًا ما تم امتحان إيمانها في الربيع المظلم الذي تلا ذلك. لم تكن همجدون مسألة أيام قليلة كما كانوا يأملون، لقد امتدت إلى أسابيع وأشهر.

ضرب هيندنبورغ مرارًا وتكرارًا ضرباته الوحشية المفاجئة بنجاح مثير للقلق، وإن كان لا طائل من ورائه. ومرارًا وتكرارًا أعلن النقاد العسكريون أن الوضع خطيرٌ للغاية. وكانت ابنة العم صوفيا تتفق معهم في كلِّ مرّة.

وصرحت قائلة: "إذا عاد الحلفاء ثلاثة أميالٍ إلى الورا، فستخسر الحرب".

سألت سوزان بازدراء: "هل البحرية البريطانية راسيةٌ في تلك الأميال الثلاثة؟"

قالت ابنة العم صوفيا بجدية: "إنه قول رجلٍ مُخضرمٍ في الأمر". ردت سوزان: "لا يوجد مثل هذا الشخص، أما بالنسبة للنقاد العسكريين، فهم لا يعرفون شيئًا واحدًا مباركًا عن الأمر أكثر مني ومنك. لقد أخطأوا مراتٍ عديدة. لماذا تنظرين دائمًا إلى الجانب المظلم يا صوفيا كراوفورد؟"

"لأنه لا يوجد أي جانبٍ مشرقٍ يا سوزان بيكر".

"أوه، أحقًا؟ إنه العشرين من نيسان، وهندي ليس في باريس بعد، رغم أنه قال إنه سيكون هناك بحلول أول نيسان. ألا يُعتبر هذا الأمر

طاقة فرج على الأقل؟"

"في رأيي أن الألمان سيصلون باريس في وقتٍ قصيرٍ يا سوزان بيكر، ولأزيدك علمًا، ليس ذلك فقط، بل إلى كندا أيضًا".

صرحت سوزان وهي تنظر وتشعر بأنها مساويةً تمامًا لتوجيه الجيش الألماني بأكمله بيد واحدة: "لم تصدقي في هذه، لن تطأ قدم أولئك المغول جزيرة الأمير إدوارد طالما إنني أستطيع التعامل مع مدراة.

لا يا صوفيا كراوفورد، لأقول لك الحقيقة الواضحة، لقد سئمت وتعبت من تنبؤاتك القاتمة. أنا لا أنكر حدوث بعض الأخطاء. ولم يكن الألمان ليعيدوا باشنديل أبدًا لو كان الكنديون هناك ... وكانت الثقة بهؤلاء البرتغاليين في نهر "ليس" أسوأ شيء حصل. ولكن هذا ليس سببًا يدعوك أنت أو أي شخصٍ إلى إعلان خسارة الحرب. لا أريد أن أتشاجر معك، على الأقل في مثل هذا الوقت، ولكن يجب الحفاظ على معنوياتنا، وسوف أتحدث بصراحةٍ عن رأيي وأخبرك أنه إذا لم تتمكني من تجنب مثل هذا النعيب فإن الجلوس في غرفتك أفضل من قدومك إلى هنا".

توجهت ابنة العم صوفيا إلى منزلها في دراجين عاليًا حاملةً إهانتها، ولم تظهر مرةً أخرى في مطبخ سوزان لعدة أسابيع. ربما كان الأمر كذلك، لأنها كانت أسابيع صعبةً عندما استمر الألمان في الهجوم، تارةً هنا وأخرى هناك، ويبدو أن المُحبطات كانت تسقط عليهم في كل ضربة.

وذاث يومٍ في أوائل شهر أيار، عندما كانت الرياح وأشعة الشمس تعكس على وادي قوس المطر، وكان بستان القيقب أخضرًا ذهبيًا، والميناء أزرق ومغمور ... جاءت الأخبار عن جيم.

كانت هناك غارة خندقٍ في الجبهة الكندية، غارةٌ صغيرةٌ من الخندق

غير مهمة لدرجة أنه لم يتم ذكرها مطلقًا في الرسائل، وعندما انتهى الأمر، تم الإبلاغ عن الملازم جيم بلايث "جريحٌ ومفقود". أخذت ريلا تئن من خلال شفيتها الشاحبتين في تلك الليلة: "أعتقد... أن هذا... أسوأ... مما كان... يمكن أن يكون... خبر وفاته". قالت جيرترود أوليفر مُلحة: "لا لا، ليس هناك ما يُسمى فقدان، تمسكي بالأمل يا ريلا".

قالت ريلا بين شهقاتها: "مؤلمٌ ذاك الأمل المجهول... آه يا آنسة أوليفر... سوف نمضي أسابيع وشهور الآن... ونحن لا نعرف ما إذا كان جيم على قيد الحياة أم ميتًا!!! وربما لن نعرف أبدًا. أنا... لا أستطيع تحمل ذلك... لم أعد أقدر. كان والتر... والآن جيم. هذا سيقتل أُمي... انظري إلى وجهها يا آنسة أوليفر، وسترين ذلك.

وفايث... فايث المسكينة... كيف سيمكنها تحمل ذلك؟" ارتجفت جيرترود من الألم، ونظرت إلى الصورة المعلقة فوق مكتب ريلا وشعرت بكراهية مفاجئة لابتسامة الموناليزا التي لا تنتهي. وقالت بوحشية: "ألا تزيد هذه الطين بلاءً؟"

لكنها قالت بلطف: "لا، إنها لا تفعل شيئًا. إنها مصنوعة من روح أفضل من ذلك. كما أنها ترفض تصديق أن جيم قد مات، سوف تتشبث بالأمل ويجب علينا جميعًا أن نفعل ذلك. قد تكون على يقين من أن الإيمان سيفعل ذلك، ولهذا تبتم."

ثم تابعت بشكوى: "أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك... لقد جرح جيم... ما هي فرصة نجاته؟ نحن لا نعلم. حتى لو وجدته الألمان... فنحن نعرف كيف يعالجون السجناء الجرحى.

أتمنى أن أتمسك بالأمل يا آنسة أوليفر... سيساعدني ذلك على ما أعتقد. ولكن الأمل يبدو ميتًا في داخلي. لا أستطيع أن أتمنى بدون

سببٍ لذلك ... وليس هناك سبب".

عندما ذهبت الآنسة أوليفر إلى غرفتها الخاصة وكانت ريبلا مستلقيةً على سريرها في ضوء القمر، تصلي بشدةٍ من أجل القليل من القوة، دخلت سوزان مثل الظل الهزيل وجلست بجانبها وقالت: "ريبلا عزيزتي، لا تقلقي. جيم الصغير لم يمت".

"آه! من أين جلبت هذه الثقة يا سوزان؟"

"لأنني أعلم ذلك. استمعي إلي ... عندما جاءنا الخبر هذا الصباح، كان أول من فكرت به هو كلب الإثنيين. واللييلة، بمجرد أن غسلت أطباق العشاء ووضعت الخبز، نزلت إلى المحطة. رأيت كلب الإثنيين هناك، ينتظر القطار، تمامًا بصبره المعتاد.

وأنا أعلم أن غارة الخندق كانت قبل أربعة أيام يا عزيزتي ريبلا، أي الإثنيين الماضي. ولأتأكد من الأمر، ذهبت إلى موظف المحطة وسألته "هل يمكنك إخباري إذا كان هذا الكلب قد نبج أو أثار أي نوعٍ من الجلبة ليلة الإثنيين الماضي؟"

فكّر في الأمر قليلاً ثم قال "لا، لم يفعل".

فسألته لأتأكد أكثر "هل أنت واثق؟ فهذه مسألة مهمة أكثر مما تعتقد!"

فقال: "أجل واثقٌ بالتأكيد. لقد كنت مستيقظاً طوال الليل ليلة الإثنيين الماضي لأن فرسي كانت مريضة، ولم يكن هناك صوتٌ يخرج منه أبداً. كنت سأسمع لو كان هناك، لأن الباب الأساسي كان مفتوحاً طوال الوقت".

الآن يا عزيزي ريبلا، هذه كانت كلمات الرجل. وأنت تعرفين كيف كان ذلك الكلب الصغير المسكين يعوي طوال الليل بعد معركة كورسيليت عند وفاة والتر رحمه الله. ولا تنسي أنه لم يكن يحب والتر بقدر ما يحب جيم. إذا حزن على والتر وتصرف هكذا، فهل تعتقدين

أنه سينام في بيته هكذا عند مقتل جيم؟ لا يا عزيزي ريلا، لم يمت جيم الصغير أو ما شابه. لو كان كذلك، لكان كلب الإثنين سيعرف ذلك بالتأكيد، تمامًا كما عَرَفَ من قبل، ولم يكن لينتظر القطارات حتّى الآن".

كانت فكرةً سخيفةً وغير منطقيةً ومستحيلةً ... لكن ريلا صدقت ذلك، والسيدة بلايث أيضًا، حتى الدكتور، رغم أنه ابتسم بصوتٍ خافتٍ في سخريّةٍ مزعومة، ولكنه شعر بثقةٍ غريبةٍ تحل محلّ يأسه ... فسواء كان الأمر سخيفًا أم لا، لا يمكن إنكار أنه لامس قلوبهم وشجاعتهم للاستمرار، لمجرد أن كلبًا صغيرًا مخلصًا في محطة جلين كان لا يزال يشاهد بإيمانٍ غير منقطعٍ عودةً إلى المنزل.

قد تحقّر ذلك الفطرة السليمة، وقد يغمغم لهم عدم ثقتهم بأن الأمر مجرد خرافات ... ولكن ليس في قلوبهم، فقد وقف سگان إنجلسايد متمسكين بإيمانهم، بأن كلب الإثنين على علمٍ بما يحدث، ويمكن اتباعه ...



كانت

سوزان حزينةٌ للغاية عندما رأت العشب القديم الجميل لإنجلسايد يحترق ذلك الربيع ويزرع بالبطاطس. ومع ذلك، لم تعترض، حتى عندما تم التضحية بسريرها الفاوانيا المحبوب. لكن عندما أقرت الحكومة قانون التوقيت الصيفي، رفضت سوزان. وقد كانت هناك قوةٌ أعلى من حكومة الاتحاد، التي تدين لها سوزان بالولاء.

سألت سوزان بغضب: "هل ترون أنه من الصواب التدخل في ترتيبات الرب الكبير؟"

لم يحرك الدكتور ساكنًا، وكأنه يجيب بأن هذا الكلام لا يؤثر على شيء، ويجب مراعاة القانون مهما حصل، وتم تغيير ساعات إنجلسايد وفقًا لذلك. لكن لم يكن للطبيب أي سلطة على منبه سوزان الصغير. قالت بحزم: "اشتريت ذلك بمالي يا سيدتي العزيزة، وسيستمر في وقت الله وليس في وقت بوردن".

نهضت سوزان وذهبت إلى الفراش في "وقت الله"، ونظمت ذهابها ومجيئها به. لقد قدمت وجبات الطعام، في ظل الاحتجاج

بحلول وقت بوردن، وكان عليها أن تذهب إلى الكنيسة بحلول ذلك الوقت، وهو ما كان بمثابة الإصابة بالتتويج .

لكنها كانت تتلو صلاتها على أساس الساعة الخاصة بها، وتطعم الدجاج بها أيضًا، حتى أنه كان هناك دائمًا انتصارٌ خفي في عينيها عندما نظرت إلى الدكتور. لقد تفوقت عليه كثيرًا على الأقل.

قالت له ذات مساء: "إن المشعر القمري سعيدٌ للغاية بهذا العمل في التوقيت الصيفي. بالطبع سيكون كذلك، لأنني أدركت أن الألمان اخترعوه. سمعت أنه اقترب من فقدان محصول القمح بالكامل مؤخرًا. إذ اقتحمت أبقار وارن ميد الحقل في أحد أيام الأسبوع الماضي - كان هذا هو نفس اليوم الذي استولى فيه الألمان على منطقة شيمونج دو دام الفرنسية، والتي ربما كانت مصادفةً أو ربما لا.

وكانت تلحق الدمار بها عندما صادفت السيدة ديك كلو رؤيتهم من نافذة العلية. في البداية لم تكن تنوي السماح للسيد بريور. أخبرني أنها قد شمتت في رؤية تلك الأبقار التي ترعى قمحه. شعرت أنه يستحق ذلك تمامًا.

لكنها في الوقت الحالي عكست أن محصول القمح كان ذا أهمية كبيرة وأن "أوفر واخدم" تعني أنه يجب إخراج تلك الأبقار بقدر ما يعني ذلك أي شيء.

لذا نزلت واتصلت هاتفياً بالمشعر القمري وأخبرته عن الأمر. كل الشكر الذي حصلت عليه هو أنه قال لها شيئاً غريباً.

إنها ليست مستعدة لقوله في الواقع لأنك لا تستطيع أن تكون متأكدًا مما تسمعه عبر الهاتف، ولكن لديها رأيها الخاص، وأنا كذلك، لكنني لن أعبر عنه لأن السيد ميريديث أت، والمشعر هو أحد شيوخه، لذلك يجب أن نكون متحفظين".

سأل السيد ميريديث، لينضم إلى الأنسة أوليفر وريلا، اللتان كانتا

تقفان بين البطاطس المزهرة تحدقان في السماء: "هل تبحثان عن النجم الجديد؟"

"نعم، لقد وجدناه، انظر، إنه عند أعلى قمة أطول شجرة صنوبر قديمة".

قالت ريبلا: "إنه لأمر رائع أن أنظر إلى شيء حدث قبل ثلاثة آلاف عام، أليس كذلك؟" وأضافت وهي تأخذ نفسًا عميقًا: "هذا هو الوقت الذي يعتقد فيه علماء الفلك أن الاصطدام قد حدث مما أدى إلى ظهور هذا النجم الجديد. وهذا يجعلني أشعر بأنني تافهة وضيئة بشكل كبير".

قالت جيرترود بقلق: "حتى هذا الحدث لا يمكن أن يجعلنا نغض النظر، فيما قد يكون المنظور المناسب في أنظمة النجوم حقيقة، أن الألمان مرةً أخرى لا يبعدون سوى خطوة واحدة من باريس".

قال السيد ميريديث وهو يحدق في النجم: "أعتقد أنني أود أن أصبح عالم فلك".

وافقته الأنسة أوليفر على ذلك قائلة: "يجب أن يكون هناك متعة غريبة في ذلك، إنها متعة غير حقيقية، بوضوح أكثر. أود أن أحصل على عدد قليل من علماء الفلك كأصدقائي".

ضحكت ريبلا: "تخيلي حديث ثرثرة زوّار السماء".

قال الدكتور: "أتساءل عما إذا كان علماء الفلك يشعرون باهتمام عميق جدًا بالشؤون الأرضية! ربما لن يكون طلاب المريخ شديداً الاهتمام بوضع ياردات من الخنادق التي ضاعت أو فازت بها على الجبهة الغربية".

قال السيد ميريديث: "لقد قرأت في مكان ما، أن إرنست رينان كتب أحد كتبه أثناء حصار باريس عام ١٨٧٠ و"استمتع بكتابته كثيرًا" افترض أن نسميه فيلسوفًا".

قالت الأنسة أوليفر: "لقد قرأت أيضًا، أنه قبل وفاته بفترة وجيزة قال إن ندمه الوحيد على وفاته هو أنه يجب أن يموت قبل أن يرى ما سيفعله هذا "الشاب المثير للاهتمام للغاية، الإمبراطور الألماني" في حياته.

لو كان إرنست رينان اليوم ورأى ما فعله ذلك الشاب المثير للاهتمام بفرنسا الحبيبة، بغض النظر عن العالم، أتساءل عما إذا كانت موضوعية عقله ستكون كاملةً كما كانت في عام "١٨٧٠".

"أتساءل أين يكون جيم الليلة،" هكذا فكرت ريبلا ... في اندفاع مريب مفاجيء لهذه الذكرى.

لقد مر أكثر من شهرٍ منذ ورود الأخبار عن جيم. لم يُكشف عنه شيءٌ رغم كل الجهود. وصلتهم رسالتان أو ثلاثة رسائل منه، كانت قد كُتبت قبل حادثة غارة الخندق، ومنذ ذلك الحين لم يصل سوى الصمت.

كان الألمان مرةً أخرى في مارن، يضغطون بالقرب من باريس ... وانتشرت شائعاتُ الآن عن هجومٍ نمساويٍ آخر ضد حدود بياف.

ابتعدت ريبلا عن النجم الجديد مفطورة القلب. كانت إحدى اللحظات التي خذلها فيها الأمل والشجاعة تمامًا ... عندما بدا من المستحيل الاستمرار في يومٍ واحدٍ آخر.

لو كانوا يعرفون فقط ما حدث لجيم، كان بإمكانهم مواجهة أي شيءٍ يمكن أن يصلهم عنه، يكفي أن يصلهم فقط...

لكن حصار الخوف والشك والتشويق أمرٌ صعبٌ على الروح المعنوية. بالتأكيد، إذا كان جيم على قيد الحياة، لكان هناك خبرٌ ما. لا بدّ أنه قد مات. فقط ... لن يعرفوا أبدًا بذلك ... ولن يكونوا متأكدين تمامًا.

وسيبقى كلب الاثنتين منتظرًا عند القطار حتى يموت من الشيخوخة.

لم يكن كلب الإثنين سوى كلبٍ صغيرٍ مسكين، مخلص، مصاب بالروماتيزم، لا يعرف شيئًا عن مصير سيده أكثر مما هم يعرفون. كان الأرق ينهش ريلا طوال الليل، ولم تنم حتى وقت متأخر جدًا. عندما استيقظت، كانت جيرترود أوليفر جالسةً عند نافذتها تنحني لتواجه لغز الفجر الفضي. ظهر مظهرها الذكي والمدهش، مع كتلٍ من الشعر الأسود خلفه، بوضوحٍ مقابل الذهب الباهت للسماء الشرقية. تذكرت ريلا إعجاب جيم بمنحنى جبين وذقن الأنسة أوليفر، فارتعشت أوصالها. كل شيءٍ يذكرها بجيم بدأ يعطي ألمًا لا يطاق. تسبب موت والتر في إصابة قلبها بجرحٍ مرير، لكنه كان جرحًا نظيفًا ومثل هذه الجروح تُشفى ببطء، على الرغم من أن الندبة تبقى إلى الأبد.

لكن تعذيب اختفاء جيم كان شيئًا آخر، كان هناك سمٌّ فيه منعه من الشفاء. إن تناوب الأمل واليأس، والانتظار اللامتناهي للرسالة التي لم تأت أبدًا... والتي قد لا تأتي أبدًا، وحكايات الصحف عن سوء استخدام السجناء، العجيبة المريرة بربطها مع حالة جيم، كانت ثقلاً يكبلُ حامله.

أدارت جيرترود أوليفر رأسها. كان هناك تألُّقٌ غريبٌ في عينيها: "ريلا، كان لدي حلمٌ آخر".

صرخت ريلا: "أوه، لا لا".

لطالما أنبأت أحلام الأنسة أوليفر بكارثةٍ قادمة...

"ريلا! كان حلمًا جيدًا. اسمعي، حلمت تمامًا كما كنت أفعل قبل أربع سنوات، إنني وقفت على درج الشرفة ونظرت إلى أسفل جلين. وكانت لا تزال مغطاةً بالأمواج التي امتدت حول قدمي. ولكن بدا أن الأمواج بدأت تنحسر، وانحسرت بسرعةٍ حتى عادت لما كانت عليه. تدرجت إلى الوراء، إلى الخليج، وظهرت جلين كلَّها أمامي، بجمالها

وخضارها، مع قوس مطرٍ يمتد عبر وادي قوس المطر، كان لونه رائعًا
أذهلني، وبعدها استيقظت. ريلا... ريلا بلايث... ستقلب الأحوال".
تنهدت ريلا: "أتمنى أن يصدق قولك..."

فمن نبأتي قبلاً بحدوث ظلمتي... أصدقها وهي تبشّرني ببهجتي"
قالت جيرترود بمرح: "أقول لك، ليس لديّ شكٌ في ذلك".
ومع ذلك، على الرغم من الانتصار الإيطالي العظيم في بياف الذي
جاء بعد أيام قليلة، راودها شكٌ في كثيرٍ من الأوقات في الشهر العسير
الذي تلاه. وعندما عبر الألمان في منتصف شهر تموز نهر المارن مرةً
أخرى، بلغ اليأس ذروته.

شعروا جميعًا أن الأمل في تكرار معجزة مارن كان خاملاً. لكنها
كانت كذلك، ومرةً أخرى، كما في عام ١٩١٤، انقلب الحال عند نهر
مارن. ووجهت القوات الفرنسية والأمريكية ضربةً ساحقةً مفاجئةً على
الجناح المكشوف للعدو، وبسرعة حلمٍ لا يمكن تصورها تقريبًا،
انعكست كل الأدوار في الحرب.

قال الدكتور في العشرين من تموز: "لقد حقق الحلفاء انتصارين
هائلين".

قالت السيدة بلايث: "إنها بداية النهاية، أشعر بها، أشعر بها".
قالت سوزان وهي تطوي يديها العجوزتين المرتعشتين: "الشكر
للرب" ثم

أضافت بحزن: "ولكنها لن تعيد أولادنا".
لكنها خرجت ورفعت العلم لأول مرة منذ سقوط أورشليم. عندما
اشتعلت النسائم وعصفت بشجاعةٍ فوقها، رفعت سوزان يدها وحيتها،
كما رأت شيرلي يفعل... وقالت: "لقد قدمنا جميعًا شيئًا لإبقائك
ساميًا! أربعمائة ألفٍ من أولادنا ذهبوا إلى الخارج، وقتل خمسون ألفًا
منهم. ولكنك تستحق ذلك!"

ضربت الريح شعرها الرمادي على وجهها وتم قطع المريلة القطنية التي كانت تغطيها من رأسها إلى قدميها. ومع ذلك، وبطريقة ما، كانت سوزان شخصيةً مهيبه. كانت واحدةً من تلك النسوة الشجاعات، غير المكلومات، الصابرات، البطلات... اللواتي جعلن النصر ممكنًا. من أجلها، حيًا جميعهم الرمز الذي قاتل من أجله أعزّ الناس على قلوبهم. وكان شيءٌ من هذا التفكير يمكث في ذهن الدكتور وهو يراقبها من الباب.

وعندما استدارت لتأتي اتجاهنا، قال الدكتور: "لطالما كنتِ ولا تزالين المرأة القويّة الرائعة حلوة المعشر طوال هذا الوقت".



كانت

ريلا وجيمس يقفان على المنصة الخلفية لسيارتهما عندما توقف القطار عند جانب ميلوارد الضيق. كان مساء شهر آب حارًا لدرجة أن زحمة السير كانت خانقة.

لم يعرف أحدٌ أبدًا سبب توقف القطارات عند انحياز ميلوارد. لم يُعرف أحدٌ على الإطلاق بالنزول إلى هناك أو الركوب. لم يكن هناك سوى منزلٌ واحدٌ أقرب إليه من أربعة أميال، وكان محاطًا بعرائش من العنب البري وأشجار التنوب.

كانت ريلا في طريقها إلى مدينة شارلوت لقضاء الليل مع صديقتها، ولتسوق في اليوم التالي احتياجات الصليب الأحمر. لقد اصطحبت جيمس معها، فمن ناحيةٍ لأنها لا تريد أن تترك الأمر لسوزان أو والدتها لرعايته، ومن أخرى إلى الرغبة الجائعة في قلبها في الحصول على أكبر قدرٍ ممكن من الوقت معه قبل أن تضطر إلى التخلي عنه مدى الحياة. كان جيم أندرسون (والده) قد كتب لها قبل ذلك بوقتٍ قصيرٍ بأنه أصيب ودخل المستشفى. لن يكون قادرًا على العودة في الوقت القريب، وبمجرد أن يتمكن من ذلك، سيعود إلى المنزل من أجل جيمس.

كانت ريبلا حزينَةً جدًّا بسبب هذا الأمر، وقلقةً أيضًا. لقد أحببت جيمس كثيرًا وستشعر بمرارةٍ عند التخلي عنه على أي حال، ولكن إذا كان جيم أندرسون رجلًا من نوعٍ مختلف، وله منزلٌ مناسب للطفل، فلن يكون الأمر بهذا السوء.

ولكن إعطاء جيمس لأبٍ متجول، عديم التغيير وغير مسؤول، مهما كان لطيفًا وطيب القلب كان احتمالًا مريّرًا لريبلا، وكانت تعلم أن جيم أندرسون كان لطيفًا وطيب القلب بدرجةٍ كافية.

لم يكن من المحتمل حتى أن أندرسون سيبقى في جلين، فلا يملك أية روابط عائلية هناك، حتى أنه قد يعود إلى إنجلترا، وعندها لن ترى جيمس الصغير العزيز على الإطلاق...

مع مثل هذا الأب، ماذا يمكن أن يكون مصيره؟ قصدت ريبلا أن تطلب من جيم أندرسون أن يتركه معها، ولكن عندما قرأت رسالته، لم يكن لديها الكثير من الأمل في أن يفعل ذلك.

كانت تتحدث مع نفسها قائلة: "فقط لو كان سيبقى في جلين، حيث يمكنني مراقبة جيمس وإبقائه معي كثيرًا، عندها لن أشعر بالقلق الشديد حيال ذلك... ولكنني متأكد من أنه لن يفعل، ولن يحظى جيمس بأي فرصة أبدًا.

وهو شابٌ صغيرٌ مشرقٌ لديه طموح، يستطيع أن يتأقلم أينما ذهب، وهو ليس كسولًا. ولكن والده لن يكون لديه سنًا واحدًا ليعطيه أي تعليمٍ أو ليبدأ في بناء حياته. أو يا جيمس، طفلي الصغير الحربي، ماذا سيحدث لك؟"

لم يكن جيمس مهتمًا على الإطلاق بما سيحدث له. كان يراقب ببهجةٍ التصرفات الغريبة لسنجاب مخطط كان يرتعش فوق سقف الانحياز الضيق.

وعندما انسحب القطار، انحنى جيمس بلهفةٍ إلى الأمام لإلقاء نظرةٍ

أخيرةً على تشيبي، وسحب يده من يد ريلا.

كانت ريلا منغمسةً جدًا في التساؤل عما سيحدث لجيمس في المستقبل لدرجة أنها لم تع أن تتبه لما كان يحدث له في الوقت الحاضر. ما حدث هو أن جيمس فقد توازنه، وتعثر بدرج القطار ثم وقع إلى أسفل وسط كتلةٍ من السرخس على الجانب الآخر.

صرخت ريلا وفقدت عقلها خوفًا. وقفزت بسرعةٍ وهي تنزل من القطار دون الأخذ بعين الاعتبار لأي قطاراتٍ آتيةٍ أو ذاهبةٍ. لحسن الحظ، كان القطار لا يزال يسير بسرعةٍ بطيئةٍ نسبيًا، ولحسن الحظ أيضًا، احتفظت ريلا بلياقةٍ كافيةٍ للقفز هكذا، ومع ذلك، سقطت وامتدت بلا حولٍ ولا قوةٍ على السكّة، وهبطت في خندقٍ مليءٍ بنمو رتبةٍ من العصي والأعشاب.

لم يرَ أحدٌ ما حدث، وانطلق القطار سريعًا بعيدًا حول منحنى في الحاجر. التقطت ريلا أنفاسها وهي تشعر بالدوار ولكنها لم تصب بأذى، وخرجت من الخندق، وركضت بعنفٍ عبر المنصة، متوقعةً أن تجد جيمس ميتًا أو مكسورًا.

لكن جيمس، باستثناء بضع كدماتٍ ورعبٍ كبير، لم يصب بأذى. كان خائفًا للغاية لدرجة أنه لم يبك حتى، لكن ريلا، عندما اكتشفت أنه سليمٌ وبصحةٍ جيدةٍ، انفجرت في البكاء.

علق جيمس باشمئزاز: "قطال (قطارٌ) عجوز شرير،" وأضاف وهو يعبس باتجاه السماء: "ورب عجوز شرير".

اندلعت ضحكةٌ وسط دموع ريلا، وأنتجت شيئًا يشبه إلى حدٍ بعيد ما يسميه والدها بالهستيريين. لكنها انتبهت لنفسها قبل أن تغزوها الهستيريا.

ريلا بلايث، أشعرُ بالخجل منك. جمّع نفسك على الفور.
"جيمس! لم يكن عليك قول أي شيءٍ من هذا القبيل".

صرح جيمس بتحدٍ: "لقد أرعبني الله من القطار، أحد ما أفزعني، ولم تكوني أنت، إذا فالرب من فعل ذلك".

"لا، لم يكن كذلك. لقد سقطت لأنك تركت يدي وانحنيت بعيدًا جدًا للأمم. وأنا أخبرتك ألا تفعل ذلك. لذلك كان هذا خطأك".

نظر جيمس ليري ما إذا كانت تعني ذلك، ثم نظر إلى السماء مرة أخرى وقال برقة: "اعذرنى إذن يارب".

نظرت ريلا نحو السماء أيضًا، ولم يعجبها مظهرها ... سحابة رعدية كثيفة كانت تظهر في الشمال الغربي.

ماذا كان يجب أن تفعل؟ لم يكن هناك قطار آخر في تلك الليلة، لأن قطار الساعة التاسعة كان يعمل أيام السبت فقط. هل سيكون من الممكن لهم الوصول إلى منزل هانا بروستر، على بعد ميلين، قبل اندلاع العاصفة؟ اعتقدت ريلا أنها تستطيع القيام بذلك بمفردها بسهولة كافية، ولكن مع جيمس كان الأمر مختلفًا. هل تحتل ساقاه الصغيرتان هذا السير؟

قالت ريلا بياس: "علينا أن نجرب. قد نبقى في الجانب حتى تنتهي العاصفة الرعدية، ولكن قد يستمر هطول الأمطار طوال الليل وعلى أي حال سيكون الظلام قاتمًا. فإذا تمكنا من الوصول إلى هانا فسوف نبقى هناك طوال الليل بأمان".

هانا بروستر، عندما كانت هانا كراوفورد، كانت تعيش في جلين وذهبت إلى المدرسة مع ريلا. كانتا صديقتين حميمتين في ذلك الوقت، على الرغم من أن هانا كانت تكبرها بثلاث سنوات.

تزوجت في سن صغيرة وذهبت للعيش في ميلوارد. مع العمل الجاد وزوجها السيئ، لم تكن حياتها سهلة، ونادرًا ما كانت هانا تزور منزلها القديم.

قامت ريلا بزيارتها مرة واحدة بعد زواجها بوقت قصير، لكنها لم

ترها أو حتى تسمع عنها منذ سنوات ... ومع ذلك، كانت تعلم أنها وجيمس سيجدان ترحيباً وإيواءً في أي منزلٍ تعيش فيه هانا الكريمة، ذات الوجه الوردى، متفتحة القلب.

تقدموا بشكلٍ جيدٍ للغاية للميل الأول ولكن الثاني كان أصعب. كان الطريق، الذي نادراً ما يُستخدم، وعراً وعميق الحفر. أصبح جيمس متعباً لدرجة أن ريلا اضطرت إلى حمله خلال الربع الأخير.

وصلت إلى منزل بروستر، شبه منهكة، وأسقطت جيمس ليتابع سيراً مع تنهيدة شكر. كانت السماء سوداء مع السحب. وبدأت القطرات الثقيلة الأولى في السقوط، وكان صوت الرعد يتصاعد بشدة. ثم قامت باكتشاف غير سار ... كانت الستائر مغطاةً بالكامل والأبواب مغلقة. ومن الواضح أن عائلة بروستر لم تكن في المنزل. ركضت ريلا إلى الحظيرة الصغيرة ... تم قفلها أيضاً. لا يوجد ملجأً آخر يقدم نفسه. والبيت الصغير العاري الأبيض لا يحتوي حتى على شرفة أرضية أو رواق.

كان الظلام على وشك الحلول، وهي في محنتها يائسة... قالت ريلا بحزم: "سأدخل إذا اضطرت إلى كسر النافذة. هانا تريدني أن أفعل ذلك بالتأكيد. لن تغضب أبداً إذا سمعت أنني أتيت إلى منزلها للجوء من عاصفة رعدية ولم أستطع الدخول".

لحسن الحظ لم تكن مضطرةً للذهاب إلى طول اقتحام المنزل الفعلي. إذ انفتحت نافذة المطبخ بسهولة تامة. رفعت ريلا جيمس، واندفعت من خلال نفسها، تزامناً مع بدء العاصفة بجديّة.

صاح جيمس بفرح، بينما كان البرد يقرس من بعدهم: "أوه ويلا، انظري إلى كل قطع الرعد الصغيرة."

أغلقت ريلا النافذة ووجدت بعض الصعوبة حتى أضاءت المصباح. كانا في مطبخ صغيرٍ دافئٍ للغاية. كان المدخل من جانبٍ

واحد عبارة عن صالوة مزخرفة ومفروشة بشكل جيد، وعلى الجانب الآخر خزانة مؤن ثبت أنها جيدة التجهيز.

قالت ريلا: "سأتصرف بطبيعتي في المنزل، أعلم أن هذا هو بالضبط ما تريدني هانا أن أفعله. سأحصل على وجبة خفيفة صغيرة لجيمس ولي، وبعد ذلك إذا استمر المطر ولم يعد أحدًا إلى المنزل، سأذهب إلى الطابق العلوي للغرفة الاحتياطية وأذهب للنوم.

لا يوجد شيء اسمه التصرف بشكلٍ منطقي في حالات الطوارئ. لو لم أقم باللازم عندما رأيت جيمس يسقط من القطار، لكنت هرعت إلى السيارة وأحضرت شخصًا لإيقافه. ثم لم أكن لأكون في هذه الورطة، ولكن بما أنني فيها، فسأبذل قصارى جهدي لتمرّ على خير".

أضافت، وهي تنظر حولها: "تم إصلاح هذا المنزل بشكلٍ أفضل بكثير مما كان عليه عندما كنت هنا من قبل. بالطبع بدأت هانا وتيد تدبير شؤون المنزل في ذلك الوقت. ولكن بطريقة ما كانت لدي فكرة أن تيد لم يكن عصريًا كثيرًا. لا بد أنه قام بعمل أفضل مما كنت أعتقد، وبما أنهما يستطيعان شراء أثاثٍ مثل هذا، فأنا سعيدة للغاية من أجل هانا".

مرت العاصفة الرعدية، لكن الأمطار استمرت في التساقط بغزارة. في الساعة الحادية عشرة، قررت ريلا أن لا أحد سيعود إلى المنزل. كان جيمس قد نام على الأريكة، فحملته إلى الغرفة الاحتياطية ووضعتة في الفراش. ثم خلعت ملابسها، وارتدت ثوب النوم الذي وجدته في درج المغسلة، وراحت تنام بين ملاءاتٍ لطيفة للغاية برائحة اللافندر.

لقد كانت متعبة للغاية، بعد مغامراتها ومجهودها، لدرجة أنه حتى غرابة وضعها لا يمكن أن يجعلها مستيقظة، ولم تمرّ بضع دقائق حتى غفت.

نامت ريلا حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، ثم استيقظت

فجأةً على أحدهم يقول بنبوةٍ خشنة: "أنتما الاثنان، استيقظا. أريد أن أعرف ما الذي يحصل هنا؟"

استيقظت ريلا بسرعةٍ منفعة. لم تستيقظ أبدًا طوال حياتها هكذا. كان يقف في الغرفة ثلاثة أشخاص، أحدهم رجل ... كانوا غرباء عنها تمامًا.

كان الرجل كبيرًا وله لحية سوداء كثيفةٌ وعبوسٌ غاضب. بجانبه كانت امرأة، طويلة، رفيعة، ذات زوايا عريضة، بشعرٍ أحمر ناصع وقبعة. لقد بدت متقاطعةً وأكثر دهشةً من الرجل.

وراءهما، كانت هناك امرأةٌ أخرى، سيدةٌ عجوزٌ صغيرةٌ لا بد أنها كانت في الثمانين على الأقل. كانت على الرغم من صغر حجمها، شخصيةً ملفتةً للنظر للغاية. كانت ترتدي ثيابًا سوداء رسمية، وشعرها ناصع البياض، ووجهها شاحب، وعيناها سوداء مشرقةٌ تنبض بالحياة. بدت مندهشةً مثل الآخرين، لكن ريلا أدركت أنها لا تبدو كقطاع الطرق.

كانت ريلا تدرك أيضًا أن هناك شيئًا ما خاطئ، خطأً مخيف. ثم قال الرجل بفضاضةٍ أكثر من أي وقتٍ مضى: "تعالى، من أنت وما هو عمالك هنا؟"

رفعت ريلا نفسها على مرفقٍ واحد، وكانت تنظر وتشعر بالحيرة والغباء. سمعت السيدة العجوز في الخلفية تصدر ضحكةً مكتومة. فكرت ريلا: "لا بد أن يكون واقعًا، بالتأكيد أنا لا أحلم." ثم شهقت بصوتٍ عالٍ: "أليس هذا منزل تيودور بروستر؟"

قالت المرأة الكبيرة وهي تتحدث لأول مرة: "لا، هذا المكان ملكٌ لنا. اشتريناه من بروستر الخريف الماضي. وهم انتقلوا إلى جرينفايل. ندعى آل شابلي."

سقطت ريلا المسكينة على وسادتها، كانت حرجةً بشكلٍ لا

قالت: "أستميحك عذراً! أنا ... اعتقدت ... أن عائلة بروستر تعيش هنا. السيدة بروستر هي صديقة لي. أنا ريلا بلايث، ابنة الدكتور بلايث من جلين سانت ماري. كنت ... كنت ذاهبةً إلى المدينة مع طفلي الصغير، وسقط من القطار، وقفزت من بعده، ولم يعلم أحد بذلك ومشى القطار.

كنت أعرف أننا لم نتمكن من العودة إلى المنزل الليلة الماضية، وكانت عاصفة قادمة، لذلك أتينا إلى هنا وعندما لم نعثر على أحد في المنزل ... نحن ... دخلنا من النافذة".

قالت المرأة ساخرة: "هكذا يبدو".

قال الرجل: "قصةٌ محتملة".

أضافت المرأة: "هه! لم نولد بالأمس".

لم تقل السيدة العجوز أي شيء، لكن عندما ألقى الاثنان الآخران خطاباتها، تضاعفت في تشنّج صامتٍ من الفرح، وهزت رأسها من جانبٍ إلى آخر وضربت الهواء بيديها.

استعادت ريلا، التي تأثرت بالموقف السيئ لعائلة شابلي، ثقتها بنفسها وفقدت أعصابها. جلست في السرير وقالت بأعلى صوتٍ لها: "لا أعرف متى ولدت أو أين، لكن لا بد أنه كان في مكانٍ ما حيث تعلمت أخلاقاً غريبةً جدًا.

إن تكرمتِ تصرفي بلباقةٍ وغادري غرفتي - إيه - هذه الغرفة - حتى أرتدي ملابسِي، ولا عليك، لن أتجاوز ضيافتك" كانت ريلا ساخرةً بشكل قاتل، وأكملت: "وسأدفع لك ما يكفي من المال مقابل الطعام الذي تناولناه والمأوى الذي أخذناه في الليل".

قامت العجوز بحركة التصفيق بيديها، لكنها لم تصدر صوتاً. ربما كان السيد شابلي قد انزعج من نبرة ريلا، أو ربما كان مسترضى من

احتمال الدفع، في جميع الأحوال، تحدث بنبرته الحضارية: "حسنًا، هذا عادل. إن كنت ستدفعين فلا بأس".

قالت السيدة العجوز بنبرة صوت واضحة وحازمة وواثقة بشكلٍ مدهش: "لن تفعل شيئًا مثل أن تدفع لك. إذا لم يكن لديك أي خجلٍ من نفسك يا روبرت شابلي، فلديك حماةٌ يمكن أن تخجل عنك.

لن يتم فرض رسومٍ على الغرباء مقابل الإقامة في أي منزلٍ حيث تعيش السيدة ماتيلدا بيتمان. تذكر أنه على الرغم من أنني قد أكون قد ابتعدت عن العالم، إلا أنني لم أنس كل الآداب مع كل ذلك.

كنت أعرف أنك كنت شديد البخل عندما تزوجتك أميليا، وجعلتها سيئةً مثلك. لكن السيدة ماتيلدا بيتمان كانت الرئيسة لفترةٍ طويلة، وستظل السيدة ماتيلدا بيتمان ذلك.

هيا يا روبرت شابلي، أخرج نفسك من هنا ودع تلك الفتاة ترتدي ملابسها. وأنت، أميليا، انزلي إلى الطابق السفلي وحضري وجبة إفطار من أجلها".

لم تر ريلًا أبدًا، طوال حياتها، شيئًا مثل الوداعة المقيتة التي أطاع بها هذان الشخصان الكبيران تلك العجوز. ذهبوا دون كلام أو نظرة احتجاج. وعندما أغلقا الباب خلفهما ضحكت السيدة ماتيلدا بيتمان بصمتٍ واهتزت أوصالها في فرحها.

وقالت: "أليس هذا مضحكًا؟ أتركهم في الغالب يتصرفان على راحتهم، لكن في بعض الأحيان يجب أن أوقفهما عند حدّهما، ثم أفعل ذلك بحماقة.

إنهما لا يزعجانني لأن لدي نقودًا كثيرة، وهما خائفان من أنني لن أترك لهما الورثة... ولن أفعل.

حسنًا، سأترك لهما بعضًا منها، لكن البعض الآخر لا. لم أحسم أمري أين سأتركها لكن يجب أن أفعل قريبًا، لأن الجسد في الثمانين

يعيش في الوقت الضائع، ولا أعرف متى تتوفاني المنية.
الآن، يمكنك أن تأخذي وقتك في ارتداء ملابسك يا عزيزتي،
وسأذهب إلى الأسفل وأحرص على أن يبقيا محترمين. هذا الطفل
هناك وسيمٌ جدًا! أهو أخوك؟"

أجابت ريبلا بنبرة هادئة: "لا، إنه طفل حربٍ صغيرٍ أعنتي به، لأن
والدته ماتت ووالده في الخارج".

"طفل الحرب! هممم! حسنا، من الأفضل أن أخرج قبل أن يستيقظ،
وإلا سيبدأ في البكاء على الأرجح. فالأطفال لا يحبونني، لم يفعلوا
ذلك أبدًا."

لا أستطيع أن أتذكر أن أي طفلٍ اقترب مني من تلقاء نفسه، سوى
أميليا ابنتي. حسنا، لقد أنقذني هذا العالم من الإزعاج، إذا كان الأطفال
لا يحبونني، فأنا لا أحبهم، لذا فهذه نتيجةٌ متساوية. ولكن هذا بالتأكيد
طفلٌ وسيمٌ".

اختار جيمس هذه اللحظة للاستيقاظ. فتح عينيه البنيتين الكبيرتين
ونظر إلى السيدة ماتيلدا بيتمان دون أن يرمش. ثم جلس، مغمورًا
بشكلٍ لطيف، وأشار إليها وقال لريبلا بجدية: "إنها سيدة لائعة يا ويلا،
سيدة لائعة (رائعة)".

ابتسمت السيدة ماتيلدا بيتمان. حتى النيف والثمانين يكون ضعيفًا
في بعض الأحيان في الغرور. قالت: "سمعت أن الأطفال والحمقى
يقولون الحقيقة. كنت معتادةً على الإطراء عندما كنت صغيرة، لكنهم
يكونون أكثر ندرة عندما أصل إلى ما أنا عليه الآن. لم أسمع إطراءً منذ
سنوات، لديه نكهةٌ خاصة. أنا أفكر الآن، أيها القرد الشقي، ألا يمكن
أن تعطيني قبلة!!"

ثم فعل جيمس شيئًا مفاجئًا تمامًا. لم يكن شابًا ظاهريًا وكان متقلبًا
مع القبلات حتى لشعب إنجلترا. لكن دون أن ينبس ببنت شفة،

وقف في السرير، وجسده الصغير الممتلئ مغطى فقط بقميصه الداخلي. وركض وألقى ذراعيه حول رقبة السيدة ماتيلدا بيتمان، وأعطها عناقًا للذب، برفقة ثلاثة أو أربعة تريباتٍ على ظهرها.

لم تعتد ريلا على جيمس هكذا، فاحتجت بصدمة: "جيمس!!!"
أمرت السيدة ماتيلدا وهي تعدّل حجابها: "اتركه هكذا!"
وتابعت: "أحب رؤية أحدهم لا يخاف منّي! فحتى أنت تخافين، على الرغم من أنك تحاولين إخفاء ذلك! ولم؟ بالطبع بسبب ما فعلته أمامك مع روبرت وأميليا.

على كل حال، أخبريني، هل ستحتفظين بهذا الوسيم الصغير؟"
أجابت ريلا: "أخشى أن والده سيعود بعد فترةٍ طويلةٍ ليأخذه."
"هل هو جيّد؟ أعني الأب!!"
تلعثت ريلا: "هو لطيف ... أجل ... و.. ولكنه فقير ... وأخشى أن يبقى هكذا دائمًا".

"همم! فهمت، عديم التدبر إذًا، وما بيدك حيلة. حسنًا، سأرى، سأرى ما يمكنني فعله. لديّ فكرة، إنها فكرةٌ جيّدة، كما أنها ستجعل روبرت وأميليا يرتبكان.

هذه هي الميزة الرئيسية في عيني، وخذي في عين الاعتبار أن هذا لأنني أحببت هذا الطفل لأنه لم يخف منّي. إنه يستحق بعض العناية من أجله.

الآن، ارتدي ملابسك، وانزلي عندما تشعرين بأنك جيّدة ومستعدةٌ لذلك".

كانت ريلا متألّمةً بعد تعثرها وسيرها في الليلة السابقة، لكنها لم تأخذ وقتًا طويلًا في ارتداء ملابسها هي وجيمس.

وعندما نزلت إلى المطبخ وجدت إفطارًا ساخنًا مدخنًا على الطاولة. لم يكن السيد شابلي يُرى في أي مكان، وكانت السيدة شابلي

تقطع الخبز بعبوس. أما السيدة ماتيلدا بيتمان، فكانت جالسةً على كرسيٍّ بذراعين تحيك جوربًا رماديًا وهي لا تزال ترتدي الحجاب، وعلى وجهها تعبير الانتصار.

قالت: "اجلسا يا عزيزاي، وتناولوا الإفطار".

قالت ريلا: "أنا لست جائعة، لا أعتقد أنني يمكنني تناول أي شيء. كما أن وقت القطار الصباحي قد اقترب، سيكون في المحطة قريبًا. يرجى المعذرة، يجب علينا أن نذهب، سأخذ قطعةً من الخبز والزبدة لجيمس".

هزت السيدة ماتيلدا بيتمان إبرة حياكةً بشكلٍ هزليٍّ موجهةً إياها في وجه ريلا وقالت: "اجلسي وتناولي الفطور! لقد أمرتك السيدة ماتيلدا بفعل ذلك، ولا أحد يخالف السيدة ماتيلدا، حتى روبرت وأميليا، وأنتِ يجب أن تطيعيها أيضًا".

أطاعتها ريلا، وجلست، هذا هو تأثير عين السيدة ماتيلدا بيتمان الفاتنة. تناولت ريلا وجبة فطورٍ مقبولة. وكان الصمت يخيم على أميليا المطيعة، ولم تتحدث السيدة ماتيلدا بيتمان أيضًا، لكنها كانت تنظر بفخرٍ ثم ضحكت. وعندما انتهت ريلا، قامت السيدة ماتيلدا بيتمان بلف جوربها.

قالت: "الآن يمكنك الذهاب إذا أردت، ولكن ليس عليك، يمكنك البقاء هنا طالما أردت ذلك، وسأجعل أميليا تطهو الوجبات من أجلك".

الآنسة بلايث المستقلة، التي اهتمتها زمرةٌ معينةٌ من فتيات صليب أحمر الصغار بأنها مستبدةٌ ومتسلطةٌ، رُضِعَتْ تمامًا.

وقالت بخنوع: "شكرًا لك، ولكن يجب أن نذهب حقًا".

قالت السيدة ماتيلدا بيتمان، وهي تفتح الباب: "حسنًا إذن، وسيلة النقل الخاصة بك جاهزة. أخبرت روبرت أنه يجب أن يوصلك

ويقودك إلى المحطة. أنا أستمتع بجعل روبرت يقوم بالأشياء. إنها الرياضة الوحيدة التي ما زلت أقوم بها. لقد تجاوزت الثمانين من عمري وفقدت معظم الأشياء طعمها باستثناء التسلط على روبرت".

جلس روبرت أمام الباب على المقعد الأمامي لعربة العربات التي تجرها الدواب ذات المقعدين والمطاطية. لا بد أنه سمع كل كلمة قالتها حماته لكنه لم يبد أي إشارة.

قالت ريبلا: "أتمنى حقًا، أن تدعني ... أوه ... آه ... " ثم بكت مرة أخرى أمام أعين السيدة ماتيلدا بيتمان وأكملت وهي تشهق: "أن أكافئك ... مقابل ... ما قدمت ..."

ردت عليها: "لقد قالت السيدة ماتيلدا بيتمان من قبل ... وكانت تعني ما تقول ... هي لا تتقاضى أجرًا مقابل الترفيه عن الغرباء، ولا تدع الأشخاص الآخرين في المكان الذي تعيش فيه يفعلون ذلك حتى وإن جعلهم لؤمهم يفعلون ذلك.

لا تنسي الاتصال بنا في المرة القادمة التي تأتي فيها، ولا تخافي. لا يعني ذلك أنك كنت خائفة كثيرًا، ولكن قصدت حتى مع الأخذ في الاعتبار الطريقة التي رأيت بها روبرت هذا الصباح.

أحب شجاعتك. معظم الفتيات في الوقت الحاضر تكون خجولة وتخاف في مثل هذه المواقف. ولكنني عندما كنت فتاة لم أكن أخف من أي شيء أو أي أحد. ضعي في اعتبارك أنك تعتنين بهذا الصبي جيدًا، إنه ليس مجرد طفل عادي. واجعلي روبرت يقود العربة بحذر حول جميع البرك في الطريق. لا أريد لعربتي الجديدة أن يصيبها شيء".

وبينما كانوا يقودون عربتهم بعيدًا، ألقى جيمس القبلات على السيدة ماتيلدا بيتمان طالما كان بإمكانه رؤيتها، ولوّحت السيدة ماتيلدا بيتمان بجوربها مرة أخرى.

لم يتكلم روبرت بكلمة، سواءً كانت جيدةً أو سيئةً، طوال الطريق إلى المحطة، لكنه انتبه للبرك. وعندما نزلت ريلا من جانبه شكرته بلطف. كان الرد الوحيد الذي تلقته هو نخر الحصان عندما أداره روبرت في طريق العودة إلى المنزل.

زفرت ريلا نفسًا طويلًا وقالت: "حسنًا ... يجب أن أحاول العودة إلى ريلا بلايث مرةً أخرى. لقد كنت شخصًا آخر خلال الساعات القليلة الماضية، لا أعرف من أين أتت هذه العجوز الاستثنائية. أعتقد أنها نومتني مغناطيسيًا. يا لها من مغامرةٍ يجب أن اكتبها ليقراها الأولاد".

ثم أطلقت تنهيدةً عميقة، أعقبها تذكرها بأنه لم يكن هناك من الأولاد سوى جيرى وكارل وشيرلي للقراءة ... جيم! لكان جيم سيقدّر السيدة ماتيلدا بشدةٍ لو أخبرته أنها ... ولكن! أين هو الآن؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

32

رسالة من جيم



الرابع

من آب، عام ١٩١٨

لقد مرت أربع سنواتٍ منذ ليلة رقصة منارة فورويندز، أربع سنواتٍ من الحرب. ولكنها تبدو أضعافًا مضاعفةً عن ذلك. قبل أربع سنواتٍ كنت أبلغ الخامسة عشرة من عمري، أما الآن فما أنا ذا أبلغ التاسعة عشرة. كنت أتوقع أن تكون السنوات الأربع الماضية هي أكثر الأعوام متعةً في حياتي، ولكنها لم تكن سوى أعوامٍ مثقلةٍ بالمعارك ... سنواتٌ من الحرب الدموية ... سنواتٌ من الحزن والخوف والألم ... سنواتٌ قد أصبحت فيها قويةً قلبًا وقلبًا.

اليوم، عندما كنت أتجول في القاعة سمعت والدتي تهمس شيئًا لوالدي. لم أقصد التنصت على ما يدور بينهما أبدًا، لم أستطع سماعها بينما كنت أعبر القاعة متجهةً إلى الطابق العلوي، لذلك ربما لهذا السبب سمعت ما يُقال إن المستمع يسمع الشيء الجيد عنه. ولأن أُمي هي التي قالت ذلك، سأكتبه هنا في دفتر يومياتي ليكون عصي أتكى عليها في أيام حزني حين أشعر بأنني مجرد جسدٍ ضعيفٍ لا فائدة منه. كانت تقول: "لقد تطورت ريبلا بطريقةٍ رائعةٍ خلال السنوات الأربع

الماضية. فهي قد اعتادت سابقًا على أن تكون مخلوقةً شابةً غير مسؤولة. أما الآن، فقد تحولت إلى امرأةٍ مسؤولةٍ ذات قوامٍ ممشوقٍ بعد أن كانت شابةً مستهترّة. كما كبر نان ودي وأصبحت صغيري المنزل الآن، أما ريبلا فقد أضحت مقربةً لي. نحن صديقتين الآن. لا أعلم كيف كنت سأمضي هذه السنوات الأربع دونها يا جيلبرت."

هذا ما قالته أُمِّي بحذافيره. أنا أشعر بالسعادة، والحزن، والفخر، والتواضع. من الرائع أن تتخذي والدتي صديقةً لها، ولكنني لا أستحق ذلك. أنا لست جيدةً وقويةً مثلها. لقد مضت مراتٌ شعرت فيها بالصلابة والبؤس والحزن واليأس. إن أُمِّي وسوزان هما عامود هذا المنزل، أما أنا فقد أكون إحدى الحيطان التي ساعدتهما قليلًا، وأنا سعيدةٌ بذلك وممتنة.

بقيت أخبار الحرب تتخذ منحىً جيدًا. إذ كانت تدور حول انسحاب الألمان من قبل الفرنسيين والأمريكيين. أفكر أحيانًا بأنه لا بد من الاستمرار بهذه الحرب بعد أربع سنواتٍ من المآسي والكوارث. فلذّة الانتصار المستمر لا بد من الاستمرار بتذوقها.

نحن لسنا فرحين بكل ما تحمله الكلمة من معنىٍ بما يحدث. وعندما ترفع سوزان العلم نبتمس بهدوءٍ طفيفٍ فقط. لقد دفعنا ثمنًا غاليًا جدًّا من أجل سعادتنا، ونحن ممتنون لأننا لم ندفعه عبثًا. لم نتلق من جيم أي رسائل بعد، ولكن لا يسعنا إلا أن نأمل بأن تصلنا إحداها قريبًا... هذا كل ما نأمله.

وعلى الرغم من عدم إفصاحنا للأمر، إلا أن هناك ساعاتٌ تمضي علينا نتيقن فيها بأن الأمل ليس سوى محض حماقات. ويتضاعف يقيننا بذلك مع مرور الأسابيع. ولكن أسوأ ما قد نواجهه، هو أن نصل إلى نهاية المطاف فاقدَي الأمل دون أن نعي ذلك.

أتساءل كيف تتحمل فايث الأمر، أنا متأكدةٌ من أنها قد واجهت

ساعاتٍ كثيفةٍ كحالنا تمامًا. ولكن بالحكم على رسائلها المتواصلة، فإنها ما تزال متمسكةً بالأمل.

العشرون من آب، عام ١٩١٨

ما زال الكنديون صامدون في تلك المعارك ... لقد وصلت برقية السيد ميريديث تفيد بأن كارل أصيب بجروح طفيفةٍ وهو الآن قابِغٌ في المستشفى. ولكن ما أصابنا بالقلق هو عدم إخبارنا بمكان تلك الإصابات. ولكن، ما تزال أخبار الانتصارات تزف كل يوم.

الثلاثون من آب، عام ١٩١٨

لقد تلقت عائلة ميريديث رسالةً من كارل اليوم، مفادها بأن الجرح طفيفٌ ... و ... كل ما في الأمر ... أن عينه اليمنى قد أصيبت، وذهب بصرها إلى الأبد.

كتب كارل بمرح "عينٌ واحدةٌ تكفي لمشاهدة تلك الحشرات الكريهة. الشكر للرب بأن الأمر قد انتهى بواحدةٍ فقط، ولم ينحدر للأسوأ. فماذا لو أصيبت كلتاها!"

وبعد أن قرأت رسالته، أمضيت فترة الظهيرة وأنا غارقةٌ في بحور أحزاني. تلك العينين الزرقاوين الشجاعتين التي تأسرك.

الجيد في الأمر، أنه سيعود إلى أحضان منزله فور خروجه من المشفى وليس إلى ساحة المعركة. وها هو ذا أول أطفالنا يعود ... ولكن متى يأتي الآخرون؟

ولكن شخصًا واحدًا لن نراه أبدًا ... على الأقل لن نراه إن أراد ذلك ... ولكن ... آه، أعتقد بأننا سنفعل ... فأرواح الذين استشهدوا تعود برفقة جنودنا الكنديون ... قد لا نستطيع رؤيتها ولكنها ستكون حاضرةً معنا بالفعل.

الأول من أيلول عام ١٩١٨

لقد ذهبت أنا وأمي إلى مدينة شارلوت ليلة أمس لمشاهدة الفيلم

المتحرك "قلب العالم." لقد بدوت حمقاء وسخيفة جدًا هناك، ولو رأني أبي بحالتي تلك لبقني يسخر مني طيلة حياته.

فكل ما رأيته كان مرعبًا حقًا. كنت منسجمة بما أراه لدرجة انفصلت بها عن العالم الواقعي حولي، ولم أتذكر شيئًا سوى تلك المشاهد التي رأيته بألم عيني. فقبل أن ينتهي الفيلم، ظهر مشهدٌ مثيرٌ للاهتمام. كانت البطلة فيه تكافح جنديًا ألمانيًا مرعبًا كان يحاول جرّها بعيدًا. كنت أعلم بأنها تحمل سكينًا قد أخفته سابقًا لتستعمله في مواقف كهذه، ولكنني لم أفهم لم لم تستعمله، وتنجو بحياتها.

قد تكون قد نسيت أمره تمامًا ... ولكن في أصعب اللحظات وأشدها توترًا والتي كدت فيها أن أفقد أنفاسي، انتفضت على قدمي في ذلك المكان المزدهم، وصرخت بأعلى صوتي "السكين في جوربك.. السكين في جوربك!"

لقد خلقت ضجة كبيرة!

ولكن المضحك بالأمر، أن الفتاة قد استجابت لصراخي وانتزعت السكين وطعنت الجندي به.

لقد ضحك الجميع على ذلك ... وعندما استعدت أنفاسي، هويت على مقعدي، وهالَةٌ من الرهبة تحيطني. كانت أمي ترتعش ضحكًا ... كان بإمكانني لومها ... لم لم تسحبني وتخفني قبل أن أجعل من نفسي أضحوكة، ولكنني أقنعت نفسي بأنه لم يكن لديها متسعٌ من الوقت لتفعل ذلك.

ولحسن حظي كان المكان مظلمًا، فلا أعتقد بأن أحدًا استطاع أن يكشف هويتي. لقد ظننت بأنني أصبحت فتاةً راشدة، عاقلة الفكر، ولكنني تيقنت من أن الطريق طويلٌ أمامي لأصبح بذلك الكمال المنشود.

العشرون من أيلول، عام ١٩١٨

في الشرق، طلبت بلغاريا السلام، وفي الغرب حطم البريطانيون خط هيندنبورغ، وهنا في جلين سانت ماري، ارتكب الصغير بروس ميريديث تصرفاً أعتقد بأنه رائع ... لأن حباً كان يكمن وراءه.

كانت السيدة ميريديث هنا الليلة، وقد أخبرتنا عن ذلك ... لقد بكيت أنا وأمي، بينما نهضت سوزان وأخذت تقلب الإناء الموضوع على الموقد.

لقد أحب بروس جيم من أعماق قلبه، ولم ينسه الطفل أبداً طوال هذه السنوات. لقد كان مخلصاً له تماماً كما كلب الإثنيين. لقد أخبرناه دائماً بأن جيم سيعود. ولكن يبدو بأنه كان في متجر كارتر فلاج الليلة الماضية، وسمع عمه نورمان يعلن بوضوح أن جيم بلايث لن يعود أبداً، وأن شعب إنجلترا قد يستسلمون، ويفقدون الأمل.

ذهب بروس إلى المنزل طيلة الليل حتى تلقفته أيدي النعاس. وهذا الصباح، رأته والدته يخرج من الفناء بعينين مغرورتين بحزنٍ دفين، وهو يحمل قطه الأليف. لم تغص في لَج أفكارها كثيراً، حتى رأته عائداً وملامح البؤس تكلل وجهه الصغير. لقد أخبرها بجسمٍ يرتعش حسرةً وتنهدياتٍ تفصح عما في خلدته بأنه قد أغرق ستريبي.

فصاحت السيدة ميريديث: "لماذا فعلت ذلك؟"

بكى بروس قائلاً: "ليعود جيم ... لقد رأيت بأني إن ضحيت بستريبي، فإن الرب سيعيد جيم إلينا. فما كان مني إلا أن لبيت نداء أفكارٍ ... لقد كان الأمر فظيماً يا أمي ... ولكنني متأكدٌ بأن الرب سيعيد إلينا جيم، فستريبي أعلى ما أملك. لقد أخبرت الرب بأني سأضحى بستريبي ليعيد إلي جيم ... سيفعل بالتأكيد أليس كذلك يا أمي؟"

لم تعرف السيدة ميريديث بمَ تجيب طفلها المسكين. لم تستطع أن تخبره بأن تضحيته قد لا تعيد جيم أبداً ... وأن الرب لا يتقبل تضحياتٍ

كهنه... لقد أخبرته بألا يفكر بالأمر كثيرًا، فقد تطول عودة جيم. ولكن بروس أجابها: "ليس على الأمر أن يستغرق أكثر من أسبوعٍ يا أمي. آه يا أمي، كان ستريبي قطعًا صغيرًا لطيفًا. هل تظنين بأن الرب سيحبه، فيعيد إلينا جيم؟"

لقد قلقت السيد ميريديث بشأن خيبة الأمل التي قد يتلقاها بعد إيمانه الكبير بالرب. أشعر وكأن روعي تصرخ تريد البكاء في كل مرة أفكر فيها بالأمر. كم هو رائع وطيب القلب ذلك الزميل الصغير الصادق العزيز!

كان يموت حبًا في ذلك القط، وإن لم يسر الأمر كما خطط له، رغم أن جميع التضحيات لا تذهب سدًا، فسينكسر قلبه. فهو لم يبلغ من العمر ما يكفي ليفهم بأن الرب لا يستجيب جميع صلواتنا كما كنا نتوقع، ولا يلبي ما نريده عندما نضحى بما نحبه.

الرابع والعشرون من أيلول، عام ١٩١٨

كنت جاثيةً قرب نافذتي أسفل ضوء القمر لفترةٍ طويلةٍ أشكر الرب مرارًا وتكرارًا دون ملل. كانت فرحة الليلة الماضية واليوم رائعةً جدًا لدرجة أنها قد أبادت نصف ألمنا... كانت فرحةً كبيرةً لم تستطع قلوبنا أن تحتضنها.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا عندما كنت جالسةً الليلة الماضية هنا في غرفتي أكتب رسالةً إلى شيرلي. كان جميع من في المنزل نيامًا ما عدا والدي الذي كان بالخارج.

لقد سمعت رنين الهاتف، فركضت إلى القاعة لأجيب قبل أن تستيقظ أمي. كانت مكالمةً من مكانٍ بعيد، وعندما أجبت، سمعت: "هذا هو مكتب شركة التلغراف في مدينة شارلوت، هناك برقيةٌ خارجيةٌ للدكتور بلايث".

سرعان قرع باب ذاكرتي اسم شيرلي، فوقفت وقلبي يخفق بفرع،

ثم سمعته يقول "إنه من هولندا".

كانت الرسالة،

"لقد وصل للتو... لقد هرب من ألمانيا... وهو بأفضل حال...

من قبل جيم بلايث".

لم يغمى عليّ، ولم أترنح، ولم أصرخ أبدًا، ولم أشعر لا بالسعادة ولا بالصدمة. لم أشعر بأي شيء. لقد تخدرت أطرافي بالكامل تمامًا كما فعلت عندما سمعت أن والتر قد جنّد.

أغلقت السماعه، واستدرت، فرأيت أُمي تقف على عتبة الصالة، وهي ترتدي فستانًا ورديّ اللون قديمًا. كان شعرها يتدلى على ظهرها في ضفيرة كثيفة طويلة، وعيناها تلمعان بشدة. لقد بدت حقًا وكأنها فتاة صغيرة.

سألت: "أهذه رسالة من جيم؟"

كيف عرفت؟ لم أنطق بكلمة واحدة في الهاتف باستثناء "نعم... نعم... نعم".

لقد أخبرتني بأنها لا تعرف كيف، ولكنها كانت تعلم بالتأكيد. لقد كانت مستيقظة وسمعت رنين الهاتف، وعرفت أن هناك رسالة من جيم.

قلت لها: "إنه على قيد الحياة... إنه بخير وفي هولندا".

خرجت أُمي إلى القاعة وقالت: "يجب أن أتصل بوالدك وأخبره بالأمر، فهو في جلين الشمالية".

كانت هادئة للغاية... لم أتوقع منها ردة الفعل تلك أبدًا. ولكنني لم أفعل مثلها أبدًا، فقد ذهبت وأيقظت جيرترود وسوزان وأخبرتهما بالأمر.

قالت سوزان: "الشكر للرب أولاً، وثانيًا، ألم أخبرك أن كلب الإثنين يعرف! وثالثًا، سأنزل وأعد كوبًا من الشاي".

وقد نزلت إلى الأسفل، وهي في رداء نومها لتصنع الشاي. وبالفعل حضرتها، واحتسته مع والدتي وجيرترود. أما أنا فقد عدت إلى غرفتي، وأغلقت الباب على نفسي، وجثوت على ركبتيّ بجانب نافذتي، وأخذت أبكي، تمامًا كما تفعل جيرترود عندما تسمع أخبارًا رائعة. أعتقد بأنني أصبحت أعلم كيف سيكون شعوري في صباح آخر يوم في هذا العالم...

الرابع من تشرين الأول عام ١٩١٨

لقد وصلتنا اليوم رسالة من جيم. لقد بقيت في المنزل لمدة ست ساعات فقط وكادت أن تتفتت إلى أشلاء. لقد أخبر رئيس مكتب البريد جميع من في جلين بأن الرسالة قد وصلت، وقد حضر الجميع لسماع الأخبار.

لقد أصيب جيم بجروح بالغة في فخذه ... وقد حُمل ونُقل إلى السجن. كانت حالته يرثى لها جراء الحمى التي أصابته، ولم يع شيئًا مما يدور حوله. وقد مرت عدة أسابيع قبل أن يستعيد رشده تمامًا، ويكون قادرًا على الكتابة.

ثم استطاع أن يكتب رسالته، ولكنها لم تصل ... لم يحصل على الكم الكافي من المعاملة الحسنة في معسكره، إذ كان الطعام سيئًا للغاية. ولم يكن لديه ما يأكله سوى القليل من الخبز المفحم، واللفت المسلوق، وحساء البازيلاء السوداء الذي كان يحصل عليه بين حين وآخر، بينما نحن في تلك الأيام الثلاث كنا نحصل على ثلاث وجبات فاخرة تسد جوعنا.

كان يكتب لنا كثيرًا قدر استطاعته، ولكنه كان يخشى عدم تلقينا لرسائله لأنه لم يلق ردًا منا أبدًا. وعندما استعاد صحته، استطاع أن يهرب، ولكن تم القبض عليه وإعادةه إلى السجن. وبعد شهرٍ قام هو

ورفيقه بمحاولة هربٍ أخرى نجحاً فيها، ووصلاً إلى هولندا.
لن يستطيع جيم العودة إلى المنزل الآن، فهو ليس بحالة جيدة كما
أخبرنا في الرسالة. فجرحه لم يلتئم بعد، وعليه الذهاب إلى مستشفى
في إنجلترا لتلقي العلاج الكامل. ولكنه يقول بأنه سيكون بأفضل حال.
ونحن نعلم بأنه سيكون كذلك، وسيعود إلى المنزل بسلام في وقتٍ ما
... آه، أيا له من فرقي أحدثته تلك الرسالة!

لقد تلقيت رسالةً من جيم أندرسون اليوم أيضًا تفيد بأنه قد تزوج
من فتاة إنجليزية، وحصل على وثيقة تسريحه، وسيعود مباشرةً إلى
كندا مع عروسه. لا أعرف حقًا ما إن كان عليّ أن أكون سعيدةً أو حزينةً
من أجله، أظن بأن ذلك يعتمد على أي نوعٍ من النساء هي.
كان لديّ خطابٌ ثانٍ أيضًا بمضمونٍ غامضٍ إلى حدٍ ما. كان من
محامي مدينة شارلوت، يطلب مني فيها الذهاب لرؤيته في أقرب وقتٍ
يناسبني، للاطلاع على مسألةٍ مرتبطةً بأملالك الراحلة السيدة ماتيلدا
بيتمان.

لقد قرأت إشعارًا بوفاة السيدة بيتمان بسبب قصورٍ في قلبها، في
صحيفة إنتربرايز قبل بضعة أسابيع. أتساءل عما إذا كان لهذا الاستدعاء
أي علاقةٍ بجيمس.

الخامس من تشرين الأول ١٩١٨

لقد ذهبت إلى المدينة هذا الصباح، وأجريت مقابلةً مع محامي
السيدة بيتمان. إنه رجلٌ نحيل الجسد، ضعيف القوة. لقد تحدثت عن
موكلته الراحلة باحترامٍ عميق. كان من الجلي بأنه كان يقبع تحت
إمرتها تمامًا كروبرت وأميليا. لقد وضع وصيةً جديدةً لها قبل وقتٍ
قصيرٍ من وفاتها، وكانت تساوي ثلاثين ألف دولار.

لقد نسب الجزء الأكبر منها لأميليا شابلي، وتركت لي خمسة آلاف
كأمانةٍ لجيمس. سأستخدمها لرسمه المدرسية، وستظل تكفل رسومه

حتى عيد ميلاده العشرين.

لا بد من أن جيمس قد وُلد محظوظًا. لقد أنقذ من الموت البطيء على يد السيدة كونوفر ... ومن الخناق على يدي ماري ... ومن السقوط من القطار على يديّ نجمه. لم يتوقف الأمر على هذه المعجزات فقط، بل أوصله حظه الطيب للحصول على إرث كبير. من الواضح، كما قالت السيدة ماتيلدا بيتمان، وكما كنت أو من دائمًا، بأنه ليس مجرد طفل، فهو ليس طفلًا عاديًا ولا يمتلك مصيرًا محددًا أبدًا.

يحصل على حصّة له في كلّ مناسبة، وبطريقة لا يستطيع جيم أندرسون تبديد ميراثه إذا أراد ذلك. الآن، إذا كانت زوجة أبيه الإنجليزية الجديدة حسنة الخلق، فعندها لن أفلق على مستقبل طفل الحرب أبدًا. أتساءل ما رأي روبرت وأميليا بالأمر. أتخيل أنهما سوف يقومان بإغلاق نوافذهما جيّدًا عندما يغادران المنزل بعد ذلك!"



قالت

ريلا ظهر يوم أحد، والذي صادف بأنه السادس من شهر تشرين الأول: "إنه يومٌ عاصفٌ بالرياح، وقاتمةٌ سماءؤه". كان الجو باردًا مما استدعى إضرام النار في غرفة المعيشة. وكانت ألسنة اللهب الصغيرة تصارع بكامل جهدها لمواجهة هذا البرد القارس.

وأكملت: "وكأننا نعيش في شهر تشرين الثاني وليس تشرين الأول. إن تشرين الثاني لشهرٌ قبيحٌ وكئيبٌ".

كانت ابنة العم صوفيا هناك، بعد أن سامحت سوزان على كلماتها الأخيرة. وكانت السيدة مارتن كلو هناك أيضًا، رغم عدم زيارتها لسوزان يوم الأحد، ولكنها اضطرت لذلك لاستعارة علاج التهاب المفاصل منها، والذي وجدته أقل ثمنًا من علاج الدكتور.

هذا ما نذرت به ابنة العم صوفيا: "أعتقد بأن هذا الشتاء سيكون قارس البرد. وما يؤكد على ذلك، بناء القنادس منازل ضخمة حول البركة. يا إلهي، متى كبر هذا الطفل؟"

قالت ابنة العم صوفيا كما لو أن الطفل يجب أن ينمو ببطءٍ ممل،

وأكملت: "متى سيأتي والده؟"

قالت ريلا: "الأسبوع المقبل".

تنهدت ابنة العم صوفيا، وقالت: "حسنًا، أمل ألا تعنف زوجة الأب هذا الطفل الصغير. ولكن لا شك من أنها ستفعل، أنا متأكدة من ذلك. أنا على يقين من أنه سيلاحظ الفرق بين تربيته هنا وتربيته الجديدة في ذلك المكان. لقد أفسدته يا ريلا بدلالك الزائد له، وتلبيتك الدائمة لرغباته".

ابتسمت ريلا وضغطت بخدها جبين جيمس. فهي كانت على يقين من أنها لم تفسد أبدًا جيمس اللطيف. ولكنها كانت تخفي قلقًا وراء ابتسامتها تلك. فهي دائمًا ما غاصت في لججها تفكر ما إن كانت السيدة أندرسون حسنة الخلق أم لا.

قالت بتمرد: "لن أرمي بجيمس لامرأة لا تحبه أبدًا".

قالت ابنة العم صوفيا: "أعتقد أنها ستمطر. لقد أمطرت بغزارة هذا الخريف، الأمر الذي سيعيق المزارعين من الحصول على محاصيلهم. لم يحدث شيء كهذا أبدًا في صباي. لقد كان شهر تشرين الأول حينها ممتعًا وخبابًا. لقد اختلفت المواسم بأجمعها عما كانت عليه سابقًا".
قطع صوت ابنة العم صوفيا الرقيق رنين الهاتف.

فلبت النداء جيرترود أوليفر، وأجابت: "نعم ... ماذا؟ ماذا؟ هل هذا صحيح ... أهو مؤكد؟ شكرًا لك ... شكرًا جزيلًا لك".

استدارت جيرترود، واتجهت إلى الغرفة بلامح مشرقة. كانت عيناها الداكنتان تومضان بهجة، وأمارات السعادة بادية على وجهها. ومع هذا الخبر المفرح، اخترقت الشمس الغيوم السوداء الكثيفة، وعكست أشعتها، التي بدت كاللهب المضيء، عبر أشجار القيقب القرمزية الشامخة القابعة بجانب النافذة. لقد بدت وكأنها كاهنة تؤدي طقوسًا صوفية رائعة.

وقالت: "ألمانيا والنمسا تتساومان من أجل معاهدة سلام".
لقد تلقفت ريبلا بوادر الصدمة لبضع دقائق، ثم ما لبثت أن نهضت،
وأخذت ترقص في أرجاء الغرفة، وهي تصفق بيديها وتضحك وتبكي.
قالت السيدة كلو، التي لم تبد أي ردة فعل: "اجلسي يا طفلي".
ومما لا شك فيه من أن قطار البهجة والمرح قد فاتها طيلة رحلتها في
هذه الحياة.

صرخت ريبلا: "أوه، لقد انتهت أيام المعاناة والكآبة التي عشتها
طيلة الأربع سنواتِ الماضية، وها قد عدت أميرةً على هذه الأرض
بفرح وطمأنينة.

لقد استحق الأمر أن يعيش المرء كل ذلك الألم من أجل هذه
اللحظة الرائعة، ولم يكن ليتردد من عيش ذات الشعور إن كانت النهاية
ستكفل بالنصر. دعينا يا سوزان نرفع العلم، وأن نرف الخبر في أرجاء
جلين".

سأل جيمس بلهفة: "هل باستطاعتنا الآن أن نحصل على كمية
السكر التي نريدها الآن؟"

لقد كان عصرًا لا يُنسى أبدًا. ومع انتشار الخبر في الأنحاء، أخذ
سكان القرية يركضون نحو إنجلترا. لقد جاءت عائلة ميريديث
وبقيت لتناول العشاء، وتحدثت في مختلف المواضيع دون كللٍ أو
ملل. حاولت ابنة العم صوفيا الاحتجاج على عدم الوثوق بألمانيا
والنمسا، وأن ما يجري ليس إلا مؤامرةً خبيثة، ولكن لم يولها أحدٌ أدنى
اهتمام.

قالت سوزان: "إن يوم الأحد هذا يعوض ذلك الذي كان في آذار".
قالت جيرترود بخيالية، غير مكترثة بما قالته ريبلا: "أتساءل ما إن
كانت الأمور ستظل كثيفةً حتى بعد حصولنا على السلام. بعد أربع
سنواتٍ من الرعب والخوف، والانتكاسات الصعبة، والانتصارات

المذهلة، لن يكون هناك أي شيء أقل ترويضًا ورتابة؟ كم سيكون غريبًا ومملًا ومقدسًا في الوقت عينه أن نتلقى البريد دون خوف كل يوم".

قالت ريلا: "أعتقد بأن علينا أن نخشى ذلك لبعض الوقت. لم ولن يحل السلام لبضعة أسابيع من الآن. فقد تحدث العديد من الأشياء المروعة خلال تلك الأسابيع. لقد استنزفت كل طاقة حماسي. لقد انتصرنا حقًا في النهاية، ولكن يا للثمن الذي قمنا بدفعه!"

قالت جيرترود بهدوء: "لم يكن ثمن الحرية باهظًا جدًّا. أظنن بأنّه كان كذلك يا ريلا؟"

قالت ريلا بعد أن أطلقت زفيرًا، حيث كانت ترى صليبيًا أبيض صغيرًا مغروسًا في نصف ساحة المعركة في فرنسا: "لا، لا أظنه كذلك، إن أظهر أولئك الذين يعيشون بيننا بأنهم يستحقون الحرية بأكملها من خلال إيمانهم القوي".

قالت جيرترود: "سنحافظ على إيماننا مهما كلفنا الأمر".

ونفضت فجأة، وقد ساد الصمت حول الطاولة، ومن ثم كسرتة قائلةً شعر والتر الشهير "عازف الناقوس".

وعندما انتهت، وقفت السيدة ميريديث، ورفعت كأسها، وقالت: "دعونا نحتسي الشراب نخبًا للجيش الصامد، والصبية الذين اتبعوا عازف الناقوس. لقد ضحوا بحياتهم اليوم من أجل غدنا، وهذا هو النصر بحد ذاته".

ذهاب السيد هايد إلى حيث ينتمي، وسوزان في شهر غسل



في

أوائل شهر تشرين الثاني، غادر جيمس إنجلترا. وودعته ريلا بقلبٍ يذرف دمعًا، وكأن روحها تنسحب من جسدها. كانت السيدة جيم أندرسون الثانية، امرأةً صغيرةً لطيفةً لدرجة يتساءل فيها المرء عن حظها الطيب الذي أوقع جيمس بين يديها.

كانت ذات وجهٍ وردي، وعيون زرقاء لامعة كبيرة، وكانت ذا بشرة بيضاء هشة كورقة نبتة إبرة الراعي. لقد علمت ريلا منذ الوهلة الأولى التي رأتها بها بأنها خير ملاؤ لجيمس.

قالت بحرارة: "أنا مغرمةٌ بالأطفال يا آنسة. فأنا قد أفنيت عمري معهم. لقد تركت خلفي ستة إخوة وأخواتٍ صغار. سيكون جيمس الطفل الأعز على قلبي، ولا بد لي من الاعتراف بأنك قد حققت إحدى المعجزات بتربيتك له رغم الظروف حتى أصبح بتلك الصحة والسامة.

سأعامله بلطفٍ وحنانٍ كما لو أنه من صلبِي يا آنسة، حتى يكبر ويصبح شابًا قويًا. كل ما يحتاجه هو شخصٌ يرعاه ويتولى مسؤولية

أمواله. لقد استأجرت مزرعةً صغيرةً خارج القرية، وسنستقر هناك. أراد جيم أن نبقى في إنجلترا ولكنني رفضت. إذ كنت أتوق لتجربة بلدٍ جديد، وارتأيت بأن كندا هي أفضل مكان".

"أنا سعيدةٌ لأنك ستعيشين بالقرب من هنا. ستدعين جيمس يأتي لزيارتنا كثيرًا أليس كذلك؟ أنا أحبه كثيرًا".

"بالطبع سنفعل يا آنسة، إنه يخطف قلب الجميع بلطافته. أنا وجيم نقدر تضحياتك في سبيل رعايته، ولن ننسى أبدًا هذا المعروف ما حينًا.

سأدعه يأتي إلى هنا متى ما طلبت، وسأكون مسرورةً بأي نصيحةٍ قد تدلي بها بشأن تربيته. فهو طفلك الأول في النهاية، وسأؤكد من حصولك على حَقِّك الكامل يا آنسة".

ذهب جيمس بعيدًا مع سلطانية الحساء التي أتى بها، ولكنه لم يكن بداخلها هذه المرّة. ثم جاء خبر الهدنة، مما استدعى ذهول أهالي جلين سانت ماري.

في تلك الليلة اشتعلت النيران في القرية، وأُحرق تمثال القيصر. لقد خرج صيادو القرية الشبان، وأحرقوا كل التلال. فامتدت السنة اللهب لسبعة أميال، وأكلت كل ما استطاعت أن تطوله.

أما ريلا فكانت ترقص فرحًا داخل غرفتها في إنجلترا. وقالت، وهي تسحب قبعتها المخملية الخضراء من صندوقها: "حسنًا، سأفعل شيئًا غير مهذبٍ لا تبرير له، سأركل هذه القبعة حول الغرفة حتى تصبح مجردةً من هذا الريش، وسأكف عن ارتداء أي شيءٍ قد تلون بالخضار".

ضحكت الآنسة أوليفر، وقالت: "لقد حافظت على نذرك". قالت ريلا وهي ترفس بفرح: "لم يكن نذرًا... لقد كان عنادًا مطلقًا... بل أشعر بالخجل منه. أردت أن أثبت لوالدتي شيئًا. حسنًا! لم يخلُ

الأمر من السلوك غير اللائق! لكنني أثبتت جدارتي. وقد أظهرت
لنفسي بعض الأشياء!

آه يا آنسة أوليفر، أنا حقًا أشعر وكأنني عدت فتاةً شابةً تلعب بطفوليةٍ
وسخف. هل سبق لي وأن قلت بأن شهر تشرين الثاني شهرٌ مروعٌ؟ أنا
أسحب ما قلته، إنه أجمل شهور السنة. استمعي إلى رنين الأجراس في
وادي قوس المطر! لم يسبق لي أن سمعتها تقرع بذلك الوضوح وتلك
القوة أبدًا. إنها ترسل نغماتٍ مليئةً بالسلام والسعادة وكل الأشياء
الحلوة والجنونية التي سنعاود الحصول عليها يا آنسة أوليفر. لا يعني
ذلك بأنني سأكون عاقلةً اليوم، أنا فقط أتظاهر بأنني كذلك. سكان
العالم بأسره قد أصيبوا بلعنة الجنون اليوم. ولكن سرعان ما سيعودون
إلى طبيعتهم، ويحافظون على إيمانهم ليبدووا في بناء عالمٍ الجديد.
ولكن دعينا اليوم نرفه عن أنفسنا كما يحلو لنا، ونبقى سعداء."

دخلت سوزان إلى المنزل من خلال أشعة الشمس، وملامح الرضى
تعتلي وجهها، وقالت: "لقد رحل السيد هايد."

"رحل! أتقصدين بأنه قد مات يا سوزان؟"

"لا يا سيدتي العزيزة، ذلك الوحش لم يمت. كل ما في الأمر أنك
لن تريه مرةً أخرى أنا متأكدةٌ من ذلك."

"كفي عن غموضك يا سوزان، وأخبريني ما الذي حدث؟"

"حسنًا يا سيدتي العزيزة، لقد كان جالسًا على الدرج الخلفي بعد
ظهر هذا اليوم، وتحديدًا بعد وصول خبر توقيع الهدنة، وكان يبحث
عن هيدست. أستطيع الاعتراف بأنه كان حيوانًا رائع المظهر. ولكن
على حين غرةٍ يا سيدتي العزيزة، جاء بروس ميريديث قاب قوسين أو
أدنى من المطبخ وهو يمشي على ركائزه.

لقد تعلم المشي عليها مؤخرًا وجاء ليريني بأنه يستطيع القيام بذلك
بامتياز. عندها ألقى السيد هايد عليه نظرة، وقفز فوق سياج الفناء. ثم

ذهب يمزق بستان القيقب بخطواتٍ كبيرة، وبأذنين مسترخيتين. لن نرى ذلك المخلوق المرعب أبدًا يا سيدتي العزيزة. صدقيني بأنه لن يعود".

"أوه، بالتأكيد سيعود يا سوزان. لا بد أنه قد خاف قليلًا من تلك الروح".

"سنرى ذلك يا سيدتي العزيزة، سنرى ذلك. لقد تم توقيع الهدنة، وأعتقد بأن المشعر القمري قد أصيب بسكتةٍ دماغيةٍ ليلة أمس. أنا لا أقول بأن ذلك ما حدث، فأنا لست الرب لأعرف، ولكن المرء قد يتمتع أحيانًا بأفكارٍ خاصةٍ تدور حول موضوعٍ معين. لم يُسمع أي شيءٍ يرتبط بالمشعر القمري ولا عن السيد هايد في جلين سانت ماري يا سيدتي العزيزة".

لم يُسمع شيءٌ عن السيد هايد بعدها. لقد كان من الصعب القول بأن خوفه هو ما أبعدته وجعله يغادر بعيدًا. وقد أقرّ قوم إنجلسايد بأنه إما قد أصيب بإحدى الطلقات النارية أو أنه قد تعرض للتسمم وقُتل. باستثناء سوزان التي ما زالت متمسكةً برأيها المبني على أنه ذهب إلى حيث ينتمي.

حزنت ريلا عليه لأنها كانت مغرمةً جدًا بجسده الذهبي الفاخر، وتحديدًا عندما يتحول إلى شخصية السيد هايد الغريبة، أو إلى دكتور جيكل اللطيف.

قالت سوزان: "والآن يا سيدتي العزيزة، بعد أن انتهيت من تنظيف المنزل في الخريف، ووضعت كل معدات الحديقة في القبو، أستطيع الذهاب لقضاء شهرٍ عسلٍ احتفالًا بهذا السلام".

"شهر عسل؟"

كررت سوزان بثقة: "نعم يا سيدتي العزيزة، شهر عسل. لن أتمكن أبدًا من الحصول على زوج، ولن أقع في الخداع أبدًا، لذلك من حقي

الحصول على شهر عسل.

سأذهب إلى مدينة شارلوت لزيارة أخي المتزوج وعائلته. فقد علمت بأن زوجته مريضة، ولا أحد يعلم ما إن كانت ستعيش أم لا. إنها دائمًا ما تفعل ما يحلو لها من دون أن تخبر أحدًا، وهذا هو السبب الرئيسي لعدم حبنا لها.

ولكن كي تزور الراحة باب روعي، سأذهب لزيارتها. لم أذهب إلى المدينة منذ أكثر من عشرين عامًا، ولدي شعورٌ بأنني قد أرى أيضًا إحدى تلك الصور المتحركة التي يتحدث عنها الكثير، حتى لا أكون كليًا من عالمٍ آخر.

لكن لا تخافي من أن أبقى بعيدةً معهم يا سيدتي العزيزة. سأكون بعيدةً لمدة أسبوعين بالكثير."

"أنت بالتأكيد تستحقين إجازةً جيدةً يا سوزان. من الأفضل أن تأخذي شهرًا... فهذه هي المدة التي يستحقها شهر العسل."

"لا يا سيدتي العزيزة، كل ما أطلبه هو أسبوعين. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن أعود إلى المنزل لمدة ثلاثة أسابيع على الأقل قبل ليلة عيد الميلاد لإجراء الاستعدادات المناسبة.

علينا أن نكون مستعدين لليلة الميلاد هذه يا سيدتي العزيزة. هل تعتقدين بأن هناك ولو بصيص أملٍ بأن يعود أولادنا إلى المنزل لإحياء تلك الليلة معًا؟"

"لا، لا أعتقد ذلك يا سوزان. لقد كتب كلٌّ من جيم وشيرلي في رسالتهما بأنهما لا يتوقعان العودة إلى المنزل قبل فصل الربيع.

كما أن شيرلي قد يعود في منتصف الصيف، الأمر لا زال غامضًا. ولكن كارل ميريديث، ونان ودي، سيعودون إلى المنزل، وسنحتفل معًا. ضعي جميع الكراسي حول المائدة يا سوزان تمامًا كما فعلت في أول عيد ميلادٍ حربي. كراسي الجميع، ولاسيما كرسي ذلك الابن

العزیز الشاغر".

قالت سوزان بعد ان مسحت لآلء عینها، وهي تغادر لحزم أمتعتها
من أجل شهر العسل: "لن أستطیع أبدًا أن أنسى مكانه الشاغر أبدًا يا
سیدتی العزیزة".

35 "ريلا ريلا تي!"



عاد

كارل ميريديث، وميلر دوغلاس إلى المنزل قبل ليلة عيد الميلاد. لقد استقبلتهما جلين سانت ماري كلها في المحطة برفقة فرقة موسيقية من لوبريدج تعزف على الأبواق، وخطبٍ مُجهزٍ من كل من أجاد كتابتها. كان ميلر مفعمٌ بالنشاط والحيوية رغم ساقه الخشبية. لقد أصبح عريض المنكبين، وقد بدا تمامًا كجنديّ حربٍ بمظهره ذلك وميداليته.

ارتدى مصالحة الأنسة كورنيليا لأوجه القصور في نسيه، لدرجة أنها اعترفت ضمنيًا بخطوبته مع ماري.

ظهرت ماري راضيةً بتلك الأجواء، خاصةً عندما أخذ كارتر فلاج ميلر إلى متجره كموظفٍ رئيسي، لكن لم يحسدهما عليها أحد.

قالت لريلا: "بالطبع الزراعة غير واردة بالنسبة لنا الآن. ولكن ميلر يعتقد أنه سيحب فعله بشكلٍ جيدٍ بمجرد أن يعتاد على الحياة الهادئة مرةً أخرى. وسيكون كارتر فلاج رئيسًا أفضل من كيتي العجوز. ستتزوج في الخريف، ونعيش في منزل ميد القديم بنوافذه القديمة، وسقفه المنحدر. لطالما رأيتَه أجمل منزلٍ في جلين، ولكنني لم أحلم

أبدًا بالعيش داخله مطلقًا.

نحن نقوم بتأجيله فقط، ولكن إن سارت الأمور كما خططنا لها، ودخل كارتر فلاج وميلر في شراكة، عندها سنسكنه.

أعتقد أن هذا المجتمع قد ضحك لي قليلاً، أليس كذلك!! مع الأخذ في الاعتبار ما أتيت منه؟ لم أطمح أبدًا أن أكون زوجة صاحب متجر. ولكن ميلر رجلٌ طموحٌ، وسيحظى بزوجةٍ تدعمه بالتأكيد.

لقد أخبرني بأن الفتيات الفرنسيات لم يستحققن منه نظرةً ثانيةً أبدًا، فقلبه كان معلقٌ بي في كل لحظةٍ كان فيها بعيدًا عني."

عاد جيرى ميريديث، وجو ميلجراف في كانون الثاني، بينما عاد شبان جلين وضواحيها، على مدار فصل الشتاء، إلى منازلهم على شكل ثنائياتٍ وثلاثيات.

لم يعد أيٌّ منهم كما ذهب، ولا حتى أولئك الذين نجوا من الموت ببعض الإصابات.

في أحد أيام الربيع، عندما كانت أزهار النرجس تتراقص في حديقة إنجلسايد، كانت ضفاف النهر القابع في وادي قوس المطر مزينةً بزهر البنفسج الأرجواني والأبيض. وكان القطار البطيء قد قدم إلى محطة جلين ظهر ذلك اليوم على غير العادة. فالركاب كانوا نادرًا ما يستقلونه، لذلك لم يكن هناك أحدٌ لمقابلة القادم باستثناء وكيل المحطة الجديد وكلبٌ صغيرٌ، قضى أربع سنواتٍ ونصفٍ وهو ينظر إلى كل الركاب القادمين إلى جلين سانت ماري على متن القطار.

لقد التقى كلب الإثنين بآلاف القطارات، ولكنه لم يلتقي أبدًا بالصبي الذي كان ينتظر عودته، ولكنه رغم ذلك لم يفقد الأمل وبقي يراقب كما هو حاله. ربما قد خذله قلبه أحيانًا بسبب تقدمه في السن، ولأنه أصبح يعاني من التهابٍ في المفاصل.

وعندما غادر القطار، عاد إلى بيته بخطىٍ رصينة. لم يهرول أبدًا، بل

سار ببطء برأسه المتدلي، وذيله الكثيب الذي لم يعد يرفعه بوقاحة أبدًا.

لقد نزل من القطار رجلٌ طويل القامة يرتدي زي ملازمٍ أول يعرج ببطء. كانت بشرته سمراء، وكانت هناك بعض الخصلات الفضية المنسدلة على جبهته. نظر إليه وكيل المحطة الجديد بقلق. إذ كان معتادًا على رؤية جنودٍ وهم ينزلون من القطار ويرتمون داخل أحضان أحبائهم الكثر، وآخرون لم يقروا بمجيئهم، تمامًا كهذا. كان هذا الجندي يتمتع بهالةٍ مثيرةٍ للانتباه جذبت اهتمام وكيل المحطة، وأخذ يتساءل عن هوية القادم.

وفجأةً تخطى كلب الإثنين وكيل المحطة. كلب الإثنين الصارم؟ كلب الإثنين المصاب بالتهاب المفاصل؟ كلب الإثنين المسكين؟ لم يصدق ما رآه. لقد عاد كلب الإثنين الصغير فرحًا كما كان سابقًا.

عندما رأى كلب الإثنين الجندي الطويل القامة تحشرج صوته، وأسرع بالانقضاض عليه، وأخذ يدور حول نفسه فرحًا ترحيبًا بعودته. وعندما حاول أن يتسلق ساقيه لم يستطع، لقد بدا وكأنه قد غرق في سعادةٍ كادت أن تمزق جسده الصغير إربًا، فما كان منه إلا أن لعق حدائه.

وعندما استطاع الملازم أن يستعيد رباط جأشه، وإيقاف دموعه المتساقطة من عينيه، غمر كلب الإثنين بين ذراعيه. فأسند الكلب رأسه على كتف الجندي، ولعق رقبتَه المتسمرة من أشعة الشمس، وأصدر همهماتٍ غريبةٍ من النباح والعيويل بين أحضانه.

لقد سبق لوكيل المحطة أن سمع بقصة كلب الإثنين، فتيقن من هوية هذا الجندي العائد. لقد انتهت الوقفة الاحتجاجية الطويلة لكلب الإثنين مع عودة جيم بلايث إلى المنزل.

بعد انقضاء أسبوع، كتبت ريبلا في مذكراتها: "نحن جميعًا سعداء

جدًا، وحزينون، وممتنون، رغم عدم تعافي سوزان من صدمة عودة جيم إلى المنزل في تلك الليلة التي كانت شاقّة بالنسبة لها بعد أن أعدت عشاءً مضاعفًا.

لن أنسى أبدًا مشهدها، وهي تبحث بجنونٍ عما يصلح أكله. ولكن أحدًا منا لم يكن مهتمًا بما كان على الطاولة، ولا بالتهام الطعام أبدًا، كل ما قمنا به هو التحديق بجيم. لقد خافت أُمي أن تبعد ناظريها عنه فيختفي. إنه لأمرٌ رائع أن يعود جيم، وكلب الإثنيين الصغير الذي التصق به. فقد كان ينام على قدمه عندما يخلد إلى الفراش، ويرقد بجانبه عند تناول وجبات الطعام. وعندما ذهب يوم الأحد إلى الكنيسة رافقه إلى المقعد، وأصر بالنوم على قدميه. وفي منتصف العظة، استيقظ وعاود النباح بفرح مرحبًا بعودته من جديد، ولم يهدأ إلا عندما احتضنه جيم. لم يمانع أحدًا ما قام به أبدًا، بل جاء السيد ميريديث وربت على رأسه بعد انتهاء العظة، وقال: "الإيمان والمودة والولاء أشياء تبقى ثمينةً أينما وجدت. وحب هذا الكلب الصغير لك كنزٌ يا جيم".

وذاً ليلةً عندما كنت أنا وجيم نتحدث عن ذكرياتنا في وادي قوس المطر، سألته عما إن كان قد شعر بالخوف وهو هناك.

فضحك جيم، وقال: "خائف! لقد خفت عشرات المرات، كنت مريض خوف. وكم كنت أضحك على والتر عندما يكون خائفًا هو أيضًا. هل تعلمين، لم يخف والتر أبدًا وهو يجابه، لم تخفه أبدًا الوقائع المأساوية، باستثناء خياله الذي كان يوهمه بأشياء غريبةٍ بعض الأحيان. أخبرني الكولونيل بأن والتر كان أشجع رجال الفوج. أتعلمين يا ريلا بأنني لم أعلم بموته إلا عندما عدت إلى المنزل. أنا للآن أفترقه بشدة، قد تكونون قد اعتدتم الأمر ولكنني لم أستطع ذلك، فكل شيء هنا جديدٌ بالنسبة لي.

لقد نشأت أنا والتر معًا، لقد كنا صديقين، وأخوين مقربين. والآن

هنا، وفي هذا الوادي القديم الذي أحبيناه عندما كنا أطفالاً لن أستطيع رؤيته مجددًا، فهو قد عاد إلى مرقده".

سيعود جيم إلى الكلية في الخريف، وكذلك جيرى و كارل. وأعتقد بأن شيرلي سيفعل ذلك أيضًا، فهو سيعود إلى المنزل في شهر تموز، كما سيستمر نان ودي بالدراسة. وأعتقد بأن فايت لن تعود إلى المنزل قبل شهر أيلول لأنها ستكون مشغولة بالتدريس. فهي و جيم لن يستطيعا الزواج قبل أن ينهي دراسة الطب. لقد قررت أونا ميريديث، على ما أعتقد، أن تنضم إلى دورة لتعليم التدبير المنزلي في كينجسبورت. كما أن جيرترود ستتزوج من رائدها وهي سعيدةٌ بذلك جدًّا، وقد عبّرت عن ذلك "أنا أكاد أطير من شدة السعادة." أعتقد بأن موقفها جميلٌ يعجز اللسان عن وصفه. إنهم جميعًا يتحدثون عن خططهم وآمالهم برصانةٍ أكبر مما اعتادوا أن يفعلوا. من المبهج أن يستمروا بفعل ذلك بعد سنواتٍ من الضياع.

يقول جيم: "إننا نعيش في عالمٍ جديد، وأن علينا عيشه أفضل مما كنا نفعل سابقًا. لم يصبح العالم كما حلمنا به، ولكن جميع الناس يرون بأنه سيكون أفضل بمرور الوقت.

إن مهمة إعمار هذا العالم قد بدأت وقد تستغرق بضع سنوات. فقد دُمّر العالم القديم وعلينا بناء عالمٍ جديد. لقد رأيت ما يكفي من الحرب لأدرك أنه يتعين علينا إنشاء عالمٍ يعمه السلام. لقد منحتنا روسيا جرحًا مميتًا، ولكنها لم تمت بعد ولم تقتصر على ألمانيا أيضًا. لا يكفي طرد الروح القديمة... فلدينا روحٌ جديدةٌ لجلبها".

إنني أقوم بخطّ كلمات جيم هذه في مذكراتي، حتى تتسنى لي فرصة قراءتها مجددًا لأستمد منها بعضًا من الشجاعة عندما تضيق بي الدنيا. عندها فقط لن أتخلى عن إيماني أبدًا.

أغلقت ريلاً يومياتها بحسرةٍ صغيرة. وكم كان من الصعب عليها أن

تتحلى بالإيمان، فقد بدا بأن الجميع قد حددوا أهدافهم وطموحاتهم، باستثنائها.

لقد شعرت بأنها وحيدة للغاية. لقد عاد جيم، ولكنه لم يكن الأخ المفعم بالحيوية، المرتبط بفايث، الذي ذهب في عام ١٩١٤. كما أن والتر لن يعود أبدًا، فلم يكن منها إلا أن تعلقت بجيمس كثيرًا، ولم تشأ تركه ولو للحظة. لقد بدا لها العالم فارغًا لا حياة فيه، لقد بدا كذلك منذ اللحظة التي قرأت فيها، بالأمس، قائمة الجنود العائدين في صحيفة مونتريال والذي كان من ضمنها اسم الكابتن كينيث فورد.

كان كين في المنزل، ولم يكتب لها أي رسالةٍ تنبئها بقدومه. لقد جاء إلى كندا منذ أسبوعين دون أن يخط لها أي مكتوبٍ عن ذلك. لا بد من أنه قد نسي ذلك ... أهنك أي شيءٍ نسيه ليتذكره؟ فهو لم ينس لا مشبك اليد، ولا تلك القبلة، ولا تلك النظرات، ولا حتى وعدًا قد طلب منه تحت تأثير لحظاتٍ عاطفية.

كان كل هذا عبثيًا!! لقد كانت سخيفةً ورومانسية وعديمة الخبرة. حسنًا، ستكون أكثر حكمةً في المستقبل، وأكثر حصافةً، واحتقارًا شديدًا للرجال وطرقهم.

فكرت، وهي تقف بجانب نافذتها تنظر إلى وادي قوس المطر حيث الكروم المزهرة بالزمرد الصغير والتي تستجم أسفل أشعة شمس الغروب الأرجوانية. "أفترض أنه من الأفضل لي أن أذهب مع أونا لتعلم مجال التدبير المنزلي".

لم يكن هناك أي شيءٍ مثيرًا للاهتمام في ذلك الوقت حول التدبير المنزلي، ولكن مع وجود عالمٍ يرتشف من كأس التقدم والتطور، فلا بد للفتاة أن تحدث تغييرًا ما.

وفجأة، فُرع جرس الباب. استدارت ريبلا على مضض، واتجهت

نحو عتبات السلم لتفتح الباب. فلم يكن هناك غيرها في المنزل. وكم كرهت زوار ذلك الوقت. فنزلت ببطء، وفتحت باب المنزل. كان يقف على عتبة المنزل رجلٌ طويل القامة يرتدي الزي العسكري، بشعره الأسود وعينيه الداكنتين، وبندبته الصغيرة التي تزين خده الأسمر. أخذت ريلا تحديق به بحماقة، ومن ثم سألت: "من أنت؟"

كان عليها أن تعرفه، فبعضًا من ملامحه ما زالت كما هي لم تتغير. فأجابها: "ريلا ... ريلاتي". لهت قائلَةً: "كين!"

ونعم، لم يكن الرجل سوى كين، بينيته الرجولية الضخمة. لقد تغير كثيرًا ... تلك الندبة ... والسواد النائم أسفل عينيه ... وتشققات شفثيه ... كانت أفكارها تتخبط داخل رأسها بلا حولٍ لها ولا قوة. أمسك كين يد ريلا، ونظر بعمقٍ داخل عينها. لقد تغيرت كثيرًا. لم تعد تلك الطالبة النحيلة التي تركها منذ أربع سنوات، لقد أصبحت امرأةً بجسدٍ متناسق، وبعينين جذابتين، وبشفثين مغريتين، وبوجنتين ورديتين. لقد وجد امرأةً تنحني الرجال أمام جمالها، لقد وجد امرأةً أحلامه.

"أهذه أنتِ حقًا يا ريلاتي" سألها.

اكتسحت ريلا عاصفةً من المشاعر الجياشة. مشاعرٌ من السعادة والحزن والخوف. فكل العواطف التي شعرت بها وآلمتها خلال الأربع سنواتِ الطويلة الماضية بدت وكأنها قد تحركت من أعماقها حتى تصاعدت إلى روحها. لقد أبكمها ما رأت، وكل ما استطاعت التفوه به هو: "نعم ... إنها أنا."

مكتبة

t.me/soramnqraa



إنه عام 1914، والعالم

على شفا الحرب... بينما كان مستقبل ريلا بلايث
يقتصر وطموحاتها على رقصتها الأولى في المنارة،
وعيش حياة مدللة تكمن في حصولها على قبلة من
وسيمها كينيث فورد، ريلا الابنة الصغرى لأن وجيلبرت،
الجميلة ذات العينين المشرقتين والتي بلغت الخمسة عشر عامًا.
عندما خيمت غمامة سوداء بأخبار مفادها أن إنجلترا قد أعلنت الحرب
على ألمانيا، لم تلق ريلا بالأل لأمر على أعتاب الكثير من الإثارة
الجديدة. وما أن يشتد الصراع في أوروبا، حتى تنفتت عائلة
إنجلسايد، وتنقلب حياة ريلا في تحديات غير متوقعة في ظل
غياب أشقاتها، وتجذ نفسها ترهق بمسؤوليات كبيرة وغريبة.
هل يقبض ناقوس الموت أرواحهم كحال الكثيرين؟ وهل
سيُفي كينيث فورد بالوعد الذي قطعه لريلا قبل رحيله؟
في هذا الكتاب الأخير من سلسلة آن، تستحدث لوسي مود
مونتهغمري، أربع سنواتٍ أخرى من الأحداث المثيرة في
قرية جلين سانت ماري الكندية، تقودها ريلا بلايث في
دراما تختبر فيها شجاعته، وتغير حياتها إلى الأبد.

telegram @soramnqraa

flamingopubi & Little Puffin

ISBN 978-9922-9289-9-9



9 789922 928999



Designed by: MAHER ADNAN